أتاتورك ورفاقُه
ونهايةُ العثمانيّين

الطبعة الأولى:

1441 هـ / 2020 م

اسم الكتاب: أتاتورك ورفاقه ونهاية العثمانيين

المؤلف: الدكتور رضا نور

تحرير وتعليق: الدكتور/ أحمد عبد الوهّاب الشرقاوي

موضوع الكتاب: تاريخ عثماني

عدد الصفحات: 464 صفحة

عدد الملازم: 29 ملزمة

مقاس الكتاب: 17 x 24

عدد الطبعات: الطبعة الأولى

رقم الإيداع: 23985 / 2019

الترقيم الدولي: 0 - 776 - 278 - 977 - 978 ISBN:

التوزيع والنشر:

القاهرة - جمهورية مصر العربية

هاتف: 01012355714 - 01152806535

E-mail: elbasheer.marketing@gmail.com

elbasheermasr@gmail.com

أتاتورك ورفاقُه
ونهايةُ العثمانيّين

مذكّرات الدّكتور رضا نور

تحرير وتعليق
الدكتور/ أحمد عبد الوهّاب الشرقاوي

دار البشير للثقافة والعلوم

إهداء

إلى رجلٍ من الزّمن الجميل..

الدّكتور/ نِهَاد عَمّار

الأخ الحاني

والخبير المُلهَم

وخير عونٍ على نوائب الحقّ

المقدّمة

وثيقةٌ تاريخيّة شديدةُ الأهميّة والخطورة؛ فصاحبها هو الطّبيب العثماني/ التركي/ رضا نور، رفيق أتاتورك في حرب الاسْتقلال والمرحلة الانتقالية من السلطنة والخلافة إلى الجمهورية الكماليّة العلمانية.

لم يكنْ «رضا نور» مجرّدَ شاهد على العصر أو شاهدَ عيان؛ وإنّما كان في قلب الأحداث محرّكًا لها، وصانعًا لمُجرياتها، وممسكًا ببعض خيوطها، إذْ كان في حياته العلميّة طبيبًا وأستاذًا في المدرسة الطبيّة العسكرية.. وفي حياته الوطنية نائبًا في مجلس المبعوثان، ومعارضًا مطارَدًا من عدّة حكومات.. وفي حياته الجهاديّة ساعيًا لتخليص بلاده من أزمتها الداخلية والخارجية في حربٍ لا يكاد يُعرف فيها الصّديق من العدوّ، والشّرعي من الخائن.. وفي مسيرته الإدارية والسياسية نائبَ وزير، ووزيرًا ورئيسَ وفدٍ دبلوماسيّ في مفاوضات دولية، وغير ذلك من المهامّ والمناصب التي تجعله يملُك من المعلومات والآراء ما لا يعرفه غيره، وتجعلنا ننصتُ له بجديّة تامّة وتركيز كبير؛ لنعرف الكثيرَ من المعلومات والأسرار.

وهذا الكتابُ هو شهادتُه بما عاشه، وتحليله لمَن عايشهم؛ فقد واكب عصرَ السّلطان عبد الحميد الثّاني، ثمّ انقلاب الاتحاديّين عليه، وإجباره على إعلان المشروطيّة، وخلعه عن السّلطنة، ثمّ انقلاب الاتحاديّين على الديمقراطية والمشروطيّة، وتورط الحكومة العثمانية في الحرب العامّة (الحرب

العالميّة الأولى) بلا هدف واضح ولا مبرّر مقبول، ولا استعداد يضمن أيّة نتيجة تحمل أملًا في غدٍ أفضل، وكان رضا نور معاصرًا لتلك الأحداث، متفاعلًا معها، وفاعلًا في بعضها، وتقلّبت به الأحوال بين مؤيّد ومعارض، كأيّ وطنيّ يسعى خلف ما يراه مصلحة بلاده، ويحزنه أن تستأثرَ فئة قليلة الخبرة كثيرةُ الطيش؛ بمقاليد الأمور.

لم يكنْ رضا نور من ذوي الاتّجاه الإسلامي، ولا متمسّكًا بالتّراث العثماني، ولا حتى حريصًا على المظاهر والطّقوس الإسلامية؛ إنّما كان كلّ ما يهمّه كعلماني هو مصلحةَ بلاده وحاضرها ومستقبلها؛ لذا نجد نقدَه للأحداث المفصليّة التي مرّت بها الدّولة العثمانية في سنوات سقوطها، وكذلك الأحوال التي تقلّبت فيها الجمهورية التّركية في مرحلة مخاضها.. نقدًا بعيدًا عن التّحيز الإيديولوجي أو الانتصار لفريق ضدّ آخر.

كما جاءت تحليلاتُه للشّخصيات التي امتدحها أو انتقدها أو ذكر عنها بعض المواقف؛ بشكلٍ تفاعلي وليس انفعالي، فهي ليست مجرّد علاقات شخصية تخضع للحبّ أو الكراهية بلا أسباب؛ إنّما هي علاقات فئات أجبرتهم الظّروفُ على تجميع شتاتِ شملهم رغم تباين توجّهاتهم، واتّفقوا على العمل من أجل وطنهم في ظروفه الحالكة، فالمعيارُ الواضح هنا في أحكام رضا نور هو معيارُ الوطنية والإخلاص والتجرّد، وليس المعيارُ الدّيني ولا الأخلاقي ولا حتّى السّياسي، وإذا افترضنا تأثير العامل النّفسي والانفعالي في أحكام رضا نور على الشّخصيات وتحليله لها؛ فهو قد يكونُ حاضرًا في بعض المواقف وليس كلّها.

لكنّها في كلّ الأحوال شهادةُ شخصٍ ذي خبرة حياتية تؤهّله للشهادة

بوعي ومعرفة، وشهادة أحدِ صنّاع الأحداث والمؤثّرين في مسيرة تاريخ هذه المنطقة، ورفيق أيام شديدة الصّعوبة مع رجال كشفت عن معدنهم هذه الأحداثُ، وجلّت حقيقتَهم، بعيدًا عن التصنّع المعروف عن رجال السّياسة والدبلوماسية، فكانت شهادته عن معايشة، وأحكامُه بناءً على معاينة، وتحليلاته للشّخصيات جاءت عن خبرة طبيب يدرك كيف يشَرّح ويتعمّق ويلجُ إلى أصل العلّة والمرض العضوي والنفسي.

وهي- بالطبع- شهادةٌ تخضع لكلّ معايير النّقد التاريخي؛ فقد تحمل الكثير من الأكاذيب أو التّبريرات أو المبالغات وتصفية الحسابات، وأيضًا قد تحمل الكثير من الحقائق الصّادمة، وتهدم العديدَ من أصنام الزّعماء والكثير من أوهام البطولات، وتصحّح المزيد من المعلومات والمفاهيم حول أخطر مراحل التاريخ الإسلامي/ العثماني/ التركي.

إذْ كانت هذه المرحلة زلزالًا عنيفًا اهتزّت له المنطقة كلّها، بل العالم الإسلامي وما حوله، وربّما لا تزال توابعه تثير اهتزازاتٍ مؤثّرةً لتحرّك المياه الراكدة في التاريخ والسّياسة والفكر، وتمنحنا المفيدَ من دروس التاريخ في مخاطر التحول الأيديولوجي، ومخطّطات طمس الهوية، ومؤثرات صناعة الأمّة والدّولة.

وفي محاولةٍ للتّأريخ لهذه الفترة- من وجهة نظره- ترك مصطفى كمال أتاتورك لنا وللتّاريخ خطابَه الشّهير المعروف بـ (نطق)، وهو الخطاب الذي ألقاه أتاتورك في المؤتمر الكبير الثّاني لحزب الشعب الجمهوري عام 1927م، واستغرق إلقاؤه ستة أيام متتالية من 15 إلى 20 أكتوبر، وقبلها كان مصطفى كمال قد استغرق شهرًا في كتابة هذا الخطاب، جمع خلاله

كلّ ما يودّ أنْ يتضمّنه الخطاب باعتباره خلاصة فكره وتجربته، استعرض أتاتورك دورَه في حرب الاستقلال منذ أن وطأت قدمه سامسون في 19 مايو 1919 حتّى عام إلغاء الخلافة الإسلامية 1924م، والمراحل التي مرّت بها حرب الاستقلال، ويقدّم فيه تفصيلات كثيرة حول أهمّ الأحداث التي أحاطت بإلغاء السّلطنة العثمانية عام 1923، وعقد مؤتمر لوزان في العام نفسه، ثمّ إعلان الجمهورية التّركية في العام التالي، والمبادئ التي اتّخذتها الحكومة الكمالية أساسًا للجمهورية، ويتضمّن عددًا من المراسلات التي تمّت في تلك الفترة.

ويقول المؤرّخ التركي «محمد دوغان» في كتابه (الكمالية) عن الخطاب بأنه ادّعاء أو اتّهام وجّهه أتاتورك لأكثر من 400 شخصية تاريخية في عهده، وقسم كبير من هذا الاتّهام سلبيّ. ويقول أيضًا المؤرّخ التركي «شوكت ثريا آيدمير» في كتابه (الرجل الثّاني) إنّ ما قاله أتاتورك في الخطاب عن رفاق الكفاح الوطني القدامى كان بلا شكّ قاسٍ وغيرَ منصف.. لكنّ هذا يساعد على فهم الحالة النفسية لأتاتورك، كان يلفّ أتاتورك في ذلك التاريخ إحساسٌ أسطوري، وكان يرى الأحداث والبشر من زاويته هو.

وإذا كان (الغازي) مصطفى كمال (أتاتورك) قَدَّم من قبل خطابه الأشهر في التاريخ الحديث (نُطُق)، وجعله بمثابة وثيقةٍ تاريخية لأحداث وشخصيات هذه المرحلة بعد أن نَصَّب نفسه قاضيًا عليها، وصانعًا لها؛ فإنّ (مذكّرات الدكتور رضا نور) هي أعنفُ ردّ وتفنيد لادّعاءات أتاتورك حتى الآن.

وقد لقيتْ هذه المذكراتُ الكثيرَ من ردود الأفعال لدى صدورها، وحتّى الآن، ربّما جولة صغيرة في عالم الـ «يو تيوب» وسوف تجد الكثيرَ من

المحاضرات والندوات واللقاءات المتلفزة، يتحدّث المحاضرون.. ويتساءل الضيوف.. وينفعل الخصوم؛ حول مدى مصداقية وحقيقة وتأثير هذه المذكرات، ولا وسط بينهم، فالبعض يرى أنّ تلك المذكرات ليست مصدرًا تاريخيًا يُعتدّ به، ولا صاحبها مؤرّخًا متخصّصًا، رغم أنه رجل محترم!!.

والبعضُ الآخر يرى المذكرات مصدرًا شديدَ الأهمية في تغطية مرحلة تاريخية مهمّة، وأنّ صاحبها كان في موقعٍ يجعله أولى النّاس بالتأريخ وفضح أسرار كبار القادة والزّعماء، وما كان يجري في المطبخ السّياسي فترة حرب الاستقلال، وإلغاء السلطنة والخلافة العثمانية، ثمّ إعلان الجمهورية التركية، وما واكبَ ذلك من صفقات سياسية وعسكرية ودبلوماسية.

***

تمّ نشر هذه المذكرات في تركيا كاملةً في ثلاثة مجلّدات، ثمّ قام الدكتور بهجت رشيد غالب باختصارها وترجمتها إلى العربية، وقامت مجلة المجتمع (الكويتية) بنشر هذه التّرجمة مسلسلةً في حلقات، بدءًا من العدد (530) الصّادر في 22 رجب 1401هـ الموافق 26 مايو 1981م، واستمرّ نشرُ الحلقات لنحو 53 عددًا متتاليًا بشكل أسبوعي، ونشرت الحلقة الأخيرة في العدد (583)، في 28 شوال 1402هـ الموافق 17 أغسطس 1982م.

وبعد جهودٍ كبيرة للحصول على هذه الأعداد من المجلّة، والتي لم تكن متوافرة حتى في أرشيف المجلّة نفسها بالكويت؛ أكرمنا الله بالحصول عليها- عدا العدد رقم -542 من لدن مجموعة من المكتبات الخاصّة من الكويت، ساهم في الحصول عليها زملاءُ وأصدقاء أعزّاء قاموا بجهدٍ كبير استغرق وقتًا وعملًا متواصلًا، دعمًا للعلم وللتاريخ وللحقيقة.

وقد نشرتُها كما هي بلا تعديل- عدا بعض العبارات البذيئة-، وقد قامت المجلة أو المترجم بعنْوَنة كلّ حلقة من حلقات المذكّرات، كما وضعت عناوين جانبية لتبرز المضامين التي حوتها المذكّرات، وهي عناوين مُستقاة من كلمات المذكرات نفسها، وإنْ لم يكن المؤلف (الدكتور رضا نور) قد وضعها في النّص العثماني الذي كتب به مذكّراته، ولا وضعها النّاشر الذي نشر المذكرات بالتركية الحديثة.

وقد قمتُ بالتّعليق على نصّ المذكّرات- ما أتيح لي ذلك- للتعريف بالوقائع والتّعريف بالأعلام والشّخصيات والبلدان، وغيرها من أحداث التّاريخ، ليقف القارئ والباحث على تفاصيل ما أجمله المؤلف، والشّخصيات التي ذكرها وكان لها دور في الأحداث، وكذلك الوقائع التي يعرفها القارئ التركي ولا يكاد يسمع عنها القارئ العربي، وقد اعتمدت في تلك الحواشي والشّروح- التي ربما تجاوزت مقدار صفحات النّص العربي للمذكرات- على مجموعةٍ كبيرة من المصادر والمراجع، أوردت قائمة بها في ختام النّص، ليتمكّن المتابعون من الرجوع إليها للاستزادة، قراءة أو دراسة.

***

وأعتقدُ أنّ كلّ مَنْ يقرأ هذه المذكّرات سوف يعيد حساباته وأحكامه، ويبحث بشغف كبيرٍ عن المزيد من المذكّرات والأسرار في أسباب سقوط العثمانيّين وقيام الكماليّين، وغيرها من دروس التّاريخ ومدائحه وفضائحه.

أحمد الشرقاوي

استانبول في 11 نوفمبر 2019

مقتطفات من
مقدمة الطبعة التركية للمذكرات[1]

ومقتطفات من النّسخة الأصليّة للمذكرات بخطّ المؤلف وبقية أعماله الأدبية والتاريخية الأخرى بخطه

في تقديم هذه المذكّرات، لا نرى الحاجة إلى أنْ نقول الكثير عن حياة وشخصيّة الدكتور رضا نور.

ستتاح للقارئ فرصةُ الاستماع إلى جميع المعلومات الواردة في هذا الكتاب بأسلوب بسيطٍ، وتعبير صادق عن المؤلّف الرّاحل نفسه. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن صاحبَ هذه المذكرات، التي كتبتْ في باريس في 1929، جاء إلى تركيا وتوفّي فيها سنة 1942. ولم يخبرْ أحدًا بكتابة مذكّرات من هذا القبيل.

أو أنّه ترك أنفاسه الأخيرة في المكتبات الأربع الرّئيسية في العالم، شريطة ألا تُفتح حتّى سنه 1960.

نحنُ نريد فقط تقديمَ معلومات مختصرة عن طبيعة هذه المذكرة وطريقة نشرها بواسطة دار النشر لدينا (Altindag Yayinevi). ،،

(1) Dr.Riza Nur. Hayat Ve Hatiratim .Altindag Yayinevi .Istanbul .1976.

[illegible]

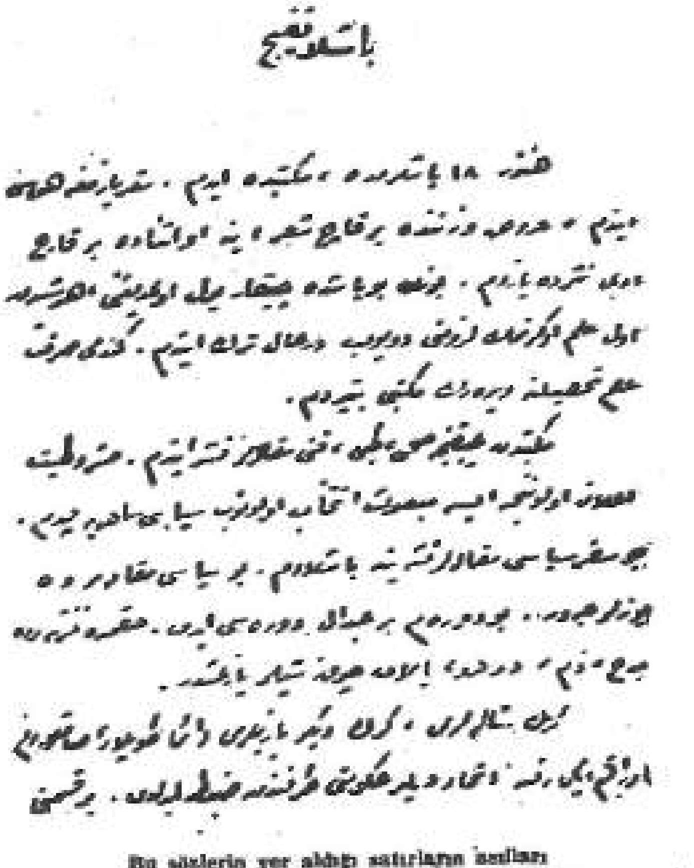
[illegible]

[illegible]

«وكان الأستاذ الدكتور جاويد أورخان توتنجيل (Dr.Cavit Orhan Tutengil) أوّلَ مَن ذكر مذكّرات رضا نور في تركيا. فبينما كان يدرس في المتحف البريطاني، نشرَ ثلاث مقالات في قسم الكتابات الشّرقية تصف كيف عثرَ على مذكّرات رضا نور، وأعماله الأخرى الأدبية- غير البارعة- في قسم المخطوطات الشرقية، ومحتوى هذه الأعمال[1].»

«في هذه المقالات، يتمّ تقديم معلوماتٍ عن المخطوطات التي سلّمها الدكتور رضا نور إلى المتحف البريطاني، ومن ثمّ مهاجمة المؤلّف من وقتٍ لآخر. والسبب في هذه الهجمات هو آراءُ صاحب المذكّرات عن مصطفى كمال، وأفكاره السيئة التي تكوّنت عنه.»

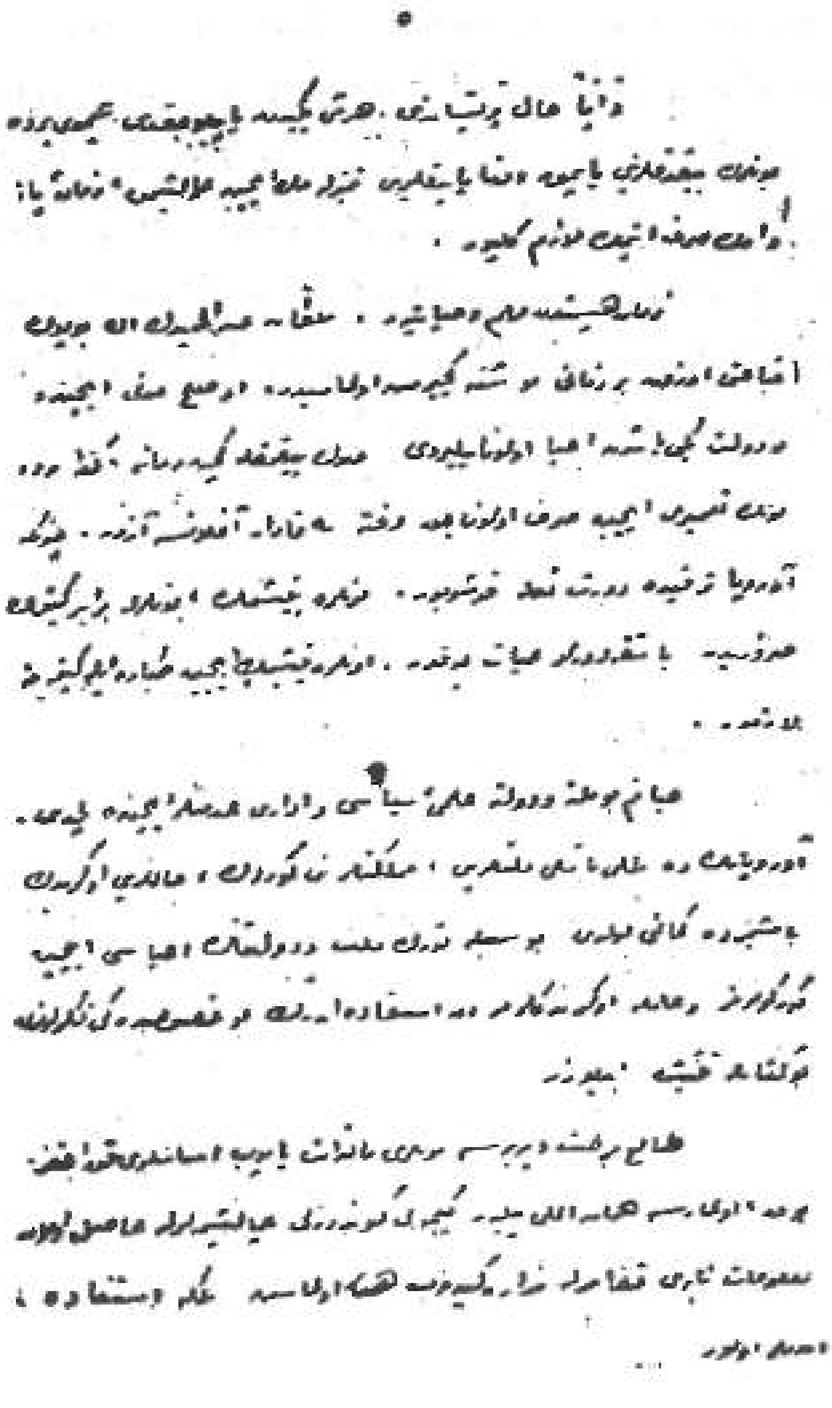
(1) نشر أوّلُ هذه المقالات في كتاب بيللتين، بتاريخ 1 أكتوبر 1963، والثاني في جريدة جمهوريت بتاريخ 9 مارس 1964 والثالث في جريدة جمهوريت بتاريخ 10 أغسطس 1964. في وقت لاحق، تمّ نشر هذه الكتابات بموافقة وانتقاد «دكتور رضا نور» بعنوان «دار أنقرة للطباعة الشّمسية» في عام 1965 ككتاب. في هذا الكتاب، تمّ العثور على العديد من أقوال رضا نور ضدّ مصطفى كمال مع كليشيهات أصولهم. في الواقع، تجدر الإشارة إلى أنّه لم تكن هناك مواقفُ رسمية من هذا الكتاب.



Bu sözlerin yer aldığı satırların asılları

«في الواقع، يكشف رضا نور عن شخصيّة مختلفة لمصطفى كمال ومغايرة لما يُشاع بين الناس. ولكن في مثلِ هذه المذكّرات، فإنّه ليس المشاعر الشخصية التي تهمّ؛ بل الآراء والأفكار.»

«إذا بقيتِ المذكّرات وصاحبُها يفتقران إلى الحقيقة في آرائه أو يغنياها، فلا توجد مشكلة لأنّ هذه هي القضايا التي ستكون مهمّة المؤرّخ، وبحثه ونقده التّاريخي. القراء أحرارٌ في مشاركة المؤلّف في تقييماته وآرائه الشخصية. وإذا فعلوا ذلك، فإنّهم قد يقبلون أو يرفضون هذه التّقييمات والآراء بعباراتٍ مطلقة أو نسبية.»

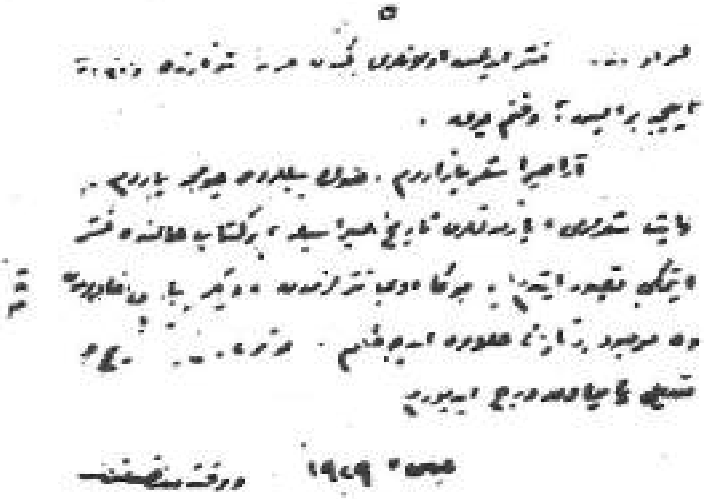


«ملاحظاتُه غير مكتملة جزئيًّا، أو غير صحيحة. ولكن عندما يأخذ القراء في الاعتبار كلّ المذكّرات؛ سوف تجد أنّها محاولةٌ للإخلاص والولاء للحقيقة، حتّى أن المؤلّف تحدّث عن العيوب الخاصّة به وبهم.

في هذا الصّدد، نأمل أنْ تؤدّي حقيقة أنّ مالك المذكّرات قد أظهر صدقه في الكشف بوضوح عن عيوبه الخاصّة، إلى ضمان صدقه في الحديث عن الأخطاء والقضايا قد تناولها وصدم بها القرّاء.»

« آراؤه السّلبية عن السّلطان عبد الحميد ومدحت باشا، مثل آراء وأفكار القوميين الأتراك فيما يتعلّق بالكثير من الشّخصيات العثمانية، والتي تتعارض مع التحقيقات التّاريخية التي وضعها القوميّون الأتراك، جديرة بالذّكر في هذا الباب؛ لأنه لم يتمكّن من تقييمه خارج الأبعاد الذاتية لحقبته[1]. »

(1) وعلى الرّغم من نقل رضا نور إلى اليمن عندما تمّ تعيينه أوّلَ طبيب شرعي، على الرّغم من أنّه ترك في المستشفى بالإرادة الخاصّة للسّلطان عبد الحميد الثاني.



Yazının son satırları, tarih ve yazarın imzası

«وهذه الآراء، التي عثر عليها، وتمّ التّعبير عنها يمكنُ قبولُها معًا لجيل رضا نور في وقتٍ كانت فيه الأحداثُ التي تدور كالطاحونة، وتعصف بالجميع لا تزال سارية. حتّى شاعر الوطن والاستقلال «محمد عاكف» يتماثل معه في هذا الموقف المتناقض من السّلطان عبد الحميد.

وعلى هذا النّحو، يجب أن تكون قراءتنا لأفكار وآراء رضا نور وكتابته للتاريخ الحديث، مع قبولنا لأفكاره الشخصية؛ باعتبارها فكرة تاريخية تعكس الآراء الاجتماعية والسّياسية لجيله. وحتّى الآراء الخاطئة هنا ستكون موردًا هامًّا لأولئك الذين يرغبون في تدوين التّاريخ النفسي والشّعوري لتلك الحقبة، وخلافاتها، والتعبير عن مشاعرهم الخاصّة تجاهها.»

[illegible]

«لهذا السّبب؛ نحن ننشر تلك المذكّرات كما هي بحروفها، دون لمس أيّ نقطة، باستثناء بعض الكلمات البذيئة.»

«أعمالُ رضا نور، التي منع الجميع من مطالعتها أو حتّى معرفة شيء عنها إلى عام 1960 من خلال تسليمها نسخ منها إلى أربع مكتبات مهمّة في العالم، هي كما يلي مقارنة بالسّجلات الموجودة في المتحف البريطاني:

وهي مسجّلة في قسم المخطوطات الشرقية من المتحف البريطاني تحت رقم أو 12591. وهي التي كتبت في باريس في عام 1929 (908 ورقة). وبعد التمهيد، يبدأ المؤلف بوصف حياته من طفولته المبكرة. بعد ذلك، يتمّ تضمين الفصول التالية: في العمل، حياتي الطبّية، حياتي السّياسية (المشروطية، الهدنة)، الحكم الوطني (الهيكل الداخلي)، طبيعة خطاب مصطفى كمال، ومؤتمر لوزان.»


وصيتنامه‌م

Vasiyetnâmenin ilk satırları

«وقد اشترط الدّكتور رضا نور على المتحف البريطاني الشّروطَ التّالية بخصوص هذه الأعمال:

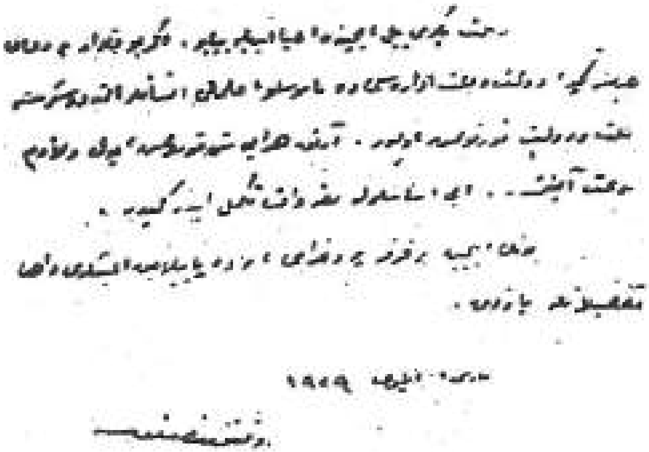
1. لا يمكن لأحدٍ أن يشتري المخطوطات بدون ثمن، حتّى ورثتها.

2. المتحف البريطاني: سيتمّ الحفاظ على هذه المخطوطات ملفوفة في ختم المتبرع.

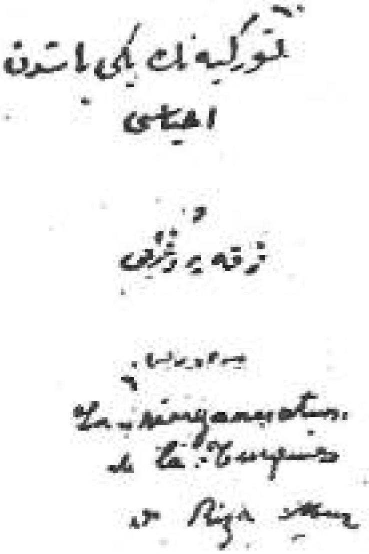
3. لن يتمّ عرض المخطوطات المذكورة أعلاه على القراء حتى عام 1960.»

«سيتمّ نشرُ هذه المذكّرات من قبل دار النشر الخاصة بنا (Altindag Yayinevi) في ثلاثة مجلدات.

الجزء المهمّ في تلك المذكّرات هو أنّ العديد من الشخصيات التي لعبت دورًا في الحياة السّياسية لتاريخنا الحديث- من السلطان عبد الحميد إلى مصطفى كمال وعصمت باشا- حتّى لو كان ينطوي على بعض الآراء الشخصية، أو لأنّه قدّم تحليله لتلك الشخصيات بجرأة.»



Eserin kapağı da şu şekildedir :



«وفي السّطور الأخيرة من العمل، يقدّم الدكتور رضا نور المعلوماتِ التّالية:

«لمدّة أربعة أو خمسة أشهر، كتبتُ مذكّراتي في عدّة نسخ، كما أكتب أوراقي الخاصّة بدون طباعة، وانتهيت من كتابتها في يوم الجمعة 12 مارس 1935.»

« وقبل مذكّراتي، قد كتبتُ قصائدي، وكتبت أيضًا برنامجًا لإحياء تركيا والنهوض بها كنسخةٍ شاهدة.

لم يكنْ من الممكن طباعتها عند أيّ شخص آخر غيري. والآن سأحضرها إلى إحدى المكتبات، وألزمهم بأخذها إلى أوروبا، حيث سأحتفظ بها في مكان آمن، في اليوم الذي أفعل فيه ذلك قلبي سيكون مرتاحًا تمامًا»[1]»

(1) Dr.Cavit Orhan Tutengil , a.g.e s.10

فرقه پروغرامی

[illegible]

Fırka programını ihtiva eden sayfaların ilki.

قصائدي التي لم يتمّ تجميعها في الكتاب الأوّل من الشّعر

«في قسم المخطوطات الشّرقية من المتحف البريطاني، مجلّدٌ تمّ تسجيله تحت الرّقم 12588(OR)، يضمّ 238 صفحة (119 ورقة). يتكوّن هذا المجلد من ثلاثة أعمالٍ منفصلة وملحقيْن. وقد كتب في الإسكندرية في عام 1936.

- العمل الأوّل يحمل نفسَ الاسم، ويحتوي على قصائد.

- العمل الثّاني هو نفس الاسم (ظفر الثاني لضياء باشا). وقد كتب في روما في عام 1935. كُتب هجاء ضدّ مصطفى كمال.

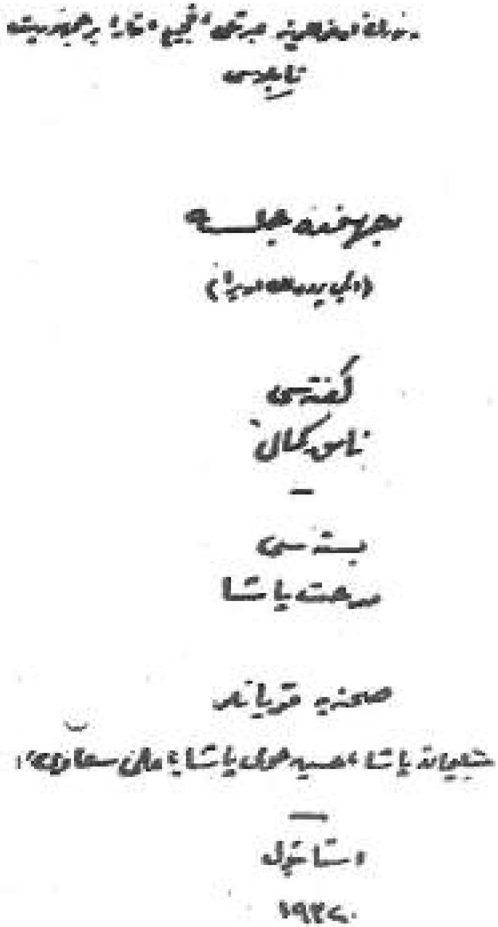
- العمل الثّالث (عثمان الأعرج) هو عملٌ لأوبرا كوميدية.

في كتابه الأوّل، يقول إنّ هذا العمل كُتب بإخلاص للقضية التاريخية وللحقيقية، وإنّ نيّته لم تكنْ لإظهار قدراته الأدبية، لكنّ غرضه هو لفتُ الأنظار تجاه الجبهة الخفية للحروب الثوريّة والاستقلال.»

«أوّلُ الملاحق يسمّى (وصية نامه).

الملحق الثّاني تمّ تسميته (قائمة أعمالي)، ويحتوى على مؤلّفات المؤلف المطبوعة وغير المطبوعة.»

Namık Kemal
Bestesi
Midhat Paşa
Cehennemde bir celse'nin kapağı :


جهنمده بر جلسه

گفته سی
نامق كمال

بسته سی
مدحت پاشا

استانبول
١٩٢٠

إحياءُ تركيا من جديد والنّهج الطائفي

مجلّد مسجّل في نفس المكتبة تحت الرقم 12589(OR) ويحتوي على 126 صفحة (63 ورقة). ويقدّم المؤلّف عملَه على النّحو التّالي:

بداية

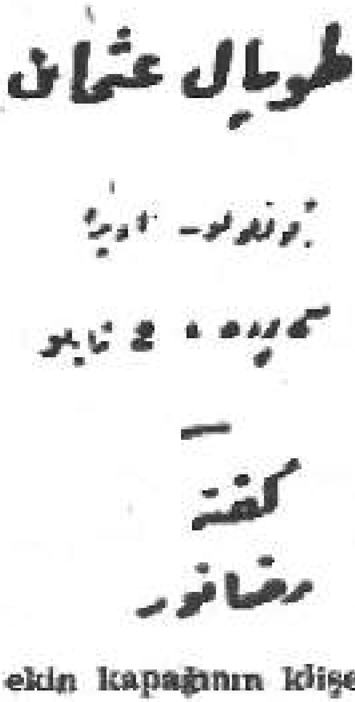
سقطتْ تركيا بعد حضارةٍ رائعة وفريدة من نوعها لقرنيْن من الزمان، بعد زمن الفتوحات العظيمة، واستمرّت دائرة الانقراض، وانتهى عهدُ العلوم والعلماء، والصناعة والزّراعة، اندثروا تدريجيًّا، ودُمّرت التّجارة والعلوم التركية، والصناعة والحرث. أصبحت المنظومةُ فاسدة. وفي تلك الأثناء، في هذه الفترة الكارثيّة من تركيا، ركضت أوروبا بخطوات عملاقة. ،،

«منذُ حوالي قرنٍ من الزمان، أراد أصحاب التّنظيمات أن يبعثوا الأتراك وينهضوهم بطريقةٍ علمية واقتصادية واجتماعية، قائمة على الدولة، من خلال الأساليب الأوروبيّة؛ وقد أدّى العمل الطويلُ والكفاح الكبير إلى المزيد من الأمور الجيدة في هذا الصّدد. ومع ذلك، فإنّه لم يكن كافيًا حتى الآن.

كما تمّ كسر حاجز التّعصب بنسبة 80 في المائة. ونحتاج إلى خطوة جيدة لننتهي من هذا العمل ونتمّه. ولهذا السّبب تمّ إعلان المشروطية. ولم تفعل لجنة الاتحاد والترقّي سوى القليل.»

Diğer ek :
TOPAL OSMAN
Gülgülü — Opera
5 perde, 2 tablo
Güfte

Rıza Nur


طوپال عثمان
گولگولو – اوپره
۵ پرده ۲ تابلو
گفته
رضا نور

Bu ekin kapağının klişesi

«للأسف علاوة على ذلك فإنّ سيطرة (....) باشا وحكمه المتّسم بالجهل، والاستبداد، والهيمنة، وافتعال المعارك للمتعة، وادّعاء العبقرية، فكانت النتائج سيئة للغاية... دمّروا الأمّة، وتدهورت حالة دولة في العلوم والزراعة والصناعة والإدارة.

لا توجد أمّة ودولة لا لبس فيها ولا علاقة لها بأصالتها وتراثها، ولن تعيش وفق هذا النّظام الجديد المختلق...»

«من الخطير جدًّا أنْ يحكم الجاهلُ على الأمّة، وأن يعاملها بشكل تعسفي وديكتاتوري، في الوقت الذي نحتاج فيه بشدّة إلى المضيّ قدمًا، وإجراء إصلاحات داخلية وإصلاحات إدارية. بدلًا من الحرص على السّلطة والزعامة، وتضليل الشعب بطرقٍ خطيرة بسبب جهلهم، وبذلك تكون النتائج كارثيّة.»

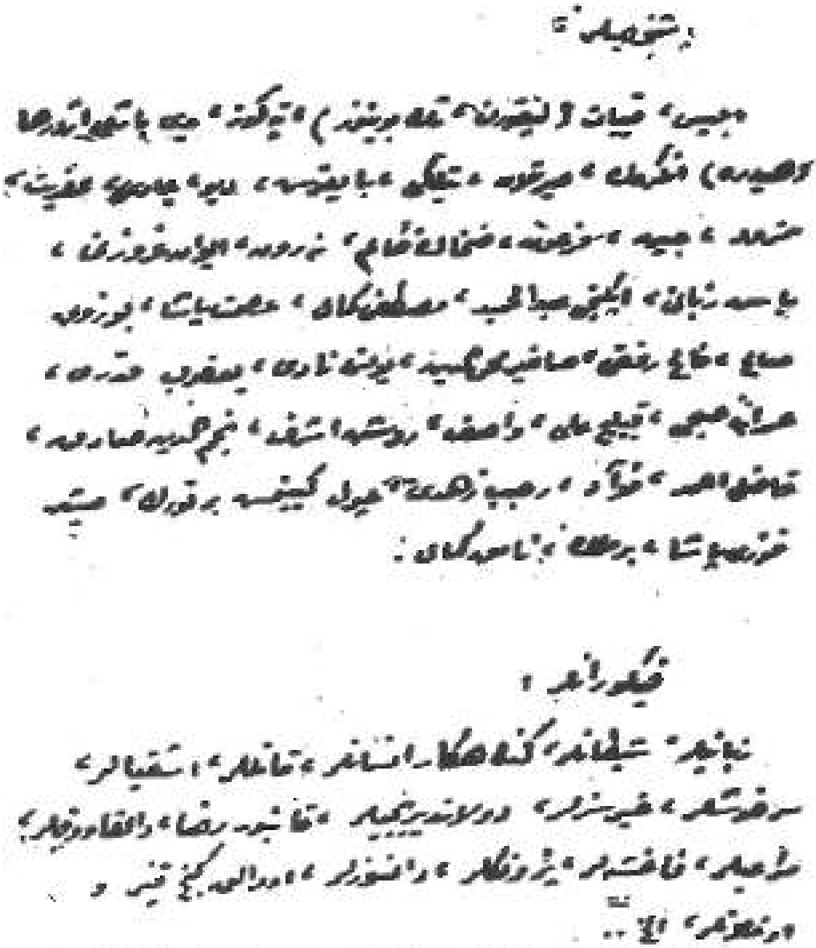
«أن تكون عبقريًا فقط لكسب العقول المجيدة وتكريمهم للبقاء في وضع يمكنها من البقاء في نعمة البركة والاستمتاع بحالةٍ سابقة كدولة مزرعة خاصّة لاستخدامها كحيواناتٍ مؤهّلة في المزرعة، وقد شوهدت أغراضٌ أخرى بخلاف أغراض الأقران الذين لا يقومون بها»

«والوقتُ هو أكثر أهمّيّة وحيويّة للجميع، وأكبر جرمٍ ارتكبه السّلطان عبد الحميد هو أنّه أمضى وقتًا طويلًا دونَ جدوى. كان من الممكن إعادة بناء هذه الدولة بواسطة الرئيس الجديد.»

«المرّة الأخيرة التي اضطررت فيها لتمزيقها، والمزيد من الوقت الذي سيتمّ إجراؤه لإصلاحها لو بكاه فإنّه أقلّ.»

Sahneye koyanlar
Süleyman Paşa, Hüseyin Avni Paşa, Ali Suavi

İstanbul
1932



Bu kliçenin Lâtin harfleri ile nakli karşı sahifededir

«الرّكض خلف المنهج الأوروبي ضروريّ للسّير على دربهم واللّحاق بهم، وإلّا لن توجد حياة. لكنّ نحن بحاجة إلى طائرةٍ للحاق بهم.»

«لقد قضيتُ حياتي في الخدمات العلميّة والسياسية والإدارية لهذه الأمّة والدولة. لقد زرتُ وشاهدتُ الدّول الكبرى في أوروبا... فنحن نستخدم خبرتنا ومعرفتنا من أجل تجديد شباب الأمّة والدولة التركية، ونقدّم أفكارنا حول هذه القضية عبر هذا الكتاب.

إذا أعطانا الحظّ الفرصة، فإنّنا سوف نفعل ذلك شخصيًّا ونضع الأساسيات. إن لم يكنْ على الفور، نمضي خمسين عامًا في العمل الدءوب ليلَ نهار...»

«يمكنُ إحياء الأمّة في عشرين سنة، إذا مرّت مثل هذه المدّة دون حرب، وتكون إدارةُ الدّولة والأمّة في أيدي أشخاصٍ على درجة كبيرة من العلم والإخلاص لتنقذ الدّولة والأمّة. الآن، تمّ عمل أشياء جيدة، وتمّ اتّخاذ الطريق، ولكن السرعة ضرورية، لهذا كتبت برنامجًا إصلاحيًّا أكثر تفصيلًا[1].»

باريس، سبتمبر 1929

دكتور/ رضا نور

(1) Dr.Riza Nur. Hayat Ve Hatiratim .Altindag Yayinevi .Istanbul .1976.

مقدّمةُ المترجم
الدّكتور رضا نور.. حياتُه وأعمالُه

وُلد الدّكتور رضا نور يومَ 30 أغسطس عام 1879 في سينوب بالأناضول، ومات في 8 سبتمبر عام 1943 في استانبول، وهو مِن عائلة الإمام، وهي عائلة تركية معروفةٌ في سينوب. اسمُ والده محمود، واسمُ والدته هاجر، وبذل كلّ منهما جهده لتربيةِ ابنهما رضا تربيةً إسلامية؛ إلّا أنّ انغماس رضا بعد ذلك في حياة المدنية، وتناولَه الثقافاتِ الأجنبية أفسدَ أخلاقَه، كما يعترفُ هو بذلك في مذكّراته، وأصبح فيما بعدُ أهمَّ شخصيّةٍ فكريّة علمانية في حركةِ علمنة تركيا التي قادها مصطفى كمال أتاتورك.

درسَ رضا نور الطبَّ في المدرسةِ الطبّية العسكرية، وتخرَّج فيها برُتبة نقيب طبيب، اشتغلَ بعد تخرُّجه- لفترةٍ قصيرة- بالتّدريس في نفْس المدرسة، وتحت إشراف أطبّاء ألمان، ومع إعلانِ الحُكم الدّيمقراطي في الدولة العثمانية عام -1908 وهو ما سُمي بـ (العهد المشروطي)[1]- انطلقَ رضا نور إلى العمل السياسي، وانتخبَه أهلُ دائرته سينوب عضوًا بمجلس المبعوثان[2] العثماني.

---

(1) أي العهد الدستوري، بإعلان الدستور وتشكيل مجلس المبعوثان.

(2) مبعوثان: اسمُ الجمع على الطّريقة الفارسية لكلمة (مبعوث) العربية، وهو المندوب في مجلس البرلمان العثماني.

انظر، سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص 199.

تأثّر رضا نور بتياراتِ الفكر الأوروبّي، وكان جمهوريًّا قوميًا علمانيًا، وبسبب معتقَداته السّياسية دخل السّجن، وطُورد وهو مازال في سنّ شبابه، خرج من بلاده متوجّهًا إلى مصر؛ حيث أمضى من حياتِه الفترةَ الواقعة من عام 1917 حتّى عام 1921، وفي مصر انكبَّ رضا نور على تأليف بعضِ الكتب، وازداد فِكره القومي انطلاقًا بحيث سيطرَ على تأليفه تقريبًا.

اشتركَ رضا نور عقبَ الحرب العالمَيّة الأُولى في حرب الاستقلال- التي جاهدتْ فيها الأمّة التّركية ضدّ المستعمر الأوروبي- وكان موقعُه بجوار مصطفى كمال أتاتورك، وأصبحَ لرضا نور أكبرُ دورٍ سياسي في الحركة الكماليّة، كان هو العقلَ المفكّر لهذه الحركَة، وكان هو صاحبَ فِكرة إلغاء السّلطنة العثمانية، ومنفّذها أتاتورك، وإنْ لم يكُن من أنْصار إلغاء الخلافة الإسلامية، رغم إلحادِه الذي يعترف به في مذكّراته، وفي لوزان[1] كان هو العقلَ المفكّر للحركة الكماليّة والكماليّين.

كان رضا نور يعرفُ الكثيرَ مِن خبايا الثّورة الكمالية، كما كان يعرف- مِن قبل- الكثيرَ من خبايا حُكم الاتّحاد والترقّي[2]، ثمّ أدرك رضا نور- بعد

---

(1) يعني أثناء مفاوضات معاهدة لوزان التي استمرّت عدّة أشهر قبل التوقيع في 24 يوليو 1932م.

(2) حزب الاتّحاد والتّرقي: تعتبر المرحلةُ الأولى من تاريخ هذا الحزب هي تلك الحقبة التي تعود إلى عهد السّلطان عبد العزيز، والتي قادها الصّدر الأعظم السابق والإصلاحي على الطّريقة الأوروبّية (مدحت باشا)، والتي أدّت إلى إعلان المشروطية الأولى في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وتمّ إلغاؤها، والتي أطلق عليها المؤرخون اسم «العثمانيون الجدد».

أمّا المرحلة الثانية، فهي «جمعيّة تركيا الفتاة»، وهو الاسم الشعبي الذي أطلق على حزب الاتّحاد والترقي، والتي تأسّست على يد طالب ألباني يدعى إبراهيم تيمو في 10 مايو 1889م، وكان يدرس الطبّ في المدرسة الطبية العسكرية في استانبول؛ كانت جمعية سياسية مناوئة للسّلطان عبد الحميد الثاني، وقد اكتشفت السلطات العثمانية هذه الجمعية، وتعرّض أعضاؤها خلال

أنْ ساعد مصطفى كمال أتاتورك في اعتلاء مركز القيادة-، وبعد أنْ أصبح أتاتورك صاحب النفوذ الكامل في تركيا؛ أنّه لا يستطيع التعايشَ معه، ولذلك طلب رضا نور إعفاءه من كلّ أعماله السياسيّة.

وخرَج من بلاده تركيا ليُمضي في باريس فترةً من الزّمن، وفترة في مصر، ثمّ عاد إلى بلاده عام 1936 بعد موت مصطفى كمال أتاتورك بسنة، لم يعُد إلى بلاده سياسيًّا؛ بل كاتبًا ومشتغِلًا بالأدبِ والتّاريخ.

الفترة 1895-1897م لحملة واسعة من الاعتقالات والملاحقات في استانبول والولايات، ونقلت نشاطها إلى سلانيك (وكان نشاطًا سريًّا) إلى باريس وبقية المدن الأوروبّية؛ وفي عام 1906م دخل هذا التّنظيم إلى صفوف الجيش العثماني المرابط في سلانيك وما حولها عن طريق بعض اليهود والشخصيات القومية البلقانية واليونانية، وأخذ ينتشر بين صفوفه بشكل واسع. وما إنْ جاء عام 1908م، حتّى كان جميع الضّباط الشّباب وذوي الرتب الصغيرة في الجيش العثماني من الاتّحاديين، وتمكّن الجيش من إجبار السلطان عبد الحميد الثاني على إعادة العملِ بالمشروطيّة؛ وسطَ موجةٍ من الذّعر أثارها انفجار الثورة العسكرية التي كانت تديرها جمعيةُ الاتّحاد والترقي ضدّ السلطان.

وأخذت الجمعيةُ تعمل في العلن، وبدأ الاتّحاديون- من عسكريّين ومدنيّين- في تولي السّلطة بعد ذلك، وبدأ رجال الاتّحاد والترقي حكمًا دكتاتوريًّا في البلاد.

ثمّ تراجعت شعبيّة الحزب خلال الفترة -1329 1331هـ/ 1911 - 1913م، بسبب الإخفاقات والنّكسات السياسية والعسكرية التي منيت بها الدولة خلال الفترة السابقة من حكم الاتّحاديين، وتولّى الأمور خلال تلك الفترة حزبُ الائتلاف والحرية والأحزاب المعارضة الأخرى للاتحاديّين، ولكنّ الاتّحاديين عادوا إلى السّلطة بقوّة السّلاح في أعقاب حادثة اقتحام الباب العالي، وصارتِ الحكومات العثمانية في خلال الفترة -1913 1918م، هي حكومات اتّحادية، شكّل الاتّحاديون لجنةً ثلاثيّة حكمت الدولة العثمانية حكمًا عسكريًّا، وتكوّنت من: طلعت باشا، أنور باشا، جمال باشا. وقد قادت هذه اللجنة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، وأدّت إلى هزيمة ساحقة للدولة، وبالتّالي أدّى هذا الأمر إلى زوال الدولة العثمانية من الوجود. وقد استمرّ الاتّحاديون في الحكم حتّى عام 1336هـ/ 1918م؛ حيث سقطت حكومةُ طلعت باشا في أعقاب هدنة مندروس، وغادر زعماء الاتّحاد والترقي البلاد وتركوا الدولة العثمانية لتلاقي مصيرها.

انظر، أحمد صدقي شقيرات: مؤسّسة شيخ الإسلام، 2/ 292.

وعندما تُوفِّي في 9 سبتمبر عام 1943 في استانبول كان قد خلَّف أعمالًا كثيرة.

كان لرضا نور دورٌ كبير في تنظيم الحركة التّعليمية في أوائل المرحلة الكمالية، وكان سياسيًّا، وطبيبًا، وضابطًا، وشاعرًا، وأديبًا، وكاتبًا للتاريخ. يقول عن نفسه:

«قضيتُ حياتي خادمًا لهذه الأمّة، ولهذه الدّولة- يقصد الأتراك وتركيا- في مختلف السّاحات علميًّا، وسياسيًّا، وإداريًّا».

مؤلّفات الدكتور رضا نور:

تنقسمُ أعمالُه إلى مطبوعةٍ ومخطوطة:

من مؤلّفاته المطبوعة:

1. فنّ الختان.
2. جرح العنق.
3. الختان والأمراض الزهروية.
4. الختّانون والأطباء.
5. النّزيف والختان.
6. مقالات صحية وطبّية.
7. ثروة السّلطان وحقوق الأمّة.
8. الحريّة والائتلاف.
9. شمشون ودليلة.
10. عرض جانيت.

11. جغرافيا الصّحية الاجتماعية لتركيا.

12. التّاريخ التركي.

13. شجرة الأراك.

14. العروض.

15. روزنامه[1].

16. الشّاهنامة والفردوسي[2] (خلاصة شاهنامة الفردوسي).

17. على شير نوائي.

18. مذكّراتي.

ومن مؤلّفاته المخطوطة:

1. تاريخ الأرمن.

2. كارمن.

3. الصّيدلي النّاصح.

4. مكتبة رضا نور في سينوب.

5. عصر التّاريخ التركي.

---

(1) روزنامه: الرّوزنامه: لفظٌ أو تعبير يطلق على دفتر القيد اليومي أو الأسبوعي أو الشّهري أو الفصلي أو السنوي أو النوعي؛ لتسجيل واردات أو متصرفات أو مرتبات أو استحقاقات، والروزنامه أو قلم الروزنامه أحدُ الدّوائر السلطانية المهمّة التي تنظم النواحي الماليّة والإدارية في جميع مجالات العمل في الدولة العثمانية، وتندرج الروزنامه ضمن المقاييس الإدارية في الدولة العثمانية.

انظر، هشام عجيمي: معجم مفردات ومصطلحات، ص 24.

(2) شاهنامه: الكتابُ الذي يتناول سيرة الملوك والحكّام نظمًا (شعرًا) وهو كثير في التراث الفارسي، وأشهرها شاهنامة الفردوسي (329-411هـ/ 940-1020م) التي تبلغ حوالي 60 ألف بيت.

6. نامق كمال أدبُه وأشعارُه الأخرى.

7. رسائل رضا.

8. ديوان مراد الثاني[1].

9. بعض مقالاتي المنشورة في الصحف.

10. حول أشعاري.

11. أحياء تركيا.

12. جلسة في جهنم.

13. ظفرنامه[2] (رضا نور).

14. ترجيع بند[3] (رضا نور).

15. طوبال عثماني.

(1) السّلطان مراد الثاني (1421-1451م) أوّلُ مَن اعتبر الشّعر عملًا جديًا بين السّلاطين العثمانيين، وقد استخدم الاسم الفني (مرادي) اسمًا مستعارًا له في قصائده، وفي عهده بدأ تقليدُ منح الشّعراء رواتب، شهد عهدُه أهمّ الخطوات على طريق الحياة الثقافية العثمانية. انظر، مصطفى أرمغان: التاريخ السري للإمبراطورية العثمانية، ص 37-38.
لكنّي لم أجدْ في المراجع أنّ أشعاره جُمعت في ديوان، فربّما فعل ذلك الدكتور رضا نور.

(2) ظفر كلمةٌ عربية الأصل تعني: النّصر، والمصطلح كله يعني: كتاب النصر، أي الكتاب الذي يصف انتصارات ومعارك، وهو من العناوين المألوفة والمتكررة كثيرًا في المكتبة العثمانية.

(3) ترجيع بند: من أوزان الشّعر التركي المأخوذ من الفرس، وهي منظومة يسمى كلّ قسم منها (خانه) بمعنى بيت في الفارسية، ويحوي كلّ من هذه الأقسام أبياتًا متّفقة في الروي، يتلوها بيتٌ مستقلٌ يتكرّر بعد كلّ قسم.
انظر، حسين مجيب المصري: تاريخ الأدب التركي، ص 22-23.

الدكتور رضا نور ومذكّراته:

كتبَ رضا نور مذكراتِه في باريس عام 1939، واشترطَ عند إيداعها عدم السماح بقراءتها حتّى عام 1960، ورغمَ عودة رضا نور إلى تركيا ووفاته بها عام 1942؛ إلّا أنّه لم يخبرْ أحدًا قطُّ أنّه كتب مذكّراته، وأوْدعها بعض المكتبات.

كان الدكتور (جاويد أورخان توتان كيل) أوّلَ مَن كتب عن هذه المذكّرات؛ إذْ أنه نشرَ في 1962 ثلاث مقالات حول هذه المذكّرات، هاجم الدكتور جاويد في مقالاته هذه رضا نور، هاجمه هجومًا حادًّا، والسّببُ في ذلك مشاعر رضا نور، وأفكاره الخاصّة بمصطفى كمال أتاتورك، وعداؤه الذي ظهر في المذكرات.

هذه المذكرات:

كلّ هذه المذكّرات مكتوبةٌ باللّغة التّركية بحروفها العربية، كتبها الدكتور رضا، وأوْدعها بقسْم المخطوطات الشّرقية بالمتحف البريطاني تحت رقم AoR12591، كتبها رضا نور في باريس عام 1939، وتقع في 908 ورقة؛ أيْ حوالي 1798 صفحة[1]. بدأ رضا نور مذكّراته بمقدّمة، ثمّ كتابة حياته منذ فترة طفولته.

تنقسمُ المذكّرات إلى الأقسام الآتية:

حياتي في الطب، حياتي السياسية (المشروطيّة والهدنة[2])، خفايا حرب الاستقلال، ماهيّة خطبة مصطفى كمال، مؤتمر لوزان.

---

(1) هكذا وردت الأرقام.

(2) يعني بها فترتي العهد الدستوري، ثمّ هدنة موندروس.

وقد قامت دارُ نشر (آلتون داغ) باستانبول عام 1967 بنشر المذكّرات بعد تحويلها إلى الحروف اللاّتينية، ونشرتْها في أربعةِ أجزاء، بلغ عددُ صفحاتها- إذا استثنينا الأعمالَ الأوروبيّة التي ألّفها رضا نور، وألحقها بالمذكّرات- 1792 صفحة.

عملُ المُعرّب في هذه المذكرات:

وقام مُعرّب هذه المذكّرات بعمل مختصَرٍ وافٍ للمذكرات، محافظًا على أسلوب كاتبها، مع توضيحاتٍ تركها المعرِّب بين قوسين، وقد تعمّد عمل خُلاصة وافية للمذكّرات، مفضِّلًا هذا على القيامِ بترجمة حرفيّة لها؛ للأسباب الآتية:

1. أنّ المذكرات تشمل تفصيلاتٍ كثيرة، الإخوة العرب والمسلمين من غير الأتراك في غنًى عنها.

2. أنّ المذكرات تشمل أسماءَ كثيرة تصوَّر كاتبها أنّها معروفة للأتراك الذين كانوا مُعاصرين لأحداثها، أمّا الآن فقد فقدتْ هذه الأسماءُ أهميّتها، ولا تهمُّ الإخوة العرب، وكذلك المسلمين من غير الترك.

3. أنّ بالمذكرات كثيرًا من الوقائع تخصُّ بشكلٍ مباشر تاريخَ تُركيا في تفصيلاته، وتفيدُ المتخصّص تخصُّصًا دقيقًا في هذا الشّأن، لكنّها لا تهمّ القارئ التركي المثقّف العادي، فما بالك بالعربي والمسلم من غير الترك!.

منهجُ التّعريب:

1. المحافظةُ على شكل وروح النّص الأصلي.

2. المحافظةُ على نقل كلّ الأحداث التي تهمّ تاريخ العرب من ناحية، وتاريخ المسلمين من ناحية أخرى.

3. ترك التفصيلات دونَ المساس بما يهمّ القارئ الموجّهة إليه الترجمة.

4. وضع تفسيراتٍ لما يشكّل فهمُه على القارئ بين قوسين.

5. وضع عناوين صغيرة ليسهُل متابعة قراءة المذكرات.

أهمية مذكرات رضا نور:

1. بالمذكّرات بيان مفيدٌ بالحالة الاجتماعية للدّولة العثمانية في أواخر أيامها، وهذا يهمّ الإخوة العرب تاريخيًّا وإسلاميًّا.

2. أوضحَ رضا في مذكّراته هذه الدّورَ السيّئ الذي لعبه أعضاء جمعية الاتّحاد والترقّي في إسقاط دولة آل عثمان، وفي التّفرقة بين عناصر الأمّة الإسلامية التي كانت مجتمعةً تحت راية العثمانيين.

3. أوضح رضا نور دورَ جمعية الاتّحاد والترقي في إفساح المجال لليهود بأمور الدّولة العثمانية لصالح اليهود.

4. أوضحَ رضا نور مدى تغلغُل النفوذ الفكري الغربي في نفوس المثقّفين الأتراك الذين اتّخذوا من الغرب مثالَهم الأعلى، وكيف أدّى هذا إلى فساد العالَم الإسلامي.

5. أوضحتْ المذكّرات مدى تذبذُب قادة جمعية الاتّحاد والترقي في الوصول إلى القرارات في المجالَيْن العسكري والسياسي، كما أوضحتْ مدى جهل قادة جمعيّة الاتّحاد والترقي، وتحكُّم الأقوى عضلات على التفكير الجادّ.

6. بيّنتْ المذكراتُ صراعَ الاتّحاديين مع القوى القومية الأخرى في المجتمع العثماني الذي استسلم للغزو الفكري الأوروبّي في أواخر أيامه.

7. بيّنتْ المذكراتُ مصادرَ فساد المجتمع العثماني عامّة؛ بما في ذلك الجركس والعرب والأتراك والألبان.

8. ألقتْ المذكّراتُ أضواء هامّة على التحرُّكات الماسونية لإفساد مجتمع العثمانيين.

9. أوضحتِ المذكّرات- نظرًا لأنّ كاتبها عايش الأحداث، وشارك فيها بقدْر كبير- كثيرًا من الأمور الهامّة في حرب الاستقلال التركية، ودور مصطفى كمال أتاتورك وأخلاقه وتفكيره، ودوره في تحويل دفّة تركيا إلى وجهة غير إسلامية.

10. كشفتِ المذكّرات عن دور المحيطين بمصطفى كمال أتاتورك وأخلاقياتهم.

11. أظهرتْ المذكراتُ مسائلَ تهمّ الإخوة العرب والمسلمين، من ذلك: علاقة مسلمي الهند- في مصطلحها قبلَ استقلال الباكستان- بالأتراك بدولة الخلافة في أيّام مِحنة هذه الدولة، وشعور المسلمين في مصر والهند وتُركستان تجاه إخوانهم الأتراك وقت مِحنتهم.

12. ألقتْ المذكّراتُ أضواءً على مشاكل فِكرية وسياسية مهمّة، منها: إلغاء السّلطة العثمانية، إلغاء الخلافة الإسلامية، إعلان العلمانية ودستور الدولة، إلغاء الحروف العربية التي كانت اللغة التركية تُكتب بها إلى حروف لاتينية، نفرة الكماليّين من الإسلام ومن الشرق.

13. تعميم لبس القبّعة بقوة السلطة الحاكمة.

14. في المذكّرات أمورٌ سمع بها المؤرّخون لأوّل مرّةٍ مثل: محاولة

مصطفى كمال تعميمَ النّظام الشيوعي بالقوّة في تركيا؛ قائلًا إنّها السبيل الوحيد لإنقاذ تركيا من تاريخ ومِن مشاكلها.

15. تُلقي المذكّراتُ أضواء هامّةً على التحوُّلات الاجتماعية التركية التي أمر بها مصطفى كمال، فنفّذوها بقوّة القانون، وأثر هذه التحوُّلات على المجتمع العثماني.

16. ذكرتْ هذه المذكّراتُ بعضَ الشّخصيات المشهورة في تاريخ الجمهورية التّركية بسوء لم يكُن الجيلُ التركي يعرفه؛ بل كان كثيرٌ من هذه الشخصيات المُشار إليها تُوضَع في الكتب الحديثة في تركيا في إطارٍ من البطولة.

في يوم 5 أكتوبر 1908م الموافق 9 رمضان 1326هـ، وقع فرانسوا جوزيف إمبراطور النّمسا بيانًا أعلن فيه إلحاقَ البوسنة والهرسك ببلاده، والواقع أنّ النّمسا كانت تحتل البوسنة والهرسك منذ مؤتمر برلين 1878م، وفي نفس اليوم أعلن فرديناند- أمير بلغاريا ووالي ولاية الرّوملي- نفسَه ملكا وأعلن بلاده مملكة، وتلقّب بـ (قيصر)، وتمّ التصديق على بيان الإمبراطور النمساوي بموجب معاهدة عقدت في استانبول، نصّت على إلحاق البوسنة والهرسك بالنّمسا، وكان ذلك في 26 فبراير 1909م الموافق 5 صفر 1327هـ وكانت جمعيّة الاتّحاد والترقي هي القابضةَ على زمام الحكم في الدولة العثمانية بعد أنْ أسقطت السّلطان عبد الحميد، ومن ثمّ فقد وقعت احتجاجات شعبية في استانبول، ندّد المشاركون فيها بإلحاق البوسنة والهرسك بالنمسا، وراجتْ شائعات تقول بأنّ حكومة الاتّحاد والترقي باعت البوسنة والهرسك للكفار.

17. في هذه المذكّرات توضيحاتٌ هامّة لبعض مسائل تاريخية هامّة في حياة أمّة العرب في فترة انهيار الدّولة العثمانية، وقيام الجمهورية في تركيا.

وفي نهاية المذكّرات، كتب الدكتور رضا نور دراسةً مختصَرة للشخصيات التركية التي اشتركَ جميعها في العالَم السياسي؛ مِثل مصطفى كمال أتاتورك، وعصمت باشا (إينونو)، ورؤوف، وغيرهم؛ لكنّه لم يدخِل هذه الدّراسة التحليلية في المذكرات، ونُوردُ هنا نموذجًا غيرَ مفصَّل منها، وذلك مع أنّنا لم نضمِّنها في هذه الخلاصة الوافية؛ لأنّها تخرُج من إطار المذكرات إلى إطار التحليل.

يقول الدكتور رضا نور في تحليله لشخصيّة قائد الحركة الكمالية ما يلي:

مصطفى كمال (أتاتورك):

من مدينة سلانيك، درس في المدرسة الحربية، ثمّ تخرّج أركان حرب، البعض يقول إنّه يهودي من الدونمة[1]، والبعض الآخَر يقول إنّه صِربي (من

(1) يهود الدونمة: أطلق الأتراك لقب الدونمة على أتباع ساباتاي، والدونمة صفة تعني العائد؛ أي الذي أسلم بعد أن كان يدين باليهودية؛ متبعًا ساباتاي زفي، ثمّ أصبحت الكلمة اصطلاحًا يعني المسلم ظاهرًا، اليهوديّ فعلًا وباطنًا.

طلبَ ساباتاي من السّلطات العثمانية أنْ تسمح له بدعوة اليهود إلى الإسلام فأذنت له، وانتهزها فرصة، فانطلق بين اليهود يواصلُ دعوته إلى الإيمان به، ويحثّهم على ضرورة تجمّعهم مُعلنين في ظاهرهم الإسلامَ مبطنين السّاباتائية. وبناءً على تقارير إدارة الأمن العثمانية حول إقامة ساباتاي للطقوس اليهودية مع أتباعه تمّ نقله إلى ألبانيا، وهناك في 30/ 9/ 1675م مات المسيحُ المزيّف، والمسلم المزيف زعيم طائف السّاباتائيين: ساباتاي زفي، وهو يبلغ من العمر 49 عامًا، ولا يزال أتباعُه إلى اليوم يقفون على ضفاف الأنهار- ساباتاي دفن على ضفة أحد الأنهار- ويدعون قائلين: يا ساباتاي زفي إنّنا ننتظرك.

ويهودُ الدونمة ثلاثُ فرق: اليعاقبة، والقراقاشية، والقبانجية.

ولهم لغتان: التركية للتعامل مع الأتراك، وإسبانية للتّعامل فيما بينهم.

بلاد الصرب في يوغسلافيا)، وبعضهم يقول إنّه بُلْغاري، وبعضهم يقول إنّه من شعب البوماق، الرّوايات كثيرة عن أبيه وأمّه، وإذا كان هناك شيء محقّق فهو أنّ أمّه معروفة، لكن أبوه مجهول.

سِماتُ وجه مصطفى كمال ليست تُركية خالصة، لم يكُن ذكاؤه بأعلى من الذّكاء العادي، لكنّه من النّاس الذين يُطلق عليهم أنّهم أذكياء، مع أنّه أحمق، وفي كثير من الأمور يكون ضيّقَ الأفق، لا يملك عقلًا سليمًا، لكنّه صاحب دراية واسعة بتدبير المؤامرات، أحيانًا يُثير الإعجاب في مدى إتقانه للمؤامَرات، سريع في تحرُّكاته، روحُه خبيثة، يجمع حولَه في موائدَ شُرب الخمر كلّا مِن: القتلة، والمُنافقين، والجهلة، والمبتلَين بالفحشاء، تنعدِمُ فيه الرحمة، يقتل حتّى أقرب الأقربين إليه، منعدم الضمير، لا يعرف الخُلق

ليهود الدّونمة في تركيا مدارس خاصّة بهم صباحية وداخلية، كما أنّ لهم مقابرهم الخاصّة. وقد تركّزت جهود يهود الدّونمة منذ الحرب العالمية الأولى في دفع عجلة التغريب في الحياة الاجتماعية التركية، بدأوا بالحرب على الحجاب، وشجعوا سفور المرأة في المجتمع العثماني المحافظ.

ومنذ إسلام ساباتاي، ويهودُ الدونمة يحتلّون مراكز هامّة في الدولة ؛ مثل: منصب أمين التّرسانة البحرية، وأمين الصّرة، وكتخدا القصر، وكتخدا المدينة.

وفي حركة حزب الاتّحاد والترقي في أواخر عهد الدولة العثمانية، اندس فرع القبالانجية من يهود الدّونمة في خلايا الحزب، وأداروا الجزءَ الأكبر من انقلاب تركيا الفتاة الذي أطاح بحكم السّلطان عبد الحميد الثاني، وأفسح المجال لحكم جمعية الاتحاد والتّرقي، والحكم العلماني.

ومن أبرز أسماء الدّونمة في الحياة السياسية التركية في بدايات هذا القرن: قراصو عضو اللّجنة التي قابلت عبد الحميد لخلعه، وقراصو كان مسئول جمعيّة الاتحاد والترقي عن إثارة الشّعب ضدّ عبد الحميد لتهيئة الفرصة لعمل الجمعية الثوري، وهو ذاته الذي باع ليبيا لإيطاليا بعد أنْ خان دولته العثمانية نظيرَ رشوة من الإيطاليين. إنّ أبرز شخصية نسائيّة في الأدب التركي الحديث والمعاصر، يهودية من الدونمة هي خالدة أديب.

انظر، محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص 77-87.

القويم، لا يعرف شيئًا اسمُه تأنيب الضمير، لم يكنْ يحبّ أحدًا؛ حتى أكثر النّاس إخلاصًا له.

مغرور جدًّا، متكبر جدًّا، لا يتصوَّر أنّ في الدنيا أحدٌ يفُوقه، يودُّ لو أن الناس تعبُده، كثير الطّمع، لصّ مدهش، مرتش، سكّير، فظيع، أمضى عُمره كله هكذا، أمضى شبابَه أيضًا هكذا في شرب الخَمر والفُحش والعربدة، فاقد لرجولته، لكنه ميَّال للشّهوة، يفعل كلّ ما هو فحشاء؛ سواءً مع امرأة أو مع رجُل، يعمل على أنْ تفقدَ الأمّة كلها عفّتها وشرفها.

مُصابٌ بمرض السّيلان حتى كُليته (من نتائج الأمراض الزهرية، وكان يشكو من ألم الوسط)، مستبِدٌّ تمامًا، متحكّم، ظلُوم، كان رئيسًا لكلّ شيء في الحكومة، ومن الأوْلى أنْ يُطلق عليه لقب: (التّنين ذو الرؤوس السبعة)!، حقود، لا ينسى أعداءه، ويتعقّبهم.

كان له اثنان ينفّذان أوامرَه دون تفكير: فوزي (قائد الجيش)، وعصمت (إينونو، خليفته في رئاسة الجمهورية والحزب). كان كلّ همّه أن يركّز في يده كلّ السلطات أثناءَ حرب الاستقلال (الحرب التركية ضدّ القوى الأوروبية التي احتلّت الأناضول)، كان داهيةً في ذلك.

كان مجنونًا بالانقلابات، كان مجنونًا في أنْ يصبح (بطرس المجنون في تركيا)، بطرس المجنون هو الذي يعرفه الإخوة العرب باسم بطرس الأكبر إمبراطور روسيا، الذي أحدث كثيرًا من الانقلابات والتّجديدات في الدولة الروسية القيصرية، كان مصطفى كمال أتاتورك يظنّ نفسه نابليون بونابرت.

والحاصلُ أنّ التاريخ التركي لم يرَ مثل مصطفى كمال (أتاتورك)، شخصية فظيعة مُرْعبة حتى الآن.

عصمت (إينونو):

من تبليس، كُردي، تخرَّج من الحربية أركان حرب، وكان كثيرَ الوساوس، طموحًا جدًّا، ونفعيًّا للغاية، حدث أن قبَّل مصطفى كمال أتاتورك زوجة (إينونو) في حضوره وأمامه، فبكتْ الزوجة، وبدلًا من أنْ يضرب عصمتْ رئيسَه مصطفى كمال؛ بدلًا من ذلك أخذَ يُسدي النّصحَ لزوجته!!، وكان لصًّا، ذكيًا، مسرِفًا، عنيدًا، لذلك خسر معركة خطّ اسكيشهر - أفيون.....».

ونظرًا لأنّ هذه التّحليلات تخرُج عن نطاق المذكّرات لم ندرجْها وغيرها في هذا المُختصر.

دكتور بهجت رشيد غالب

دفلت- هولندا

عهدُ التّلمذة سببُ كتابتي للمذكرات[1]

إنّي أكتب حياتي ومذكّراتي، لا أكتبها ابتغاءَ منفعةٍ مادية ولا لمنفعة معنويّة، فما الفائدة في هاتيْن المنفعتين؟!، إنّهما لا شيء بالنسبة لي كإنسانٍ فيلسوفيِّ الطبع مترفّعٍ عن المنافع الدّنيوية والأخروية!!، إنّي أكِنُّ حبًّا أبديًّا وأزليًّا لا ينطفئ للأمّة التّركية، ولديَّ طموحٌ عظيم لخدمة هذه الأمّة، وهذا ما دفعني لتقديم العِبرة للأجيال التّركية.

إني لم أقدِّم شيئًا فيه الفخرُ ولا التواضع في هذا الكتاب، لقد كتبتُ الحقائق دون تحريف، كتبتُ ما هو في صالحي وما هو ضدّي، أمّا الأشياء التي في صالحي فقد كتبتُها دونَ أنْ أقيم وَزْنًا للتواضع. إنّ الوقائع بمُرِّها وحُلوِها ملكٌ للتاريخ، ولم أفصِّل القولَ في المسائل التي لم أرها بنفسي، أو تلك التي لم أعلمْها جيِّدًا.

بعضُ المتهزين للفُرص سيعملون على الإساءة إليَّ بعد أن يدركوا بعض نقائص بقراءة اعترافاتي في هذا الكتاب، أقولُ لهؤلاء مِن الآن: «كم من شخصٍ شجاع يستطيع أن يكتُب مثلي حسناته وسيئاته؟!».

ومعَ ذلك فقد يقُوم الذين وردتْ أسماؤهم في مذكّراتي هذه- بعد موتي- بالدفاع عن أنفسهم، أو سيقومُ الأحياء منهم بالدّفاع، إنّي لا أكِنُّ لهؤلاء الأشخاص أيَّ عداء، فإنْ كنتُ حيًّا عندما يحاولون الدّفاع عن أنفسهم فإني سأقوم بالرد عليهم.

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، الحلقة الأولى، العدد 530، 22 رجب 1401هـ الموافق 26 مايو 1981م.

أبـــي:

وُلدتُ في سينوب عام 1294 من التاريخ الرّومي[1]، واسم أبي محمود زكي، كان بائعَ أحذية، يعرفُ القراءة والكتابة، مات وهو في الخامسة والسبعين من عُمره، كان تُركيًا قُحًا من سينوب، أمّا أوّل جدٍّ نعرفه فقد كان إمامًا في الجامع الموجود في القسم الذي يُسمّى (حصار)[2] في قلعة سينوب، عاش هذا الجد قبل 150 - 200 عامًا خلَتْ، هدموا هذا الجامع عندما كانوا يشقّون طريقًا في هذا المكان، أذكُر أن الخطّ الذي كان بباب الجامع كان خطًّا كوفيًا، كان يشبه الخطوط التي استعملها السّلاجقة، كان اسم عائلتنا إمام أوغلو[3].

أمّـــي:

كانت أمّي تُركية خالصةً من سينوب، معنى هذا أنّ دمائي تُركية خالصة، وأنا أفخر بهذا، كانت أمّي دائمةَ النّصح لي، كانت تحُثّني على الفضيلة، كانت دائمة النصح لي أنْ أكُون شريفًا، وألّا أتجاوزَ حقَّ أحد، وألّا أكذب، وأنْ أعمل الخير بأقصى ما أستطيع، وغير هذا من الفضائل، وكانت تربيتي على هذا.

---

(1) التّقويم الرومي أو التقويم المالي هو تقويم اعتمدته الدولة العثمانية في الشئون المالية والميزانية؛ للتغلب على مشكلة الفارق بين التقويمين الهجري والميلادي في عدد أيام السنة، وقد تمّ إجراء مالي للتغلّب أيضًا على الفارق بين التقويمين المالي والميلادي وهو إسقاط سنة هجرية من التقويم المالي كلّ 33 سنة، وهي ما تسمّى في التاريخ العثماني بسنة الازدلاف، ومن الغريب أيضًا في التّقويم الرومي أو المالي هو أن السنة المالية تبدأ في شهر مارس، وهناك فارق 13 يوم بين التّقويم الرومي والتقويم الميلادي، وعلى سبيل المثال فإنّ تاريخ 13 شباط 1325 رومي، يقابله 26 فبراير 1910 ميلادي.

(2) كلمة (حصار) في اللغة العثمانية والتركية تعني القلعة.

(3) إمام أوغلو أي: أبناء الإمام أو الشيخ، فكلمة أوغلو في التركية تعني: ابن.

ربّما كان الدّافعُ لي على الفضيلة التّربيةَ التي لقّنتْني إيّاها هذه المرأة، أعلم أنّها لم تتركِ الصّلاة أبدًا، كان لهذه المرأة في وقتٍ من الأوقات خادمتان، إحداهما ضلّت السّبيل وهربتْ مع أحدِهم!، فأسرعتْ أمّي بطرد الأخرى، وأقسمتْ ألّا تدخل خادمة بيتَها بعد ذلك، وبالفعل ظلّت تخدمُ نفسَها بنفسِها إلى أن ماتت.

أمّي وفظاظة أبي:

كان أبي رجلًا فظًّا غليظَ القلب، يضربنا أحيانًا، ذاتَ يوم عنّف أبي والدتي، فدخلتْ حُجرتَها وأخذتْ تبكي، ذهبتُ إليها، قلتُ لها: «يا أمّي، إلى متى تتحمّلين هذه المُعاملة السّيئة التي يعاملك بها أبي؟!، وأنتِ الآن يا أمّي تاجٌ فوق رأسي، قُولي لأبي «كفى»!.

فقالت لي: «يا ولدي، إنّه رجُلي، وطاعةُ الأزواج واجبُ الزوجات، إنّ جنّتهن تحت أقدامِ أزواجهنّ»، دُهِشتُ لأخلاقها الفاضلة.

للأسف، ماتتْ أمّي عندما كنتُ منفيًّا خارجَ الحدود أيّام الاتّحاديين (أعضاء جمعية الاتّحاد والترقّي). كانت مريضةً بالقلب، وكانت صورتي الفوتوغرافية معها دائمًا، وهي في فراش الموت. ماتتْ وكانت تقول: «آه يا رضا، ليتني أراكَ ولو مرّة واحدة قبل أنْ أموت»، ماتتْ ولم أستطعْ تقبيلَ وجهها المبارك ويدَيها المباركتين.

تديُّن أمي:

كنتُ نحيفًا جدًّا أثناءَ دراستي للطبِّ في استانبول، كانت الدراسةُ تُعطّل في رمضان، فكنتُ أذهبُ إلى بلدتنا سينوب، وكان المعتادُ في البيت الصّلاةَ

والصوم، في ذلك العهد كانوا يطبعون صُورًا آدمية على عُلب الكبريت، ولم تكُن هذه العلب تدخُل دارنا قبلَ أن تنزع أمّي عنها هذه الصّور بالسكين، كان هذا هو الإسلامَ كما يلقّنه مشايخ هذا العهد.

ضعفُ أمّي أمامي، وشُربي الخمر:

كان الصّيامُ يرهقني، غذاؤنا في الطّبية العسكرية سيئ جدًّا، وفترة الإجازة هذه كانت فرصةً للتّغذية، قمتُ فاشتريتُ زجاجةَ خمر، ودخلتُ المطبخ، أكلتُ ما هو موجود، وأخذتُ أشربُ الخمر، أحسّتْ المرأةُ التّركية بهذا، فدخلتْ المطبخ وقالت: «يا أسفا!، أتفطِر في رمضان؟ هل كفرتَ؟ يا مصيبتاه». وإذا بها فجأة ترى الخمر، فقالت: «أووه! خمر!»، وكادتْ تسقطُ مغشيًا عليها. خفتُ فأسرعتُ باحتضانها قبل أن تسقط.

قلتُ لها: «أمّي، أمّي!، أتسمعينني؟ أنت تَرَيني ضعيفًا نحيلًا يا أمّي، عندما أرسلتِني إلى استانبول للدّراسة لم أكُن هكذا بهذا الضّعف، إنّهم لا يقدّمون لنا طعامًا جيدًا في المدرسة، وأنا أنتهزُ فرصةَ وجودي هنا لمدّة شهرين لأغذّي نفسي فيها لكي أستطيعَ المذاكرةَ عندما أرجع، وإلّا فإنّي إذا استمرّتْ هذه الحال سأموتُ».

وتغلّب حنان الأمّ على التعصُّب الديني، وقالت: «حسنًا يا ولدي، لكن أخفِ هذا عن والدك، فإذا عرف ومنعَ فأمره مُطاع، إنّ شراب (الراقي)[1] هذا لم يدخُل بيتنا قَطُّ حتّى هذه اللحظة». قلتُ لها: «الخمرُ يعطي قوّة، وأنا أشربه كعلاج يا أمّي»، وبذلك تسامحتْ في شرب الخمر.

(1) الرّاقي كما في قاموس «الدراري اللامعات» وقاموس «رفيق العثماني» هو العرق (شراب مسكر).

بُعد نظر أمّي:

كانت هذه المرأةُ غير المتعلّمة- التي لم تتعدَّ كلّ ثقافتها قراءةَ سورة يس- بعيدة النّظر. وعندما انتخبوني نائبًا في البرلمان أوّل مرّةٍ بكتْ لأنّها لم تكُن تريد هذا، وقالت لي: «أنت رجلٌ صريح، وستتوالى المصائبُ عليك، ولا أريد أن أفقدك».

أثبتتِ الوقائع بعدَ ذلك صِدق نظرية أمّي، مرتْ بي المصائب، المصيبة تلو المُصيبة؛ مِن سجن، ونفي، وضرب في الشّوارع، وحُكم الإعدام.. إلى آخره، وفي السّجن كنتُ أتذكّر بأسى شديدٍ كلماتِ أمّي.

تحوُّل أبي إلى الفضيلة:

قضى والدي مدّةً طويلة في الجيش، ونظرًا لأنّه التحقَ بوحدة الأحذية في الجيش؛ فقد تعلّم هذا الفنّ وأجاده، وكان والده يشربُ خمر الراقي، وكان يجري وراء النساء، وتزوّج وهو في الثّلاثين، فإذا به يترك شُرب الخمر والنّساء، وأخذ يصلي ويترك حاله القديم، وظلّ على هذا حتّى مات، ولم يترك الصلاة قَطُّ.

أبي وصناعةُ الأحذية:

كان والدي يكسب جيدًا من الأحذية لأنّ أغنياء الأماكن والمدن القريبة كانوا يعهدون إلى أبي صُنعَ أحذيتهم، وهو أوّلُ مَن أدخل صناعة الأحذية في مدينة سينوب، ونشأ على يديه صُنّاع كثيرون في هذا المجال، لكنّي أذكر- وأنا في السنوات الأخيرة من المدرسة الطبية- أنْ ظهر الأروام (اليونانيون)

في صناعة الأحذية، وكثروا، وأخذوا هذا الفنّ من يدِ الأتراك، وأمّا أبي فقد كان السّن قد أخذ منه مأخذًا.

أبي يتولى تربيتي:

كان والدي شديدَ الاهتمام بتربيتي، لم يكُن يترُكني في الشّارع بمفرَدي، كما كان يمنعني من الكلام مع النّاس، وكان غضُوبًا عنيفًا، وكثيرًا ما ضربني، لا أنسى أنّه ضربني ذاتَ مرّةٍ بماشة (مشاكة) الفحم!، وكانت غليظة، ولمّا ضربني بها انثنت من قسوةِ الضّرب.

كان يأخذني بنفسِه للفسحة، وعند عودتي من المدرسة كان يحفّظني كلّ يوم شيئًا، وكان يأمرني بكتابة النّص عشرة أسطر، وبفضل هذا حفظتُ أشياء طيّبة، وتعلمتُ تحسينَ الخطوط[1]، كان يلقّنني الصّدق دائمًا، وينصحني بالتزام الشرف، وكان يقول لي: «إذا لم تلتزمْ به فإنّي سأذبحُك»!، إنّه لأسلوب طيّب في تربية الأطفال مزج التّرهيب بالتّرغيب.

كان لوالدي إخوةٌ كثيرون، كان أحدُهم بكباشيًا[2] بيطريًّا، مات في بغداد، وقد مات أبي وعمرُه خمسٌ وسبعون سنة في سينوب، عندما كنتُ في روسيا أوقّع معاهدة موسكو.

---

(1) كان تعلم الخطّ من التقاليد العثمانية العريقة التي ظلت حتّى نهاية السلطنة، بل كان عددٌ غير قليل من السلاطين العثمانيّين خطاطين مهرة، وما يزال فن الخط (والتذهيب) موضع اهتمام الأتراك، وأحد مجالات تفوقهم الفني، وأعني به الخطّ العربي وكتابة الآيات القرآنية في معظم الأحوال.

(2) بيك باشي/ بكباشي: رتبة عسكرية.

أخلاقُ النّاس في سينوب:

سينوب مدينةٌ جميلة، يصف السّلطان سليم الأوّل في أشعاره التركية[1] سينوبَ بأنها مِن أهمّ القِلاع، أهلُها طيّبون، لم أسمع أثناءَ فترة طفولتي عن سرقة ولا عن فاحشة، كان بعضُ الأهالي يغلِقون أبوابَ بيوتهم ويضعون المفتاح على عتبة الباب!، حتى لا ينتظر الزّوج أمامَ الباب إذا كان زوجته ضيفةً على جارة لها!، ولم نسمع عن حادثة سرقة رغم هذا!.

لم يكُن أحدٌ في سينوب يعلم ما هي الفاحشة!، كان فيها الأمان، وكان فيها الشرف، لم يكُن للحكومةِ دخلٌ في هذا، وإنّما كان بفضل أخلاق الناس، أمّا الآن فلم يعُد لهذا وجود، أصبح خيالًا!.

مشاعري الدّينيةُ في طفولتي وصِباي:

بدأتُ تعليمي وأنا في الرّابعة من عمري، وأثناء طفولتي- وفي ليلة رأس السنة- كنتُ والأطفالُ الآخَرون نجمعُ ما في بيوتنا من حصيرٍ قديم وتبن، وما إلى ذلك، ونهرع إلى الشّوارع، نوقِد فيها نارًا، ونقفزُ فوق النار ونحن نردِّد كلامًا ضدَّ الكفار، وفي صالحِ المسلمين، وهذه عادةٌ تُركية. وأحيانًا كنّا نجتمع خمسةَ عشرِ طفلًا، ونملأ جيوبنا بقطعٍ من الحجارة الصّغيرة، ونذهب إلى أحياء النّصارى، ونُلقي عليها الحجارة، وكان هذا يسمّى بين الأطفال (رجم الكفار)!.

---

(1) بحسب المؤرّخين لطيفي وصولاق زاده، فإنّ سليم الأوّل لم يكتب شعرًا بالتركية قط، ولكن له ديوان بالفارسية يضمّ ثلاثمائة قصيدة، طبع هذا الديوان في استانبول سنة 1890، ثمّ أعاد طباعته الإمبراطور الألماني ويلهلم الثاني كمجاملة للسلطان عبد الحميد الثاني سنة 1904، ثمّ ترجم إلى التركية وطبع في استانبول سنة 1946.
انظر، مصطفى أرمغان: التاريخ السري للإمبراطورية العثمانية، ص 58.

وعندما بلغتُ الخامسةَ عشرة من عُمري دخلتُ المدرسة الرشدية[1]، وكنت دائمًا متفوِّقًا، وترتيبي الأوّلُ على التّلامذة فيها. وكنتُ أثناء هذه الرحلة ولُوعًا بقراءة المحمّدية، والأحمدية، وقصّة سيد بطال غازي، وقلعة الدّم، وقلعة خيبر، وكانت هذه الكتب تعطيني الإحساس بالبطولة.

أسفٌ لانتهاء الدّين من حياتي:

وفي فترةٍ من الفترات تصوَّفتُ كثيرًا، كنتُ دائمًا أصلّي في الجامع رغبةً في الثواب الأكبر، كنتُ أستيقظ مبكرًا لأصلّي صلاة الصبح حاضرًا في الجامع، لذلك كان أبي وأمّي مسرورَين جدًّا، كنتُ أعيشُ في هذه الفترة في نشوى إلهيّة، وإني أعترف أنّ هذا العهد من حياتي هو أسعدُ أيّام حياتي، كنت في تلك الفترة أُرى بحماس مُدْهش عندما أسمع الأذان، كنتُ أحسُّ بنفسي وكأنّني طائر يطير سعادةً، لم تكن الأرض تسعُني من الفرحة، كان يُخيَّل إليّ وأنا أمشي أنّني لا أسير وإنّما أطير، وكأنّ السماء كانت لي ديارًا.

كنتُ إنسانًا تقيًّا، بعيدًا عن أدنى شائبة، كنتُ أؤمن بالله القادرِ على كلّ شيء، استمرّ هذا الحال عامًا، ثمّ تركتُ الصّلاة، كان سببُ تركي الصّلاة غالبًا نتيجة سأمي وتعبي من صعوبةِ هذا العمل وكثرته، أو أنّ هذا كان فترة

---

(1) المدارس الرّشدية: لا يوجد اليوم مقابل بالمعنى التام لوضع المدارس الرشدية في نظام التعليم العثماني، ومع ذلك يمكننا اعتبارها مدارس من النّوع المتوسط؛ إذ كانت تقوم في البداية بمهمّة التعليم لما بعد مدارس الصبية، وتجهز الطّلاب في الوقت نفسه للالتحاق بالمدارس العالية، أمّا بعد عام 1869م، فكانت تأتي من حيث الدرجة فوق المدارس الأولية، وتحت المدارس «الإعدادية» التي هي في مستوى الثانوية.

انظر، أكمل الدين أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، 2/ 535.

جاءت وذهبت!، آه!، ليتَ هذه الفترة ما انقضت من حياتي، ألفُ أسف عليها، إنّي الآن مخلوق يلازمه اليأسُ والكدر، يعيش في تشاؤم، محروم من الأمل، فلا رجاء ولا سند.

سوء التربية، كتب جنسية تُهديها لي المدرسة فتضرّني!.

في امتحان السّنة الأخيرة في المدرسة الرّشدية كسبتُ مكافأة قدْرها عشرةُ كتب، كان اسمُ أحد هذه الكتب (مرشدُ المقْدِمين على الزواج)!، فتح هذا الكتاب عيني على أشياءَ غريبة، كنتُ أقرأه بين الحينِ والحين، كان هذا أوّلَ ما أخذتُه من معلومات حرّكت شهوتي! كمْ هُم أغبياء هؤلاء الذين أعطَونا هذه الكتب مكافأةً لنا!، ما أسخفَ عقولَهم!.

أنهيتُ الدّراسة الرّشدية وعُمري أربعة عشر عامًا، قالوا إنّه لا بدّ لدخول الطبية أن يدرس الطّالب في الرشدية العسكرية؛ لذلك أدخلوني الرّشدية، فكنتُ أذهب إليها راكبًا السّفينة، هناك يهود يركبون هذه السّفينة من إحدى محطّاتها، كان أكثر هؤلاء اليهود من الشّيوخ ذوي اللّحى الطويلة، كانوا يجلسون ويقرأون في التّوراة، وتهتز لحاهم وهُم يقرأون.

أوّلُ شُربي للخمر:

اشتريتُ مِن بقّال ألباني شرابًا قديمًا، شربتُه أثناء الفسحة، وكان ذلك بناءً على توصيةِ زملائي الطّلبة، دخلتُ الفصل وإذا بدماغي تلفُّ وتدُور، وشعرتُ كأني في حُلم عظيم، ثمّ تبيّنَ أنّ هذا الشّراب الذي أوصاني به الطلبة لم يكن إلّا الراقي (نوع من الخمور)، ومِن ثمّ فهمتُ الأمر، وكان ذلك أوّلَ سُكْرٍ لي في حياتي.

زميلٌ سيئٌ يعقّد حياتي:

وفي السّنة النهائية كان معنا في الفصل طالبٌ أناضوليٌ[1] فقير، كنتُ أرقُّ لحاله، وتصادقْنا، وكنتُ أعطيه مِن مصروفي، وعندما كان محتاجًا لملابسَ داخلية أعطيتُه بعضًا ممّا عندي منها، وكنتُ أحبُّه حبًّا حقيقيًّا، كان أكبرَ منّي بعام أو اثنين، دعاني ذاتَ مرّة إلى بيته، أصرَّ على أنْ أبيتَ عنده ضيفًا عليه فقبلتُ، كان عنده خمر الرّاقي، عرض عليَّ أنْ نشرب معًا فشربتُ، أعدَّ لي سريرًا، ونمتُ.

استيقظتُ فجأة، ذلك لأنّي أحسستُ أنّ أحدًا ما يشدُّ قطعة من ملابسي الداخلية السّفلى ويقطعه، قفزتُ من السّرير، فهرب الشّخص سريعًا، طار النوم من عيني، ارتديتُ ملابسي، ووجدتُ أنّ لباس عورتي مقطوعٌ فعلًا، كان الطالب الأناضولي الفقيرُ هو الذي عملَ هذا، وكان هذا تحقيرًا لي، وأيّ تحقير.

وكان لا بدّ أنْ أنتقم مِن هذا الولد، زالَ هذا الحسّ عنّي بمرور الزمن، لكن هذه الحادثة كانت عِبرةً لي، إذْ أنّي لم أقدّم له إلّا كلّ خير، وإذا به يقدِم على هذه الفعلة النّكراء. وتوصّلتُ إلى نتيجة هي أنّه لا صداقة لإنسان، وطول عمري بعد ذلك- وحتّى الآن- لم أتّخذ لي صديقًا بمعنى الكلمة.

أصبحَ هذا الولد بعد ذلك ضابطًا، وعندما كنتُ أصادفه في الشّارع كان ينظر نحو الأرض فورًا، إذْ لم يكُن يجرؤ على النظر إلى وجهي.

---

(1) الأناضول هنا تعني المناطق الريفية في قلب تركيا الحالية، وهي تعني في المصطلح الجغرافي: آسيا الصغرى.

في السّادسة عشرة من عمري حصلتُ على الشّهادة من رشدية صوغون جشمه، وتهيّأتُ لدخول الإعدادية العسكرية (الثانوية العسكرية). قال لي أبي: «خير لك أنْ تكونَ طبيبًا»، وكنتُ أريد أنْ أصبح ضابطًا، لكنّي سجّلتُ اسمي في الإعدادية الطبّية، درستُ ثلاثَ سنوات فيها، كانت الإدارةُ فيها عسكرية، تشاجرتُ كثيرًا مع الطّلبة. كانت الرغبةُ في المُشاجَرات إظهار البطولة، كنتُ أريد أنْ ينحني الجميع لقوّتي، كنتُ ألعبُ المصارعة.

حياةُ الطّلبة في المدارس التركية[1]

كان الطّلبةُ في المدرسة صنفان: طلبة الطبّ، وطلبة البيطرة، وكان كلّ فريق يكِنُّ العداءَ للفريق الآخَر!، وكنت في ذلك الوقت مازلتُ في السّابعة عشرة من عمري، في هذه المدْرسة كان الطّلبة الأشّداء أرباب الطابع الإجرامي يحمي كلّ منهم طالبًا صغيرًا جميلًا!، لكنْ من الأمور المحمودة للغاية أنّ النظام الشديد في المدرسة كان يمنعُ الأعمال الرديئة.

بدايةُ قراءتي للأدب القومي:

وبدأ اهتمامي في هذا العهد بقراءة الأدب، كانت أعمالُ الأدباء الأتراك (التّنويريين) مثل أعمال ضيا باشا[2] ونامق كمال[3] ممنوعة، لكنّي كنتُ أقرأها

(1) مجلة المجتمع الكويتية، الحلقة الثانية، العدد 531، 29 رجب 1401هـ الموافق 3 يونيو 1981م.

(2) ضيا باشا (1825–1880م): كان من بين الدّاعين إلى الاتجاه التوفيقي في الإصلاح، وهو التدرّج في الأخذ من الغرب في مجال الإدارة والسياسة والثقافة والفكر وكل ما جاءت به الثّورة الفرنسية، وهو من الشّعراء والأدباء الأتراك البارزين في عهد التنظيمات العثمانية وما بعدها، عمل وهو في السّابعة عشرة من عمره موظفًا في أمانة الصدارة العظمى، وفي عام 1855م، عينه رشيد باشا في الأمانة العمة للقصر السلطاني، وعين متصرفًا على قبرص، وقد كان عضوًا بارزًا في جمعية تركيا الفتاة (العثمانيون الجدد)، وفي عام 1869م هرب إلى أوروبا، وقام بترجمة بعض الكتب من الفرنسية إلى التركية، ثمّ عاد إلى استانبول في عهد السّلطان عبد الحميد، واشتركَ في صياغة مشروع القانون الأساسي (الدستور).

عبّر ضيا باشا عن آرائه وأفكاره الإصلاحية من خلال رسالة له أسماها (رؤيا Ruya) كتبها أثناء إقامته في لندن، وكان خلالها يحاور السلطان عبد العزيز حول ما يجب أن تكون عليه الدّولة من نظام ديمقراطي، مطالبًا بتشكيل جمعية وطنية ونظام دستوري؛ مؤكدًا أنّ هذا هو عين نظام الشورى الذي أقرّه الإسلام ونادى به، وطالب بإيجاد تقارب إسلامي مسيحي من خلال مجلس مبعوثان منتخب.

انظر، أحمد الشوابكة: حركة الجامعة الإسلامية، ص39–40.

(3) نامق كمال: ولد نامق كمال عام 1841م، وبعد أنْ أتمّ تعليمه باستانبول سافر إلى قارص، وصقاريه، ثمّ عاد إلى استانبول عام 1871م.

خِلسة، كنتُ أكِنُّ الحبَّ لنامق كمال؛ لأنّه كان يعطي إحساسا عظيمًا بالحريّة والوطن. في ذلك الوقت كانت الكتابة في أوروبا متّجهة ضدّ السلطان عبد الحميد الثاني[1]، وكنتُ أستطيع الحصولَ عليها وأقرأها.

تعكس الأشعارُ التي نظمها في تلك الفترة تأثره بالأدب الكلاسيكي، وتبيّن أنّ الصلة بينها وبين أهل الغرب يمكن أن توصف بالضّعف، ويُدخله بعض نقاد الأدب التركي ضمن زمرة المهتمين بالأدب القديم.

أقام نامق كمال صداقةً وطيدة مع غالب بك. وعُين في «أنجمن شعراء»، وفي عام 1862م تعرف بشناسي، وعمل في جريدة «تصوير أفكار» فانقطعت صلته بالأدب القديم، وعندما سافر شناسي إلى باريس استمرّ فيها بمفرده.

كتب مقالاتٍ في السياسة التي كانت موضعًا لرقابة الحكومة، كما انضم إلى جماعة العثمانيين الجدد، ولمّا علمت الحكومة بأمره هرب إلى باريس، وهناك قدم له مصطفى فاضل باشا العون المادي والمعنوي.

أصدر عام 1868م هو و«ضيا باشا» جريدة «حريت»، واستمرّا في هجومها على الحكومة، وعندما صدر عفوُ الصدر الأعظم عالي باشا رجع إلى استانبول، وبعد وفاة عالي باشا عاود نامق الهجوم على الحكومة مرة أخرى.

في عام 1878م ألّف مسرحيته الأولى المسمّاة «وطن ياخود سيلستره»، والتي ألقي القبضُ عليه بسببها، ونفي إلى جزيرة قبرص، وكانت فترة حبسه أغزر فترات إنتاجه الأدبي، فألّف خمس مسرحيات ورواية، بالإضافة إلى بعض كتب النقد الأدبي.

وعندما تولّى السّلطان مراد الخامس العرش- وكان صديقًا مقرّبًا له- سمح له بالعودة إلى استانبول، في أوائل حكم السّلطان عبد الحميد، وكان نامق كمال وضيا باشا ضمن الهيئة التي أعدت القانون الأساسي، ولكن تمّ الإيقاع بينه وبين السلطان عبد الحميد، وأوقف عن العمل، وتمّت محاكمته إلّا أنّه صدر قرار بالعفو عنه، فلم يغادر استانبول حتّى توفي في ديسمبر عام 1888م.

انظر، زينب سعد زغلول أبو ستة: الشعر التركي العثماني والحديث، ص70-71.

(1) السّلطان عبد الحميد الثاني (1842-1918م): آخر السلاطين العثمانيين الكبار، حكم في الفترة (1876-1909م) وبعد قليل من إعلان المشروطية وتكوين مجلس مبعوثان (برلمان)، ألغى الحكم المشروطي وجعل كلّ أجهزة الحكم وإدارة الدولة تحت سيطرته المباشرة، وقام بإصلاحات جذرية في الدولة على المستويات السياسية والدبلوماسية والتعليمية والاقتصادية وغيرها، لكنه تعرض للنقد الشديد من الداخل بسبب غياب الحكم الديمقراطي، كما تعرض من الخارج لهجوم عنيف ومحاولات إسقاط، لا سيّما بعد سياسة الجامعة الإسلامية التي حاول بها- ونجح كثيرًا- في استعادة قوّة الخلافة الإسلامية كرابطة لمسلمي العالم ودعم مركز الدولة العثمانية، أرسل البعثات التعليمية لأوروبا لتلقي

اشتغالي بالأدب والسياسة:

ضَعُفَتْ معتقَداتي الدّينية في هذه الفترة، بدأتُ بتحصيل العلوم الطبية، كان ذلك في العام ١٣١١ رومية [1323هـ/ 1905م] ، بدأتْ فترة نُضجي وتعقُّلي، ولكني مازلتُ مشغولًا بالأدب وقراءة كتب أدباء أوروبا وشعرائها، كنتُ أجد لذّتي في أدباء أوروبا أكثر ممّا أجدها في قراءة أدباء بلادي، وانشغلتُ أكثر بالسياسة.

القوميّةُ الجركسية والقوميّةُ التركية:

كنتُ أثناءَ دراستي هذه أيضًا أذهبُ إلى سينوب، وهناك كان يوجد بعض الأشخاص المنفيّين بسبب اشتغالهم بالسياسة، كنتُ أخالطهم وأتكلّم ضدّ السلطان عبد الحميد وضدّ الاستبداد. تعرّفتُ بأحدهم، وكان اسمُه رؤوف، كان جركسيًّا قُحًّا، كان يتحدث في قضيّة القومية الجركسية، ويهاجم القومية التركية، فغضبتُ منه، كانت القضية التّركية عندي فوق كلّ شيء، وكان أحدهم ألبانيًّا.

كنتُ على اتّصال بهؤلاء المنفيّين، كما كنتُ على اتّصال ببعض الشباب من سينوب، وكنتُ أشاركُهم في شتمِ وسبّ عبد الحميد وإدارته وحُكمه.

العلوم الحديثة لتطوير الدولة خاصّة في النواحي العسكرية، لكنّ المبتعثين أعجبوا بالنّمط الغربي في الحياة والحكم، وتشبعوا بأفكار الثورة الفرنسية، فكان سقوطُه على أيدي هؤلاء الضباط العائدين الشبان بدعم كبير من الماسونية والدّونمة، والغريب أنّهم عرفوا قدر عظمة هذا السلطان بعد خلعه وتدهور أحوال الدولة أثناء الحرب العالمية الأولى، حيث كان قادة الاتحاد والترقي يزورونه أحيانًا لأخذ مشورته، كما رثاه عند موته الفيلسوف والشّاعر رضا توفيق (1868/ 1949م) من أبرز منظري فكر الاتحاد والتّرقي، ومن أكبر معارضي السّلطان عبد الحميد الثاني! وممّا قال في رثائه: أيها السلطان العظيم- عندما يذكر التاريخ اسمك- سيوفيك حقّك وقدرك- ويكون الحق لك ومعك- كنّا نحن مَن افترى بلا خجل- على أكثر سلاطين العصر حكمة ودهاءً...

انظر، محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، محمد حرب: السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار.

السأم من الفلسفة:

أحببتُ في هذه الأثناء الفلسفة، قرأتُ لمجموعةٍ من الفلاسفة مثل لامارك، وداروين، وبوخنر، وهيجل، وشوبنهاور، وسبنسر. لم أفهمْ بعضَ أعمالهم، لم أجد في حياتي أحدًا يرشدني، وسرعانَ ما أصابني السّأم من الفلسفة. مسألة وجود الله ليست من شأني! لا أنكِر ولا أؤمن!!، وتراجعتُ من مواصَلة القراءة في الفلسفة.

المطبوعاتُ المضادّة لعبد الحميد:

كنتُ مع هذا أشتغلُ بالسياسة، كانت هذه الفترةَ هي فترةَ رواج المنشورات ضدّ عبد الحميد في أوروبا وفي مصر. كانت الشّخصيات المعارِضة لعبد الحميد مثل أحمد رضا بك[1]، ومراد بك[2]، وصباح الدين

(1) أحمد رضا بك (1858-1930م): ثائرٌ وسياسي عثماني، رئيس مجموعة «الاتحاد والترقي» في باريس. كان يحظى بتأييد الجمعيّة الإسرائيلية بمصر، عمل مديرًا للمعارف في منطقة بورصة التعليمية. من رجال التربية والتعليم في الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد، هرب إلى باريس، ودرس المذهب الوضعي وهو العقلاني، وأصدر في باريس جريدة مَشْوَرَتْ لمناوأة الحكم الحميدي، وكان أحمد رضا بك اتحاديًا بل وأصبح رئيس شعبة الاتحاد والترقي في باريس، وكان كلّ من خليل غانم (العربي الماروني اللبناني)، و«البت فوداه اليهودي السالونيكي، وآريستيد باشا (وهو رومي كاثوليكي يوناني) يساعدونه في نشاطه السياسي.
وكان أحمد رضا بك متأثرًا بالفيلسوف الفرنسي «لافيت» كبير العقلانيين الفرنسيين وفيلسوفهم، في وقت لجوء أحمد رضا بك إلى باريس، لكنّ تأثره كان أكبر «بأوغست كانْت» الذي كان يدعو إلى الثّقة في قدرة العقل المطلقة، وينكر الغيب، ويعلن سيادة الحقائق العلمية.
وكان أحمد رضا بك يرى ضرورة إعطاء الحقوق السياسية الكاملة لغير المسلمين ولا يهمّ- في رأيه- اتّجاهات الأفراد من إيمان بالعقلانية أو الإسلام أو القومية، أو غيرها، ما دام الكل يعمل لحل مشاكل الدولة والنهوض بها. انظر، محمد حرب: الصراع بين الفكر الإسلامي والمادية، ص50، مذكّرات السلطان عبد الحميد، ص270.

(2) مراد بك (1853- 1914م): صحفي ومؤرّخ يعرف بلقب (ميزانجي) نسبة إلى صحيفته

بك[1] مُقيمين في أوروبا، ويصدِرون بعضَ الصّحف في الخارج، وتأتي إلى إستانبول لنقرأها خلسة.

الضّابطُ العربي صبري يساعدنا ضدّ عبد الحميد:

وفي المدرسة، كان ضابطُ الدّاخلية ملازمًا عربيًّا أسود، وكان رجلًا طيبًا جدًّا، كان يتعاملُ مع الطلاب كأب حنون.

«الميزان». ولد في تفليس، وتعلّم في ورسيا، ووفد إلى الدولة العثمانية، فعمل مدرسًا للتاريخ في المدرسة الملكية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني؛ حيث اشتهر أمره. كان يجيد الرّوسية والفرنسية بجانب لغته الأصلية وهي التركية. عمل في إدارة الديون العمومية فترة طويلة. هربَ إلى مصر ومنها إلى أوروبّا معارضًا للسلطان عبد الحميد، لكنّه عاد مرّة أخرى إلى استانبول؛ حيث تولّى منصب عضو شورى الدولة. أصدر أثناء وجوده في أوروبّا جريدته «الميزان». ولمّا عاد إلى الدّولة استمرّ أيضًا في إصدارها في ثوب آخر. عارض «الاتّحاد والترقي» لذلك تعلّل أعضاء «الاتّحاد والترقي» بأنّ مراد بك يعتبر من أسباب حادث 31 مارت، وأنّه يعمل لصالح السلطان عبد الحميد؛ لذلك تمّ نفي مراد. لكنه عاد بعد ذلك إلى استانبول حيث ماتَ ودفن فيها. له كتاب في التاريخ العام من ستة أجزاء، وله أيضًا كتاب في التاريخ بعنوان «تاريخ عثماني»، وكتب الكتابين قبل انقلاب 1908م، له أيضًا «تاريخ أبو الفاروق»، وهو تاريخ مفصّل للدّولة العثمانية لم يصدر منه إلّا ستة أجزاء.

انظر، محمد حرب: مذكرات السلطان عبد الحميد، ص 285.

(1) الأمير صباح الدين بك (1877–1948م): ولد في استانبول 1877، وتوفي في بيو شاتيل سويسرا 1948م، هو الذي أسّس جمعية عدم المركزية التي ساعده في تأسيسها بعض أصدقائه مثل عبد الحميد الزّهراوي وإسماعيل كمال، وأخوه لطف الله، وكان بسبب خلافه في الوجهة السّياسية مع السلطان عبد الحميد منضمًا لجماعة الاتحاد والترقي، ولكلّ الفئات المناوئة للحكم الحميدي من أرمن وعرب وألبان، وكان يكتب في صحفهم المختلفة؛ مثل جريدة صباح الخير التي كان يصدرها العربُ المناوئون للسلطان، لكنه اختلف مع الاتّحاديين بعد ذلك، فأصدر نشراته الخاصّة بهذه المعارضة، وهي ثلاث: الإيضاح الأول، والإيضاح الثاني، والإيضاح الثالث.

وقد تأثر الأمير صباح الدين كثيرًا بالفكر الفرنسي، وكان حريصًا على نشر فكر عالم الاجتماع الفرنسي «ديمولنز» الذي يبني تفكيره على الفردية، ويرى الأمير صباح الدين أنّ الأفراد هُم الذين يشكّلون أساس الأمّة وأساس الدولة. انظر، محمد حرب: الصراع بين الفكر الإسلامي والمادية، ص 4.

استدعاني ذاتَ يومٍ إلى المطعم، وقال لي: «يا بني، أنتَ ذكي ومجتهد، وأخلاقك طيّبة، وستنفعُ الوطن، لكنّك تشتغل كثيرًا بالسياسة، الإدارة تعلم ذلك وتتعقّبك، وقد يصيبُك مكروه، ابتعِد عن السّياسة، وإلّا فإنَّ طردَك من المدرسة مؤكّد، وأنا أتألم لك. اسمعْ نصيحتي، فأنا مثلُ والدك، إنّني أيضًا مثلك، أئنُّ من الاستبداد، فلا بدّ أن تصبر، وكلّ شيء يقع في وقته».

أيقظني هذا الحديثُ، اسمُ هذا الضّابط صبري، كان الرجل منضمًا لجمعية الاتحاد والترّقي منذ تأسيسها، كان ينقذ الطلبةَ دائمًا؛ حيث يخبر أيَّ طالب قرّر البوليسُ مهاجمة حجرته، كان يخبرُه حتّى يخفي الأوراق المحظورة. وأخيرًا صدر قرار بنقل الضّابط صبري إلى اليمن، ومع أنّه تمكّن من الهرب منها إلى مصر، إلّا أنّه مات جوعًا في حقل قطن بالقربِ من الإسكندرية، إنّه من أكبر شهداء الحرية.

المدرسةُ الطبّية أوّلُ خلايا الاتّحاد والترقي:

كانت مدرستُنا الطبّية هذه قد ضمّت أوّلَ تشكيل لجمعية الاتحاد والترقي، ومن المُنتمين إليه إسحق سكوتي، وشرف الدين نعومي، وغيرهما.

أصبحتُ طبيبًا، لكنّي فقدتُ الخُلق الطيب:

كان دورُ طلبة الطبّ هامًّا جدًّا في إعطاء النّاس مفهوم الحرية (على المعنى الغربي)، وعند تخرّجنا رأيتُ الحياةَ الاجتماعية والعملية، وقد تشبّعت بالقبائح!، لقد انسلختُ من العاداتِ الطيّبة والأخلاق الكريمة والفضائل التي اكتسبتُها بجهد فائق!، هذه المجموعةُ من الأخلاقيّات انتهت من تلقاء نفسها!، وتركتُ بعضَها الآخر مختارًا!. كذبتُ أيضًا! ولازمني هذا الكذب بعد ذلك خاصّة في الأعمال الدّبلوماسية.

مِن الصّدف الغريبة أنّ ديوجين أيضًا سينوبي، من بلدي سينوب، درسنا في المدرسة: الكيمياء والفيزياء والتشريح والنباتات وأمثالها، كان يدرّس لنا الكيمياء كلّ من: علي رضا، وواصل ناحوم.

الطّلبةُ والحربُ بين أسبانيا وأمريكا:

عندما كنتُ أضعُ قدميّ في المدرسة الطبية عام ١٣٢١ رومية [1323هـ/ 1905م] حدثتْ واقعة قنبلة الأرض الذي حاولَ بها البعض قتلَ السلطان عبد الحميد، في هذا الوقت قامتْ حرب تساليا، كما حصلتِ الحرب بين كلّ من أسبانيا وأمريكا، وانقسم الطلبة إلى قسمين، أحدهما مؤيّد لإسبانيا، والآخر لأمريكا، وكلّ فريق يقول بانتصار البلدِ الذي يؤيّده، كان أحدُ الطلاب يؤيّد أسبانيا، حتى أطلق عليه زملاؤه اسم الأميرال جرهرًا، وهو اسم الأسطول الإسباني.

وعندما هُزمت اسبانيا جعل الطلبةُ يسخَرون منه، وأصبح هذا الطالب بعد ذلك من الاتّحاديين، كان مجنونًا، ولم يكُن يفهم في الطب شيئًا، وأخذتْ الحكومة في تلك الفترة في تشديد حمْلتها ضدّ المعارضين، وكثُرتْ عمليات النّفي والسجن، وكان أغلبُ الطلاّب في الطّبية يشتمون السلطان.

الخمرُ والثّورة:

ذاتَ يوم جمعة، ذهبتُ مع بعضِ الأصدقاء تتنزّه حيث يقعُ قصر ولي العهد يوسف عزّ الدين[1]، ويقع هذا القصرُ في (تشامليجه) بإستانبول،

(1) الأمير يوسف عزّ الدّين ابن السّلطان عبد العزيز: ولد سنة 1859م ونشأ في استانبول، وتلقى العلوم الشرعية والعصرية على يد أساتذة خصوصيّين، وتعلم الكثير من اللّغات الاجنبية

وبالقُرب منه أكلْنا وشربْنا الخمر، وبعد ذلك أخذْنا في الصّياح متّجهين بأنظارنا نحو القصر. قلنا الكثير وقتها! شباب!، كانت نارُ الحريّة وعشقها قد أخذتْ بنا، هتفْنا بها ولم نخَفْ.

وذاتَ يوم أربعاء، وعلى ضوء القمر، ذهبتُ مع حواليّ عشرة من الأصدقاء طلبة الطّبية إلى التنزُّه، أخذْنا معنا طعامنا وشرابنا، اللحم والطماطم والخُبز والخمر، أوقدْنا نارًا بين أشجار الصنوبر، عملْنا من اللّحم كبابًا، وأكلْنا وشربْنا الخمر التي معنا، ودارت رؤوسنا، وفورًا أخذْنا ننطلقُ صائحين بأشعار وقصائد من نامق كمال (شاعر الحريّة)، ثمّ قام كلّ منّا بإلقاء خُطبةٍ في الحرية، لعنّا الاستبداد، شتَمْنا عبد الحميد، تولّتني نوبةُ حماس، فألقيتُ خُطبّة طويلة ألقيتُها بأعلى صوتي حتى بُحّ، ثمّ أخذْنا في التّجوُّل بين أشجار الصنوبر حتى الصباح.

الخمرُ والإلحاد:

كان لنا زميلٌ في الدّراسة أحببتُه كثيرًا، اسمُه رشيد، وكان من أتراك منطقة الإسكندرون[1]، وكان ذكيًا، كثيرَ الفتن، وكان مُجدًّا ومحبًّا للفلسفة، معرفته بالفرنسية لا بأسَ بها، لكنّه كان فقيرًا جدًا، وكان ملحدًا، كان ضدّ الاستبداد،

ونبغ فيها وفي الفنون الحربية، وترقى إلى رتبة مشير، وتولى قيادة الفيلق الخامس من الجيش، وعيّن رئيسًا لمجلس الشورى العسكري، ولمّا تولّى الحكم السلطان محمد الخامس (رشاد) آلتْ إليه ولاية العهد، وقد زار كثيرًا من بلاد أوروبًا، وكان من المشْتغلين بالعلم، وله تآليفُ كثيرة مخطوطة، توفي سنة 1916م مقتولًا في مزرعته لأسباب سياسية.

انظر، زكي محمد مجاهد: الأعلام الشرقية، جـ1، ص 55-56.

(1) منطقة ومدينةٌ حدودية في جنوب شرقي تركيا، وكان متنازَع عليها بين الجمهورية السّورية والجمهورية التركية حتّى وقت قريب.

وكان عاشقًا للإنكليز، وبهذا الحبّ كان يحاول تعلُّم الإنكليزية، ومع ذلك لم يكن يحبّ العمل، كان يبيعُ لي كتبه، ليأخُذ ثمنَها، ويشرب به الخمر!.

الخديوي عباس حلمي يقضي على الثوريين:

نفتِ الحكومةُ شيخًا من البكداشيين[1] بسبب اشتغاله بالسياسة ضدّ الحكومة، وهذا الشّيخ يُدعى أحمد بابا[2]، نفَوه إلى سينوب، كان رجلًا ذكيًا، صاحب ثقافة واسعة، كنتُ أشعرُ بالسّرور كثيرًا بصُحبته، كان هذا الرجلُ قد فرّ إلى مصر عندما قبضوا عليه بحُكم طريقةِ عمله بالسياسة.

---

(1) الطريقة البكتاشية: ولدتْ من الحيدرية كفرعٍ كبير ونمّا حول أفكار وتعاليم حاجي بكتاش التي أخذت تفرض نفسَها داخل تلك الطريقة. وكان مشاركة دراويش الحيدرية مع أبدال الروم الآخرين في الفتوح مع المجاهدين العثمانيّين تشكّل أحد الأسباب الهامّة في انتشار هذه الحالة القدسيّة في الأراضي العثمانية، ولا بدّ أنّ شروعهم في تسمية أنفسهم بأنّهم بكتاشيون وقع- حسْبما ذكره عاشق باشا زاده- في تلك الآونة، الشّيء الذي فعله «بالم سلطان» عام 1501م هو قيامُه بتنظيم هؤلاء الدّراويش الحيدرية ووضعهم رسميًا في طريقة مستقلّة بنفسها؛ بهويتها غير السّنية المعروفة.
ورثت البكتاشية ذلكَ الخليط الرّوحي التلفيقي بواسطة الحيدرية، وكانت الحيدرية فرعًا من اليسوية؛ من خليط من المعتقدات التّركية القديمة، ومن بقايا الشامانية، والبوذية، والزردشتية، والمانوية التي تغلفها قشورٌ إسلامية، وكانت تعكس في القرن السادس عشر كلّ خصائص القلندرية، وتؤكّد لنا هذه النقطة السجلّات والوثائق التاريخية بشكل واضح جلي، فضلًا عن الأشعار الموجودة في دواوين شعراء البكتاشية القلندرية.
وهكذا قامت الطّريقةُ البكتاشية تحتَ حماية الدولة في القرن السادس عشر، وظلّت على ولائها للسّلطة المركزية العثمانية خلال تاريخها كلّه تقريبًا؛ حتّى قام السلطان محمود الثاني عام 1826م بإلغاء أوجاق الانكشارية. غير أنّ البكتاشية لم تجد أبدًا فرصة الانتشار في الدول الإسلامية الأخرى؛ اللّهم إلّا بعض الزوايا القليلة في مصر والعراق.
انظر، أكمل الدين أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، 2/ 188.

(2) (بابا تعني الشّيخ في الطريقة البكداشية) المترجم.

كان الخديوي عباس حلمي باشا[1] مُواليًا لعبد الحميد في الخفاء، وفي مصر في ذلك الوقت الكثيرُ من أفراد جماعة (تُركيا الفتاة)[2]،

---

(1) الخديوي عباس حلمي (1291 - 1363هـ/ 1874 - 1944م): عباس حلمي بن توفيق بن إسماعيل، حفيد محمد علي، ويعرف بالخديوي عباس حلمي الثاني: أحد من حكموا مصر، من أسرة محمد علي. ولد بالقاهرة، وتعلم بمدرسة عابدين، وولي (الخديوية) بعد وفاة أبيه (1892م) بإرادة سلطانية من الأستانة. وفي أيامه نبغ مصطفى كامل ومحمد عبده وشوقي الشّاعر والناهجون مناهجهم، وظهر عشراتٌ من المؤرخين والكتاب والأدباء. واستمرّ إلى أن قصدَ أوربة، فالأستانة مصطافًا، سنة 1914م، ونشبت الحرب العامة (الأولى) وهو في الأستانة، فتأخرت عودته، فاتخذت الحكومة البريطانية تأخرَه وسيلةً لخلعه وتعيين غيره، وبسطت (حمايتها) على مصر. واستقرّ عباس في لوزان (بسويسرة) وقضى بقية حياته مغتربًا. وتوفي بسويسرة ودفن في القاهرة. وكان فيه دهاءٌ وذكاء ينقصُه الكتمان والحزم، يستودع أسرارًا مَن يحسن به الظنّ من أحرار البلاد فيفشيها، وفيه بخلٌ إلى جانبه سرفٌ في الملذات، يبعث الأوسمة والألقاب في أيامه بيعَ السّلع.
انظر، الزركلي: الأعلام، جـ 3، ص 260.

(2) جمعية العثمانيّين الشّباب/ الأتراك الشّباب/ جون تورك: تبلورت في زمن السلطان عبد العزيز بشكلِ جمعيّات غير رسمية مثل جمعية العثمانيّين الجدد، أو الشباب (وشاع تسميتهم في العالم العربي باسم (تركية الفتاة) نقلًا عن التسمية الغربية (Jon Turk). تأسّست هذه الجمعية باستانبول في شهر محرم 1282هـ / يونيو 1865م على يد شباب يعتبرون حركات الإصلاح لرشيد باشا، وعالي باشا، وفؤاد باشا شيئًا قليلًا، ويطالبون «بتأورب» أكثر بتأثير حصول أكثرهم على العلوم في الدول الأوروبيّة، وفي مقدّمتهم محمد بك، وكمال بك، ورفيق بك، ورشاد بك، ونوري بك، وآية الله بك، تجمعهم سمة مشتركة هي أنهم أبناء باشوات وأغنياء ينتمون إلى طبقة اجتماعية راقية، ويردّدون كلمات الحرية والإصلاحات بلا كللٍ أو مللٍ، ويتوسّلون بكلّ وسيلة لإيصال نامق كمال إلى وزارة الخارجية، وضياء باشا إلى الصّدارة العظمى.
وانضمّ فيما بعد وجوه عسكرية وسياسية إلى هذه الجمعيّة، وتحوّلت الجمعية إلى حركة معارضة سياسية تمامًا بانتماء سليمان باشا قائد المدرسة الحربية، ومصطفى فاضل باشا، النّاقم على الدولة العثمانية لتفويتها فرصة الخديوية عليه. وفي 1293هـ / 1867م حاول هذا الفريق المنعزل عن عموم الشّعب، والذي لا يفتر عن ذكر الحرية والمشروطية؛ اقتحام الباب العالي، لكنّ خبرَ الاقتحام وصل إلى عالي باشا قبل وقوعه، وفشل التّخطيط، فهرب كثيرٌ من مؤسّسي جمعية العثمانيين الشّباب إلى أوروبّا، وجمعوا شتاتهم هناك بدعم مالي من مصطفى فاضل باشا.

وكانوا ضدّ عبد الحميد.

أخذَ عباس حلمي يصادر صُحف (تُركيا الفتاة) في مصر، لكنّ الإنكليز كانوا يسْمحون بصُدورها من جديد، أخذ الخديوي يخدع هؤلاء الثوّار أحيانًا، فيرسِلهم إلى استانبول، حيث يكُون مصيرُهم السّجنَ والنّفي!.

وذاتَ يوم، استطاع رجالُ الخديوي أنْ يخدعوا أحمد بابا، وأدخلوه السّفينة التي كانت على وشكِ الإقلاع من الإسكندرية إلى استانبول، وبالتّالي تمّ القبض عليه، وعندما وصلَ أحمد بابا إلى استانبول حبسوه، ومِن ثمّ نَفَوه إلى سينوب.

الدّروسُ الدّينية في الطبية لم يحسِنوا عرضَها:

كان مقرّرًا علينا في الطّبية درس العقائد الدينية، لذا كان يدرّسه لنا رجلٌ معمّم، لم أكُنْ أحبّ هذا الدّرس، بل أثور عليه، لم يكُن السّبب في ذلك ما بي من إلحاد، السّببُ أنّهم أعطوا هذا الرجلَ كتابًا مليئًا بالمديح للسّلطان!، وبأنّه الخليفة، وظلُّ الله في الأرض، كتبوا له هذا بدلًا من تدريسِ الدّين!، فأدّى هذا إلى توتُّر أعصابي، كان يمدحُ لنا السّلطان بدلًا من تدريسه الدين.

إنّ النّهج الآخر البارز في فكر هذه الزّمرة هو إقصاء الدين عن مركز الصدارة في الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية. أمّا الأوروبّيون فقد أيّدوا هذه الحركة الجديدة تأييدًا مطلقًا، ورجّحوا تسميتهم بالترك الشباب (Jon Turk). ثمّ انقسمت حركة العثمانيين الشّباب إلى فريقين بتأثير التيّار ضدّ الموروثات الإسلامية والتاريخية: فريق معتدل يمثله ضياء باشا، وفريق متطرّف يمثّله محمد بك، تجاوز مفهوم المشروطية إلى الجمهورية.

واتّجهت الحركة نحو التّشرذم والتمزق بعد تقرب مصطفى فاضل باشا (المساند للحركة بأنواع الوسائل) من السّلطان عبد العزيز- الذي عفيَ عنه- ثمّ عودته إلى استانبول، وبمرور الأيام استلم محمود نديم باشا- مرشّحهم للصّدارة العظمى- ومدحت باشا وحسين عوني باشا مناصبَ مهمّة في الدولة.

وسوف نرى أنّ هذا الفريق المسمى بتركية الفتاة يتصدر تأسيس حزب الاتحاد والترقي لاحقًا.

انظر، أحمد آق كوندز: الدولة العثمانية المجهولة، ص 424-426.

مدى ميلِ الطّلبة الثوريّين للمعلم:

شيء عجيب، كان في بعض أصدقاءِ في الفصل يقولون: «آه لو نتخرّج من هذه المدْرسة، آه!، لو تخرّجنا لأحرقْنا هذه الكتبَ المقرّرة علينا وتحرّرنا منها!». وبالفعل قامَ واحدٌ منهم بأخذ كلّ كتبه، ووضعها في المدفأة، وأشعلَ فيها النار!.

عملي في الطب:

في عام ١٣١٧ رومية [1329هـ/ 1911م] أصبحتُ طبيبًا بدرجة نقيب (يوزباشي)، أهمّ شيئين في رقيّ الناس العلاقات الاجتماعية والتنظيم.

فتاةٌ يهودية تعلّمني الفرنسية:

سكنتُ في بنسيون تملكُه أسرةٌ يهودية يتكلّم أفرادها اللغة الفرنسية، كانت فيه فتاة هي ابنة هذه الأسرة، وكانت هذه الفتاة تعطي للعائلاتِ دروسًا في اللغة الفرنسية، لغتها الفرنسيّة ممتازة، وبهذه اللّغة كنتُ أتحدّث معها، أظهرتْ لي هذه الفتاة اهتمامًا، سكنتُ عندهم قرابةَ ستّة أشهر، أصبحتُ أتكلّم الفرنسية بدرجة كافية (من جرّاء سكني عند هذه الأسرة).

وجدتُ أنّ هذه الفتاة قد تجاوزتْ حدّ الاهتمام العادي بي، وجدتُ أيضًا أنّ هذه الفتاة اليهوديّة غير مناسبةٍ لي، إنّي لستُ في ظرفٍ يسمح بالزواج، لا مكسب بعدُ، والمستقبلُ مازال مجهولًا، كما أنّ من شأن هذا عرقلة سيْر العمل، إذًا فهذا الأمر لا يتّفق وصالحي، خرجتُ من هذا البيت، ومع ذلك لم تتركْني الفتاة، وأخيرًا سافرتْ هي إلى باريس، فظلّتْ ترسل إليّ البطاقات من هناك.

الأساتذةُ الألمان في المدْرسة الطّبية:

بادئ ذي بدْء دخلتُ شُعبة الدّاخلية في الدراسة العالية، كان إمبراطور ألمانيا (ويلهلم) قد أرسل الجرّاح (رايدر) الأستاذ بجامعة بون إلى تركيا، منحتْه الحكومة العثمانية رُتبة الباشا[1]، أمّا أنا فقد كنتُ أعمل مع الأستاذ (دايكا)، لكني كنتُ أتابع دروسِ (رايدر) بشوقٍ زائد. كان الأساتذة الألمان يختارون خمسة أو عشرة من الطلاّب النّابغين ليكّونوا مساعدِين لهم.

السّفيرُ الألماني يتدخّل لإلغاء تعْييني في البصرة:

انتهتْ سنةُ التّدريب هذه، حصلتُ على درجة جيّد جدًّا، عُيّنتُ في البصرة[2]، خفتُ، انزعجتُ. في هذه الأثناء اختارني الألمان لأكونَ مساعدًا لهم، فرحتُ جدًّا، لكنّ قاضي السرعسكر[3] لم يرضَ بهذا، أصرَّ على إرسالي

(1) الباشا: ورد في اشتقاق هذا اللّقب عدّة أقوال؛ الأوّل: أنّ أصلها «باي شاه» الفارسية، ومعناها قدمُ الملك، وقد بنيَ هذا التأويل على أساس أنّ الفارسية القديمة كان فيها موظّفون يسمّون «عيون الملك».
وقيل: إنّ أصلها الكلمة التركية «باش» ومعناها رأس، أو طرف، أو قمة، أو زعيم، أو قائد، أو البداية، أو المبدأ، أو القاعدة، أو الأساس. وتوضع قبل الصنعة أو الوظيفة؛ مثل «باشكاتب»، أو في آخرها مثل: «حكيم باشي»، ويلزمُ في الحالة الأخيرة أنْ تلحق بالشين ياء هي ياء الإضافة في التركية، ويكون المعنى رئيس الحكماء. وقد ظهر اللقب أوّلَ ما ظهر في ق 8هـ / 14م، وكان علاء الدين أخو أورخان بن عثمان أوّلَ مَن لقّب بلقب «باشا». فقد عيّنه أورخان صدرًا أعظم، وخلعَ عليه لقب «باشا»، ومن ذلك الحين بدئ بمنح لقب باشا لرجال السّياسة.
انظر، مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية، ص 80.

(2) كانت البصرة إحدى ولايات الدولة العثمانية، ولم تكن مجرّد مدينة عراقية كما هي الآن، وكانت تشملُ في نهاية العهد العثماني منطقة (الإحساء) من ساحل الخليج العربي، وكان يطلق عليه حينئذ (خليج البصرة)، ويتبعها لواءُ المنتفك ولواء نجد.

(3) سر عسكر: وهي كلمة فارسية، وتعني قائد العسكر (قائد الجيش)، وهو لقب كان يطلق على الوزير العثماني الذي يقود الجيش، وكان إطلاق هذا اللقب منذ عهد السلطان محمود الثاني بعد الواقعة الخيرية، وبعد المشروطية (عهد التنظيمات) استبدل هذا اللقب باسم «حربيه ناظري» أي وزير الحربية. وكان أوّل سرْ عسكر في الدولة العثمانية هو آغا حسين باشا، وأعطي صلاحية ناظر الحربية، بالإضافة إلى رئيس أركان الجيش.
انظر، أحمد صدقي شقيرات: مؤسسة شيوخ الإسلام، 2/ 193.

إلى البصرة. نجح الألمان (أخيرًا) في الضغط على الحكومة، واستطاعوا تنفيذَ رغبتهم في أنْ أكون مساعدًا لهم.

كان القائدُ العام في ذلك الوقت هو رضا باشا، هذا الرجلُ الذي لم يستطعِ الإصرار على كلمته (بتعييني في البصْرة) هو الذي تزوّجتُ بابنته مِن بعد. ولأنّي كنتُ أنام في المستشفى فقدْ نجوتُ من دفع إيجار السّكن. في ذلك الوقت صدر قانونٌ بالتّعامل النقدي الورقي بدلًا من الذهب.

قرارُ تعييني في اليمن:

بعد عامٍ صدر أمرُ تعييني في اليمن، بذل الألمان كلّ جهودهم حتى أنقذوني من هذا التّعيين. وبعد عامٍ آخر صدرَ القرارُ بتعييني في اليمن أيضًا، وبذل (دايكا) كلّ جهدِه لإنقاذي من هذا التّعيين، ولكنّه لم ينجح، تدخّل السّفير الألماني (لدى الدولة العثمانيّة)، وقال للسّلطان: «إنّ المستشفى في حاجةٍ إلى رضا نور، بدُونه يصبح العملُ صعبًا، أرجو بقاءه مساعدًا بالمستشفى».

وصدرتِ الإرادةُ السّلطانية[1] بذلك، كان ذلك بفضل (دايكا)، فهو الذي طلب هذا من السّفير. لذلك فإنّي أعتبر (دايكا) أستاذي ووليّ نعمتي في نفس الوقت. كنتُ أعملُ في المستشفى كثيرًا، لم أكُن أخرُج للتنزُّه حتى يومَي الجمعة والأحد، رغم أنّ المستشفى كانت تأخُذ عطلةً في هذين اليومين، كنتُ أشتغِل في المعمل، وكنتُ أجد في ذلك لذّة كبيرة.

(1) إرادة: أمر أو حكمٌ مكتوب من قبل السلطان.
انظر، حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص 24.

النّشرُ المشتركُ مع الألمان:

ثمّ تخصّصتُ في الجراحة، كان (وينتج) قد علّمني، ثمّ بدأنا ننشر أبحاثٍ مشتركة نقومُ بعملها معًا، كنتُ أشتغلُ على الأمراض الهامّة، أكتبها بالفرنسية وأعطيها له، كان هو يصحّحها ويترجمُها إلى الألمانية وينشرها، كما أسند إليَّ (وينتج) مجموعة من العمليات الجراحيّة.

السّلطانُ عبد الحميد يتعهّدني برعايته:

كنتُ وأنا أعمل مساعدًا بالمستشفى أكتبُ كتابي (فنّ الختان)، اخترعتُ آلات لعملية الخِتان، وأصولًا عملية خاصّة بهذه المسألة، كان لي اتّصالٌ وتعارف بـ(بسيم عمر باشا)، وكان بسيم عمر باشا هذا صديقًا لسعيد باشا الطبيب الأوّل للسّلطان. تحدّث بسيم باشا إلى سعيد باشا عن كتابي، نقلَ هذا المسألة إلى السّلطان، طلب السّلطان أنْ يقرأ الكتاب، فاستدعاني سعيد باشا وأخبرني برغبة السّلطان.

أعددتُ الكتاب نسخًا، وقدّمته للطبيب الأوّل الذي قدّمه إلى السّلطان، سُرّ السلطان عبد الحميد بالكتاب، وأصدرَ إرادته السلطانية بطبع كتابي بالمطبعة العسكرية وترْقيتي إلى رتبة (قول أغا)[1].

سعدتُ جدًّا بطبعِ الكتاب على حساب الدّولة، فلو طبعتُ هذا الكتاب على نفقتي يومئذٍ لَكلّفني مالًا كثيرًا جدًّا. نجح كتابي نجاحًا كبيرًا، تحدّثتْ

---

(1) قول Kul: عبد، مملوك. قول- قوللر (جمع قول)، يطلق على الخدم والجنود التابعين للسّراي السّلطاني، وأطلق على جنود الانكشارية، وستّ وحدات من الجنود الخيالة اسم: قابي قولي، عبيد الباب أو بادشاه قولي، عبيد السلطان.

Pakalin. II: 320. Setoglu. 192.

عنه الصحفُ، لذلك كانت سعادتي كبيرة، كما حثّني هذا على مواصلةِ البحث والكتابة، عندما كنتُ أجِدُ اسمي مكتوبًا في الصّحف كانت السّعادة تستولي على كياني، وللآن لا أستطيع أنْ أنسى حلاوة هذا.

الجمعيةُ الطبية الشّاهانية:

كنتُ أنشرُ أبحاثي الصّحية والطبية في الصّحف، وكانت الجمعية الطبية الشاهانية تقع في حيّ (بك أُوغلو). كانت هذه الجمعية تصدِر مجلةً باللغة الفرنسية، كتبتُ مقالةً بالفرنسية، وأرسلتُها إلى هذه المجلّة، فنشروها. كما انتخبوني عضوًا بهذه الجمعيّة، حتّى ذلك الوقت كان كلّ أعضاء هذه الجمعية من الأطبّاء الأجانب، لم يكُنْ هناك أحدٌ من الأتراك تقريبًا.

عملي كطبيب حُرّ[1]

ثمّ أخذتُ في العمل طبيبًا حرًّا، كنتُ أكسبُ كثيرًا في العامين الأوّلَين أثناء عملي مساعدًا في المستشفى، كنتُ أخجلُ من النّظر بدقّة إلى وجوه النساء المريضات، كنتُ أضغطُ خفيفًا بقدْر الإمكان أثناءَ استماعي إلى دقّات قلوبِهنّ أثناء الكشف الطبّي عليهن.

الطبيبُ والشّرف:

عالجتُ ابنَ عائلةٍ كبيرة غنية، نجحتُ في علاجه، ملئوا يديّ بالذهب، وبالتالي حزتُ ثقةَ هذه الأسرة فأصبحتُ طبيبهم، وبالتّالي كنتُ آخُذ منهم أُجْرة جيدة.

كانت الزّوجة في الأسرة شابّة جميلة مثقفة وذكيّة، وكان زوجها قبيحَ الشّكل جاهلًا، وغالبًا كانت الزّوجةُ تنفر من زَوْجها، سمعتُ أنّها تمدحني في كلّ مكان تذهب إليه، وبالتّالي كان زبائني يكثُرون، صارتْ ترمقني بنظراتٍ ذات مغزى، تجاهلتُ نظراتها، وذاتَ مرّة استدعتْني هذه الأسرة فذهبتُ، دخلتُ الحجرة، نزعتُ سيفي ووضعتُه جانبًا.

جاءتِ السّيدة والأولاد وبعض الجواري، أمرتْني بالكشف على بعض هؤلاء، نفذتُ أمرها، ثمّ كتبتُ الرّوشتات، ثمّ قالت السّيدة للجميع: «هيّا اذهبوا»!، ثمّ أغلقتْ الباب خلفَهم، ثمّ جاءت وجلستْ بجانبي، تغيّر

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 532، 7 شعبان 1401هـ الموافق 9 يونيو 1981م.

وضعها!، وساءتْ حالتي، ودخلتُ في صراع مع نفسي، أنا شابٌ، والنّار تشتعلُ في نفسي، لكنّي فكّرتُ جيدًا، وضعتُ نصبَ عيني الشّرفَ والعفّة تجاه المرضى، والمهنة، والواجب.

واتّخذتُ قراري سريعًا، نهضتُ وابتعدتُ، وجلستُ على مقعد بعيد. وفجأة غضبتْ السّيدة، وعبسَ وجهُها، وقدحتْ عيناها شرارًا، نظرتْ إليّ نظرة حادة ممتلئة بالاحتقار، خرجتْ السيدة بعد أنْ أغلقتْ الباب بشدّة؛ وكأنّها تضربه في وجهي!، ثمّ خرجتُ من هذا المكان.

وكان الخروجُ هو الخروج!، إذْلم تستدعني هذه الأسرة مرّة أخرى، وتحوّل مديح هذه السّيدة إلى ذم، بل وإلى اتّهامي بالجهل!. وذاتَ مرّة راودتْني عن نفسي زوجةُ صديق لي، فرفضتُ، فاشتكتْ لزوجها أني اعتديتُ عليها!!.

نصفُ شرفي يضيع:

كانتْ هذه الأحداثُ بالنّسبة لي بمثابة دروسٍ عظيمة، وأخيرًا طبقتُ المبدأ التالي في حياتي:

الطّلب ممّن لا يطلب عدمَ شرف بالنّسبة للطبيب، ولا بدّ من الموافقة والقبول في حالةِ الطلب؛ لأنّ هذا شيء ضروري، طبقتُ هذا المبدأ في حياتي مِن بعد، فانتهى نصفُ شرفي.

ثمّ أصبحتُ «معاون معلّم» للأمراض الدّاخلية في المدرسة الطبّية، كان المعلم يلقي دروسَه، وكنتُ أستمعُ إليه مثل الطلبة، فقد كنتُ أجلسُ بجواره، وفي العام التالي لهذا قمتُ بتدريس جهاز التنفّس، وسعدتُ بهذا كثيرًا. حياتي في الطبّ استمرّتْ من عام ١٣١٧ حتّى عام 1324 رومي [من 1911 إلى 1917م].

عهدُ الاشْتغال بالسّياسة (افتتاح مجلس المبعوثان):

كنتُ أسكنُ في حيٍّ (مقرى كوى) بإستانبول، كنّا نسكن هناك مع أمر الله أفندي[1]، الذي صار- بعد ذلك- وزيرًا للمعارف، ومع سعيد أفندي، وعبد الحق بك مدير مدرسة الحقوق، كنّا نجتمع في الأمْسيات لمناقشة مشاكلنا ومشاكل الأمّة والدولة، كنّا بمثابة خليّة، وكانت منطقة الروملي[2] تغلي في ذلك الوقت أيضًا، وكانت تدُور محادثات دوليّة، وفي هذه المباحثات كانت مسألةُ تقسيم تُركيا تحتلُّ مكانة في هذه المحادثات.

ذاتَ يوم، بينما أنا في المنْزل أخذتُ أقرأ في الجريدة، فشدَّ انتباهي خبرٌ صغير منشورٌ بطريقة مهمَلة، كان نصُّه: «صدرت الإرادة السّنية[3] بافتتاح مجلس المبعوثان». إنَّ خبرًا مثلَ هذا الخبر كان يجبُ أن يكون في الصّفحة الأولى. فكّرتُ سريعًا، قلت لنفسي: «إنّ هذه لعبة!».

ضغطوا على عبد الحميد، فاضطرّ لنشر هذا الإعلان، وسيلعب بهذا، ثمّ سيحدث ما حدثَ للمجلس السّابق، وسيُعلّق على الرّف!، لا بدّ من فرض الأمر الواقع، والعمل على تثبيت دعائم المشْروطية، لا بدّ من إثارة الشّعب وإطلاقه إلى الشوارع، وبهذا الشّكل سيخافُ عبدُ الحميد، ولا يستطيع التراجعَ عن قراره بافتتاح مجلس المبعوثان.

---

(1) أمر الله أفندي (1858-1914م): وزير المعارف، تولّى نظارة المعارف مرّتين، مرّة في حكومة الصّدر الأعظم إبراهيم حقي باشا بين سنتي 1910 و1912م، ومرّة أخرى في حكومة محمد سعيد باشا 1914م.

انظر، أحمد صدقي شقيرات: مؤسسة شيوخ الإسلام، جـ2، ص 388.

(2) (الجزء الأوروبي من الدولة العثمانية) المترجم.

(3) هي الإرادة السلطانية، سبق تعريفها.

تحريضي طلابي على الثورة ضد عبد الحميد:

قلتُ لأصحابي: «سأذهبُ بنفسي إلى الطّبية لأثير طلّابها»، واستحسن أصحابي وجيراني الفكرة، وقالوا: «في هذا خير». أثرتُ الطّلاب، وخرجْنا في مظاهرة، أخذنا معَنا بعض الأهالي، حملني بعضُهم على أكتافِه، سألني المتظاهرون: «إلى أين؟»، قلتُ لهم: «إلى السّفارة الإنكليزية»، كنت أظنّ أنّ إنكلترا ستساعدنا وتضغط على السّلطان عبد الحميد فيعلنُ المشروطية، وأعددتُ خُطبة لألقيها.

إعجابي بإنكلترا:

أخذتُ أُلقي الخطبة في جموع طلّابي المُحتشدين أمام السّفارة الإنكليزية، أخذ لساني يلهجُ بالدّعاء لإنكلترا، وأخذتُ أثني على الصّداقة الإنكليزية التركية.

كنتُ أقول: «فلتملأ أساطيل إنكلترا كلّ بحار العالم، لتتقدّمْ إنكلترا بالعمل، فلْتؤيّدْ إنكلترا الأتراك في محاولة نيلهم حريّتهم (من السّلطان عبد الحميد)».

قرأتُ هذه الخطبة، ثمّ سلّمتُها إلى السّفارة الإنكليزية بإستانبول. كنت في ذلك الوقت في الثّلاثين من عمري. كنتُ طبيبًا، وكنتُ أستاذًا (بروفيسورًا)!، ولكني كنت غافلًا!!.

ألمانيا وفرنسا مسرورتان بمُظاهَرتنا ضدّ عبد الحميد:

أُحيطتْ السّفارتان الألمانية والفرنسية في إستانبول خبرًا بمُظاهَرتنا، فأرسلتْ كلّ من السّفارتين إلينا أثناءَ التّظاهر بأنْ نذهب بجمهرتنا إلى كلّ واحدةٍ منهما، رفضتُ أنا هذا، التقطتْ جريدةٌ ألمانية صورتين لمظاهرتنا هذه، ونشرتْهما، أرسلوهما إليّ أيضًا، انتابني الفرح لذلك.

عبدُ الحميد يستطيع القضاءَ علينا، ولم يفعل:

كنتُ أفكِّر وأنا خائف، غالبًا كنتُ مجنونًا!، كانت هذه ثورة، ولو عزم عبد الحميد وأرسلَ إلينا مفرزةً عسكرية لانْقضى الأمرُ وانتهينا، خاصّةً أنّه لم يكُن في يد أحد منّا أيُّ نوع من الأسلحة، كنّا سنموت لا محالة، لكنّ عبد الحميد لم يفعل.

أهلُ سينوب يرشّحونني للبرلمان:

أرادَ أهلُ بلدي سينوب ترشيحي لعُضوية مجلس المبعوثان، فأرسلوا إليَّ خطابات بهذا الشّأن، لم أهتمّ بذلك كثيرًا. قلتُ: «إنّ هؤلاء النّاس جهلة، هل من المعقول أنّي أصلح عضوًا بالبرلمان؟»، إنّ هذا عمل محترم، ويحتاج إلى معلومات سياسيّة ضخمة، ولكنّهم أصرُّوا، وكان لا بدّ لي أنْ أختار شخصًا آخرَ معي عن منطقتنا (سينوب) في البرلمان، كان إمامُنا الشّيخ حسن فهمي مفتي سينوب، وكان الأهالي يتحدثون عنه بخير، وتمّ الأمر وأنا في سينوب.

الشّيخ حسن فهمي زميلي في البرلمان:

وكان علينا- أنا والشّيخ حسن فهمي- أن نعُود إلى إستانبول، (ونظرًا لأنه شيخ) فلم تستطعْ جمعية الاتّحاد والترقي (وهي القابضة على زمام الأمور) أنْ تهضم بأيِّ شكلٍ من الأشكال عضويّة الشيخ للبرلمان. اقترح الاتّحاديون عليه أنْ يستقيل، ولم يستقِلْ، لم يكُن يودُّ تركَ عضوية البرلمان، في هذه المرّة أرسل له الاتحاديون يقولون له إنّه بمجرّد وصولك إلى استانبول سنأخذك من السّفينة ونُلقي بك في البحر، فخاف واحتمى بي، فطمأنتُه.

الشيخ ينضمُّ إلى الماسونية[1]:

وصلْنا استانبول خلالَ اليومين أو الثّلاثة الأولى من وصولنا، كان الشيخ حسن فهمي يهتمّ بي ويسأل عنّي ويتّصل بي، ثمّ اختفى. علمتُ بعد

(1) الماسونية: تعدّدت الآراء حول معنى الماسونية، فبعضهم رأى أنّها اصطلاح يعني شعار الماسونية: (حرية- مساواة- إخاء- تعاون)، وبعضهم يرى أنّها تعني (القوّة الخفية)، وآخرون يرونَ بهذا الاسم رمزًا لأسماء مؤسّسيها. ويكاد الباحثون يجمعون على أنها هي جمعية البنّائين الأحرار، التي وجدت منذ أقدم العصور في مصر واليونان وفلسطين.
واصطلاحًا: تُعرف الماسونية بأنّها مجموعة من التعاليم الأخلاقية والمنظمات الأخوية السرية التي تمارس هذه التّعاليم، والتي تضمّ البنّائين الأحرار والبنائين المقبولين أو المنتسبين.
وتشكّل المحافل اتّحادات تدين بالولاء والطّاعة لأحد المحافل الكبرى، ففي فرنسا، على سبيل المثال، خمسة محافل رئيسية كبرى، وهي: محفل الشّرق الكبير، ومحفل فرنسا الكبير، والمحفل الوطني الفرنسي الكبير، والاتّحاد الفرنسي للحقوق الإنسانية، ومحفل فرنسا الكبير للنساء.
فالماسونية جمعيّة سريّة يهودية مرّت بمراحل عديدة تهمّنا منها مرحلة القرن الثامن عشر الذي شهد أوّل تأسيس منظّم على يد اليهودي (أحيرام أبيود) وضمّت إليها (هيردوس الثاني) عدو المسيحية في ذلك الوقت، وعقدت أوّل اجتماع لها عام 1743م.
وتعدّدت أوكار الماسونية في كلّ مكان من أوروبّا باسم (الماسونية الزرقاء). وفي عام 1770م اتّصل عددٌ من اليهود المرابين (بآدم وايزهاويت) وكلفوه بمراجعة بروتوكولات حكماء صهيون القديمة، وإعادة تنظيمها على أسس حديثة لتخدم عقيدة الإلحاد. ثمّ قام وايزهاويت بدعم من حكماء صهيون بتنظيم المحفل المكلّف بقيادتها الذي كانت الخطوة التالية له تأسيس المحفل الماسوني، والذي عرف باسم محفل الشّرق الأكبر، وأصبح يستقطب كلّ الجمعيات الماسونية القديمة في العالم، ويسيّرها إلى وجهة جديدة تخدم اليهود وأغراضهم وأحلامهم بتحقيق وطن قوميّ لهم، ثمّ صيانة هذا الوطن.
وفي القرن التّاسع عشر والنّصف الأوّل من القرن العشرين الذي حدث فيه تطور للنفوذ اليهودي وتغلغل لسلطان اليهود عن طريق الماسونية في جميع الحكومات الأوروبية والأمريكية.
ثمّ بدأت اليهوديّة العالمية بمدّ الجمعيات الماسونية برجال الفكر والدهاء والمكر، فيلبسون لكلّ عصر لبوسَه الملائم. بل لهم طرقٌ في خداع الشّعوب إذا لمسوا فيهم الإحساس بخطر الماسونية؛ لأنّ غاية الماسونية تأسيسُ جمهوريات علمانية، تتّخذ الوصولية والنفعيّة أساسًا لاتّحادها. كما جاء في قرار المؤتمر الماسوني المنعقد في باريس عام 1900م.
وأهمّ النوادي الماسونية (الرّوتاري- والليونز- والكوابي- والإكستشنج) وغيرها.
انظر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، مادة (الماسونية).

ذلك أنه اتّصل بالاتّحاديين، وتقرّب إليهم وأخذَ يتواءم معهم، مع أنّه كان قد أقسم على القرآن ونحن في سينوب أنْ لا يتعاون معهم أبدًا!، لم يوفْ بكلمتِه لأهالي سينوب (الذين كانوا يكرهون الاتّحاديين).

ولكنّه- والحقّ يُقال- ظلَّ مخلصًا في كلمته للاتّحاديين إلى آخِر يوم سقط فيه الاتّحاديون!، والسببُ في ذلك أنّ الاتّحاديين يملكون النّقود والمناصب!. أصبح الشّيخ ماسونيًّا!، ووصلَ الأمر به أنْ سأله غالب بك، وهو من كبار العسكريّين الاتّحاديين ومدير الأمن العام، سأل الشّيخ في أحد اجتماعات المحفل الماسوني الذي كان ينتمي إليه الاثنان: «هل الله موجود؟»، وفورًا كان جواب الشيخ: «لا»!!!!.

علمَ أهل سينوب بأمر الشّيخ، فأرغوا وأزبدوا، وأطلقوا على الشّيخ أسماء، منها «الشّيخ الأحمر»!، و«العالم الكافر»!.

وكان الشّعبُ في ذلك الوقت شديدَ التّدين، كان الجامع الكبير في سينوب يمتلئ عن آخره بالمصلّين، وفي الأيّام العادية كانت الجماعة بشكل صفّين طويلين، وأمّا الآن فلم يبقَ من الجماعة أدنى أثر.

كيف كان الأتراكُ يفهمون الماسونية؟

كانتِ الماسونيّة تعني- عند الأتراك- الإلحاد والكفر، وكان الشّعب يحمل للماسونيين اشمئزازًا عامًّا وحقدًا كبيرًا، وكانت الحكومةُ في عهد عبد الحميد ضدّ الماسونيّين، وإنْ كان في (آخِر) هذا العهد بعضُ محافل ماسونيّة في استانبول؛ إلّا أنّها كانت مكوّنة من الأجانبِ والأروام واليهود والأرمن، لم يكُن فيها من الأتراك إلّا قليلًا، نجحتْ هذه المحافلُ في تلك الأوقات في

ضمّ السّلطان مراد الخامس إلى صفوف الماسونية! [1]، ومازال باسمه حتّى الآن محفل ماسوني باستانبول!.

وكان طلعت ورحمي وزملاؤهما (من زعماء الاتّحاديين) قد انضمّوا إلى المحافل الماسونية ذات التّبعية الإيطالية، والموجودة في مدينة سلانيك[2]، وكان مرشدُ هؤلاء جميعهم هو اليهوديّ قراصو، نشرَ هؤلاء الماسونية بين

(1) السّلطان مراد الخامس: وقد تولّى عرشَ الدّولة العثمانية هو في السّادسة والثلاثين من عُمره، عقبَ خلع عمّه السّلطان عبد العزيز، ولم يحكمْ سوى ثلاثة أشهر، ثمّ خلع لاضطرابِ عقله، عرف السّلطان مراد الخامس بماسونيّته، فقد استطاع ولي عهد إنجلترا أن يضمّه للمحفل الماسوني، وكان على صلةٍ بكلّ من نامق كمال، وضيا باشا، ومدحت باشا، وهُم من جماعة تركيا الفتاة، وكانوا جميعًا من الماسون، وكان يعلم مُسبقًا بمؤامرة خلع عمّه «عبد العزيز»، لكنّه فوجئ بتنفيذها قبل موعدها، فظن أنّ عمّه علم بتآمره عليه، وأنّه سيقتله، فاختلّ شعوره من شدّة الخوف.
انظر، ماجدة مخلوف: تحولات الفكر والسياسة، ص 69.

(2) سلانيك: تقع ولاية سلانيك في الطّرف الغربي من ولاية تراقيا، بين بحر آطه، ومتشكّلة بين أراضي مقدونيا شرقًا وأدرنه، وغربًا ولاية مناستر، وشمالًا ولاية قوصووه بلغارستان، وشمالًا ولاية قوصووه بلغارستان، والشّمال الشرقي روم ايلي الشرقي، وجنوبًا بحر اطه، والمضيق المشكّل منه محاطة ومحدودة بهذه المذكورات. مساحتها السطحية (41،000) كيلو مترًا مربّعًا. نفوسها (699206). في داخل الولاية توجد الخطوط الحديدية في مركز سلانيك، يذهب إلى شمال غرب، ويدخل في ولاية قوصووه.
المنتجات الصّناعية: يصنع في سلانيك: الحوليات، ومناشف وأقمشة فرش، وسجاد، ومفروشات، وجوارب، وسختيان، ونعل، وجلد، ونحاس، وتنج، وخاف، وجرل وقطنيات، وطفوقة حام من قطن وحرير، وأعمال الدباغة، وتخرج هذه المنتجات إلى دار السعادة، وإلى اليونان، وفي دلامه يصنع في السّنة (200) ألف جراب، وألف أوقية نغل تخرج في السنة إلى بلاد مختلفة.
ومن محصولاتها الزّراعية: فيها من جميع الحبوب المعلومة، ومن الفواكه المعروفة فواكه كثيرة. وفي الولاية (284) مزرعة، وهي ولاية غنية بالمراعي، والأغنام. وفيها من جميع أنواع الأنعام والحيوانات الأهلية والوحشية.
انظر، أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: جغرافية الممالك العثمانية، ص 44-45.

أفراد المجتمع، وأمّا رؤساء الجمعيّة في مناستر فقد نَشروا الملامتية[1]، وكان رئيسُهم ميرالاي صادق[2].

---

(1) الملامية البيرامية: طريقة صوفية بدأت مع عمر دده (ت 1475م) الذي خلف حاجي بيرام ولي (ت1429م)، وهي الطريقة التي عُرفت بعد النصف الثاني من القرن السادس عشر باسم الحمزاوية. وكانت الملامية قد ظهرت لأوّل مرّة في خراسان في القرن التاسع الميلادي، ثمّ انتشرتْ بشكلٍ واضح بين الطبقة المتوسطة والتجار وأرباب الحرف بوجه خاص، وقامت على ملامة النفس وتحقيرها إزاء القدرة الإلهية، ووُلدت الملامية كردّ فعلٍ للتصوّف الذي يعتمد على حياة الزهد والرياضة الشاقة والتمسّك الشّديد بالقواعد الأخلاقية؛ فضلًا عن التأثر القوي بالحروفية. وبدأت الدّولة- ولا سيّما ابتداءً من أوائل القرن السادس عشر- في تعقّبهم بالشكّ والريبة.

وتكشف ترجمات كبار المشايخ فيها أنّهم كانوا يوجّهون انتقادات حادّة للحكم والنظام الاجتماعي في تلك الفترة، وأنّ هذه الانتقادات أخذت تلقى قبولًا بين الأهالي. وهذا هو قطبها المجهز لرسالة مزدوجة دينية وسياسية، تعثر عليه في شخص إسماعيل معشوقي؛ وتذكر المصادر التاريخية أنّ إسماعيل معشوقي دفع العوامّ إلى الفتنة بسعيه إلى نشر الزندقة والإلحاد بين الناس في استانبول، فتمّ القبض عليه مع اثني عشر من مريديه؛ ثمّ سيقَ إلى المحكمة، وبفتوى من شيخ الإسلام ابن كمال باشا قطعت رأسه عام 1539م.

انظر، أكمل الدين أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، 2/ 201.

(2) كولونيل صادق بك (1860-1940م): تخرج من الأكاديمية العسكرية سنة 1882 ودرس فيها، وفي سنة 1907 قاد خليّة الاتحاد والترقي في حامية مناستر، ولعب دورًا رئيسيًا في ثورة 1909، إلّا أنّه اختلف مع قادة اللجنة بعد ذلك، وأسس حزب الحرية والتفاهم مع مجموعة من الضّباط المخلصين الذين أخرجوا لجنة الاتحاد والترقي من السلطة سنة 1912، لكنّه اضطرّ إلى مغادرة البلاد بعد انقلاب الاتحاديين 1913، وعاش أوّلًا في باريس، ثمّ في القاهرة، عاد إلى تركيا بعد توقيع الهدنة، وفي سنة 1923 تمّ إبعاده عن تركيا ضمن 150 شخص غير مرغوب فيهم، وعاش لمدّة 22 عامًا في رومانيا رافضًا العفوَ من حكومة أنقرة، ولم يعدْ إلى تركيا إلّا بعد تبرئته، وتوفّي ليلة عودته إلى تركيا، وهو صوفي متشدّد وعضو في الطريقة الخلوتية.

إريك زوركر: تاريخ تركيا الحديث، ص 525.

تعميمُ المحافل الماسونيّة بمجرّد إسقاط نفوذ عبد الحميد:

بمجرّد إعلان المشروطيّة (بعد الضّغط على عبد الحميد) جاء كلّ من رحمي وطلعت إلى استانبول، وفورًا أخذا في افتتاح المحافل الماسونية، سجّلوا كثيرًا من الأتراك في هذه المحافل، كان كثيرٌ من هؤلاء من اليهود الدّونمة، وأصبح معنى جمعيّة الاتّحاد والترقي يساوي بالضّبط معنى «المحفل الماسوني»، واستخدم الاتّحاديون المحافلَ الماسونية لتقوية قبضتهم على شئون الدولة.

نيازي وأنور:

تحرّرتِ الصّحافة والمطبوعات من الرّقابة، وأصبح اسم كلّ من نيازي[1] وأنور[2] (من الاتّحاديين) على كلّ الأفواه، وكان النّاسُ يصيحون قائلين:

---

(1) نيازي (1873-1914م): هو نيازي بك الرّسنة لي. لقّبه الاتّحاديون بلقب بطل الحريّة لأنّه أوّل من تمرّد عسكريًا على السّلطان عبد الحميد وتحت إمرته 200 شخصًا.
وُلِدَ في رسنة (وهي الآن في ألبانيا). اشترك في الحرب العثمانية اليونانية عام 1897م فأظهر بطولة عسكرية. حارب المتمرّدين البلغار ثلاث سنوات. تأثّر بأفكار نامق كمال وأدباء عهد التّنظيمات فيما يتعلّق بالفكر السياسي، فكان من بين أوّل مَن انضمّ للاتحاد والترقّي.. وعندما قرّرت المجموعات العسكرية التابعة لجمعية «الاتحاد والترقّي» التحرّك ضدّ السّلطان عبد الحميد كان هو أوّلَ مَن استجاب للأمر بكتيبة رسنة التي يرأسها.
لم تكنْ له رغبةٌ في منصب ولا شهرة بعد نجاح الجمعيّة في انقلابها. اعتكف في مزرعته في بلدته. توفّي قتلاً بسبب شخصيٍّ وعمره 39 سنة.
انظر: محمد حرب: مذكرات السلطان عبد الحميد، ص 287-288.

(2) أنور باشا (1881-1922م): من قادة «الاتحاد والترقّي». كان وزير الحربية في الدّولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى عام 1914م مُعجب بالعسكرية الألمانية. ومن دعاة الطّورانية- وحدة أتراك العالم في دولة- تسبّبَ في هزيمة الدّولة في الحرب الأولى.
يتمتّع بشجاعة فائقة. لم يكن ماسونيًا، وبذلك كان متميزًا على زميليه طلعت وجمال، وهم يشكّلون ثلاثي جمعية «الاتحاد والترقّي»، وأشهرُ أعلام هذه الجمعية. تأثّر بأفكار الكاتب اليهودي العثماني مونيز كوهين في الدعوة إلى القومية التركية الشاملة (الطورانية).
انظر: محمد حرب: مذكرات السلطان عبد الحميد، ص 273.

«يحيا نيازي، يحيا أنور!». أصبحا بطلَيْن قوميَّين، نُسجتْ حولَهما الأساطير. كانا قد صعِدا إلى الجبل، لكنّ أنور لم يصعدْ إلى الجبل، اختبأ في مكانٍ بعد أن لبس ملابسَ النساء خوفًا من أنْ تقبض الحكومة عليه، كان كلّ من هذين الرجُلين (الاتحاديَّين نيازي وأنور) محدودَي الذكاء.

نيازي صعدَ حقيقة إلى الجبل (لإعلان تمرّده ومواصلته ضدَّ حُكم عبد الحميد)، ولكنْ ما أسهل أن يكُون الإنسان- أحيانًا- بطلًا قوميًّا، إنّها مسألة حظّ. وقد اغتال الأرناؤوطيّون(الألبانيون) نيازي في ألبانيا، وعلى كلّ حال فإنّ نيازي أظهر بطولة عندما صعدَ إلى الجبل ليقاوم سُلطة عبد الحميد.

فريد باشا وعداؤه للاتّحاديين:

كان الصّدرُ الأعظم[1]- في بعض أوقات عهد عبد الحميد- هو فريد باشا[2]، وكنتُ أعرفُه جيدًا، كان أرناؤوطيًّا (ألبانيًا)، تعرّفتُ به في المراحل

(1) الصّدر الأعظم: هو الرئيس الحقيقي للعاملين في الدولة العثمانية، وهو الموظّف الأوّل للدّولة، وأطلق على الصدر الأعظم في الأدوار الأولى اسم «وزير أعظم» كذلك، هو رئيس وزراء، لكنّ صلاحياته بالنسبة لرؤساء وزارات اليوم، كانت أوسع بدرجة ليست قليلة. كان الصدرُ الأعظم، هو الوكيلَ المخوّل للسّلطان؛ ليس من السهل تصوّر شيء خارج صلاحياته، الحقيقة أنّه ليس بإمكانه تغيير أحكام القاضي.
كانت له صلاحية التدخّل في كلّ عمل أيًا كان ذا علاقة بالدولة، أو لم يكن، عدا المحاكم، عند قيام الصّدر الأعظم بنفسه بواجب القائد العام على رأس الجيش في الحملات والحروب، يمنح لقب «سردار أكرم» أي القائد الأعلى، وتزداد صلاحياته، بلغ إجمالي عدد الصّدور العظام كأشخاص 217.
انظر، يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية 2/ 334.

(2) الصدر الأعظم الدّاماد فريد باشا: وهو من صدور العهد الأخير للدولة العثمانية، أرناؤوطي (ألباني) الأصل، تولّى الصّدارة العظمى وشكل الحكومة خمس مرات في عهد السّلطان محمد وحيد الدين بين عامي 1919 و1920م، منها ثلاث حكومات متتالية، وكان الصدر الأعظم قبل الأخير في الدولة العثمانية.
انظر، أحمد صدقي شقيرات: مؤسسة شيوخ الإسلام، جـ2، ص 465-466.

الأولى من البرلمان، وكان ضدّ الاتّحاديين، كما كان يبدو أنّه يحبّني، عندما يصادفني يستوقفني ليشتمَ الاتّحاديين.

وكان أحيانًا يحاول أنْ يلقي إليَّ بعضَ أفكاره بطريق غير مباشر، وكان لسانه قذرًا، دعاني ذاتَ يوم إلى منزله، في ذلك الوقت أرادَ الاتّحاديون الاستيلاء على منزله ومصادرته، لم يكُنْ منزلًا؛ بل كان قصرًا فخمًا، وفريد باشا بخيل جدًّا، ولا بدّ من عمل شيء ضدّ الاتّحاديين، فأخذ يحرّضني على هذا.

وذاتَ يوم قلت له: «يا باشا، يمكن بالفعل القيامُ بشيء ضدّهم، لكن أعمالًا كهذه تتوقّف على المال، تعهّد سعادتكم بهذا». وبمجرّد أن قلتُ له هذا ضغط على يدي مصافحًا!!، وتركني وذهب، ومنذ ذلك الوقت أصبح - كلّما رآني - يتجاهلني!!.

الاتّحاديون في السُلطة يتنكّرون لكلّ مَن ساعدهم:

اتّخذ الاتّحاديون من منزلٍ في شارع شرف باستانبول «مركزًا عامًّا» لجمعيتهم، تولّى الاتّحاديون الحُكم، وسرعانَ ما أداروا ظهورهم لكثيرٍ من الرجال الذين عملوا كثيرًا ولمدّة سنوات طوالَ ضدّ عبد الحميد، وأصبحَ كلّ شيء في الدّولة في أيدي مجموعة من الملازمين أعضاء الاتّحاد والترقي.

الاتّحاديون يشترون ضميرَ صحافي اشتراكي:

أصدرَ حسين جاهد[1] - وهو صحفي ماسوني اشتراكي -، هو وبعض

(1) حسين جاهد (1874-1957م): رجل أدب وسياسة. عضو جمعية «الاتّحاد والترقّي». أصدرَ جريدة «طنين» النّاطقة باسم هذه الجمعية أثناء سيطرتها على الحكم. عمل نائبًا لرئيس مجلس «المبعوثان» وكان عضوًا فيه. بعد هزيمة الدّولة العثمانية بقيادة «الاتّحاد والترقّي» في الحرب العالمية الأولى، نُفي حسين جاهد إلى جزيرة مالطة. عند عودته أعاد إصدار جريدة «طنين». كان عضوًا في حزب الشّعب الذي أسّسه ورأسه أتاتورك. انظر، محمد حرب: مذكرات السلطان عبد الحميد، ص 274.

أصحابه جريدةً باسم (طنين)، بدأ جاهدُ يكتب المقالاتِ قبل الاتّحادين، وأخيرًا اشترتْه الجمعيّةُ بدفع مبلغ ضخم اشترتْ به الجريدة.

الجراكسة والألبانُ والعربُ في أعقاب الاتّحاديين:

في نفس الشّارع الذي افتتح فيه الاتحاديُّون مركزُهم العام قام الجراكسة بافتتاح المُنتدى الجركسي، وبعد مدّةٍ أخرى قام العربُ بافتتاح جمعية خيرية لهم. ثمّ قام الألبانيّون بطلب استقلالهم عن الدّولة العثمانية، وبالفعل استقلَّتْ ألبانيا. ومازال حكّام ألبانيا- حتّى كتابة هذه المذكّرات- من هؤلاء الذين تعلّموا في مدارسنا، كما أن حكّام ألبانيا الذين عملوا على استقلال بلغاريا عنا، هُم هؤلاء الذين تعلموا في مدارسنا. وأمّا استقلالُ العرب فقد عمل له الشّباب العرب الذين درسوا في مدارسنا.

أوروبا تهدأ بعد إضعافِ عبد الحميد:

قامَ الحُكم المشْروطي عندنا، فهدأتْ أوروبا، واستراح الأوروبّيون. وكان في أوروبا وفي مصر- وخاصّة في باريس- مجموعةٌ من الشباب سُميتْ باسم (تركيا الفتاة). وكان هؤلاء يصْدِرون منشورات ضدّ عبد الحميد، لكنهم على الأثر كانوا ينتقدون بعضَهم البعض بدافعٍ من التّنافس والمنفعة الشخصية.

أحمد رضا وعداؤه لعبد الحميد:

أصبحَ هؤلاء الشّباب على مجموعتين؛ الأولى ويرأسها أحمد رضا، والأخرى مجموعة ميزانجي مراد[1]، وكان الأمير صباح الدين- صاحب مبدأ المركزية-

---

(1) المقصود هو مراد بك، أمّا (ميزانجي) فهو لقبه الذي أطلق عليه بعد افتتاحه لجريدته (الميزان).

ضدّ أحمد رضا، وكان الأمير صباح الدين هو الذي يدير المجموعةَ الثانية. كان هؤلاء ينسون أحيانًا عداءهم لعبد الحميد، ويشتغلون بمهاجة بعضِهم البعض على صفحات الجرائد، وأمّا الدكتور إسحق سكوتي[1] فقد كان أهمّ عنصر فعّال أمام أحمد رضا، إنّي أتذكّر إسحق سكوتي جيدًا، كان طبيبًا، وهرب إلى أوروبا.

الاتّحاديون والبرلمان:

كوّن الاتّحاديون في مجلس المبعوثان فِرقةً، أو تكتُّلا يؤيّدهم، وكان أعضاء البرلمان- باستثناء ثلاثة أو خمسة أعضاء- مؤيّدين للجمعية، أو يدخُلون في إطار الحزب، ولكنّ هؤلاء البرلمانيّين المؤيّدين كانوا عديمي السُّلطة، وكان الاتّحاديون يضغطون على مجلس المبعوثان، فتصدُر القرارات لصالح الاتّحادين، الاتّحاديون يستنِدون على الجيش، هذه هي روحُ هذا النظام الذي يُسمى بالمشروطية[2].

الاتّحاديون وسياسةُ البطش:

بعدَ إعلان المشروطيّة- وهي النّظام السياسي الأوروبّي- قامت النمسا بضمّ منطقة البوسنة والهرسك[3] العثمانيّة إليها، نظّمتْ جمعية الاتّحاد والترقّي

(1) إسحاق سكوتي (1868-1902م): ولد في ديار بكر، ودرس الطب في الكلية الطبية العسكرية باستانبول، وكان من المؤسسين الأربعة الأوائل لجمعية الاتحاد والترقي سنة 1889م، نفي إلى جزيرة رودس، ومن هناك هرب إلى باريس، وساهم في إصدار جريدة (عثمانلي) سنة 1897م مع زميله عبد الله جودت.

انظر، قادر سليم شمو: موقف الكورد من حرب الاستقلال التركية، ص 24.

(2) أي الحكم الدستوري.

(3) انظر، محمد حرب: البوسنة والهرسك من الفتح إلى الكارثة، المركز المصري للدراسات العثمانية، القاهرة، ط 2، 1994م، ص 58-59.

المظاهرات عند ضياع البوسنة والهرسك منّا، كان كلّ أعضاء الجمعية البارزين جهلاء، مثال ذلك طلعت[1]، الذي لم يتعلّم أكثر من الرشدية (الإعدادية)!، وكان عاملًا بالبريد في سلانيك، وكان أكثر ضبّاط الجمعية من رتبة المُلازم، وتنقُصهم التّجربة. بدأ الحُكم المشروطيّ بالقوّة والبطش، وكانت هذه هي مُوضةَ العصر.

(1) طلعت باشا (1874-1921م): هو محمد طلعت، أحد الزعماء الثلاثة في جمعية «الاتّحاد والترقّي» العثمانية. عمل وزيرًا وصدرًا أعظم. أهمّ قادة «الاتّحاد والترقّي». يتمتع بذكاءٍ حادّ. يُنسب إلى عائلة محدودة الدّخل، محدود الثقافة والتعليم. اشتغل مدرسًا للغة التركية. استقال من منصب الصدارة العظمى (رياسة الوزراء) بعد استقالة سعيد حليم باشا منها على إثر احتجاجه على دخول الحرب دون علمه. استقالَ من منصب الصّدارة عام 1917م بعد حلّ جمعية «الاتّحاد والترقّي». هرب إلى أوروبا بعد هزيمة الدّولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى. اغتاله الأرمن في برلين في 16 مارس عام 1921م.

انظر، محمد حرب: مذكرات السلطان عبد الحميد، ص 276.

أثرُ جمعيّة الاتّحاد والترقي في الأخلاق[1]

كان نائل بك النائب البرلماني لمنطقة (سامسون) وزيرًا للمالية في حكومة الاتّحاديين، أرسلتْه الحكومة إلى أوروبّا بشأن إحدى المسائل الماليّة، عدتُ أنا بعد شهرٍ من هذا إلى بلدي سينوب، كلّ النّاس قالوا لي: «نائب سامسون ذهب إلى أوروبا، فعادَ كافرًا»، مكثتُ خارجَ البلاد مدّة طويلة، وعُدتُ بعد الحرب العالمية (1919) إلى تركيا، ثمّ زرت بلدي سينوب.

قلتُ لنفسي: «لقد تجاوزتُ نائل بك، وفُقتُه كثيرًا، وعشتُ مع زوجتي في بلاد الكفار (أوروبّا)، والآن سيرجُمني الأهالي بالأحجار!».

ذهبتُ وزوجتي إلى سينوب وأنا خائفٌ من الأهالي، فوجدتُ الأهالي يحتفلون بي احتفالًا عظيمًا، لم يقلْ لي أحد: «إنّك تلبس القبعة التي يلبسها الكفار»، ولم يقلْ لي أحد: «زوجتُك تخرجُ إلى الشّارع دون أن ترتدي الحجاب»!.

حدثَ هذا التّطور في التّفكير الشّعبي خلال مسيرة سنوات من حُكم الاتحاد والترقي، نفسُ هؤلاء الأهالي يلبسون القبّعة فوق رؤوسهم الآن.

وأكبرُ دليلٍ على هذا التغيُّر الذي طرأ على النّاس هو الجامع، كانت الجماعة المواظبة على الصّلاة في جامع علاء الدين في سينوب جماعة عظيمة، وأمّا الآن فلا جماعة تقريبًا في الجامع.

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 533، 13 شعبان 1401هـ الموافق 16 يونيو 1981م.

اليهودُ يسيطرون على جمعيّة الاتّحاد والترقي:

كنتُ خائفًا على الاتّحاديين لسرقاتهم واغتصاباتهم من ناحية، ولإفساحهم المجال لليهود من ناحيةٍ أخرى، وكان وضعُ المجلس على هذا الشّكل ليس لأيّ نائب برلماني رأي ولا قوّة، الآمِر الناهي في المجلس البرلماني ثلاثة أو أربعة أشخاص: جاويد[1] (من يهود الدّونمة)، وطلعت (ماسوني)، وقراصو (يهودي دونمة أيضًا)، وأخيرًا قرّرتُ الدّخول في معركة معهم، وكان هذا عملًا خطيرًا.

مقالتي هي الأولى ضدّ الاتّحاديين:

فكّرتُ كثيرًا، ثمّ كتبتُ مقالة ونشرتُها في (يني غزته) [2]، أوضحتُ فيها مدى استبداد الاتّحاد والترقي في مجلس المبعوثان، وقلتُ إنّه لا أحد من أعضائه يمتلك الإرادةَ الحرّة، قلتُ في مقالتي: «إنّ هذا ليس بمجلس، إنّه ماكينة بسيطة لا روح فيها تتحرّك، وعمود حركتها في يدِ رجال مثل طلعت، وجاويد، وجاهد ... وهؤلاء الرجال قد كوّنوا فيما بينهم شركة احتكارية».

(1) محمد جاويد (1875-1926م): ابن أحد التجار من يهود الدونمة من سالونيك، تخرج من أكاديمية الخدمة المدنيّة عام 1896م، درس الاقتصاد في الجامعة، عمل كمحاسب في عدة دوائر حكومية، ومديرًا لأحد المعاهد الخاصّة في سالونيك، من الأعضاء الأوائل في جمعية الحريّة العثمانية التي اندمجت لاحقًا مع جمعية الاتّحاد والترقي، انتخب بعد الثورة عضوًا في المبعوثان عن سالونيك، عين وزيرًا للماليّة عدّة مرات، كما عين مرّة واحدة وزيرًا للأشغال العامة، هربَ من البلاد سنة 1919، اشترك في محاولة إعادة لجنة الاتّحاد والترقي إلى العمل بعد حرب الاستقلال، تمّ إعدامه سنة 1926م لاشتراكه في ثورة أزمير، وهو صديق مقرب لحسن جاهد.
انظر، إريك زوركر: تاريخ تركيا الحديث، ص 512.

(2) أي: الصحيفة الجديدة.

وكان هذا المقالُ قنبلة؛ إذْ لم يكتب أحد؛ بل ولم يتكلّم أحد ضدّ الاتّحاديين حتى كتابتي لهذا المقال، وبهذا أكُون أوّلَ مَن رفعَ راية المعارَضة في وجه الجمعية لأوّل مرّة.

الاتّحاديون يهدّدونني بالقتل:

خرجتُ في يوم صُدور المقال إلى الشّارع، وإذا بي أرى بعض معارفي، وبدلًا من أن يُلقوا عليَّ التحية؛ إذا بهم يُديرون وجوهَهم بعيدًا عني، ولم يحدُث أن ألقى عليَّ أحد السّلام.

كلمتُ واحدًا منهم، فقال لي: «ما هذا الهذيان؟»

قلت له: «لماذا؟»

قال لي: «ما هذا الهذيان؟»

قلت: «لماذا؟»

قال لي: «هل يقول أحدٌ ما قلتَه أنت؟، وضدَّ مَن، ضدّ الجمعية المقدسة؟!».

واصلتُ طريقي إلى المجلس، الكلّ يتجنّبني، أصابني اليأس، قلتُ لنفسي: «ترى هل أخطأتُ؟، الجوّ العام ضدّي، معنى هذا أنّي أخطأتُ، فكرتُ ثانية، وجدتُ نفسي أنّني على حقّ، في ردْهة البرلمان رأني طلعت (باشا فيما بعد)، وكان وجهه مثل الطّين، فقد كان طلعت يبدو هكذا إذا غضب، عدّل مساره وتوجّه نحوي، ومالَ على أذني، وقال لي: «جهِّز كفنَك».

وكان هذا تهديدًا فظيعًا، هل الخوفُ لم يستول عليَّ؟!، لا، فقد خفتُ فعلًا؛ لدرجة أنّ هواجس صوّرتْ لي أنّ الاتّحاديين سيقتلونني فورَ خروجي من البرلمان، لم أعُد أخرجُ من البيت في مساءٍ ولا بليل، كذلك لم أستقبلْ أحدًا في بيتي، ومع ذلك فلم أتنازلْ عن أفكاري ولا حركاتي.

ثمّ إذا بالمقالات تتوالى ضدّ الاتّحاديين، معنى هذا أنّ كثيرًا من الناس ضدّ الجمعية كما صوّرتْ صُحف جديدة تعارضُ الجمعية، كان جاهد يكتب ضدّي، ويكتب يهاجمني في جريدة (طنين)، وأمّا صحفُ المعارضة فقدْ كالت لي المديح.

الجمعيةُ ترسل جركسيًا لقتلي:

كنتُ في سينوب، فأرسلتْ جمعية الاتّحاد والترّقي في أثري واحدًا من مجموعة الفدائيّين التّابعين لها، كان جركسيًّا، واسمه ممتاز، أصبح هذا الرجلُ فيما بعد برتبة ميرالاي[1]. أرادت الجمعيةُ أنْ تتّخذ من راسم بك رئيس البلدية في سينوب وسيلة لقتلي، ولكنّ الرّجل لم يقبل، رفض.. وأخبرني بذلك حتّى آخُذ حِذري، ولم يكتفِ بذلك، بل أرسل لي حارسًا ليقوم بحراستي.

لهذا السّبب نفسه أصبح المفتي الشّيخ حسن فهمي عدوًّا لراسم بك، الذي عانى -نتيجة شهامته هذه- من المشاكل لسنواتٍ طوال، كان خوفي من الاغتيال ماثلًا أمامي دائمًا، وعِشتُ في هذا الجوّ سنوات طويلة، ولم أغْدُ آمنًا دون أنْ أحمل مسدّسي، ولم أجِدِ الأمان والسّكينة إلّا عندما سكنتُ مصر أثناءَ الحرب العالميّة الأولى، ومن بعد مصر، يعني الآن ومنذُ ثلاث سنوات وفي باريس.

نورٌ على نور:

هذا وقد كان الاتّحاديون يرسلون ورائي المُخبرين دائمًا، كتبتُ مقالة في جريدة (إقدام)، كان لها دويٌّ عظيم، لدرجة أنّ مراسل جريدة التايمز

---

(1) مير آلاي: من «مير» مخفف أمير، و«آلاي» بمعنى الفرقة العسكرية. مصطلح كان يُطلق في العهد العثماني للدلالة على قائد الفرقة العسكرية.

انظر، حسان حلاق: المعجم الجامع في المصطلحات، ص 215.

أرسل هذه المقالة لجريدته بالتّلغراف، كلّفتْ ثلاثمائة جنيهًا إنكليزيًّا ذهبًا. وإذا بالصّحفي علي كمال -وهو أحدُ الصّحفيين والسّياسيين المشهورين في ذلك العهد- يكتب مقالة في مديحي بعنوان: (نور على نور).

وفي مجلس المبعوثان هدّدني رحمي السّلانيكي- وهو من مشاهير الاتّحاديين- بالموت، وأخذَ حُسين جاهد على صفحات الجرائد يجادلني حتّى سكت هو، وأمّا ما قلتُه في المقالة فقد تحقّق، وهو أنّ الدّولة ستغرق على يد الاتّحاديين.

وقد أزعجتْ هذه المقالة أعضاءَ جمعية الاتحاد والترقّي ومَن معهم، التقيتُ في هذه الأثناء بجواد بك السينوبلي[1]، وهو من أعضاء المحكمة في سرز، وكان قد وصل استانبول، قال لي جواد بك: «في سرز لجنة فدائيّة، قرّر أعضاؤها اغتيالك، ورئيسهم شكري بك[2] يصرّح بهذا علنًا».

شكري بك كان مديرًا للمعارف في منطقة سرز، ثمّ أصبح وزيرًا للمعارف، ثمّ قتله مصطفى كمال، ونظرًا لأنّي أدرك وخامة الأمر فقدْ كان وقع هذا الخبر الجديد-بالنّسبة لي- طبيعيًّا.

---

(1) نسبة إلى منطقة (سينوب) في تركيا.

(2) محمد شكري بك / شكرو سراج أوغلو (1887-1953م): تخرج من أكاديمية الخدمة الوطنية عام 1909، وعمل مدرسًا في المدارس الثانوية، ذهب إلى جنيف لدراسة العلوم السياسية أثناء الحرب العالمية الأولى، وأسّس هناك تنظيمًا طلّابيًّا بالتعاون مع محمود عزت بوزكورت، عادَ للوطن وحارب الجيش اليوناني في غرب الأناضول، وانتخب نائبًا عن إزمير، وعيّن وزيرًا للتّعليم عامي 1924-1925، ووزيرًا للماليّة أعوام 1927-1939، وبعدها وزيرًا للعدل، ثمّ للخارجية، وأخيرًا رئيسًا للوزراء 1942-1946.

انظر، إريك زوركر: تاريخ تركيا الحديث، ص 526.

الذين يصدرون قرارات الاغتيال:

كان في منطقة سرز لجنةٌ فدائيّة برئاسة شكري بك مدير المعارف هناك، وكانت هذه اللّجنة تابعة لجمعية الاتّحاد والترقي، مهمّتها تصفية أعداء الجمعية، وقتلتْ هذه الجمعيّة بالفعل رجالًا كثيرين في منطقة الروملي[1]».

حتّى ذلك الوقت كان أكثرُ هؤلاء الفدائيّين من الملازمين بالجيش من أمثال الملازم خليل[2]- عمّ أنور باشا وزير الحربية في عهد حكومة الاتّحاد والترقي-، والملازم أديب- أعدمه مصطفى كمال فيما بعد-، والملازم كاظم- وهو الذي أصبح رئيس مجلس الأمّة التّركي أثناء كتابة هذه المذكرات.

كان هؤلاء هُم المنفّذون لعمليات التّصفية الجسدية في أعداء ثورة الاتّحاد والترقي، وأمّا الذين يصدِرون قراراتِ الإعدام فهُم: طلعت، وأنور، والدكتور ناظم[3]، وبهاء

---

(1) (وهي المنطقة الأوروبية من الدولة العثمانية) المترجم.

(2) وكان خليل بك أيضًا من القادة المشاركين في الحرب العالمية الأولى ضمن القوات العثمانية في العراق، وممّن شاركوا في الانتصار الرائع الذي أحرز ضد القوات البريطانية في كوت العمارة.

(3) الدّكتور ناظم السلانيكي (1870- 1926م): رجل سياسة، وأحدُ مؤسّسي جمعية «الاتّحاد والترقّي». وُلد في سلانيك وتوفّي في أزمير. درس الطب في الدّولة العثمانية وأكمل دراستَه في فرنسا. وفي باريس، تعاون مع أحمد رضا بك رئيس جمعية «الاتّحاد والترقّي». وفي عام 1907م عاد الدكتور ناظم إلى سلانيك بناءً على دعوة من «الاتّحاد والترقّي» حيث قام بمهمّة ضابط الاتصال بين شعبتي الجمعية في كلّ من باريس وسلانيك. وكان له دورٌ واضح في الدّعاية لجمعية «الاتّحاد والترقّي» في الأناضول. وبعد نجاح الجمعية في حركتها ضدّ السّلطان عبد الحميد وإعلان المشروطيّة؛ لم يُعهد للدكتور ناظم بمنصب في الحكومة، ولذلك بقي في سلانيك كبير الأطباء في مستشفاها. كما ظلّ عضوًا دائمًا في اللجنة المركزية للاتّحاد والترقّي. وفي عام 1911م أصبح أمينًا عامًّا للجمعية، وفي عام 1918م عمل وزيرًا للمعارف، وفي عام 1926م أعدم بعد ظهور علاقته بمؤامرة ضدّ أتاتورك في أزمير.

انظر، محمد حرب: مذكرات السّلطان عبد الحميد، ص 286-287.

الدّين شاكر[1].

الغريب أنّ هؤلاء قد ماتا بعد ذلك مقتولين، يقول المثل التُّركي:« قلّة الماء تنكسر في طريق الماء»، وهذا مضبوط.

عهدُ تحكُّم جمعية الاتّحاد والترقي، الاتحاديّون واستعراضهم الأحمق لقوّتهم:

اقترحَ عليَّ بعضُ معارفي دخول جمعية الاتّحاد من جديد قائلًا لي: «كان ينبغي ألّا تخرُج من الجمعيّة؛ لأنّ فتح القلعة إنّما يكُون مِن داخلها، ساعتَها كان يمكن أن تعدِّل أمورًا كثيرًا». قال لي مِثل هذا القول كثيرون، مرّة عندما خرجتُ من حزب الحريّة والائتلاف[2]، ومرّة أخرى عندما ابتعدتُ عن

---

(1) بهاء الدين شاكر (1877–1922م): طبيب، عمل مع أحمد رضا والدكتور ناظم في باريس على إنعاش لجنة الاتّحاد والترقي، وكان محرّرًا لصحيفة الحزب (شورى أمّة) أي مجلس شورى الأمّة، وعلى الرغم من أنّه لم يعيّن في أيّ منصب سياسي رسمي بعد الثورة، إلّا أنّه كان من أكثر الاتحاديين نفوذًا، عضو في اللجنة المركزية 1912–1918م، ورئيس المكتب السياسي للتنظيم الخاص 1914–1918م، وغالبًا ما اعتبر الرجل الذي كان وراء تهجير الأرمن، اغتاله الأرمن سنة 1922م.
انظر، إريك زوركر: تاريخ تركيا الحديث، ص 512.

(2) حزب الائتلاف والحريّة: وتأسّس هذا الحزب كمنافسٍ قوي لحزب الاتحاد والترقي، وقد تشكّل هذا الحزب على مرحلتين؛ الأولى: (1329–1331هـ/ 1911–1913م)، وقد أعلن تأسيسه في 29 ذي القعدة 1339هـ/ 8 تشرين الثاني 1911م، وكان مقرّ الحزب المركزي في حيّ شاه زاده في استانبول، وكان من أبرز المؤسّسين: إسماعيل حقي باشا، مصطفى صبري أفندي (شيخ الإسلام)، عبد الحميد الزهاوي أفندي، مبعوث حماة، رضا نور بك، دماد شهرياري فريد باشا (وزير)- عضو مجلس الأعيان، وغيرهم.
وسرعان ما انضمّ إليه (الحزب الحرّ المعتدل) بكامل أعضائه؛ رغبة في الاتحاد وتوحيد كلمة المعارضة، كما انضمّ إليه (الحزب الأهلي)، وذلك لتقارب برامج الأحزاب الثلاثة، كما انضمّ نواب آخرون من الإغريق والبلغار والأرمن والعرب، وكذلك كثير من الموظفين والعسكريّين المتقاعدين. ولم تمضِ إلّا مدّة قصيرة حتّى صار الحزب يضمّ الكثير من العناصر المختلفة الذين

مصطفى كمال. إنّ هذا التحوُّل غيرُ معقول؛ إذْ أنّه لا يمكن في هذه الأحوال فِعلُ شيء من الداخل.

كانتِ المعارَضة للاتّحاد والترقي تزداد يومًا بعد يوم، والاستقالات- بسببهم- تكثُر في البرلمان لدرجةٍ أصبحت مَدْعاة لاهتمام الصُّحف كلّ يوم، وفي مقابلِ هجوم الصّحافة على جمعيّة الاتّحاد والترقّي قام الاتّحاديون بإصدار مجموعة جديدة من الصّحف في كلّ من سلانيك ومناستر.

تجمعهم فكرة مناوئة جمعية الاتحاد والترّقي، وتربطهم رابطة الآلام والآمال المشتركة، والإيمان بمبادئ عدم المركزيّة في الحكم، واعتقادها الرّاسخ بأنّها الأساس الأصلح والأقوى لحكم عناصر الدّولة، وقد أكسب هذه الروابط والمبادئ الحزب قوة مكنته من اكتساح الموقف بشكل متزايد، والحصول على النفوذ القوي داخل مجلس المبعوثان وخارجه، ثمّ تكاثرت فروعُه في الأقاليم المختلفة، ولا سيّما العربية.

لكنْ بعد حادثة اقتحام الباب العالي شُكّلت حكومة اتحادية جيدة برئاسة الصدر الأعظم محمود شوكت باشا، وقامت تلك الحكومة باعتقال وملاحقة معظم أعضاء حزب الائتلاف والحرية، وفرّ قسمٌ كبير منهم خارج البلاد، وكان من بينهم مصطفى صبري أفندي. وبقي الحزبُ خارج الحكومة حتّى تمّ هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، وإسقاط حكومة الاتّحاديين الأخيرة برئاسة الصدر الأعظم طلعت باشا، عاد حزب الائتلاف والحرية للظّهور في أواخر الدولة العثمانية، وأعيد تشكيل هذه الحزب للمرة الثانية خلال الفترة (1327-1341ه/ 1919-1922م)، وكان الهدف الجديد من إعادة تشكيل حزب الائتلاف والحرية هو إنقاذ الدولة العثمانية بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، وتعتبر الحكومات التّاسعة والأخيرة في عهد السّلطان محمد وحيد الدين خلال الفترة (1337-1341هـ / 1919- 1922م) هي حكومات ائتلافية، أو بدعم من الحزب وحلفائه، ولكنْ أمام ضغط الأحداث الهائلة نتيجة الحرب والضّغوطات الداخلية المرتبطة بها، فقد سقطت الدولة العثمانية، وسقطَ معها حزب الائتلاف والحرية، حتّى أنّ عددًا كبيرًا من أعضائه هرب خارج تركيا في أعقاب إلغاء السلطنة العثمانية، ومغادرة السلطان محمد وحيد الدين استانبول.

انظر، أحمد صدقي شقيرات: مؤسسة شيوخ الإسلام، 2/ 433.

وكانت هذه الصّحف تتكلّم بغُرور شديد، واحدة منها كانت تشتمّ ملك الصرب، وتقول إنّ الاتّحاديين سيتوجّهون للاستيلاء على بلغراد، كانت هذه الصّحف تتحدّى العالَمَ كلَّه، واحدٌ من الصّحافيين المعارضين كان اسمه (تحسين السلاحي) نسبة إلى جريدته التي كان يصدِرها باسم (السّلاح)، لم يترك هذا الرجل شيئًا لم يقله.

وأخيرًا أصدر طلعت- وهوَ مَن هو في رئاسة جمعية الاتّحاد- أمره بقتل تحسين هذا، مع وضع جثّته في جوال، السّبب في ذلك أنّ تحسين عارض طلعت، لقد كان الاتّحاديون يذبحون كلّ مَن يعارضهم، ولو كانَ المعارضون من رجالهم أنفُسِهم!!.

الجمعيةُ المحمدية ومجلّتها البركان:

ظهرتْ فجأةً جمعية تُسمّى بالجمعية المحمدية[1]، أصدرتْ هذه الجمعية جريدةً باسم البركان، تقول هذه الجمعية إنّ الدِّين لم يعُد مَرْعِيًّا، ولا بدّ من إعلان الشّريعة، وكان أغلبُ أعضاء هذه الجمعية من شيوخ الطُّرق الصّوفية والدراويش، والمتفقّين الدينيين. ذاعتْ شهرة هذه الجمعيّة، ولاقت رواجًا

(1) اتّحاد محمدي ITIHAD MOHAMADI: جمعية ضمّت طبقة من رجال الدين الصّغار، الذين حملوا لواء الثّورة المضادّة لحركة «تركيا الفتاة» برئاسة أحد الشيوخ وهو «درويش وحدتي» فقد استطاعَ أنْ يقنع مريديه بأنّ المشروطية مخالفة للشريعة الإسلامية، وأنّ جماعة الاتّحاديين هم من الملحدين والماسون، وأنّهم سائرون بالدولة والإسلام في طريق الاضمحلال، وعليهم- أي اتّحاد محمدي- أنْ يجاهدوا للقضاء على القانون الأساسي وإعلان الشريعة المحمدية. وقامت هذه الجمعية بتأسيس جريدة «وولقان» لنشر مبادئها. هذه الجريدة كانت ناطقة باسم الجمعية ونشرت أفكارها بين المثقفين.

انظر، لطفي المعوش: موسوعة المصطلحات التاريخية العثمانية، ص6.

عظيمًا، وكذلك أضحتْ جريدتها، ونقلتْ جريدة البركان هذه عنّي مقالتي التي بعنوان (أرى أن)، وقامت بطبعها أكثر من عشر مرّات.

تكوينُ حزب الأحرار:

قام أنصارُ صباح الدين بتكوين حزب الأحرار[1]، وكنتُ أنا معهم، في تلك الأثناء قام الاتّحاديون باغتيال أحد الصّحافيين المعارضين لهم، وهو حسن فهمي، كان شابًا مثقّفًا، ويقيم- أثناء حُكم عبد الحميد- في مصر.

الجنودُ متدينون وضبّاطهم الشبّان ملحدون:

كان الجنود- مثل الشّعب- متديّنين جدًا، وأمّا الضبّاط الشبّان فقدْ كانوا يهملون الدّين، كان بعضُ هؤلاء الضبّاط يستخدمون الورقَ بعد التغوُّط، كما أنّهم- أي هؤلاء الضبّاط- كانوا يمنعون الجنودَ من الذّهاب إلى الحمّام صباحًا عندما كان يتوجّب على هؤلاء الجنود الغُسل.

كان استخدامُ الماء بعد التغوّط هو المعروف، كما أنّ الجنود إذا لم يغتسل منهم، فإنّه لم يكنْ يمسّ الخبز طوالَ ذلك اليوم!!، ويظلّ الواحد منهم بالتالي جائعًا؛ اعتقادًا منهم أنّهم ما داموا جُنبًا فمِن غير المُستساغ مَسُّ نِعمة الله، كما أنّ بعض الضباط كان يمارس الفاحشةَ والزّنا في ثكناتهم أثناءَ قيامهم بالنوبتجية.

---

(1) عثمانلي أحرار فرقة سي OSMANLI AHRAR FIRKASI: حزب الأحرار العثماني: تأسّس في 14 أيلول/ سبتمبر عام 1908م، أي بعد شهرين من إعلان الدستور. هذا الحزب مناوئ للاتحاديين، ووقف إلى جانبه حوالي خمسين نائبًا بينهم من النواب العرب والأرناؤوط واليونان والأرمن والبلغار وغيرهم.

انظر، لطفي المعوش: موسوعة المصطلحات التاريخية العثمانية، ص217.

ونتيجة تصرُّف الضبّاط الشبّان هكذا استطاعتِ الجمعيّة المحمدية أن تنفُذ في أوْساط الجنود، في هذه الأثناء كان الاتّحاديون يغُطُّون في نوم الغفلة، استطاعت الجمعيّة المحمّدية أن تنفُذ خاصّة إلى صفوف فِرقة القنّاصة، وكان على رؤساء هؤلاء الجاويش حمدي. وذاتَ يوم قال هذا الجاويش لنفسِه: «إنّ الاتّحاديين كافرون، يفعلون كلّ رذيلةٍ، إنّهم يعتمدون على قوّتنا نحن، بدُوننا لا يستطيعون عمل شيء، فلْنقتلْهم ونظفرْ بالشريعة».

السّلطانُ عبد الحميد يرفضُ مقابلة الشاويش حمدي:

ذهبَ الجاويش حمدي إلى القصر السّلطاني ذات يوم، طلب مقابلة السلطان عبد الحميد، فلم يتيسّر له، صرّح هذا الجاويش بأفكاره إلى أحدِ أمناء القصر السلطاني، ثمّ ألحّ في طلب مقابلة السّلطان على انفراد، ورفضَ عبد الحميد، وبناءً على رفض السّلطان قرّر حمدي تنفيذَ الأمر بنفسه.

وذاتَ صباح، حرّض عساكرَه على الثورة، كانوا كلّما رأوا ضابطًا أسرعوا باعتقاله، توسّعتْ هذه السّرعة، وأصبح الجنود يفعلون هذا الأمر بحماس. وكان في استانبول في ذلك الوقت أربعون ألفَ جندي، وإذا بجمعٍ غفيرٍ من الجنود يقِفون أمام مجلس المبعوثان، كان حُسين جاهد أهمّ ما يريدون.

وكان حسين جاهد صحافيًّا ماسونيًّا اشتراكيًّا ملحِدًا، ظنّ الجنود أنّ أمين أرسلان-وهو دُرزي وعضوُ مجلس المبعوثان- ظنّوه حُسين جاهدًا، فقتلوه، ثمّ قتلوا عدّة أشخاصٍ آخَرين، سألهم المجلسُ عمّا يريدون فقالوا: «الشريعة»، وهذه في 31 مارت (مارس) المشهورة .

الاتحاديون يتهمون عبد الحميد بتدبير حادث 31 مارت (مارس):

ادَّعى الاتّحاديون بعد ذلك أنّ عبد الحميد هو الذي دبَّر هذه الحادثة، وهذا كذِب. مسكين عبد الحميد، فلم يكُن له أيُّ دخل في هذه الحادثة؛ حتّى إنّي أعلم يقينًا أنّ عبد الحميد رفض مقابلة الجاويش حمدي.

عبد الحميد براءٌ من هذه الحادثة، لم يدبِّرها، ولم يشترِكْ فيها، ولم يوافق عليها، لكنّه أيضًا لم يتحرّك ضدَّها، وفي هذا أيضًا لم يكُن يستطع أنْ يضادَّها، لم تكُن هذه وظيفته.

كيفيّة تكوين جيش الحركة الذي خلع عبد الحميد:

ثمّ مضتْ فترة، وإذا بجيشٍ يُسمّى جيش الحركة[1] في سلانيك يتجمّع، ويبدأ في التّحرُّك نحو استانبول، وكان قائدُ هذا الجيش هو حُسني باشا، استطاع الاتحاديون الذين تجمّعوا في سلانيك أنْ يُميلوا إليهم بعض الفِرق العسكرية، وقد اشترك مع هؤلاء حركتهم هذه ثوريٌّ بلغاريّ مشهور هو (ساندانسكي) مع فِرقة عسكرية من البُلغاريّين، كما أنّ قِسمًا هامًّا منهم أيضًا كان مِن يهود الدونمة.

كما جاء كلّ مِن كاظم قرة بكير[2]– مِن أكبر معاوني أتاتورك فيما بعدُ–

(1) جيش الحركة: الاسمُ الذي أُطلق على الجيش القادم من الروملي لإخماد ثورة قامت بها بعضُ الكتائب ضدّ حزب الاتحاد والترقي الحاكم، وذلك في 31 مارس 1325 رومية الموافق 13 أبريل 1909 ميلادية. انظر، سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص 89.

(2) كاظم قره بكر (1882–1948م): والدُه محمد أمين باشا من عائلة معروفة في كرمان، وهو من مواليد استانبول، تخرّج من الكلية العسكرية سنة 1905م، أدّى خدمات كبيرة خلال حروب البلقان والحرب العالمية الأولى، وصل إلى رتبة لواء، وصار قائدًا للجيش في القوقاز سنة 1918م، كان دعمُه لمصطفى كمال أمرًا حاسمًا في نجاح حركته، كما ساعد في الحشد لمؤتمر أرضروم 1919م، وهزم الأرمن في 1920، وكان عضوًا في المجلس الوطني، وبعد ذلك زعيمًا

، وعصمت إينونو- خَلَفَ أتاتورك في رئاسة جمهورية تُركيا فيما بعد- على رأس بعضِ الفِرق، وانضمَّ هؤلاء في الطريق، ووصلَ هذا الجيش إلى آيا ستفانوس- وهو حيّ في أطراف استانبول-.

وهناك- ولا أدري حتّى الآن ما السّبب، وما الكيفية التي أصبح بها محمود شوكت باشا[1] قائدًا لهذا الجيش- كان عددُ جيش الحركة هذا يقدَّر

لحزب المعارضة 1924م، اتهم بالاشتراك في مؤامرة ضدّ مصطفى كمال، لكنّ محاكم الاستقلال برّأته، فترك الحياةَ السّياسية ولم يعدْ إليها إلّا بعد وفاة أتاتورك 1938م، وانتخب مندوبًا للحزب الجمهوري في استانبول، ثمّ رئيسًا للمجلس الوطني الكبير 1946م وظلّ رئيسًا له حتّى وفاته. انظر، قادر سليم شمو: موقف الكورد من حرب الاستقلال التركية، ص 50.

(1) محمود شوكت باشا (1856-1913م): وُلِد في بغداد ومات في استانبول. قائد تركي ورجلُ دولة. عربي الأصل. أبوه سليمان فائق كتخدا أوغلو. كان من كبار موظّفي ولاية بغداد ومن أشهر المؤرّخين البلغاء لحوادث العراق. وولده الأصغرُ حكمت سليمان سياسيٌ بارز في العهد الملكيّ في العراق، وتولّى رئاسة الوزراء فيه سنة 1936م. تلقّى محمود شوكت دراسته الأولى في بغداد، ثمّ انتقل إلى استانبول ليدخل المدرسة العسكرية. ثمّ دخل المدرسة الحربية وأنهى الدراسة فيها. عمل مدرسًا في المدرسة الحربية (1883م). أرسلته الدّولة في مهمّات عسكرية إلى كلّ من ألمانيا وفرنسا. رقّي عام 1901م إلى رتبة فريق ثانٍ، وعندما رقي إلى رتبة فريق أوّل عام 1905م عُيِّن واليًا على ولاية قوصوه، وبعد إعلان المشروطية الثّانية عُيِّن قائدًا للجيش الثّالث وتعاون مع كبار زعماء «الاتحاد والترقّي». كان مقرّ قيادته في سلانيك، وعمل تحت إمرته مصطفى كمال (أتاتورك) عندما كان هذا برتبة قول أغاسي. كان قائد «جيش الحركة» الذي تحرّك من سلانيك إلى استانبول لعزل السّلطان عبد الحميد، وكان مصطفى كمال (أتاتورك) رئيس هيئة أركان حرب هذا الجيش. ولكنْ لسببٍ غير معروف عُزِل مصطفى كمال قبل دخول هذا الجيش في استانبول. بعد أنْ تمكّن محمود شوكت باشا من الإطاحة بحكم السّلطان بعد الحميد أصبح قائدًا للجيوش: الأوّل والثاني والثالث. ثمّ أصبح وزيرًا للحربية. وفي عام 1910م قامت ثورة ضدّ الحكومة في ألبانيا فتوجّه إليهم محمود شوكت بقواته واستطاع سحقَ هذه الثورة وجمع السلاح من الثّوار. استقال من وزارة الحربية في عام 1912م، وفي عام 1913م وعن طريق «الاتحاد والترقّي» أصبح صدرًا أعظم مع تولّيه وزارة الحربية. في عهده استطاع البلغاريون الثورة والاستيلاء على أدرنة، ويانيا، وأشقودره. ولكنّ أنور باشا استطاع استرجاع أدرنة فيما بعد. في 11/ 6/ 1913م استطاع ثمانية أشخاص اغتيال محمود شوكت باشا.
انظر، محمد حرب: مذكرات السلطان عبد الحميد، ص 282-283.

بحوالي عشرة آلاف جنديّ وضابط، كان نصفهم نظاميًّا، والنصف الآخَر غير ذلك. أرسل لهم مجلس المبعوثان وفدًا لمقابلتِهم، وكنتُ أنا عُضوًا في هذا الوفد، ولكنّي لم أذهب.

وزيرُ الحربية كان يستطيعُ منعَ الانقلاب:

قابلتُ ناظم باشا[1]، وكان وزيرًا للحربية في ذلك الوقت، وكانت علاقتنا طيبة للغاية، قلتُ له: إنّ زمام الأمر بيده في هذه اللّحظة الحاسمة، وما عليه إلّا استخدام عسكره المدرَّبين، وكانوا في حدود أربعين ألفَ جنديّ وضابط. قلتُ له أنْ يجمع هذه القوّة، ويقابل الجيش القادم من سلانيك، وهو في حالةٍ غير منظّمة، ومن السّهل عليه، ثمّ يستدير - أيْ ناظم باشا - بعد ذلك إلى استانبول، ويخلع عبد الحميد.

كانت هذه هي فكرتي، لكنّ ناظم باشا قال لي إنّه لا يستطيع عمل هذا، كان هذا الوزيرُ في حالة اضطراب ظاهرة، وجدتُ أنّه لن يفعل شيئًا، هناك أمل آخَر، وهو جنود استانبول. عسكر استانبول يستطيع مقاومةَ

(1) ناظم باشا: ابن أحدِ الصّدور العظام وصهر عالي باشا الصدر الأسبق، ولد في الأستانة حوالي سنة 1849م وتلقّى الدروس العسكرية والفنون الحربية في مدرسة سان سير الحربيّة الفرنسية، ولمّا أتمّ علومه التحق بالجيش العثماني، ولمّا بلغ السادسة والعشرين من عمره عيّن رئيسًا لأركان حرب في الحرب العثمانية/ الروسية، ثمّ اتّهم وسجن في إحدى القلاع خمسَ سنوات، ونفي في أرضروم إلى أنْ حدث انقلاب 1908م وعفي عن المجرمين السّياسيين، وعاد إلى الأستانة وعيّن قائدًا عامًّا للفيلق الثاني في أدرنة، في وزراة كامل باشا الأولى بعد الدّستور، ثم عيّن واليًا على بغداد سنة 1910م، ثمّ عيّن وزيرًا للحربية في وزارة الغازي مختار باشا، توفي سنة 1913م مقتولًا في الأستانة بيد فريق من الاتّحاديين لأسباب سياسيّة لحقد الاتحاديين عليه.
انظر، زكي محمد مجاهد: الأعلام الشرقية، جـ 1، ص 129.

جيش الاتحاديّين، ولكن هذا العسكر ينقصُه الضبّاط والقائد. معنى هذا أنّ هذا العسكر إذا دخل معركة بهذا الشّكل مع جيش الحركة فسيهزم هذا الجيش الذي يفتقد النظام؛ إذًا فلا حيلة أمامنا إلّا الهرب. توجّهتُ أنا إلى الميناء، ووجدتُ سفينة فرنسية، ركبتُها، واتجهتْ السفينة إلى مينا بيري، ثمّ الإسكندرية، قلت: «آه، هذه فُرصة لرؤية مصر».

جيشُ الاتّحاديْين يخدع عسكرَ استانبول[1]

خدعَ الاتّحاديون عسكر استانبول، قالوا لهم: «إنّنا لم نأتِ لنحاربكم، إنما جئْنا لتهنئتِكم». نصحَ ناظم باشا وزير الحربية جنود استانبول بعدم مقاومة جيش الحركة، وبذلك كبّلهم.

دخلَ جيش الحركة استانبول دونَ مقاومة، ولكنّ البلغاريّين الذين كانوا قد انضمُّوا لجيش الحركة الذي يرأسه الاتّحاديون- أخذوا في الإساءة للأتراك، وأظهروا وقاحتهم بأنْ أطلقوا النّيران على ثكنات عسكر استانبول. وبالطبع استلّ جنود استانبول أسلحتهم عندما رأوْا هذا، ظهرتْ عدّة الْتحامات في عدّة أماكن، مات وجُرِح من الفريقين الكثير، لكنّ الاتّحادين استطاعوا السيطرةَ على الموقف، كان لدى عسكر استانبول عدّة مدافع، لكنّهم لم يستخدموا غير البنادق.

سقوطُ عبد الحميد وصمةُ عارٍ في التّاريخ التركي:

جمعَ الاتّحاديون رؤوس المقاومة وأعدموهم، سيطروا على الحكومة، واتّخذوا قرارًا بخلع عبد الحميد، أرسل (الاتّحاديون) اليهودي قراصو[2]،

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 534؛ الحلقة الخامسة، 28 شعبان 1401هـ الموافق 30 يونيو 1981م.

(2) إيمانويل قراصو: وهو يهوديّ إسبانيّ الأصل. كان من أوائل المشتركين في حركة «تركيا الفتاة». وكان مسئولًا أمام جمعية «الاتّحاد والترقّي» عن إثارة الشعب وتحريضه ضدّ السّلطان عبد الحميد وتأمين التخابر بين سلانيك وإستانبول فيما يتعلّق باتصالات الحركة. وقراصو هذا محامٍ عملت جمعية «الاتّحاد والترقّي»- بنجاح- على تعيينه في المجلس النيابي العثماني نائبًا عن سلانيك مرّة، وعن استانبول مرّتين. وَصَفَتْه المصادر

وأسعد باشا طوبطاني[1] عضو مجلس المبعوثان (وهو ألباني)، ليبلّغوا السّلطان بخلعه، ثمّ أرسلوه إلى سلانيك حيث حبسوه، لقد أساؤوا إلى التّاريخ التركي إساءةً بالغة بقيامهم بإحداث وصمة عار فجيعة.

لقد أسقطوا السّلطان التركي - وهو رئيس سلطنة عظيمة- على يدِ يهودي حقيرٍ جدًّا، ومعه ألباني سافل قاتل، وهو أسعد باشا. أرسلوا عبد الحميد إلى سلانيك، وحبسوه في منزل تاجرٍ غنيّ يُدعى آلاتيني، وأثناءَ حرب البلقان أتوا بالسُّلطان إلى استانبول، حبسوه في قصر بايلربي[2] (بيكلربكي)، وفيه مات.

الإنجليزية بأنّه من قادة «الاتحاد والترقّي». عمل أثناء الحرب مفتّشًا للإعاشة، واستطاع أثناء وجوده في هذه الوظيفة أنْ يجمع أموالًا كثيرة لحسابه الخاصّ، ولعب دورًا هامًّا في احتلال إيطاليا لليبيا نظيرَ مبلغ من المال دفعته إليه إيطاليا. واضطرّ نتيجة لخيانته للدولة العثمانية أنْ يهرب إلى إيطاليا، ويحصل على حقّ المواطنة الإيطالية، واستقرّ في تريستا حيث مات عام 1934م. وكان أثناء وجوده في الدّولة العثمانية الأستاذَ الأعظم لمحفل مقدونيا ريزولتا الماسوني.

انظر، محمد حرب: مذكرات السلطان عبد الحميد، ص 18.

(1) أسعد باشا الطوبطاني (1862-1920م) لواء الجندرمة، ويعرف أيضًا بأسعد باشا الأرناؤوطي لأنه من قضاء دراج التّابع لولاية أشقودرة (في ألبانيا حاليًا)، التحق بالمدرسة العسكرية وتخرّج ضابطًا في الجندرمة، وترقى حتّى وصل إلى رتبة أمير لواء، ولعب دورًا في إسقاط السّلطان عبد الحميد الثاني، وفي أثناء الحكم المشروطي انتخب نائبًا عن بلدته دراج، وبعد هزيمة الدّولة في الحرب العالمية الأولى وسقوط حكومة الاتحاد والترقي هاجر إلى إيطاليا ثمّ عاد إلى ألبانيا حيث عيّن وزيرًا، ثمّ رئيسًا للوزراء، وقد اغتيل في باريس 13 يونيو 1920م.

انظر، أحمد صدقي شقيرات: مؤسسة شيوخ الإسلام، جـ2، ص 326.

(2) سراي «بكلربكي»: كائنة على ضفّة البوسفور في ساحل الأناضول في سفح تلة «بلغورلي»، وهذه السّراي مبنيّة من الرخام الأبيض، وقد بناها السلطان عبد العزيز، وهي الآن غيرُ مسكونة، ولها رصيف على الشاطئ محاط بدرابزين من حديد. وفي داخلها في الطبقة الأولى قاعة كبيرة مزيّنة بأعمدة من الرخام، وفي وسط هذه القاعة بركة من الرخام أيضًا، ويصعد منها إلى الطبقة الثانية على سلم تنتهي إلى قاعة، فخيمة للجلوس، ولها عدة شبابيك تطلّ على البوسفور.

انظر، م. شكري: دليل الأستانة، ص63.

◄◄ تأكيد: عبدُ الحميد بريء من دماء ٣١ مارت:

إنّ السّلطان عبد الحميد الثاني بريء تمامًا من تدبير حادثة ٣١ مارت (مارس)، وكذلك هو بريء من كلّ الدّماء التي سالت أثناءها.

الاتّحاديون يتّهمونني بالخيانة:

قضَينا في مصر فترةَ استجمام، ثمّ عُدنا إلى أثينا. أصدر ديوان الحرب باستانبول حُكمًا ضدّي بالخيانة، لكنّ أهالي سينوب الذين أمثّلهم في المجلس أبرقوا إلى قائد جيش الحركة محمود شوكت باشا، وقالوا له: «إنّ ممثّلنا في مجلس المبعوثان الدّكتور رضا نور إنسان وطني وشريف».

وكانتْ هذه شجاعةً عظيمة من أهالي سينوب، أرسل لهم قائدُ الجيش قائلًا: «إذا كان ممثّلكم شريفًا فليسلّمْ نفْسَه إلى ديوان الحرب، قولوا له هذا». فكان جوابُ الأهالي: «إنّه شريف، ولكنّنا لا نثِق بديوان الحرب، فلْيحاكِمْه مجلس المبعوثان أو أيّة محكمة عادلة».

إنّني أفخر بهذا الشّعب، لا بدّ أن يكون خلف عضو البرلمان شعبٌ هكذا. أرسل إليّ أهالي سينوب نسخةً من برقيتهم إلى مجلس المبعوثان.

كان الاتّحاديون يظنّون أني كنتُ يوم العصيان في استانبول، ولما اتّضح لهم عكس هذا اتّهموني قائلين إنّ مقالاتي هي التي حرّضتْ على العصيان (حادث ٣١ مارت)، كنت أثناءَ حركة العصيان هذه في نواحي (قونية)، فكيف أقوم بعصيان؟!. ضعُف حزبُ الأحرار الذي أقمناه، فاتّخذنا قرارًا بفسخه، ونفّذناه.

محمود شوكت باشا قائدٌ عسكريّ مستبد:

كان محمود شوكت باشا- قائدُ جيش الاتّحاديين أو جيش الحركة- يتحكم ويهدّد ويتوعّد. كم كان مغرورًا، ما يقوله في مجلس المبعوثان هو

الذي يسري، غضب المجلس لكرامته، وكان عليّ أنْ أغضب باسمه.

كان روحي الخالدي[1]- نائبُ القُدس في مجلس المبعوثان- محبًا للاتّحاديين، قلتُ له: «إنّ لك حقوقًا، لكنّك لا تستطيع أنْ تقول شيئًا»، قلتُ له أيضًا: «إذا لم تمنع محمود شوكت باشا مِن حمل سيفه- وكان دائمًا يتمنطق به وهو في قاعة البرلمان- لنْ أستطيع أنْ أجلس مطمئنًا على مقعدي في البرلمان، سأقوم وأقول كلّ ما أستطيعه». وذاتَ يوم جاءني روحي الخالدي، وحاله نفس الحال، قلت لروحي الخالدي: «هيًا، وإلّا سأقلب الجوّ». قال لي: «تمهّل بالله عليك، سأصنع شيئًا».

فذهب، والتقى بطلعت وأصحابه، ثمّ عاد، واستدعى- بأدب جمّ واحترام ولباقة مُتناهية- محمود شوكت باشا خارج القاعة، وبعد مدّة عاد محمود شوكت بعد أن خلعَ سيفه. في البداية لم يكُن راضيًا، فأخبروه بتهديدي واستعطفوه، وتوسّلوا إليه حتى لا يحدِث شيئًا معقّدًا، فرضي بذلك.

ذاتَ يوم، اعترضتُ على رغبةِ لمحمود شوكت باشا، وقد نال هذا من كرامته، وأخذ آخرون أيضًا في الاعتراض، وبهذا أصبحَ هذا الوزير يحقد عليّ. انتقمتْ الجمعية منّي بأن حبستْني، حبسوني ثمّ نفوني خارج البلاد.

---

(1) روحي الخالدي (1281-1331هـ/ 1864-1913م): روحي بن محمد ياسين بن محمد علي الخالدي: باحث، من رجال السياسة. ولد في القدس وتعلم في مدارس فلسطين ثمّ في الآستانة، ورحلَ إلى باريس فدخل مدرسة العلوم السياسية فأتمّ دروسها، ثمّ درس فلسفة العلوم الإسلامية والشرقية في جامعة السوربون. وألقى محاضرات عربية، واتّصل بعلماء المشرقيات وأقيم مدرسًا في جمعية نشر اللغات الأجنبية بباريس، وكان من أعضاء مؤتمر المستشرقين المنعقد بباريس سنة 1897 م، وعاد إلى الآستانة، فعيّن (قنصلًا عامًا) في مدينة بوردو (بفرنسة) ولمّا أعلن الدستور العثماني انتخبه أهلُ القدس نائبًا عنهم في مجلس المبعوثين. وتوفي في القدس. من تصانيفه (العالم الإسلامي) نشر منه قسمٌ كبير في جريدة المؤيد المصرية، و(علم الأدب عند الإفرنج والعرب- ط) و(أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة- ط) نشر تباعًا في مجلة الهلال (ج 17) و(رحلة إلى الأندلس- ط) و(المسألة الشرقية- ط) و(علم الألسنة- خ) في مقابلة اللغات و(تاريخ الصهيونية- خ) كلاهما في المكتبة الخالدية بالقدس، ورسالة في (ترجمة برتلو) العالم الكيماوي، و(الكيمياء عند العرب- ط).
انظر، الزركلي: الأعلام، جـ 3، ص 35.

حزبُ الأهالي:

تشكَّل حزب باسم حزب الأهالي من ثلاثين نائبًا بقصد المعارَضة. وكان على رأس هؤلاء الشَّيخ مصطفى صبري[1] (شيخ الإسلام)[2] ومجموعة من رجال الدين.

---

(1) مصطفى صبري أفندي (1286هـ - 1373هـ/ 1869- 1954م)

شيخ الإسلام رقم (129)، هو الشَّيخ مصطفى صبري بن أحمد بن محمد القازابادي التوقادي واسمُه الأوَّل «مصطفى صبري». وقد كان مصطفى صبري أفندي عالمًا، فقيهًا، باحثًا، كاتبًا، مؤلفًا، وسياسيًّا، وقد تولّى رئاسة حزب الائتلاف والحرية، وكان آخر من توفي من شيوخ الإسلام في الدّولة العثمانية، وقد اشتهر في العالم العربي شهرة واسعة دون غيره من شيوخ الإسلام المتأخرين بسبب مؤلفاته العربية. تولّى مصطفى صبري أفندي منصب شيخ الإسلام ومفتي الدّولة العثمانية مرتين في أواخر سنوات الدولة العثمانية، المرة الأولى: وكانت خلال الفترة 4 مارس- 12 سبتمبر 1919م. المرة الثانية: 31 يوليو 1920 بالإضافة إلى تعيينه رئيسًا لمجلس شورى الدولة. أعفي مصطفى صبري أفندي من منصبه في المشيخة في 25 سبتمبر 1920م، وكانت هذه المرّة الأخيرة التي يتولى فيها مصطفى صبري منصب شيخ الإسلام، وكانت المشيخةُ قبل الأخيرة في تاريخ المشيخة قبل إلغائها. تركَ مصطفى صبري أفندي مجموعةً كبيرة من المؤلفات والمخطوطات والأبحاث والمقالات والتّصانيف باللُّغتين العربية والتركية، ولا يزال الكثيرُ من تلك المؤلفات متداولة حتّى الآن، وتشمل: كتاب النّكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمّة، مسألة ترجمة القرآن، مواقف البشر تحت سلطان القدر، قولي في المرأة ومقارنته بأقوال مقلّده الغرب، القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبارة المرسلين. بالإضافة إلى بعض الكتب العربية المخطوطة، والأبحاث والتّرجمات والمقالات. توفي مصطفى صبري أفندي في القاهرة يوم 7 رجب 1373هـ/ 12 مارس 1954م.

انظر، أحمد صدقي شقيرات: مؤسسة شيوخ الإسلام، 2/ 427-454.

(2) شيخ الإسلام: هو لقب للعالم الموجود على رأس الطبقة العلمية في الدولة العثمانية، وهذا اللّقب لم يستحدثه العثمانيون، فقد بدأ استعمالُ هذا اللقب في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ولم يستعملْ هذا اللقب فقط في مقام التّعظيم؛ بل استُعملت في هذا الشأن ألفاظ مثل: عماد الإسلام، وفخر الإسلام، وركن الإسلام، وزين الإسلام، وشمس الإسلام، وبهاء الإسلام، وحجة الإسلام.

كان النوّاب الأرمن في مجلس المبعوثان يبلُغون ثلاثين نائبًا، كانوا يساعدون الاتحاديين. وكان قِسمٌ من اليونانيين أيضًا من الاتحاديين، وأكثر الألبانيين اتحاديون، والقليل منهم - أيْ من النوّاب الألبانيين - مِثلنا مُعارِضًا. وانطلق العرب لتكوين حزبٍ عربي، وأمّا اليهود فقد كانوا اتحاديين.

الاتحاديون- على مصائبهم- أرحمُ من مصطفى كمال:

ومع كلّ ما فعله الاتحاديون من مساوئ؛ إلّا إنّهم بالنسبة لمصطفى كمال (أتاتورك) رجال ممتازون جدًّا، ثُرنا ضدَّ السّلاطين، ولكن الحُكم المشروطي (الذي جاء به الاتحاديون) جعلَنا نفتقِد عبد الحميد ونترحّم على أيامه.

لقد عانَينا كثيرًا من الاتحاديين، وقاسَينا منهم كثيرًا، وإذا بمصطفى كمال يتخذ مكانه فوقَ رقابنا سيفًا مُصلَتًا. وعندَ ذلك قلنا: «آه!، كم كان الاتحاديون وكم كانوا»!!، كم هي مسكينة هذه الأمّة، هذا قدَرها، فلْنرَ ماذا سيكُون من مصطفى كمال بعد ذلك».

وقد اشتهر بلقب شيخ الإسلام عددٌ من كبار العلماء والفقهاء؛ مثل: أبو الحسن علي الصّغدي، وعطا بن حمزة الصغدي، وعلي بن محمد السيجاني، ونظام الدين عمر بن برهان الدين، وكان أوّل مَن تلقّب بلقب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية هو مولانا علوان فقيه.

وقد استعمل لفظ المفتي، ولفظ شيخ الإسلام كألفاظ مترادفة، وقد تمّ استحداث هذا المنصب في عهد السّلطان مراد الثاني، وفي بداية تشكيل هذا المنصب كان هذا المنصب خاصًّا بإصدار الفتاوى المتعلّقة بالدعاوى القضائية التي تظهر، حتى أنّ قاضي العسكر كان يتقدّم على المفتين، ثمّ مع الوقت توسّعت صلاحيات شيخ الإسلام؛ حتى تقدم على قضاة العسكر وسائر المفْتين في الدولة العثمانية، وكان ذلك في القرن السابع عشر الميلادي، وأصبح تعيين شيخ الإسلام يدخل ضمن سلطات الصدر الأعظم.

انظر، أحمد نجم: التعليم في الدولة العثمانية، ص 51.

أخذَ العربُ يفكِّرون في تأسيس حزب عربي، وكان هذا الفِكر القومي العربي أمرًا بالغ الخطورة، وإذا انفتح هذا الطريق- أيْ القومية العربية- فإنّ نهايته لا بدّ وأن تكون وخيمة.

مدحت باشا يؤيدُ العربَ في إقامة دولة أمويّة:

أخذتُ أحاولُ تجميع المعارضين على اختلاف جماعاتهم، كنتُ أتباحث مع النوّاب المهمّين، لم يرغب العربُ في قبول فكرة الاتّحاد في حزب عام واحد، وكان على رأس هؤلاء عبد الحميد الزهراوي[1]. كنّا منسجمين مع نائب دمشق شكري العسلي[2]، وكان ساذجًا، فقد صرّح لي بكلّ أفكاره، كان لديه فكرة إقامة دولة أموية

(1) عبد الحميد الزّهراوي: ولد في حمص سنة 1871م تقريبًا، ونشأ بها وتنقل في البلاد لطلب العلم، ثمّ اشتغل بالصحافة والتحرير، وأنشأ جريدتي المنبر والحضارة، وساهم في إصدار جريدة معلومات، نفاه السلطان عبد الحميد إلى دمشق ثمّ إلى حمص؛ فهرب إلى مصر سنة 1902م، واشتغل بالتحرير في جريدتي المؤيد والجزيرة. واشترك في تأسيس حزب الحرية والاعتدال وحزب الائتلاف المعارضين للاتّحاديين، انتخب رئيسًا للمؤتمر العربي الأوّل المنعقد في باريس، استماله الاتحاديون بعدما أقنعوه بعزمهم على الإصلاح وعيّن عضوًا في مجلس الأعيان، له مؤلفات في العلم والأدب، حكم عليه بالإعدام في ديوان عاليه ضمن من أعدمهم جمال باشا من السوريين سنة 1916م. انظر، زكي محمد مجاهد: الأعلام الشرقية، جـ 3، ص 1059.

(2) شكري العسلي (1285-1334هـ/ 1868-1916م): شكري (بك) بن علي بن محمد بن عبد الكريم بن طالب العسلي: شهيد، من زعماء النهضة العربية الحديثة. ولد في دمشق، وتعلّم في مدارسها ثمّ في الأستانة، وعيّن قائم مقام في قضاء قاش (من أعمال قونية) ثمّ تنقل في الأقضية، إلى أن انتخبَ نائبًا عن دمشق في مجلس النواب العثماني. ثمّ تعاطى المحاماة، وأصدر جريدة (القبس) يوميّة، مدّة يسيرة، وعيّن مفتشًا ملكيًا لولاية حلب ولواء دير الزّور. ونقم عليه غلاة التّرك طلبه اللامركزية. فلمّا نشبت الحرب العامة حكم عليه ديوان عاليه بالإعدام، ونفّذ فيه الحكم بدمشق. له (القضاة والنواب- ط) رسالة، و(الخراج في الإسلام- ط) رسالة، و(المأمون العباسي- خ) قصة. وهو أوّل مَن برهن في مجلس النواب العثماني على استفحال أمر الصّهيونيين، وأبرز (طوابع) كانوا يستخدمونها في بريدهم. وأصل العسليين من قرية (بلدة) من ضواحي

في دمشق، حتّى والده أيضًا كان هكذا، وبناءً على قوله هو: «إنّ مدحت باشا[1] عندما

دمشق، وكانوا يعرفون بآل الشرقطلي، وأوّل مَن لقّب بالعسلي منهم (طالب)، وانتقلوا إلى دمشق سنة 1065 هـ، ولا تزال لهم أوقاف في بلدة.

انظر، الزركلي: الأعلام، جـ 3، ص 173.

(1) مدحت باشا (1822– 1885م): مدحت تخلصه، واسمه أحمد شفيق. دراسته الأولى شرقية فتعلّم العربية والفارسية وأجادهما، وتوظّف في قلم الديوان في الباب العالي. وبدافع من تشجيع رشيد باشا– صاحب فكرة حركة التّجديد في الدّولة العثمانية على النّمط الأوروبي واتّخاذ فرماني التنظيمات بداية شاملة لهذه الحركة التّغريبية– تعلّم مدحت اللغة الفرنسية فحذقها. عُيّن عام 1860م واليًا على نيش فأظهر كفايةً فيها، ثمّ عُيّن واليًا على الطونة عام 1864م لمدّة ثلاث سنوات عاد بعدها إلى استانبول ليشغل منصبَ رئيس شورى الدّولة لمدّة عام واحد، نُقل بعدها واليًا على بغداد. وللخلاف بينه وبين الصّدر الأعظم وقتها محمود نديم باشا، ترك مدحت بغداد وصدرَ أمرُ تعيينه واليًا على أدرنة ولكنّه في مقابلةٍ له مع السّلطان عبد العزيز تمكّن من إقناع السّلطان عبد العزيز بعزل محمود نديم من الصدارة، ثمّ أقنعه في نفس المقابلة أنّه جدير بهذا المنصب؛ فتمّ تعيين مدحت باشا صدرًا أعظم لأوّل مرّة عام 1872م. اعتبر أعضاء «تركيا الفتاة» (العثمانيون الجدد) أنّ مدحت باشا قائدًا طبيعيًّا لفكرهم. ولم يبقَ في هذا المنصب– منصب الصّدر الأعظم– إلّا شهران ونصف الشهر. اتّفق مدحت باشا مع كلّ من رشدي باشا وحسين عوني باشا على عزل السّلطان عبد العزيز فعزلوه مؤيّدين من رديف باشا ئيس مجلس الشّورى وسليمان باشا قائد المدرسة الحربية، ثمّ عيّنوا مكانه مراد الخامس. ولم يستمرّ مراد الخامس في السّلطنة إلّا 93 يومًا فقط أصابه الجنون فيها فعزله مدحت باشا ورفاقُه من السّلطنة. وتولّى السّلطان عبد الحميد الثاني بعدها فأتى بمدحت باشا صدرًا أعظم للمرة الثانية.

كان مدحت باشا معجبًا إعجابًا شديدًا بإنجلترا وبالنّظام الديمقراطي الإنجليزي، وكان يتصور أنّ الدّولة العثمانية يمكنُها تفادي كلّ نقص ألمّ بها إذا طبّقت النظام الإنجليزي. وكانت إنجلترا تؤيد مدحت باشا وتنصرُه، لذلك كان يرى أنّ تقليص نفوذ السّلطان العثماني وسلطة الأسرة العثمانية لا يتمّ إلّا بإعلان القانون الأساسي، وكان يريد من إنجلترا التكفّل بحمايتها لهذا القانون الأساسي فأرسل أستاذه الفكري أوديان أفندي وهو قانوني أرمني إلى لندن ليطلب من إنجلترا تعهّدها بكفالة القانون الأساسي وحمايته. ولمّا لم يستطعْ أوديان أفندي الحصولَ على هذه الحماية طلب مدحت باشا من مؤتمر الترسانة الذي انعقدَ في استانبول وحضرته الدّول الأوروبية؛ التصديق على القانون الأساسي العثماني وتدخّلها إذا ما ألغي. يأخذ بعضُ المؤرخين على مدحت

كان واليًا على الشّام اتّفق مع والد شكري العسلي في هذه الفكرة».

أهدّد النّواب العرب:

أخذتُ في تخويف هؤلاء النّوّاب العرب، قلتُ لهم: «إذا كوّنتم حزبًا عربيًّا فإنّنا بالضّرورة سنقيم حزبًا تركيًّا، ثمّ نتّحد مع الاتّحاديين، وسنرى بعد ذلك أيّنا سيصيبه الضّرر»، فخافوا، وقبلوا فكرتي في توحيد صفوف المعارضة ضدّ جمعية الاتّحاد والتّرقي، وكانت كلّ غايتي تجميع كلّ القوى المعارضة للاتّحاديين.

منذُ إعلان المشروطيّة، وحركات التمرُّد لا تنقطع في أرجاء الدولة، قام الدُّروز في جبل حوران يتمرّدون، فتوجّه الجيش إلى هناك وسحقَ التمرُّد. الإمام يحيى في حالة تمرُّد في اليمن، توجّه إلى هناك عزّت باشا[1]، وامتصّ غضب المتمرّدين

باشا أنه لم يكنْ بالرّجل السياسي المتّسع الذكاء، ولم يكن برجل الدّولة المجرّب الخبير، ولم يستطع القيامَ بواجبه في إدارة الدّولة مركزيًّا.

كما يأخذ على مدحت باشا بعضُ المؤرخين الآخرين بأنّه رغم كونه واليًا ناجحًا فقد كان صدرًا أعظم قليلَ الخبرة، وحتّى أثناء ولايته فقد كان عليه مآخذ. فعندما كان واليًا على الطونة (البوسنة والهرسك) أمرَ بإضافة الصّليب على العلم العثماني ذي الهلال والنجمة بحيث يكون هذا العلم علمَ المنطقة المحلي. وفي أثناء صدارته صدر فرمان حقّ الاقتراض الخارجي لخديوي مصر إسماعيل باشا، وكان لهذا الفرمان ونتائجه عواقبُ وخيمة على مصر.

انظر، محمد حرب: مذكرات السلطان عبد الحميد، ص 283-284.

(1) أحمد عزت باشا (1864-1937م): حمل رتبة المشير، أكمل دراسته العسكرية العالية في ألمانيا، اشترك في الحرب اليونانية عام 1897م، كما خدم في لبنان، ورقي إلى رتبة فريق عام 1908م، فأصبح قائدًا للجيش العثماني في اليمن، ثمّ تعيينه وزيرًا للحربية بعد مقتل محمود شوكت باشا، ثمّ صار صدرًا أعظم بتوصية من طلعت باشا، لم يستطع التفاهم مع حكومة الاتّحاديين في أنقرة فظلّ مواليًا لحكومة استانبول فعمل وزيرًا للخارجية فيها.

انظر، محمد حرب: مذكرات السلطان عبد الحميد، ص 271.

بإعطاء يحيي مجموعةً من الامتيازات. وفي العراق أيضًا تمرُّد، والآن بلاد الألبانيين تشتعل ثورة، فمِن جرّاء سُوء حُكم الاتّحاديين انقلب عليهم حتى الأليان.

ضياعُ ليبيا وتقاعُسُ الاتّحاديين:

وأثناءَ حُكم الاتّحاد والترقّي ضاعت ليبيا، احتلّها الإيطاليون، كانت إيطاليا تفكّر منذ فترةٍ طويلة في اقتناء مستعمَرة، كانت تستعدّ للاستيلاء على طرابلس الغرب، وبموافقة الدّول الأوروبّية استعدّ الجيشُ الإيطالي لذلك. وعند قيام الجيش الإيطالي بمناوراته وُجّهت الدّعوة إلى الملحق العسكري العثماني (الاتحادي) علي فؤاد باشا لمشاهدتِها.

وقد نشرتِ الصّحف صورةً لهذا الملحَق العسكري، وهو بجانب قائد القوّات الإيطالية، كانت سفارتُنا نائمة، وكان في نشر هذه الصّور أبلغ الاستهزاء بنا!. قام الجيش الإيطالي بالتوجّه إلى طرابلس الغرب، كان الصّدر الأعظم منها- وهو إبراهيم حقي باشا[1]-.

قدّمتْ إيطاليا إعلانًا بالحرب ضدّنا في ورقةٍ رسمية قدّموها للصدر الأعظم الذي كان يلهو في أحدِ الملاهي الليلية، لم ينظرْ إلى الورقة عندما قدّموها له، من فرط انْشغاله بالملهى طبّق الورقة ووضعها في جيبه، وبعد 24 ساعة فتح الورقة ليعرف ما فيها، وإذا فيها إعلان الحرب!!، كان هذا الرجل

(1) إبراهيم حقي باشا (1863- 1918): رجل دولة عثماني. بعد العمل في الحكومة المركزية، حصل على منصب وزاري في عهد جمعية الاتّحاد والترقي. وعيّن سفيرًا في روما، لكن استدعي وأصبح صدرًا أعظم في سنة 1910 عشية الحرب مع إيطاليا. كان متشائمًا من النتيجة فاستقال عندما قرّرت جمعية الاتحاد والترقي شنّ حرب عصابات على الإيطاليين. توفي في برلين، حيث عيّن سفيرًا في سنة 1916.
انظر، أندرو مانجو: أتاتورك.. السيرة الذاتية، ص563.

يعمل بالنهار جيِّدًا، ويسهر بالليل بين النِّساء واللَّعب، وكان نَهِمًا للأكل، حتَّى إنَّه عندما كان سفيرًا بعد ذلك في برلين ماتَ بالتُّخمة.

قال لي ذاتَ مرَّة: «إنَّ محمود شوكت باشا له عقل عصفور، ولم أرَ أشدَّ حُمقًا منه»!!، والحقيقة كان كلامه هذا صحيحًا.

أقال الاتِّحاديون هذا الصدرَ الأعظم، ولكنَّهم لم يجدوا وسيلة لإرسال الجنود إلى طرابلس الغرب، سيطرَ الأسطول الإيطالي على السَّواحل، كما احتلَّ الإيطاليون جزيرة رودس وبقية جُزرنا الأخرى.

أخذَ بعضُ الضبَّاط مثل أنور وفتحي ومصطفى كمال طريقهم إلى طرابلس الغرب عن طريق فرنسا والجزائر وتونس، كما أخذ الشَّعب الليبي في الدفاع (عن كيانه أيضًا)، نظَّم هؤلاء الضبَّاط حركةَ دفاع الشعب الليبي. تمَّ ضمان إرسال الذخيرة وجماعة من الضبَّاط أيضًا إلى هناك، واستطاع فتحي أنْ يهزم الإيطاليين عدَّة مرَّات، لكنَّ هذا لم يُجدِ شيئًا، ولم تظهرْ نتيجة واضحة، وكان لزامًا التخلُّص من هذه المسألة (الليبية) بتسليم طرابلس الغرب وبعض الجزر إلى إيطاليا.

جمعيَّةُ الاتِّحاد والترقي تتفاهم مع إيطاليا، وليبيا تضيع:

حالةُ الحرب تأتي بالأضرار الاقتصادية، لذلك يلزم التخلُّص منها، رغبتْ حكومة جمعيَّة الاتِّحاد والترقي في هذا، كانت مُحِقَّة تمامًا، والاعتراض عليها في هذا اعتراض في غير موْضعه، وكان يلزم على المعارضين للحكومة أن يقدِّروها في هذا الموقف. كانت الوطنيةُ والرجولة تقتضي هذا، وتمَّ عقدُ الصلح مع إيطاليا في «أوشي»[1] بسويسرا.

---

(1) معاهدة أوشي: هي معاهدة الصُّلح التي عقدت بين الدولة العثمانية وإيطاليا لإنهاء حرب طرابلس الغرب وبنغازي، وقد أخذت اسمها من مدينة أوشي السويسرية القريبة من لوزان، وقد تمّ

غباءُ محمود شوكت باشا:

محمود شوكت باشا كم هو غبيّ وجاهل جدًّا، رفض قبولَ استقالتي من الجيش، ولكنّنا في النهاية تمكّنّا في المجلس من إصدار قرار بقبول استقالتي، وبذلك استرحتُ من عناء تحكُّم محمود شوكت باشا.

أخذَ الاتّحاديون في تخفيض رُتب الذين ارتقوا سريعًا في عهد عبد الحميد، والحقيقة أنّي كنتُ قد ارتقيتُ سريعًا في عهد عبد الحميد.

باطجةٌ برلمانية:

جاءَ يوم مذاكرة ومناقشة مادّة من موادّ الدستور، وهي المادة 35، وكان تعديلها في صالح الاتّحاديين، وضدّ مصلحتنا، إذا عُدِّلتْ هذه المادة فإنّ المجلس كان سيُحَلُّ، وإذا وافقْنا فسيقتلوننا.

وأخيرًا وجدتُ حلًّا لهذا، أخبرتُ زملائي به، وهو أنّ في أوروبا قاعدة متّبعة في هذه الحالة، المعارضون عندما يجدونَ أنفُسَهم لن يوفَّقوا في مسألة من المسائل، يقُومون بالانسحاب الجماعي من قاعة البرلمان، فإذا وُفِّقوا بهذه الصورة إلى عدم إيجاد أكثرية فإنّ بحثَ هذه المسألة لا يتمّ، وتستمرّ هذه المشكلة قائمة عِدَّة أشهر، فتجد الحكومةُ نفسها مجبَرةً على ترك المسألة موضوع الأخذ والرد.

ونحن المعارضون في مجلس المبعوثان أكثرية، لا ندخل المجلس، وبالتالي لن يستطيعَ رئيس المجلس أن يبدأ الجلسة، وهذا سلاح مشروع.

توقيعها في 10 أكتوبر 1912م، وكانت المعاهدة تضمّ أربعة ملاحق وقسمًا خاصًّا لتطبيقها ومدخل، وكانت الملاحق والمدخل والقسم الخاص كلها بنود سرية عدا الملحق الرابع، وقد تكوّنت البنود المعلنة من إحدى عشرة مادّة.

انظر، صالح سعداوي: مصطلحات التاريخ العثماني، جـ 1، ص 187-188.

دخلَ الاتحاديون المجلس، ولم يدخُل أحدٌ مِنّا، إلّا أنا وعضو آخَر بناء على اتفاق بين المعارضين. فهِمَ الاتّحاديون المسألة، فانسحبوا بعد قليلٍ من المجلس، ثمّ عادوا مرّة أخرى، الأكثريّة اللازمة لاتّخاذ القرار غير موجودة، صاح أحمد رضا (الزعيم الاتّحادي) رئيس المجلس قائلًا: «الأغلبية موجودة».

مسكينٌ أحمد رضا، إنّ ما فعله ليس إلّا جريمة تشريعيّة، لم تكُن هناك أغلبية في الجلسة، صِحْنا بأعلى صوت لدينا: «الأغلبية غير موجودة».

لم يُعِرْنا أحدٌ اهتمامًا، كم كانَ هذا استبدادًا فظيعًا، خرج المجلس عن كونه ديمقراطيًا، وأصبح هوائيًا، قام أحمد رضا بفعلته هذه بدافع المحافظة على موقعه، وكان هذا كافيًا لمَحْو شخصيته، بل وكُلّ كيانه. قال أحمد رضا: «إنّي أختم الجلسة».

إنّ هذا خداعٌ واضح، ربّما لم يحدُث في أي مكان في العالَم بعدُ، إنّ هذا الأمر وصمةُ عار كبيرة في تاريخ التّشريع التركي، وتمّ حلُّ المجلس، وتكوّنت الوزارة الجديدة برئاسة سعيد باشا[1].

(1) سعيد باشا (1838-1914م): تنقّل في عدّة وظائف في الدّولة العثمانية منها: مدير المطْبعة العامرة (مطبعة الدولة) باستانبول ومدير جريدة تقويم وقائع. بعد تولّي عبد الحميد الثاني السّلطنة عُيّن سعيد باشا في عدّة وظائف أكثرَ أهمّية، منها: باشكاتب المابين، وهو عقد الصّلة بينَ القصر والحكومة وناظرًا للدّاخلية، ونُفي إلى ولاية خداوندكار بعد حادث علي سعاوي الذي كان يأمل في إعادة تولية مراد الخامس محلّ السّلطان عبد الحميد. ولمّا صدر العفوُ عنه عمل في عدّة مناصبَ منها: ناظر العدلية ومنصب الصّدر الأعظم. انتُخب رئيسًا للمجلس الوطني بدخول جيش الحركة استانبول، وقيام حادث 31 مارت. وفي أوّل اجتماع لهذا المجلس الوطني تقرّر خلع عبد الحميد. وأصبح سعيد باشا عام 1911م صدرًا أعظم لحكومة «الاتّحاد والترقّي». وكان نصيب سعيد باشا من المجلس الجديد الإهمال. وفي وزارة محمود شوكت باشا تولّى سعيد باشا رئاسة مجلس شورى الدّولة (1913م). وعُيّن بعد ذلك رئيسًا لمجلس الأعيان. انظر، محمد حرب: مذكرات السلطان عبد الحميد، ص 275.

أحمد رضا
يفقد شرفه إرضاءً للاتحاديين[1]

وأمّا أحمد رضا، فقد قام بأعمالٍ سيّئة عندما كان في أوروبا، كان له اسم كبير، ولكي يستفيدَ من الاتّحاديين كان يعمل على خدمتهم بكلّ الوسائل القذرة، وأخيرًا أصبحَ عضوًا في مجلس الأعيان[2]، لكنّ الاتّحاديين احتقروه بعد ذلك، إنّ أحمد رضا رجلٌ قصير النظر جدًّا.

وكان لا بدّ من إجراء انتخاباتٍ جديدة، اتّخذ الاتّحاديون احتياطات كبيرة لها، عيّنوا رجالَهم الأشدّاء الموالين لهم في أماكن الولاة والمتصرّفين الشرفاء أو المتمسّكين بحرفيّة القوانين، نقلوا كلّ الموظّفين الذين يشتبهون في ولائهم لحزب الاتّحاد والترقي؛ مثال على ذلك أنّهم نقلوا أخي شكري وهو موظّف في الغابات في سينوب، نقلوه إلى منطقة طرابزون.

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 535، الحلقة السادسة، 6 رمضان 1401هـ، الموافق 7 يوليو 1981م.

(2) مجلس الأعيان (هيئة الأعيان): وهو أحدُ مجلسي الهيئة التشريعية (المجلس العمومي) في الدّولة العثمانية، والذي استُحدث بمقتضى القانون الأساسي/ المشروطية/ الدستور؛ الذي صدرَ في 7 ذي الحجة 1293هـ/ 24 يناير 1876م، وبموجب الدّستور العثماني يشكّل مجلس للأعيان، ويعيّن كافّة أعضائه من قِبَل السّلطان العثماني، وتكون عضويّته مدى الحياة، ولقد تمّ افتتاح أوّل مجلس للأعيان في الدّولة العثمانية في 4 ربيع الأوّل 1294هـ/ 19 مارس 1877م، وقد تمّ افتتاح اجتماعات هذا المجلس من قبل السّلطان عبد الحميد الثاني بحضور أعضائه وعددُهم (27 عينًا) برئاسة ثروت باشا في قصر ضولمه باغجه. ومن اختصاصات المجلس: الاطّلاع على القوانين المقدّمة له، والاطّلاع على موادّ الميزانية العامة للدّولة مادّة مادّة، وتدقيقها، ودراستها دراسة وافية. انظر، أحمد صدقي شقيرات: مؤسسة شيوخ الإسلام، 2/ 277.

أرسلَ الاتّحاديون أعوانَهم إلى كلِّ مكان للقيام بالدِّعاية لجمعية الاتحاد والترقي، كما أرسلوا أعوانَهم للتّهديد والوعيد، أنفقوا أموالًا ضخمة، وضعوا بلطجية أمام صناديق الانتخاب في استانبول، وبجانبهم مَن يحمل النقود لتهديد وترغيب الناخبين. عندما كان يأتي النّاخب للإدلاء بصوتِه يسرعون بإعطائه قائمة مرشّحي جمعية الاتحاد والترقي، فإذا رفض يضربونه.

قامَ الاتّحاديون باعتقال كلِّ زعماء المعارضة في كلِّ مكان من البلاد وضربوهم، حبسوا أيضًا كلَّ أشراف منطقتَي اسكيشهر وقونية بأجمعهم. كانت جمعية الاتحاد والترقّي تعمل على أنْ تسيطِر على طلّاب الجامعة واتّخاذهم آلة لتحقيق أهدافها.

الاتّحاديون يسيطرون على وزير الحربية:

كان كلّ مِن طلعت وأنور قد سيطرًا على ناظم باشا وزير الحربية، وصادقوه. أخذ الباشا جانبَ أنور، ورفّاه، وأخذَ كلّ مِن طلعت وأنور بسُلطات عميلها الأمير المصري سعيد حليم باشا[1] على ناظم، وكان سعيد

(1) الأمير سعيد حليم باشا (1863م - 1921م): ولد سعيد حليم باشا في القاهرة 1863م، وهو حفيدُ محمد علي باشا والي مصر، درس سعيد حليم باشا اللغات العربية، والفارسية، والفرنسية، والإنجليزية، ثمّ سافر إلى سويسرا، ودرس هناك خمس سنين، ولمّا أتمّ دراسته عاد إلى استانبول، وأصبح من دُعاة وحدة العالم الإسلامي حول الخلافة والسلطنة العثمانية، وعملَ وزيرًا للخارجية العثمانية، وعين في 13 يونيو عام 1913م صدرًا أعظم أي في عهد الاتحاد والترقي. وعندما قامت الحربُ العالمية الأولى عام 1914م دخل الاتّحاديون بالدولة إلى جانب ألمانيا في هذه الحرب، وكان سعيد حليم باشا يبذل جهدًا كبيرًا لكي تبقى البلادُ على الحياد، ولمّا لم يقنع أحدًا بذلك استقال. لكنّ الدّولة تمسكت به حتّى عاد إلى مباشرة عمله، وفي عام 1917م استقال وحلّ محلّه طلعت باشا، وعندما احتلّ الإنجليز استانبول نُفي سعيد حليم باشا إلى مالطا، وقضى فيها سنتين، واغتاله أحد الأرمن في روما يوم 6 ديسمبر 1921م.

حليم باشا يدعو ناظم باشا على الطّعام كلّ يوم.

اعتراضي على ناظم باشا وجوابُه:

أخذَ المعارضون يتذمّرون مِن هذا، وأرسلوني إلى ناظم باشا لأحدّثه في الأمر، قلت له: «يا باشا، إنّك تعامل أنور بحُسن نيّة مفرِط، ويقول الناس إنّه يخدع معاليك!».

قال لي ناظم باشا: «كلّ هذا ترّهات، فلقد أجبرتُ أنور على أن يقسم بشرفه العسكري بألّا يشتغل بالسياسة مرّة أخرى».

قلت له: «وسعيد حليم باشا!؟»

قال: «إنّه صديق قديم».

قلت له: «يا باشا، إنّ معاليك تثق بهؤلاء، إنّ أنور رجل لا كلمة له، ووعده هباء، وطلعت يقبّل يدَك اليوم، لكنّه غدًا يركُل رأسَك بقدمه».

وقد حقّقتْ الأيّامُ نظرتي، فذاتَ يومٍ هجم الاتّحاديون على الباب

وكان سعيد حليم باشا يتقن الفرنسية، ويكتب بها، ولسعيد حليم باشا عدّة مؤلفات عبارة عن رسائل منها: المشروطية (الحكم الدستوري)- مشكلاتنا الاجتماعية- مشكلاتنا الفكرية- التعصّب- تجربة قلمية حول انحطاط العالم الإسلامي- النّظم السياسية في الإسلام.
ويختلف الأمير سعيد حليم باشا عن جدّه محمد علي باشا أنّ الأخير كان متحمسًا للغرب، إلّا أنّ الأمير كان رجلًا ذا تجربة عملية في سياسة الدّولة، وذا إطلاع واسع في سياسته الأوروبّية الحديثة، وكان مصلحًا، وأجبرته الظّروف المحيطة في كلّ حياته أن يفكر طويلًا في المشاكل المتعلّقة بمستقبل الإسلام والمسلمين، كان رجلًا له اطّلاع واسع في أفكار إنجلترا، وفرنسا، وألمانيا، كاطّلاعه في القرآن الكريم، وتفسيره الأحاديث النبوية وشروحها، فكان لذلك جديرًا بأن ينصحَ للعالم الإسلامي فيما يختصّ بسياسته المستقبلية، ولم يكنْ نصحه أوروبيًا؛ بل كان إسلاميًا.
انظر، محمد حرب: الصراع بين الفكر الإسلامي والمادية، ص 5.

العالي[1]، وتدخَّل أنور في السّياسة، وأثناء الهجوم قتلوا ناظم باشا، وفعلًا جاء طلعت، وركل جثّة ناظم باشا بقدمَيه، وفوق ذلك أطلق طلعت على الجثّة رصاصة من مسدَّسه.

في حرب البلقان[2] كنتُ أنا في (كونستنجه)، دفع أنور الجنود من البحر إلى غاليبولي لطرد البُلغاريين، وكان هذا خطأً، إنّ عسكرية هذا الرجل رديئة، مات جنود كثيرون من جرّاء هذا، الواقعُ أنّ هجوم الاتّحاديين على مبنى الصدارة العُظمى كان يهدف استعادة أدرنه، وقد أظهروا هذا سببًا شرعيًا للهجوم.

---

(1) (رئاسة الوزراء)

(2) حرب البلقان الأولى: عقدت بلغاريا وصربيا معاهدة سرية فيما بينهما سنة 1912م، ووفقًا للاتفاقية كان القسمُ الأكبر من ألبانيا من نصيب صربيا، وبدأت الحرب في 8 أكتوبر 1912م بين تركيا من جهة والجبل الأسود وبلغاريا وصربيا واليونان من جهة أخرى. وتكبّدت تركيا خسائرَ كبيرة خلال الحرب، ووقّعت اتّفاقية عسكرية في 3 ديسمبر 1912م، بعد أن طلب الأتراك عقد هدنة لوقف القتال. وتبع ذلك عقد مؤتمر سلام في لندن حيث طلبت دول شبه جزيرة البلقان من تركيا التخلّي عن الأراضي المحتلة ودفع تعويضات الحرب، غير أنّ تركيا رفضت تلك المطالب، ممّا أدّى إلى استئناف الحرب بدءًا من 3 فبراير حتّى 3 مايو 1913م. وسيطرت اليونان وبلغاريا والجبل الأسود على مزيد من الأراضي في شبه الجزيرة. عقد مؤتمر سلام ثانٍ في لندن في 20 مايو 1913م تحتَ رعاية القُوى العُظمى، وتمّ توقيع معاهدة سلام في 30 مايو تمّ بموجبها تخلّي تركيا عن معظم أراضيها الأوروبية.

حرب البلقان الثانية: شهدت دول البلقان خلافات جوهرية فيما بينها خلال الأيام الأولى من حرب البلقان، فلم تكنْ راضية عن معاهدة لندن، كما أنّ معاهدة التقسيم غدت قديمة وتحتاج تعديلًا. بدأت حربُ البلقان الثانية في 29 – 30 يونيو 1913م، حين هاجمت جيوش بلغاريا كلًّا من اليونان وصربيا. لقد كانت حربًا قصيرة غير أنّها كانت أكثر دموية من الحرب الأولى، وقد انضمّ الأتراك في تلك الحرب إلى جانب اليونانيّين والصربيّين، ولم تستطع بلغاريا الصمود أمامَ ذلك التحالف، ومن ثمّ طلبت ترتيبَ هدنة لوقف القتال، وبالفعل تمّ توقيع معاهدة بوخارست في 10 أغسطس سنة 1913م. وكان من نتائج تلك الحرب أنْ خسرت بلغاريا معظم الأراضي التي أخذتها من تركيا.

انظر، الموسوعة العربية العالمية، النسخة الإلكترونية.

خيانةُ مصطفى كمال (أتاتورك):

كان الجيشُ البلغاري موجودًا في منطقة (تكير داغ) وما بعدها في حرب البلقان، أرسل قوّادنا جيشًا للدّفاع عن شبه جزيرة غاليبولي[1]، وكان أركان حرب هذا الجيش هما: فتحي ومصطفى كمال (أتاتورك فيما بعدُ)، وبناءً على ترتيبات أنور العسكرية كان هذان سيهجمان في نفْس وقتِ هجومه على البلغاريين، كان عليهما تدمير الفِرق البلغارية، اتّخذتْ التّرتيبات اللازمة، وإذا بمصطفى كمال (أتاتورك) ودون انتظار لهجوم أنور، فانطلق بالهجوم على البلغاريين، فانهزم هزيمة نكراء. تشتّت عسكرُه، وهربَ هو، وكانت نكبة، وعلى هذا أصبحَ الخوف يسيطر على الجميع مِن دخول البُلغاريين شبه جزيرة غاليبولي، وتمّ إرسال قوّات أنور إلى هناك.

---

(1) كليبولي/ غاليبولي: مّما يكسب هذه المدينة أهمية عظمى وقوعها على ضفة بوغاز الدّردنيل الذي هو الممرّ الوحيد بين بحار أوروبّا وبحر مرمرة، وهي تبعد عن مدينة أدرنة بمائة وأربعين كيلو مترًا تقريبًا. وتقع في آخر مضيق الدردنيل في الجانب الأوروبّي، وقد كان لها ولـ «جناق قلعة» الواقعة في أوّل مضيق الدردنيل في الجانب الشرقي شأن عظيم في الحروب، ولا سيّما في الحرب العالمية الأولى؛ إذ أراد الحلفاء الثلاثة: إنكلترا وفرنسا وروسيا ضرب الدولة العثمانية على رأسها، وذلك بالاستيلاء على استانبول؛ ففتحوا عليها ثلاث جبهاتٍ بريّة؛ هي: جبهة القفقاس، وجبهة مصر، وجبهة العراق، أمّا جبهة القفقاس فقد تركتها روسيا، وأمّا مصر فقد كان الإنجليز قد نشروا حمايتهم وساقوا إليها آلافًا من الهنود، وكان مركزهم في الخليج الفارسي قويًّا بفضل الجنود الهندية، وبفضل صداقتهم مع شيوخ العرب، ولا سيّما الكويت، ونجد. وتفرغ الأسطولان الإنجليزي والفرنسي لجهة الدّردنيل البحرية، ووقعت بين المتخاصمين معركة في البر والبحر لم يشهدْ مثلها من قبل، واستبسلَ العثمانيون استبسالًا منقطعَ النّظير، فصدوا هذه الحملة وأغرقوا بعض القطع البحريّة للعدو، ولكنّهم تركوا في ميدان المعركة أكوامًا من الجثث الهامدة. وقد نظم الأتراك أنشودةً وطنية تقول: في جناق قلعة وكليبولي أغلقنا الطريق على الأعداء.

انظر، محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 132.

ولتحقيق هذا الأمر تمّ إرسالُ الأميرآلاي صادق صبري، وبمجرّد وصول هذا الرجل إلى هناك، وفي الميناء التقى بـقول آغاسي علي إحسان[1]، قدّم علي إحسان لصادق صبري تقريرًا عن سبب النّكبة، وكانت خيانة مصطفى كمال.

أمّا سببُ قيام مصطفى كمال بخيانته فكان عدمُ إتاحة الفرصة لأنور في تحقيق شرفٍ عسكري، وأراد أنْ يحرز هو لنفْسه هذا الشّرف، توجّه صادق صبري، وحقّق في هذا الأمر مع ضبّاط الفِرق المذكورة، وأجمع هؤلاء في التحقيق على خيانة مصطفى كمال.

سألَ صادق صبري في هذا الأمر ومصطفى كمال نفسه، فلَم ينطِقْ مصطفى كمال بجواب، علمتُ أنا بهذا مِن صادق صبري نفْسه، وفي هذا الموضوع قام جمال الغزاوي بنشر رسالة.

قتلُ محمود شوكت باشا ونتائجُه:

كانَ ضيا بك يتحدّث عن محمود شوكت، قال لي: «يبدو أنّك لا تعرف أنهم قتلوا محمود شوكت باشا»، قلت: «الجزاءُ من جنس العمل»، قتله

(1) ( ) علي إحسان (صابيس) (1860– 1927): عسكري تركي تخرّج الأوّلَ على صفّه في كليّة الأركان، وتدرّب في ألمانيا. تميّز في بلاد الرافدين في الحرب الكبرى، وكان قائدًا للجيش السّادس الذي يوجد مقرّه في الموصل عندما وقعت الهدنة. أزيح عن قيادته نزولًا عند إصرار البريطانيّين ونفي إلى مالطا. انضمّ إلى القوميّين في الأناضول في سبتمبر 1921 وعين قائدًا للجيش الأوّل، صرف عندما عصى الأوامر وأجبرَ على التّقاعد في سنة 1923. وعمل في أثناء الحرب العالمية الثانية محررًا للجريدة النازية الألمانية «توركش بوست». وكان معارضًا لإينونو، وانتخب نائبًا في الجمعية في سنة 1950.

انظر، أندرو مانجو: أتاتورك.. السيرة الذاتية، 576.

كاظم وشوقي وحقي وضيا وأصحابهم، كانوا سيقتلون طلعت وجميعَ الاتّحاديين أيضًا. علِم طلعت بهذا، فاختبأ هو وجمال باشا، كان طلعت يعلم بأنّهم سيقتلون محمود شوكت باشا، ومع ذلك لم يخبِره بذلك ليحتاط.

معنى هذا أنّه كان يعرف بأنّ الباشا سيُقتل، قال طلعت فيما بعد: «إنّ هذا الرجل (محمود شوكت) بلاء مسلّط فوق رؤوسنا، قام أعداؤنا بالتخلّص منه، ولو لم يفعلوا هذا لَكُنّا نحن فعلناه»، ثمّ اختلف طلعت وأنور فيما بينهما.

حتّى أنّ أنور قال لبعض أصدقائه الذين فرُّوا إلى باريس: «تعالَوا نتعاون معًا، وأنا أقتل طلعت». واستمرَّ الخلاف بينهما أثناءَ الحرب أيضًا، ثمّ أجبروا قاتلي محمود شوكت باشا على الالتجاء إلى منزل في حيّ بي أوغلو، حدثت معركة مع الشرطة، ماتَ بعضهم، أمّا الآخَرون فقد أعدموهم مع الداماد[1] صالح باشا، علمتُ هذه الأخبار.

تركيا والحربُ العالمية الأولى:

دخلتْ تركيا الحرب العالمية الأولى، كنّا نحن في مصر، هجم الأسطولان الإنكليزي والفرنسي على البوغاز، قلت: «يا للمصيبة، تركيا انتهت، إنّ الأعداء سيدخُلون استانبول»، لكنّنا سُررنا عندما علِمنا بأنّهم لم يستطيعوا دخول استانبول، فرحتُ.

(1) داماد: الصّهر، زوج الأخت، زوج البنت. أطلقت اصطلاحًا للدلالة على زوج ابنة السّلطان؛ أي أنّ السّلطان إذا أصهر لأحد من مقرّبيه أطلق عليه اسم داماد؛ مثل: إبراهيم باشا صهر السّلطان سليمان القانوني، إبراهيم باشا صهر السلطان أحمد الثالث.

انظر، حسان حلاق: المعجم الجامع في المصطلحات، ص 87.

جنودُنا تدخُل بوخارست، الجيوشُ التركية ترسل إلى روسيا لمحاربة الروس الذين احتلُّوا النّمسا، جيوشنا توقِف الروس، شعرْنا بالفخر، الأسطول الألماني يلتحم مع الأسطول الإنكليزي، النّتيجة لم تُعلَن، معنى هذا هو انتصار الألمان، يقُوم الألمان بهجومهم الأخير على باريس، هزمَنا الإنكليز في غزّة، هزمونا في العراق، قام الشّريف حُسين بتمرُّده مع ابنه فيصل، وأعلن استقلاله، إنّ هؤلاء التقوا- من الصّحراء- خلف جنودنا، وهزموا جناحَنا الشمالي الموجود في بير سبع، وتسبَّبوا في هزيمتنا في جبهة غزّة.

مصطفى كمال قائدُ جيش سوريا يهربُ تاركًا أسلحته:

أمّا مصطفى كمال قائدُ جيشنا في سوريا فقدْ ترك كلّ أسلِحة الجيش وذخيرته، فأسر الإنكليز خمسةً وستّين ألف جنديّ عثماني، ونقل الإنكليز هؤلاء الأسرى إلى القاهرة.

تمرُّد الشريف حُسين:

عربيّان كانَا مِن المنادين باستقلالِ العرب: أحدهما تخرّج معنا من الحربية يُدعى نوري[1]، والآخَر أحد ضبّاطنا أسره الإنكليز في طرابلس، واسمه

(1) نوري السعيد (1306-1377هـ/ 1888-1958م): نوري بن سعيد بن صالح ابن الملا طه، من عشيرة القره غولي البغدادية: سياسي، عسكري المنشأ، فيه دهاء وعنف. ولد ببغداد، وتعلّم في مدارسها العسكرية. وتخرج بالمدرسة الحربية في الأستانة (1906) ودخل مدرسة أركان الحرب فيها (1911) وحضر حرب البلقان (1912 - 13) وشارك في اعتناق «الفكرة العربية» أيام ظهورها في العاصمة العثمانية. فكان من أعضاء «جمعية العهد» السرية. وقامت الثورة في الحجاز (1916) ولحق بها، فكان من قادة جيش الشريف (الملك) فيصل بن الحسين في زحفه إلى سورية. ودخل قبله دمشق. وآمن بسياسة الانكليز. فكان المؤيد لها في البلاط الفيصلي بسورية ثم بالعراق، مجاهرًا بذلك إلى آخر حياته.

جعفر[1]، ذهبا إلى الشّريف حُسين، حيث انضمّا إليه، واستطاع فيصل أن يخدع جمال باشا[2] في سوريا، جاءَ للحصول على بعض أسلحتنا التي في

وتولّى رئاسة الوزارة العراقية مرّات كثيرة في أيام فيصل وابنه غازي وحفيده فيصل بن غازي، وائتلف مع عبد الإله بن علي، الوصيّ على عرش العراق في أيّام فيصل الثاني. وقامت الثورة في بغداد (14 يوليو 1958) فكان فيصل وعبد الإله من قتلاها. واختفى نوري يومًا أو يومين، ثمّ خرج في زيّ امرأة، فعرفه بعض أهل بغداد، فقتلوه. وله آثار كتابية مطبوعة، منها «أحاديث في الاجتماعات الصحفية» و«استقلال العرب ووحدتهم» و«محاضرات عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسورية».

انظر، الزركلي: الأعلام، جـ 8، ص 54.

(1) محمد جعفر باشا العسكري ابن مصطفى الكردي: ولد سنة 1885م في بغداد، ونشأ بها وتلقّى العلم، ثمّ تخرّج من المدرسة الحربية بالأستانة برتبة ملازم ثان سنة 1904م، ثمّ انتخب عضوًا في البعثة العسكرية إلى ألمانيا، اشترك في حرب البلقان، وانضمّ إلى حزب العهد العربي في الأستانة، عيّن قائدًا عامًّا في جبهة برقة أثناء الحرب العالمية الأولى، ولما نودي بالأمير فيصل ملكًا عيّن كبيرًا لمرافقيه، لمّا قامت ثورة العراق اشترك فيها وفي تأليف حكومة وطنية مع عبد الرحمن النقيب وتولّى وزارة الدفاع، تولّى رئاسة الوزراء مرّتين في 1924و1926، كان يجيدُ اللّغات العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والتركية والكردية، وقليل من الفارسية، توفّي مقتولاً في جوار المشيرية ببغداد سنة 1936م.

انظر، زكي محمد مجاهد: الأعلام الشرقية، جـ 1، ص 160.

(2) أحمد جمال باشا (1872-1922): يعرف باسم «جمال باشا العظيم»، و«جمال باشا السّفاح»، وهو أحد أعضاء حكومة الاتّحاد والترقيّ الثلاثية في الحرب الكبرى. انضم إلى جمعية الاتّحاد والترقي بينما كان يعمل رئيسًا لأركان فرقة الاحتياط الثّالثة في سلانيك. عمل مع فتحي أوقيار ومصطفى كمال في أركان الجيش الثالث. أرسل باعتباره عضوًا في اللجنة المركزية لجمعية الاتحاد والتّرقي إلى أضنة لإعادتها إلى النّظام بعد مشكلة الأرمن. وأصبح محافظ اسطنبول بعد «غارة» جمعيّة الاتّحاد والترقي على الباب العالي في سنة 1913. عيّن ناظرًا للبحريّة في مارس 1914 وجمع قيادة الجيش الرابع والولاية العامّة على سورية بعدما دخلت الدّولة العثمانية الحرب الكبرى. قام بمحاولتين فاشلتين لعبور قناة السويس، وقمع المتآمرين القوميين العرب في سورية. ترك سورية بعد تشكّل مجموعة جيوش الصاعقة في سنه 1917. وفي أوّل نوفمبر 1918 فرّ إلى ألمانيا مع أنور وطلعت. تآمرَ على البريطانيين في آسيا الوسطى واغتاله أحد الأرمن في تفليس (تبليسي) بجورجيا في يوليو 1922.

انظر، أندرو مانجو: أتاتورك.. السيرة الذاتية، ص 567.

المدينة، والحصول أيضًا على النّقود، رفض بصري باشا إعطاءهم هذا، وقال: «إنّهم سيتمرّدون».

أصدرَ جمال باشا أوامره بتعيين فخري باشا على المدينة، فقدّم فخري باشا للعربِ المطلوب، حصلَ فيصلٍ على الأسلحة والنّقود بحُجّة أنه سيجمع عسكرًا من الأعراب، وسيشترك مع الأتراك في الهجوم على الإنكليز في القناة (قناة السويس)، أمّا الشّريف حُسين فقد كان في مكّة يعمل على استكمال قوته، كان الشعب كلّه هناك، وكذلك ضبّاطنا يعلمون هذا.

كان وهيب باشا هو القائد، وقد جاء للقبض على الشريف، لكنّه عاد دون أن يفعل شيئًا، أمّا غالب باشا- الذي كان قائدًا بدلًا من وهيب باشا- فقد علم من الناس بأخبار التمرّد، لكنّه لم يصدّق. وأخيرًا وذاتَ يوم باغتهم الشريف، فأسَرهم وأعلن الاستقلال، لم يحقّق أحدٌ مع هؤلاء الرجال، لا بدّ من تقديم المسئولين للمحاكَمة ذاتَ يوم. إنّ نوري وجعفر هُما الآن أهمُّ رجُلين في حكومة العراق، حقي العظم[1] أيضًا مشغول بهذه الأمور في

(1) حقّي العظم (-1282 1374هـ/ -1865 1955 م): حقّي بن عبد القادر المؤيد العظم: إداري، يعدّ من الكتاب. كان له في العهد العثماني نشاطٌ في سياسة العرب مع الترك، ثمّ كانت عليه، بعد ذلك، مآخذ. ولد وتعلم بدمشق، وأجاد مع العربية التركية والفرنسية. وعين في بعض الوظائف بدمشق والأستانة وانتقل إلى القاهرة فكان مدرسًا للّغة التركية في مدرسة المعلمين التّوفيقية سنة 1894 - 1908 وعيّن (1909) مفتّشًا في وزارة الأوقاف بالأستانة فمكث سنتين. وقصد مصر، فحمل على (الاتّحاديين) وندّد بسياسة تتريك العناصر. ونشر رسالة عن (الانتخابات النّيابية في العراق وفلسطين وسورية) وتألف في القاهرة (حزب اللامركزية الإدارية العثماني) فاختير (سكرتيرًا) له.

واشتعلتِ الحرب العامّة الأولى ورسائله تتعاقب إلى مؤيدي فكرة (اللامركزية) في بلاد الشام. فوقعتْ جملة منها في أيدي السّلطات العثمانية فكانت من أكبر ما استند إليه (ديوان الحرب العرفي) بعاليه في أحكامه يومَ علقت المشانق لأحرار العرب. واستكتبته صحف الدعاية الفرنسيّة، في

القاهرة، إنّه رجل الفرنسيين، وكان يتقاضى منهم مرتّبًا.

الألمان يريدون الهُدنة، تمّت هزيمتنا، مَثَلُنا في هذا مَثَلُ رجُل قويٍّ سليم البِنية، وإذا به فجأة ينهار ميّتًا بسكتة دماغية.

الهُدنةُ والاحتلال:

تمّ توقيعُ الهُدنة في موندوروس[1] مع الأميرال الإنكليزي، وأمّا قائد الجيش الفرنسي في سلانيك فقدْ أخذَ فريقَه إلى استانبول برًّا، يحاول الإنكليز الدخولَ أولًا، ولكن الفرنسيّين يسرعون ويتعجّلون في ذلك، حزم الاتّحاديون

أثناء الحرب، مقالات كان يستعين فيها بالصّحفي خليل زينية وهو من أبواق تلك الدّعاية. ورد ذكره في مذكرات كرد علي، بحرفي (خ. ز) وجمع بعض مقالاته في (كتاب مفتوح إلى شاعر سورية- ط) يردّ به على مقال لي، في السياسة العربية. ولمّا احتلّ الفرنسيون سورية أبرقوا إليه فجاءهم من القاهرة، وأقاموه حاكمًا على ما سمّوه يومئذ (دولة دمشق) وكمن بعض رجال (أحمد مريود) في القنيطرة، يوم زارها الجنرال غورو الفرنسي (23 حزيران 1921) وأطلقوا الرّصاص. على الجنرال، وكان معه صاحب الترجمة في سيارته فأصيب هذا برصاصة. وعوفي. واستمرّ حاكمًا خمس سنوات، وجلّ الأمور في أيدي المحتلين. ووحدت أجزاء من سورية (سنة 1925) فزالت وظيفة (حاكم دولة دمشق) فتنقل بين رئاسة مجلس الشورى ورئاسة مجلس الوزراء إلى أنْ عاد إلى القاهرة (1938) وأقام بها إلى أنْ توفّي. وله كتب بالتركية بعضها مطبوع، وبالعربية منها (حرب الدولة العثمانية مع اليونان- ط) و(دفاع بلفنا- ط).

انظر، الزركلي: الأعلام، جـ 5، ص 266

(1) هدنة مندروس/ مندروس متاركه سي: معاهدة للتهادن بين دول الائتلاف والدولة العثمانيّة التي هُزمت في نهاية الحرب العالمية الأولى، حيث أعلن الأميرال الإنجليزي للعثمانيّين أنّه مستعدّ للتّفاوض من أجل الصلح، فشكّل السّلطان محمد وحيد الدين هيئة برئاسة ناظر البحرية رؤوف بك أورباي، مع تعليمات من السلطان ومن الحكومة، وتوجهوا على مندروس في 14 أكتوبر 1918م، وجرتِ المفاوضات داخل المدرعة (أجا ممنون) واستمرّت أربعة أيام ثمّ تمّ التّوقيع على المعاهدة المكونة من 21 مادة، وبهذه المعاهدة تكون دول الائتلاف قد قسمت الدّولة العثمانية تمامًا، لكنّ المعاهدة لم تدمْ طويلًا، حيث ألغيت عقب انتصار الأتراك وهدنة موданية.

انظر، صالح سعداوي: مصطلحات التاريخ العثماني، جـ 3، ص 1310-1312.

حقائبهم وهربوا. طلعت وأنور وغيرهما من الاتّحاديين تسبّبوا في كلّ هذه المصائب، وتركوا الوطن في هذه الحالة، وارتكبوا خيانةً أكبر بأنْ هربوا بأنفسهم التي اعتبروها أغلى من الوطن ومن الأُمّة، كانت الوزارةُ برئاسة عزّت باشا[1] وقتها، وأرسلوا رؤوف (البحري) [2] إلى موندوروس لتوقيع الهدنة.

اليهودُ والأروام والأرمنُ يستقبلون الحُلفاء في استانبول بفرحة:

دخلَ الأسطولُ الإنكليزي استانبول، وكذلك الفرنسي أيضًا، قام كلّ مِن اليهود والروم والأرمن باستقبال الجنرال الفرنسي بشكلٍ يذكِّر باستقبال شعب رُوما لقوّاد روما المنتصِرين.

نشرتِ الصّحف العربية معاهَدة موندوروس، كنتُ في الصيدلية في مصر، قرأتُ المعاهدة، لفتَ انتباهي فيها المادّة السّابعة، جُنّ جنوني، قلت لأصدقائي: «هل ترون هذه المادّة؟، بهذه المادّة سيستولي الحلفاءُ على كلّ

(1) عزت باشا/ أحمد عزت فرغاش (1864-1937م): تخرج من الأكاديمية الحربية سنة 1887م، ووصلَ إلى درجة رئيس الأركان بعد ثورة 1908، خلف محمود شوكت باشا كوزير للحربيّة سنة 1913، عمل في جبهة القوقاز أثناء الحرب العالمية الأولى، خلف طلعت باشا في الصدارة العظمى سنة 1918، واشترك في العديد من الحكومات بين عامي 1919-1920، ورغم كونه وطنيًا إلّا أنّه لم ينضمّ مطلقًا على المقاومة في الأناضول.
انظر، إريك زوركر: تاريخ تركيا الحديث، ص 520.

(2) حسين رؤوف (1881-1964م): وزير البحرية العثمانية، أكمل دراسته الابتدائية والإعدادية في توربول، وتخرّج من الإعدادية الحربية في استانبول سنة 1905م، حظي بشهرة لكوْنه قائد الطّراد البحري (حميديه) أثناء حروب البلقان 1912-1913م، تمّ تعيينه رئيسًا لطاقم البحريّة العثمانية في يوليو 1918، وصار وزيرًا للبحرية العثمانية بعدها بعدّة أشهر في وزارة عزت باشا، التحقَ بصفوف مصطفى كمال سنة 1919م، وحضر معه مؤتمري أرضروم وسيواس، وانتخب عضوًا للّجنة النيابية، اعتقلته القوات البريطانية ونفتْه إلى مالطا في مارس 1920، وتمّ إطلاق سراحه في أكتوبر 1921م، فعاد إلى أنقرة، وتولّى عدّة مناصب. وكان من الموقّعين على هدنة مودروس.
انظر، قادر سليم شمو: موقف الكورد من حرب الاستقلال التركية، ص 44.

أنحاء تركيا، إنّها توضح المدى الذي يفكّرون فيه في إبادة تركيا»، كانت المادّة السّابعة هذه تنصّ على أن دول الحلفاء تستطيعُ احتلال أيّ مكان في تركيا احتلالًا عسكريًّا في حالة ما إذا رأت هذه الدّول ضرورة هذا. هذه الضّرورة سهلة جدًّا، بل إنّهم إذا أرادوا التوسُّل إليها بافتعال تمرّد يقوم به الرّومُ والأرمن وغيرهم، فما أسهل هذا!، ثمّ عُقدتْ هدنة أيضًا مع الألمان.

عودتي من مصر واحساسي بالغُربة في وطني:

بعد مُضيِّ خمسِ سنوات على وصولنا إلى مصر قرّرْنا العودة إلى الوطن، عُدنا فعلًا إلى استانبول، فوجدْنا معسكرَ الأجانب يملأون الشوارع في حي بي أوغلو، وهو حيّ الأجانب في استانبول.

ولم نرَ للأتراك أهلِ البلاد وجودًا، أمّا الأروام فقد نزعوا طرابيشهم، وألقوها تحت أقْدامهم، ولبسوا القبّعات الأوروبيّة، وعندما كان الجنود الفرنسيون والإنكليز يرون رجُلًا تركيًا يلبس الطربوشَ يأخذون في الاستهزاء به، ويُبدون له كلّ ألوان الاحتقار، بل ويسْخرون منه بالكلمات، ثمّ يأخذون طربوشَه من فوق رأسه، ويُلقونه إلى الأرض، أحسُّ الآن في بلادي بأنّي أكثر غُربة ممّا كنتُ عليه وأنا في مصر، كنت أحترقُ نفسيًّا، فكلّ الناس تغيّروا في أخلاقهم.

منظمةُ الطلبة القوميّين آلة في يد مصطفى كمال:

كوّن القوميّون منظمة باسم تورك أوجاغي، تشكّلتْ هذه المنظمة من طلبة المدرسة الطّبية، وبكلّ أسفٍ كانت هذه المنظّمة آلة في يد مصطفى كمال، وأخشى أن يأتي يومٌ يوجّه فيها مصطفى كمال ضربةً لهذه المنظمة بعد أن يمتصّها لصالحه، أمرتِ الحكومةُ بإجراء الانتخابات في كلّ أنحاء البلاد، الاستعدادات لها تجري على قدم وساق.

مصطفى كمال يركبُ الحركةَ الشعبية:

قبلَ فترة من هذا انتقلَ مصطفى كمال من استانبول إلى الأناضول، لحِق بآخِر جلسةٍ لمؤتمر أرضروم[1] الذي كوَّنه الشّعب لمحاربة جيوش الاحتلال الأوروبّية للدّولة العثمانية، بذل كلّ ما في وسعه- رغم معارضة أعضاء المؤتمر- ليصبح رئيسًا للمؤتمر، وعاد إلى سيواس، وهناك بذل كلّ مساعيه لكي يسيطر على الولاة، ويضمّهم إلى صفه، وأنْ تجري الانتخابات حسب رغبته الشّخصية.

الاتّحاديون يصبحونَ أثرياءَ حربٍ:

أحداثُ الحرب العامّة على كلّ لسان، حكايات فظيعة، مات الكثير من جنودنا في جناق قلعة[2] (الدردنيل)، أغلبُ هؤلاء من شبابنا الواعين، كان أنور باشا وزيرًا للحربية بسلطاتٍ واسعة، صرف نقودًا كثيرة، واختلسَ كثيرًا، إسماعيل حقي

---

(1) تمّ افتتاح المؤتمر في 23 يوليو 1919م من قبل شعبة أرضروم للجمعية القومية للدّفاع عن حقوق الولايات الشرقية، وتمّ انتخاب مصطفى كمال رئيسًا للمؤتمر بالإجماع، واستمرّت أعمال المؤتمر 14 يومًا، أصدر المؤتمر قراراته التي تنصّ على: استقلال الوطن دون قيدٍ أو شرط، ووحدته، والدّفاع عنه مهما كانت الظّروف. وتشكلت عن المؤتمر هيئة تمثيلية مكوّنة من تسعة أعضاء برئاسة مصطفى كمال.

انظر، الصفصافي أحمد المرسي: التطور الديمقراطي في تركيا، ص 42.

(2) جناق قلعة/ القلعة السلطانية/ بوغاز حصاري: اسم القلعة والقصبة الواقعتين عند النّقطة الضيّقة الأولى من المضيق الذي يربط بين بحر مرمرة وبحر إيجة، على الساحل الأناضولي، وهي تمثّل نقطة الدّفاع التي تحمي المضيق، وقد تمّ تشييد هذه القلعة والقلعة المقابلة لها على الضّفة الأخرى بأوامر السّلطان محمد الفاتح، وقد حاول الأسطول الإنجليزي والفرنسي اقتحامَ المضيق ومهاجمة استانبول في الحرب العالمية الأولى، لكن رغم تعرّض القلعتين من هجوم وضغط شديدَيْن إلّا أنّهما أبديا مقاومة باسلة، وتمكنت القوات العثمانية من صدّ هجوم العدوّ وتكبيده خسائر فادحة وهزيمة منكرة في 18مارس 1915م.

انظر، صالح سعداوي: مصطلحات التاريخ العثماني، جـ 2، ص 478.

الطوبال رئيس المهمّات، سرق الملايين، وظهرتْ طبقةُ أغنياء الحرب، رمضان زاده كان يشعل سيجارة زوجته النمساوية بورقة بنكنوتية قيمتها ألف ليرة!!!.

أنور باشا يذهبُ إلى جبهة (صاري قاميش) ، ويتولى هو القيادة رغم اعتراض القادة وأركان الحرب، أنور باشا يأمرُ الجنود بالهجوم، مات من تأثير الجليد في جبل صوغانلي مائة ألفِ شخص، ففرَّ هو ونجا برأسه، هؤلاء الجنود نُخبة ممتازة من الجنود، لو حدثَ هذا في أمّة أخرى لشنقوا أنور باشا، لكنّ أحدًا لم يسائل أنور.

هزيمتا مصطفى كمال في الجبهة الشرقية وغزّة:

انهزمَ مصطفى كمال في الجبهة الشرقية، ثمّ في جبهة غزّة، لكنه انتصر على الإنكليز في موقعة انافارطا، ارتكبَ وهيب باشا سرقات فظيعة، كان الشعب بالملايين يموتُ جوعًا، والأمراضُ السارية تدمّره.

الإنكليزُ يريدون عقدَ صُلحٍ مُنفرد:

أدركَ البعض أنّ هذا العمل وخيم النتائج، أراد الأمير آلاي يعقوب جميل أنْ يضرب أنور، وأنْ يعقِد صُلحًا منفردًا، الحقيقة أنّ مسألة الصلح المنفرد كان مسألة في غاية الأهمّية. فالإنكليز يريدونه ويبلّغونه لحكومتنا بمختلف الوسائل، لكنّ أنور لم يقبَل، والواقع أنّني عندما كنتُ في مصر اقترحوا عليَّ عن طريق الجنرال ديدس أن يبعثوا بي إلى أزمير حيثُ الوالي رحمي لأعرض عليه رغبتهم، لكنّي لم أقبل، كان عليَّ أن أذهبَ إلى بلدي سينوب استعدادًا للانتخابات.

ليس مصطفى كمال؛ إنّما نحن الذين وضعنا الميثاق[1]

مصطفى كمال يعترضُ على ترشيحي:

ظهرتْ أثناءَ الاستعداد للانتخابات مشكلة جَدُّ معقّدة، مصطفى كمال لا يوافق على شخصي، يريد أنْ يضع مكاني فتحي المالطي، كان المتحكّم في ولاية قسطموني اثنان؛ هُما: كور فريد، وهو نائبُ الوالي، والآخَر عثمان بك، وهو القائد، كلاهُما من رجال مصطفى كمال.

وأمّا متصرِّف سينوب فكان في صفّي، وكانت سينوب في ذلك الوقت عبارة عن سنجق (متصرفية)[2] تابع لقسطموني، أخذَ كور فريد يهدّد المتصرِّف ويرعبه، فخافَ المتصرّف، ولكنّه كان يخبرنا بمجرى الأمور خفية، لم يكُن يتدخّل، لا مع أحد، ولا ضدّ أحد، وكان هذا أمرًا حسنًا، يكفينا هذا.

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 536؛ الحلقة السابعة، 13 رمضان 1401هـ الموافق 14 يوليو 1981م.

(2) سنجق معناها اللّغوي العلم أو اللّواء الخاصّ بالدولة، ثمّ تطورت دلالة الكلمة، وأصبحت تعني قسمًا إداريًا من أقسام الدولة. وكانت الأقسام الإدارية ترتّب على النّحو التّالي: ناحية (أي بلدة)، قضاء، سنجق، ولاية، وكان اللّواء– وهو السّنجق– يشمل من 5 إلى 10 قضاءات (أو أقضية). ثمّ ألغي منصب أمير السّنجق ووضع مكانه موظّفٌ مدني بالمتصرّف، وعلى ذلك فقد تحوّل مجموعة الأقضية التي تشكّل السّنجق إلى متصرفية، ومجموعة المتصرفيات تشكل ولاية. انظر، سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص 136، 200.

كان في نيّتي الالتحاق بمصطفى كمال:

كان في سينوب بكباشي قسطموني الأصل، وكان رئيسًا للشُّعبة العسكرية، وهذا الرّجل من أنصار عثمان بك، وعمل ضدّي بشدّة، نويتُ أن أنتقل إلى الأناضول لألتحق بالحركة الشّعبية ضدّ المستعمر، لكني كنتُ خائفًا، والسّبب في هذا أنّ (علي كمال) وأمثاله من الكتّاب والصّحافيين كانوا في كتاباتهم يصوّرون الثورة الشعبية في الأناضول على أنها ثورة يُديرها الاتّحاديون، ومثل كلّ شخص آخر صدّقتُ أنا بدوري هذه الكتابات.

قلتُ لنفسي: «ماذا لو قام الاتّحاديون بتدبير أمر ضدّي!؟، ماذا تكون العاقبة إذا قمنا بمساعدةِ هؤلاء الاتّحاديين ثمّ أتوا إلى السُّلطة من جديد؟!، إنّ هذا لن يكُون إلّا حُمقًا وجريمة». ومع ذلك فقدْ راجعتُ أخيرًا مصطفى كمال في سيواس، لكنّي لم أتلقّ منه أيّ جواب، معنى هذا أنّ مصطفى كمال لا يريدني في الأناضول، اتّضح هذا في الانتخابات.

كان وزيرُ الدّاخلية في استانبول وقتَها هو الداماد شريف باشا، وكان هذا الرجُل مثقّفًا وعلى خُلق وتربية، شكوتُ إليه، فكتب إلى المتصرف يقول: «دعوا الانتخابات حرّة، ولا تدخّلوا فيها». وشكوتُ أيضًا إلى دلي حامد متصرف سمسون، وكان على علاقةٍ جيّدة بمصطفى كمال، لذلك شكوتُ إليه أيضًا، وقام هذا بدوره بالكتابة إلى مصطفى كمال، لكن كلّ هذا لم يُجدِ شيئًا، بذل كلّ مِن كور فريد وعثمان كلّ ما في وُسعِها ليبيّنا لمصطفى كمال طاعتها.

الكماليّون يستخدمون قُطّاع الطرقِ للفوز في الانتخابات:

قُطّاعُ الطُّرق في سينوب كثيرون، وجدَ رئيس الشُّعبة العسكرية أنه لا يستطيع عملَ شيء في الانتخابات إطلاقًا، فجمع قُطّاع الطرق حوله ليستعينَ

بهم بعد أنْ وعدهم باستصدار عفوٍ عنهم، وفي يوم الانتخابات كنتُ أسير أمامَ الجامع الكبير متّجهًا إلى منزلي، وإذا بصوتِ وقع حوافر جيادٍ قادمة من ناحية باب القلعة، أدرتُ رأسي، فإذا بي أرى قائدَ الشُّعبة العسكرية في المقدّمة، وخلفه ما يقرُب من ثمانين شخصًا، واصلتُ مسيري.

بعدَها وصل إلى منزلنا ديزدار حقي أفندي، وهو من الأشراف، وكنتُ أحبُّه كثيرًا، جاء مُضطربًا مسرعًا وهو يقول: «إنّ رئيس الشُّعبة العسكرية قد جمع أشقياء البلد وقُطّاع الطرق، وهجموا على البلد، وسيُجري الانتخابات كيفما يشاء، وإلّا فستحدُث مذبحة»، قلت له: «يا حقّي أفندي، لا تخَف، ألا تعرف هؤلاء المجرمين؟».

استطعنا جذبَ قُطّاع الطّرق إلى صفّنا ونجحتُ في الانتخابات:

قال لي ديزدار حقّي أفندي: «إنّي أعرف منهم حواليَ خمسة عشر أو عشرين شخصًا»، قلت له: «حسنًا، والأشراف الآخرون ألا يعرفون الآخرين؟»، قال: «يعرفون»، قلتُ له: «إذًا؛ فالغَلَبة لنا، نحنُ أهل البلد، والمجرمون يسمعون كلامنا أكثر من كلام غيرِنا، وعلى الفوْر يذهب كلّ مِنكم، ويتّصل بمَن يعرف من هؤلاء المجرمين شارحًا الوضعَ بالضّبط، أقنِعوهم واخدَعوهم، وهُم يقنعون الآخرين بدورهم، وتنتهي المسألة».

سمع منّي هذا، وذهب، وذهبتُ أنا بدوري إلى راسم بك، تحدّثْنا معًا، مال المجرمون إلينا في ظرف ساعةٍ واحدة، وتخلّوا عن رئيس الشُّعبة العسكرية الذي أُسقِط في يده، والذّنب ذنبه، فلم يكُن من أهل التّجربة والدراية، إن الثورة

والتمرُّد والإغارة والحروب وأمثالها إنّما تكُون بحملةٍ معنويّة، مسكينٌ قائد الشُّعبة العسكرية!، فلم يكُن على عِلم بهذا، وكانت النتيجةُ أنّ الأصوات كلّها أصبحتْ في صالحنا، وهكذا أصبحتُ أنا نائبًا بمجلس الأمّة.

مصطفى كمال يستدعيني:

مضى على ذلك عدّةُ أيّام، وإذا بمصطفى كمال يرسل إليّ من سيواس يستدعيني تلغرافيًا لألتحقَ به في الأناضول، عندنا مثلٌ يقول: «قبِّل اليدَ التي لا تستطيع أن تلويَها»، أمّا أنا فهل في مقدوري الآن ألّا أذهب إليه؟، الحقيقة أنّي لم أستطع جوابًا، فربّما يكون في الذّهاب إليه مخاطَرة بحياتي، ومِن ثمّ توجّهتُ إلى استانبول حيث مجلس الأمّة.

المجلس[1] ينبغي أنْ يكُون في أنقرة:

تمّ افتتاحُ البرلمان، وقبل الافتتاح وصل مصطفى كمال إلى أنقرة ،

(1) المجلسُ الوطنيّ الكبير: وهو المجلسُ النيابي الذي دعا إلى إقامته مصطفى كمال في 28 جمادى الآخرة 1338هـ/ 19 مارس 1920م عند تأجيل اجتماعات مجلس المبعوثان في استانبول، وطلبَ مصطفى كمال بإجراء انتخابات في مدّة وجيزة لعقد مؤتمر طارئ يجتمع في أنقرة؛ حيث كانت اللّجنة الدائمة اتّخذتها مقرًّا لها منذ 4 ربيع الثاني 1338هـ/ مارس– أبريل 1920م، وبلغ عددُ أعضاء هذا المجلس (270) عضوًا منتخبًا أضيفَ لهم (80) مبعوثًا من أعضاء مجلس المبعوثان العثماني الذين غادروا استانبول في ربيع الثاني– جمادى الأولى 1338هـ/ يناير 1920م، واجتمع المجلس الجديد الذي عرف باسم «بيوك ملي مجلسي»، في 4 شعبان 1388هـ/ 23 نيسان 1920م، وحاول أعضاء المجلس الإبقاءَ على علاقاتهم مع السّلطان محمد وحيد الدين؛ إلّا أنّ العلاقات بين السلطان وهذا المجلس قد انقطعت، وعيّن المجلس حكومة «مجلس وزراء» في أنقرة والتي أصبحت تعرف باسم «حكومة أنقرة».

انظر، أحمد صدقي شقيرات: مؤسسة شيخ الإسلام، 2/ 471.

وهو في حماية علي فؤاد[1] قائد الجيش، وقد نَصَّبَ نفسه نائبًا برلمانيًا عن أنقرة، قال مصطفى كمال: «إنّ افتتاح المجلس لن يكون في استانبول، وإنّما في أنقرة». وكان له بعض حقّ في هذا، لكنّ حكومة استانبول اعترضتْ عليه، لم يكن هناك أحدٌ في الأمّة ولا في البرلمان يقبَل هذا الذي نادى به مصطفى كمال.

كان أمرُ الافتتاح هذا مسألةً شخصية بَحْتَة بالنسبة لمصطفى كمال، كان يريد أنْ يجعلَ المجلس بين مخالبه هو شخصيًّا، ثمّ يقول: «انتخبوني رئيسًا»!!، وكان سيفرضُ هذا الانتخاب، وبينما كان الأمرُ يسير على هذا المنوال إذا به يقرِّر الذهاب إلى استانبول، ووصلَ بالفِعل حتّى أزمير، وإذا بنا كلّنا نقع في اضطراب عظيم، إذْ أنّه كان قد أصبح- في نظرنا- ممثّلا للحركةِ الوطنية، وحضوره إلى استانبول يعني تسديدَ ضربة لهذه الحركة.

وأخيرًا قالوا له: «لا تأت إلى استانبول لأنّك لن تصبح رئيسًا»، فوجد مصطفى كمال في ذلك القول سببًا معقولًا وضرورةً لعدم تقدُّمه وذهابه إلى استانبول، فتراجَع.

---

(1) علي فؤاد باشا/ علي فؤاد جبسوي (1882-1968م): كان رفيق دراسة لمصطفى كمال في الكليّة العسكرية وأقرب أصدقائه، وعضو في لجنة الاتحاد والترقي، رقي إلى رتبة عميد وحصلَ على الباشوية في 1918، ذهب إلى الأناضول في 1919 وصار قائدًا للمقاومة، وعضوًا في المجلس الوطني الكبير، وقائدًا للجبهة الغربية 1919-1920، أرسل كمبعوث إلى موسكو في 1920-1921، وهو أحدُ مؤسّسي الحزب التقدمي الجمهوري المعارض 1924، تمّ اعتقاله سنة 1926 بعد مؤامرة إزمير، ولكن أخلي سبيله، تصالح مع أتاتورك قبل وفاته وحصل على مقعدٍ في البرلمان، وعيّن وزيرًا للأشغال العامّة 1939-1943، ثمّ رئيسًا للمجلس النيابي 1947-1950.

انظر، إريك زوركر: تاريخ تركيا الحديث، ص 578.

السّوريون بلاءٌ مبين:

تشكّلتْ في المجلس لجنةٌ وضعتِ الميثاق الوطني، أراد رؤوف ومجدي أنْ يجعلا سوريا في إطار حدودِنا الوطنية، فاعترضتُ أنا بشدّة على هذا، قلتُ: «إنّهم- أيْ السّوريون- ليسوا أتراكًا، دَعُوهم، لن يصيبنا منهم إلّا البلاء المبين». كانا لا يزالان يفكّران بطريقةٍ إسلامية، وأخيرًا تراجعا، ادّعى مصطفى كمال في خطابه المشهور (نطق) [1] أنّه هو الذي عمل الميثاق، إنَّ مَن ينظر إلى الميثاق يتصوّر أن كلّ كبيرة وصغيرة في تركيا إنّما عملها هو، ومِن صُنعه هو!.

---

(1) نطق: هو الخطابُ الذي ألقاه أتاتورك في المؤتمر الكبير الثاني لحزب الشعب الجمهوري عام 1927م، واستغرقَ إلقاؤه ستّةَ أيام متتالية من 15 إلى 20 أكتوبر، وقبلها كان مصطفى كمال قد استغرقَ شهرًا في كتابة هذا الخطاب، جمع خلاله كلّ ما يودّ أنْ يتضمّنه الخطاب باعتباره خلاصةً لفكره وتجربته، استعرض أتاتورك دوره في حرب الاستقلال منذ أنْ وطأت قدمُه سامسون في 19 مايو 1919 حتّى عام إلغاء الخلافة الإسلامية 1924م، والمراحل التي مرّت بها حرب الاستقلال، ويقدّم فيه تفصيلات كثيرة حول أهمّ الأحداث التي أحاطت بإلغاء السلطنة العثمانية عام 1923، وعقد مؤتمر لوزان في العام نفسه، ثمّ إعلان الجمهورية التركية في العام التالي، والمبادئ التي اتخذتها الحكومة الكمالية أساسًا للجمهورية، ويتضمن عددًا من المراسلات التي تمّت في تلك الفترة. ويقول المؤرخ التركي محمد دوغان في كتابه (الكمالية) عن الخطاب بأنه ادّعاء أو اتهام وجّهه أتاتورك لأكثر من 400 شخصية تاريخية في عهده، وقسم كبير من هذا الاتهام سلبي. ويقول أيضًا المؤرّخ التركي شوكت ثريا آيدمير في كتابه (الرجل الثاني) أنّ ما قاله أتاتورك في الخطاب عن رفاق الكفاح الوطني القدامى كان بلا شكّ قاسٍ وغير منصف. لكنّ هذا يساعد على فهم الحالة النفسية لأتاتورك، كان يلفّ أتاتورك في ذلك التاريخ إحساس أسطوري، وكان يرى الأحداث والبشر من زاويته هو.
انظر، ماجدة مخلوف: الخلافة في خطاب أتاتورك، ص 23-25.

ليسَ مصطفى كمال، وإنّما نحنَ الذّين وضعْنا الميثاق:

إنّ المجلس البرلماني في استانبول هو الذي أعدّ الميثاق الوطني، إذًا كيف يمكن لمصطفى كمال أنْ يكُون هو واضعه؟!، إنّه يكذِب بهذا.

ذاتَ يوم، نزلتُ إلى المحطّة، وكنتُ متوجّهًا نحو المجلس، قطع الجنود الإنكليز الطّرق، وفي المساء علِمنا أنّ الإنكليز أذاعوا بيانًا قالوا فيه: «إنّنا قُمنا باحتلال استانبول رسميًّا»، وقام الأسطول الإنكليزي بالاقتراب من السّواحل في كلّ الجوانب، ووجّه مَدافِعَه إليها، واستولتْ الوحدات المسلّحة على الشوارع، وهجموا على كلّ مجلس الأمّة، وقبضوا على رؤوف وقره مصطفى.

رؤوف يتمسّك باعتقال الإنكليز له:

حكى لي هذا الزّملاءُ الذين كانوا هناك في ذلك اليوم، ومنهم زكي نائب منطقة كوموش خانه، أرادوا أنْ يهرّبوا رؤوف وقره واصف[1]، وكان هناك إمكان طيّب جدًّا للهرب، وأعدُّوا تجربةً لهذا الأمر في كلّ شيء مضبوطًا، لكنّ رؤوف رفض أنْ يهرب، سلّم نفسَه، إنّ هذا الشيء ملفِت للنّظر، إنّ سبب هذا يعلمه- بالطّبع- رؤوف نفسُه.

---

(1) قره واصف (1872-1931م): تخرّج من الكلية الحربية عام 1903، ورقي إلى رتبة قائد فرقة، وفي عام 1908 صار عضوًا في جمعية الاتحاد والترقي، وكان من بين أركان جيش الحركة عام 1909، عضو في الحلقة الداخلية للضباط الاتحاديين، أسهم في إنشاء القره كول عام 1918، كان عضوًا في آخر مجلس مبعوثان عثماني، ثمّ عضو في المجلس الوطني الكبير، نفي إلى مالطا عام 1920، وعندما عاد ساهم في تأسيس المجموعة المعارضة الثانية، حوكم، ثمّ أفرج عنه خلال عمليات التطهير عام 1926، توفّي ربّما منتحرًا عام 1931.
انظر، إريك زوركر: تاريخ تركيا الحديث، ص 529.

مجلسُ الأمّة ينبغي أن يكون حرًا:

قلّبتُ هذه المسألة في عقلي، إنّ مجلسًا يتلقّى ضربه بهذا الشّكل لا يمكن أن يعتبره أحدٌ مجلسًا، تنعدم حيثيّته، لا يمكنه أنْ يؤدّي عملَه، إنّ مجلسًا كهذا ينبغي أن يُلغى، كما أنّي فكّرتُ في أنْ يحدُث غدًا أو بعد غدٍ أن يُدفَع هذا المجلس إلى التوقيع على شيء تحت تهديد حراب البنادق.

لا بدّ من إغلاق هذا المجلس، لكنّ إغلاقه كلية ليس بالأمر الجيد، فقد يصبح إجراء انتخاب مرّة أخرى أمرًا صعبًا، في هذه الحالة ينبغي تعطيلُ المجلس وتسريح أعضائه مؤقّتًا، ولا بدّ بالضرورة من الارتماء بين مخالب مصطفى كمال، لا حيلة أخرى.

إنّ الوطن مفضّل على كلّ شيء، والشّيء الممكن عمله الآن هو الآتي: يجب أن ندفعَ الزّملاء النوّاب إلى اتخاذ قرار بالاتفاق بتعطيل المجلس مؤقّتًا، وفي نفس الوقت لا بدّ من إرسال مذكرة احتجاج إلى كلّ المجالس البرلمانية في العالَم، تندّد بالضربة التي وجّهها الإنكليز إلى مجلسنا التشريعي، وإظهار هذا الأمر لأنّه جريمة ضدّ الحرية.

اقتنعتْ أغلبيةُ النواب بذلك، لم يكنْ هناك غير اثنين اعترضا، علي شكري، والآخَر حلمي الطونالي، أمّا حلمي فإنّي أعرف أنّه جبان تافه، لا بدّ من تأديب حلمي، كما أنّي بذلك أكون قد أثّرتُ بشكلٍ ما في علي شكري، قلتُ لحلمي: «إني سأجهز عليك»، ارتعش حلمي، وإذا به يقول لي: «حسنًا حسنًا!، أنا موافق».

إذًا فالدّور على الآخَر علي شكري، إنّه طراز آخر؛ عصبيٌّ جبّار عنيد، إن معاملتَه بمثل ما عاملتُ حلمي ستجعله يعاند تمامًا، فتصرّفتُ تجاهه وكأنّي لست غاضبًا، حادثتُه برفقة وبحلاوةِ لسان، اقتربتُ من علي شكري، عانقتُه وقبّلته في وجهه، وقلتُ له: «هيّا، وافِق»، وسريعًا ودونَ إبداء أيّ تردُّد وافَق، إذًا فقدْ حصل الاتفاق، إننا سنحتجُّ لدى أوروبا، واتفاقنا في هذا شيء طيّب.

كتبتُ أنا صيغةَ الاحتجاج، وكانت خُلاصته: «إنّ الضربة التي وُجّهت إلى المجلس ضربة ظالمة ومفزعة جدًّا، لا حرّية تحت تهديدِ الحراب، لهذا السبب فإنّا نعطّل المجلسَ مؤقّتًا إلى أجلٍ غيرِ مسمّى، وإنّا نحتجّ لدى كلّ المجالس النيابية في العالم، ونودع التاريخ وثيقتنا هذه».

تمّت الموافَقةُ على هذا بالإجماع، كتبتُ الاحتجاج بالفرنسية، وأرسلْناه إلى كلّ مكان، إنّه موجود بنصّه في مضبطة المجلس، وإنّي مقتنعٌ بأني أديتُ بهذا خدمةً كبيرةً، ذلك لأنّ معاهدة سيفر[1] قُدِّمتْ بعد ذلك إلى تركيا، وتولّى الداماد فريد باشا الحكومة من جديد، ولو كان المجلسُ موجودًا لأجبروه بالقوّة وتحت التهديد على التّصديق على هذه المعاهدة.

إنّي أفخر بهذا دائمًا، إنّ فكرة هذا الأمر والجهد المبذول فيه إنّما هو بسبب همّتي أنا.

(1) معاهدة سيفر: تمّت معاهدة سيفر في نهاية الحرب العالمية الأولى(1914-1918م)، حيث وقعت الدولة العثمانية مع الحلفاء معاهدة سيفر في مدينة سيفر الفرنسية في العاشر من أغسطس عام 1920م، وكان هذا بداية التّدهور لقوة الأتراك وتاريخهم. وقد نصّت المعاهدة على أنْ تكون سوريا، وفلسطين، وبلاد ما بين النهرين)العراق) دولاً مستقلة، تتولّى الوصاية عليها القوّات المنتدبة من عصبة الأمم.

وتقضي بنودُ المعاهدة بتخلي الدولة العثمانية عن كلّ سلطاتها الإقليمية في شمال إفريقيا، وأن تتخلّى عن تراقيا الشرقية لليونان. على أنْ تكونَ سميرنا (أزمير) والإقليم الأيوني تحت حكم اليونان لمدّة خمس سنوات. واعترف باستقلال أرمينيا، وضمّ إليها جزء كبير من شرق تركيا. وقد مُنِحت حرية الملاحة في كل المياه التي حوّل الدولة العثمانية لسفن جميع الدول، وتقلصت القوّات التركية المسلحة إلى قوّة شرطة ليس إلّا. وكذلك هيّأت معاهدة سيفر للاقتصاد التركي أن يكون محكومًا من قِبَل لجنة للحلف.

وقّعت الحكومة العثمانية هذه المعاهدة ولكن القوميين الأتراك لم يقروها. ثمّ أطاح كمال أتاتورك بالحكومة العثمانية وأقام كيانًا تركيًا علمانيًا مستقلا، عاصمته أنقرة. ورفضت حكومة كمال أتاتورك الاعتراف بالمعاهدة التي وقعت في سيفر. وقد هزمت القوات التركية اليونانيين في أفيون قارا حصار وبورصة، ثمّ طردت اليونانيين من أزمير. وفي عام 1923م ناقشت الحكومة التركية معاهدة جديدة مع قوات الحلفاء في لوزان بسويسرا.

انظر، الموسوعة العربية العالمية، النسخة الإلكترونية.

التحاقي بحركة كمال أفادها دِعائيًا[1]

أحرّض الناس للالتحاق بمصطفى كمال:

الآنَ أقُوم بالدّعاية لكي يهرب كلّ الناس من استانبول إلى الأناضول– حيث مصطفى كمال–، وكان المُرادُ بهذا ألّا تبقى الأغلبية (أغلبية النواب) في العاصمة استانبول.

بدأ– ولكنْ ببطء– قِسمٌ من النوّاب في الهروب إلى الأناضول، وأنا حتمًا كنتُ سأهرب، فاتحتُ إسماعيل حقي باشا بأفكاري هذه، اعترض بشدّة، لكني لم أُعِرْ اعتراضه ذرّةً مِن اهتمام.

كانت الحكومةُ في هذه الأثناء في اضطراب، وعلى وشكَ السّقوط، وسيتولّى بعدها فريد باشا رئاسةَ الوزارة، أمّا الصّلة بين استانبول والأناضول فكانتْ مقطوعة، لا تعرفُ واحدة عن الأخرى شيئًا.

الحقيقةُ أنّ الوزارة وعلى رأسها علي رضا باشا وزارة فيها حميّة، رأيتُ هذا بعيني عدّة مرّات. وزارته كانت تريدُ أن تتعاون مع الحركة الوطنية في الأناضول، كانوا يريدونَ أن يكُون بينهم وبين الأناضول تخابُر وتعليمات، أرادوا أنْ يبعثوا وفدًا من النوّاب إلى أنقرة من أجْل ذلك، كان النوّاب–

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 537؛ الحلقة الثامنة، 20 رمضان 1401هـ الموافق 21 يوليو 1981م.

أيضًا- يريدون هذا، لكن هذا لم يَعُدْ مُمكِنًا، وفي اجتماع خاصّ للنوّاب في المجلس تشكَّل الوفد المُشار إليه من أربعة أشْخاص، وكنت أنا ضمنه، وبفضلِ هذا تقرَّر ذهابي إلى أنقرة، توجَّه الوفد إلى الباب العالي، استقبلَنا علي رضا باشا وصالح باشا.

نحن: ما هي واجباتنا؟!، وأيُّ خدمة نستطيع أن نقوم بها؟.

صالح: واللهِ إنَّا أيضًا لا نعرف.

واستولتِ الحيرةُ والدّهشة علينا.

أنا: في هذه الحالة!.

صالح: تصرَّفْ بما تعلم أنّه مصلحة الوطن، ولكن هناك نقطة مهمَّة، إن وزارتنا تهتزّ، وسيأتي فريد باشا رئيسًا للوزارة القادمة، وإذا أتى فسينتهي كلّ شيء إلى السّيء، ينبغي ألّا يتولّى الوزارة، بقاؤنا خير، لا شكّ أننا سنسقُط إن آجلًا أو عاجلًا، ولكنْ بقدْر ما نستطيع البقاء بقدْر ما يكون في هذا صالح للبلاد.

كلامُ الباشا مضبوط، ولا أحد يستطيع الاعتراض عليه، وإنَّا نسمع أن مصطفى كمال لم يقبلِ التّعامل مع هؤلاء، فضلًا عن أنّه يعمل ضدّهم، وهذا لا شكّ أمر غير مُصيب.

صالح: هيَّا، أسرِعوا بالتحرك.

مصطفى كمال يقبض على وفد أنا عضوٌ فيه:

تحرَّكْنا ووصلْنا إلى إزنيق، استضافنا فيها متصرِّفُها، ويُدعى سعاد، وفي اليوم التالي وصلتْنا صحف استانبول، وقد أطلقتْ علينا لقب «وفد التضحية»، شيء عجيب، وكأنّنا لجنة مهمَّتها تقديمُ النّصح، معنى هذا-

بالنّسبة لكلام الجرائد- أن وزارة استانبول أرسلتْنا لكي ننصحَ القائمين بالحركة الوطنية في الأناضول، ونقنع مصطفى كمال.

ولا بدّ من محاولة هذا، وهذا يستلزمُ وقتًا، ليست خطّة خبيثة، معهم الحقّ في هذا، لكنّهم استعملونا كحيواناتِ المعامل. ذلك لأنّ مصطفى كمال سيطير صوابُه من جرّاء هذه الجملة، أيقبل هو أنْ يتصاغر لدرجة تلقّيه النّصيحة؟!، لا بدّ أنّه سيتخذ ضدّنا إجراءات رديئة، لم يفكروا في هذا.

في الطّريق وصلتْنا برقية مصطفى كمال، باختصار يقول لنا: «إنّكم عملاء للإنكليز، إنّكم خونة لوطنكم، إنّكم رجال حكومة استانبول الحقيرة»، تحقير وتهديد مدهش، ها هو بالضّبط ما كنّا نفكّر فيه ونخشاه قد حدث، حتّى العودة إلى استانبول لم تعُد مُمكنة؛ لأنّ المنطقة تحت سيطرة القوات الوطنية التي يرأسها مصطفى كمال. إذًا فقد سبقَ السيف العذل، وانطلق السهم من قوسه.

أجبْنا على مصطفى كمال ببرقية قلْنا فيها: «إنّنا لسنا كذلك»، أجابنا بقوله: «أنتم وفد نصيحة، وبينما يفرُّ الوطنيّون ويصلون عندنا سيرًا على الأقدام بعد تنقُّل بين الجبال والأحجار، تأتون أنتم إلى هنا مرفّهين داخل قطارٍ تابع للإنكليز، ما قولكم في هذا؟!».

إذًا فهذه هي النّتائج المضرّة لما نشرتْه الصّحف، لكن الأساس في الأمر أنّ مصطفى كمال لا يريد أنْ يتعاون مع استانبول، إنّ طموحه ينحصر في أنه يريد أن يركّز كلّ شيء في ذاته شخصيًا.

أجبتُ أنا على مصطفى كمال، كلّمته مِن علِ، كتبتُ له عن الأحوال، وأننا لم نفكر إلّا في الوطن، ولا قصدُنا إلّا مصلحة الوطن، لهذا ركبْنا هذه

الصِّعاب والمخاطر، كما قلتُ له إنّنا لسنا وفدًا ناصحًا، وإنّنا أكبر من أن نكُون مطيّة للإنكليز، وبذلك لا يمكنُ أن نكُون جواسيسهم.

كتبتُ إليه كلّ هذا بلهجةٍ شديدة، حتّى أنّ الزملاء قالوا لي: «إنّك ستُثير علينا هذا المغفّل- أيْ مصطفى كمال- وتغضبه علينا»، قالوا هذا وأرادوا تعديل البرقية، لكنني خالفتُهم، وأخيرًا ألغوا جُملة أو اثنتين من البرقية.

أحسَستُ بشيء غريب، قلتُ لزملائي في الوفد: «يبدو أنّنا مقبوض علينا ولا ندري»، ثمّ أدركْنا أنّ هذا صحيح بالفعل.

وأخيرًا تلقّينا الجوابَ من مصطفى كمال على برقيّتنا إليه، كان في هذه المرّة رقيقًا وهو يدعُونا، وعلى الفوْر إذا بعملية القبض علينا التي أحسسْنا بها إذْ لم نكن نستطيعُ التجوُّل أو الخروجَ من المكان الذي نحن فيه، قد انتهت، خرجنا وتجولنا قليلًا.

خائنٌ مَن لا يلتحق بمصطفى كمال!

كان كثيرٌ من الناس قد انتقلوا إلى أنقرة، وأصبح من الموضة أن يُطلَق على كلّ مَن لا ينتقل إلى الأناضول لقب (خائنٌ للوطن)!، وكان هذا خطأً عظيمًا، إن في استانبول كثيرًا من الوطنيّين يشكّلون الجمعيات من أجْل إرسال الأسلحة إلى الأناضول، فكيف يمكِن أن يُطلَق على هؤلاء أنّهم خونة؟!.

لقائي بمصطفى كمال:

وأخيرًا وصلْنا أنقرة، التقينا بمصطفى كمال، شرحْنا له الموقف، لم يقبلْ ألبتّة التعاونَ مع استانبول، «يا عزيزي ما الضّررُ في هذا؟، بالعكس فالفائدة إنّما تكُون في هذا»، لكنْ لا مُجيب.

كنّا مقتنعين بأنّ العمل مع هذا الرجل مستحيل، أردْنا العودة إلى استانبول، ذهبْنا وأبلغْنا مصطفى كمال بأنّنا سنعُود، وفجأة أصابني المرضُ، وإذا بمصطفى كمال يزورني، ويأتي حتّى سرير مرضي، كان ناعمًا ورقيقًا، أراد أن يجاملَني، قال لي: «لا تذهبوا، فالوطن في حاجة إليكم».

نشرَ مصطفى كمال- عقبَ إبلاغنا له برغبتنا في العودة- تعميمًا مؤدّاه أنني ويوسف كمال قد التحقْنا به، أخبرَنا بهذا بعد أنْ نفّذ الأمر، اضطرب أهالي سينوب مِن جرّاء هذا الأمر خوفًا من أنْ يقضي مصطفى كمال على حياتي، أبرَق لي الأهالي يسألونني عن صحّتي، أجبتُهم بقولي: «لا تقلَقوا، اعملوا في سبيل الوطن».

التحاقي بحركة كمال أفادَها دعائيًا:

أثّر بيانُ مصطفى كمال هذا تأثيرًا طيّبًا جدًّا في الأمّة، كلّ الناس كانوا أعداء الاتّحاديِّين. إنّ أكبرَ جريمة قام بها علي كمال (الصحافي) هو أنّه أظهر الحركة الوطنيّة في الأناضول على أنّها حركةٌ اتّحادية قامت بها جمعية الاتحاد والترقي، وهكذا خدعَ الأمّة ومنعَ أكثر الأهالي الوطنيين من الاشتراك لمدّة طويلة في هذه الحركة، حتّى أنّه تسبّب في أنْ يتحرّك كثيرٌ من الناس أعداء الاتّحاديين ضدّ القضية الوطنية.

لم نعُد نستطيعُ العودة، لقد جعلَنا مصطفى كمال ببرقية نُواجه الأمر الواقع، كانت هذه البرقيةُ ذاتَ تأثيرٍ كبيرٍ في القضية الوطنية، فقدْ كان كلّ مَن في استانبول من فريد وعلي كمال والائتلافيّين والسلطان يصفون حركة الأناضول بأنّها حركة اتّحادية، كان الشّعب كلّه في الأناضول- خاصّة هؤلاء

الشرفاء المعارضين للاتحاديين- يخافون من هذا، ويشعرون بالحساسية تجاهه.

وكان التحاقي بالحركةِ الوطنية في الأناضول أكبرَ دليل بارز على أنّ هذه الحركة ليستْ حركة اتحادية، فبدأ هؤلاء في الالتحاق بالحركة والانتقال إلى الأناضول بعد إذاعةِ هذه البرقية، بعد أنْ فعل مصطفى كمال بنا هذه الحركة التي احتقرنا بها، يريد الآنَ أن يستفيد منّا ولا يتركنا، أراد الاستفادة منّا لاسمه هو، ولصالحه هو، لا نستطيعُ العودة، أحيانًا نلين، ولكنْ كلّما نتذكر هذه الحركة ننهض مرّة أخرى نستعِدُّ للعودة.

في أنقرة.. الشّوارع خالية، لا أحد فيها، وليس لدينا عملٌ فيها، يستدعِينا مصطفى كمال بين الحين والحين- أنا ويوسف كمال- إلى مدرسة الزراعة، إنّه ينام فيها، هذه المدرسةُ تقع فوق تلّ بجوار أنقرة، كان يتباحثُ معنا هناك حول ضرورة تشكيل حكومة، وكيفية تشكيلها.

البرلمانُ الكمالي التّافه[1]

مصطفى كمال يؤسِّس برلمانًا آخَر:

يوجد في أنقرة ما يسمّى بالهيئة التّمثيلية، وعندما أُغلِق البرلمان في استانبول أصدر مصطفى كمال أوامرَه إلى كلّ أنحاء البلاد، أرسل يطلب من كلّ مدينة أن ترسل إليه خمسة أشخاص، وأخذ هؤلاء يتوافدون على أنقرة رُوَيدًا رُوَيدًا، وكان هؤلاء على الأغلب من الأهالي المحلّيين في كلّ مدينة.

البرلمانُ الكمالي تافه:

كان هناك في كلّ مدينة بعضُ التّافهين من الأشخاص الساقطين، ولمّا كان كلّ النّاس يعتقدون أنّ الذين يدِيرون الحركة الوطنية في أنقرة سيُقبض عليهم إنْ آجِلًا أو عاجلًا، وأنّهم سيُشنقون، فقدْ أرسلتْ المدن أشخاصًا غير مرغوب فيهم- أشخاصًا لا يحبّهم أحد، ويتمنّى كلّ أحدٍ موتَهم- إلى أنقرة لكي يلقَوا حتفَهم، أسُوق مثالين على هذا؛ أمين الجراح من بورصة، ورضا الأرناؤوطي من سينوب.

الخمرُ حتّى الثّمالة أثناء الكفاح:

قامَ علي شكري نائب طرابزون- وهو إسلامي- بالفِرار والانْضمام إلى الحركة الوطنيّة في الأناضول، كما انضمَّ إليها أيضًا يونس نادي (شيوعي)، وثريا الصحافي ونائب إزميد، وكان معهم حلمي الطونالي.

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 538؛ الحلقة التاسعة، 11 شوال 1401هـ الموافق 11 أغسطس 1981م.

وفي الليل، كان كلٌّ مِن يونس نادي وثريا يشربان الخمر، ويلعبان القمار حتى الصَّباح، ويلعبان البوكر!، كان حلمي الطونالي عادةً يأتي سكيرًا أو في حضنه زجاجة الخمر!، لم يكُن ينام، وعندما كان شراب الراقي ينتهي منه كان يوقِظنا ليلًا لكي يسألنا أنْ نعطيه ممّا لدينا!.

لكنّ علي شكري كان رجُلًا شريفًا، لم يكُن يشربُ الخمر إطلاقًا، هكذا كان، بل إنّه لم يكُن حتّى ليشرب السيجارة ولا القهوة، كان ضابطًا في البحرية، وكان في إنكلترا، لكنّه كان فيه تعصُّبٌ ديني ملحوظ، كما كان عصبيًا.

لماذا يريدون دفعنا بالقوة إلى الجنة؟!:

أمّا يحيى غالب فقدْ كان متعصّبًا في دينه، هكذا كان يبدو، كان شيخ طريقة، كان يغضب منّا لأنّنا لم نكن نصلي، وكان بعضُنا يلعب القمار ويشرب الخمر، وذات يوم إذا بنا نجد تنبيهًا على كلّ الحجرات والعنابر: «ممنوع شربُ الخمر ولعِبُ القمار، وعلى كلّ فرد أن يصلي الصّلوات الخمس»!!، كان هذا هو أمرَ يحيى غالب نائب الوالي (في أنقرة).

تهكّمتُ أنا على هذا الأمر وسخرتُ منه، قلت إنّه ناظر مدرسة، رجل صعب، ضقتُ ذرعًا، هل نحن تلامذةُ مدارس؟!، صحيحٌ أنّ القمار والخمر أمران رديئان، له حقّ في هذا، والصّلاة؟!، هل هذا الرجل يريد أنْ يدفعنا بالقوة إلى الجنة؟!، شيء غريب!، رجل ساذج، وعقل ساذج!.

وفي اليوم التّالي، قام بتعيين مؤذّن لينادي بالأذان، وقف المؤذن المسكين بجانب بابنا، أدار وجهَه ناحية الباب، أذّن للصّلاة بأعلى صوتِه، غضبتُ وانطلقتُ من مكاني أطحتُ بالمؤذّن خارجًا!!.

قال: «إنّي أؤذّن للصّلاة»، قلتُ له: «إنّ الأذان لا يُنادى عليه هكذا، إنّ الأذان مكانه المناسب على مئذنة أو في جامع، إنّ ما فعلتَه أنا بك إنّما هو شيء يليق بمؤذنٍ مثلك»!.

المهمّ أنّنا تخلّصْنا من مسألة الأذان هذه على الشّكل الذي شرحته، فلم يعُدْ المؤذن يأتي مرّة أخرى، وبذلك تحوّل يحيى إلى عدوّ لي، وأخذتُ أنا في الاستهزاء به، أطلقتُ على يحيي غالب لقب (الخاقان[1])!.

وأخيرًا، وبعد تفكيرٍ وصلتُ إلى فكرة أنْ أبقى في الأناضول، وألاّ أعُود إلى استانبول رغم كلّ شيء.

كان في أنقرة عدّةُ أشخاص يطلِقون عليهم اسم الهيئة التّمثيلية، وهي هيئة سياسية، لم يكُنْ بينهم شخص مثقّف واحد، كما لم يكنْ بينهم حتّى ولا واحد له خدمات تُذكَر، وكان مصطفى كمال رئيسًا لهذه الهيئة.

حتّى هذه النقطة ممّا كتبتُه لم يكُن اشتراكي في الحركة الوطنية إلّا بهذا القدْر، لم يكُنْ لي دورٌ قطّ في أوّل الحركة، فقد كنتُ في مصر، وعندما سمعتُ بقيام الحركة وأنا بمصر خفقَ قلبي وبكيتُ من شدّة الفرح، إنّ هذه الحركة الوطنية لم يقُم بها إلّا الشّعب.

على سبيل المثال، قامت مجموعة من الضّباط- مثل كول علي وواحد أو أكثر من الأشراف- مع متصرّف أو أشخاص، كوّنوا مجموعات، مثلما حدث في منطقة باليق أسير، ومغنيسيا (مانيسا)، وأرضروم، وآطنه، وفي كلّ هذا لم

(1) خاقان: علم واسع لكلّ ملك من ملوك الترك. وتعني السلطان الأعظم. أصلها «قان قان»، أو «قان القان»، أو «قان القانان»، ثمّ قصر. وقيل هي الرسم العربي للقب السلاطين الأتراك «قاغان». انظر، أدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة؛ مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية.

يكُن لمصطفى كمال أيّ دور أو أيّ شرف، إنّه أصبح رئيسًا فيما بعد على رأس هذه الحركة التي كانت قد توطّدتْ وبرزتْ بالفِعل قبله.

أمّا بعد تلك الفترة، فكنتُ أنا في قلب الأحداث.

والآنَ أفتح بابَ الحديث عن الحركة الوطنية بتفاصيلها، وفي هذا أبدأ من جديد من البداية:

مصطفى كمال يكذب في الميثاق:

في العام الماضي، ألقى مصطفى كمال خطبةً استمرّت ستة أيّام في البرلمان، وأجبر صنائعه هؤلاء الذين عملهم نوّابًا يستمعونَ إليه طيلة هذه الأيّام السّتّة، وأمر بطبع خمسين ألف نسخة من هذا الخطاب على حساب الدولة.

كثيرٌ من المسائل كتبَها خطأ، وكثيرٌ من الوقائع تغافل عنها، وفي كلّ سطر يُظهِر نفسَه بأنّه هو وحده الذي صنع كلّ شيء!، وطبع في هذا الكتاب الوثائق التي تكون في مصلحته فقط، ولم يضع فيه ما لا يتّفق مع مصالحه من وثائق!.

مادمتَ- يا مصطفى كمال- أوردتَ وثائقَ في الكتاب فلا بدّ أن تضعَها كلها، ولكلّ واقعة مئاتُ الوثائق، ويتّضح من قراءة هذا الكتاب أنّ هذا الرجل يغالط الأحداث ويبدّلها بحيث تكُون في صالحه، إنّه جسُور على تزييف التاريخ.

وبناءً على هذا فإنّي وأنا أكتب هذه المذكّرات أضع في نفس الوقت أمامي نسخة من هذا الخطاب في الكتاب؛ لكي أصحّح ما جاء مزيّفًا فيه.

أوروبّا تحتلُّ الدّولةَ العثمانية[1]

عندما تمّ توقيع الهدنة قام الإنكليز بأسطولهم بحرًا والفرنسيون برًّا- عن طريق تركيا- بدخول استانبول، وكان الأتراكُ في حزن عامّ وعميق، أمّا الأروام (اليونانيون) والأرمن فكانوا في سعادةٍ غامرة فائقة، ويقيمون الأفراح لدخول الجيوش الأجنبية استانبول، وشارك الأروام والأرمنَ فرحتهم وبهجتهم اليهود أيضًا، الإيطاليون واليونانيّون دخلوا- مِثلهم مثل الإنكليز والفرنسيين- بلادَنا محتلِّين.

اتّخذ الإنكليز والفرنسيون في الحرب العالمية الأولى الكثير من الجواسيس من الأروام ومن اليهود، وخاصّة من الأرمن، كان الإنكليز يستخدمونهم تحت اسم مُترجِين، لم يحبّذ الإنكليز والفرنسيون هؤلاء ليكُونوا مجرّد جواسيس فقط، بل استخدموهم جنودًا في خدمتهم.

القناعُ يسقطُ عن وجه الكنيسة:

عندَ دخول المحتلِّين الإنكليز والفرنسيّين العاصمة استانبول ابتهجتْ بطريركية الأروام باستانبول، فَجَرَتْ وتجاوزتْ حدَّها، وسقطَ القناع عن وجهها، وأظهرتْ ما كان في داخلها، وكان ذلك كاللّغم المنفجر، الأرمن أيضًا كانوا كذلك، تركّزَ فكر هؤلاء واعتقدوا أنّ المسالة قد أصبحتْ كالتالي: أنّ تركيا انتهت!، وسيتمُّ تسليم استانبول وجزء كبير من الأناضول التركية إلى اليونان، وستُبعَث بيزنطة من جديد.

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 539، الحلقة العاشرة، 18 شوال 1401هـ الموافق 18 أغسطس 1981م.

الأرمنُ يريدون اقتطاعَ دولةٍ لهم من تركيا:

وبعد أنْ تُبعث بيزنطة من جديد ستصبح المناطق الباقية من تركيا في شكل جديد يسمّى أرمنستان (مملكة بلاد الأرمن)، وأصبح كلّ من الأروام والأرمن في تركيا يطلِقون على بعضهم البعض (أمّة الجوار)، مع أنّ هاتين الأمّتين يكره كلّ منهما الآخَر كُرهًا تاريخيًا، يمتدّ إلى أكثر من خمسة عشر قرنًا، بينهما نزاع دموي رهيب، سياسي وديني.

هيئةُ الصّليب الأحمر اليوناني متآمرة:

سمحَ اليونانيون لكلٍّ مِن هيئة الصليب الأحمر اليوناني، ولجنة المهاجرين، وهُما مؤسَّستان لها صفةٌ إنسانية، بدخول استانبول فورًا، والحقيقة أنّ هاتين المؤسَّستين إنّما كانتا أداةً سياسية ودعائية مضادّة للأتراك، وكنيسة الفنار[1] في استانبول تخضعُ خضوعًا تامًّا، ودونَ قيدٍ ولا شرط لأوامر اليونان، وهناك تشكّلت جمعية استقلاليّة باسم ماوري ميرا[2].

---

(1) الرّوم الفناريين: يطلق هذا الاسم على الرّوم الذين عملوا في خدمة الدولة العثمانية، وقد أطلق عليهم هذا الاسم لأنّهم كانوا يجتمعون في بطريركية الروم الموجودة في حي «فنار» باستانبول، وكانوا يتولّون أعمال التّرجمة والكتابة في الدولة العثمانية، وقد حكم بعضهم إمارة الأفلاق والبغدان.

انظر، ماجدة مخلوف: تحولات الفكر والسياسة، ص 36.

(2) علّقت البطريركية اليونانية الأرثوذكسية باستانبول علم بيزنطة، وكأنّها تعلن بذلك استقلالها، ووضعت نصبَ عينيها أن تكون المثّل السياسي لليونان ومثل الحلفاء في استانبول، وكثّفت الجمعيات من أنشطتها، وقد ظهرت إلى الوجود بدءًا من عام 1918م تسعُ جمعيّات جديدة، هي: جمعية المطبوعات الرومية، جمعية الكشافة الرومية، جمعية الدّفاع القومي الرومية، جمعية تراقيا الرومية، جمعية المهاجرين الروم، جمعية التجار الرّوم، جمعية آسيا الصغرى الرومية، الجمعية الأدبية الرومية، جمعية برنتوس الرومية. كانت هذه الجمعيات مرتبطةً بالبطريركية، وتحصل على المساعدات المالية لدعمها من الصّليب الأحمر اليوناني، وكذلك من بنوك أثينا وسلانيك.

انظر، ثريا شاهين: دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية، ص 91.

فتحوا البابَ المغلَق في البطريركية، وهو بابٌ كان أُغلِق بعد واقعة تُسمى واقعةَ البطريق، إذْ تمَّ شنقُ أحد البطارقة عليه قديماً[1]، واعتقدَ النّصارى أنّ هذا الباب سيُفتح مرّة أخرى عندما تُبعث بيزنطة من جديد في استانبول؛ بعد القضاء على المسلمين وطردهم، وتصوَّروا أنّ هذا اليوم قد جاء، الكشّافة يعملون، اليونان تُعطي الأروام في تركيا السّلاح لكي يكُونوا على أُهْبة القتال.

قسّيسٌ يوناني يدعو لإقامةِ دولةٍ نصرانيّةٍ على أرضٍ تركية:

تشكّلتْ جمعيّةٌ باسم جمعية (بونتوس)، وقد كان تشكيلها جدِّيًا وسريعًا، وهذه الجمعية تتصوّر مملكةً نصرانيّةً تمتدّ من طرابزون حتى سينوب في تركيا، وكان على رأس هذه الجمعية القسّيس اليوناني طرابزون، كان هذا القسيسُ سمسونيا (من مدينة سمسون التركية)، فإذا بمدينة سمسون وقد أصبحتْ مركزًا لهذه الجمعية، كانت هذه الجمعيّة موجودة قبل الحرب في

(1) «يا أيّتها الأمّة اليونانية، هيّا أفيقي واقتلي الأتراك» هكذا صاح جرمانوس أسقف باتراس، رئيس تنظيم الجمعية السّرية في المورة، وهو يحمل راية عليها صورة العذراء مريم، وبدأ التمرّد عام 1821م بقيادة رجال الدين ضدّ الدولة العثمانية، قام خلالها اليونانيون بمجازر وحشيّة ضدّ المسلمين، وقد ساعدت الكنيسة المتمرّدين كثيرًا بأموال من صناديقها، واستخدام الأديرة كملاجئ للمتمرّدين ومخازن لأسلحتهم، وقد لعب البطريرك جريجوريوس دورًا كبيرًا في هذا التمرد، وكانت البطريركية الأرثوذكسية الرومية في استانبول مركزًا للجمعيّة السرية إحدى منظمات «الفكرة العظمى» التي خططت للعصيان.
فأصدر السّلطان محمود الثاني قراره بتفتيش البطريركية- بعد تردّد تحسّبًا لحملات التشويه الأوروبيّة ضدّ دولته- وبالفعل تمّت المداهمة ووجدت الكثير من المراسلات والوثائق التي تؤكّد أنّ كافّة ترتيبات التمرّد أعدّتها البطريركية، واعترف البطريرك بكلّ التّهم، فصدر فرمان السّلطان بعزله ثمّ إعدامه، وتمّ تنفيذ حكم الإعدام يوم الأحد 21 أبريل في عيد الفصح، وتمّ انتخاب بطريرك جديد.
انظر، ثريا شاهين: دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية، ص 64-69.

مدرسة الأمريكان كوليج في مدينة مرزيفون بالأناضول، وكان أعضاؤها يتكوّنون من الطلبة اليونانيين بالمدينة، وكان الأمريكان يحمُون هذه الجمعية، وبعد الهُدنة بسنةٍ واحدة تم العثور على ملء جوال من الوثائق تؤكّد فسادَ وجرائم الأرمن، حدث هذا عندما هاجمت الحكومة الوطنية في أنقرة مدرسة الأمريكان كوليج ، وعثرتْ على الأوراق والوثائق.

عبدُ الحميد يرحم الشّراكسةَ المهاجرين:

أظهرتْ جمعية بونتوس نشاطًا واسعًا، حمل السّلاحَ كلّ الأروام الذين يعيشون في نواحي سمسون، وشكّلوا عصابات، كانوا يهاجمون القرى التركية ويحرقونها ويقيمون المذابح، الأروام (اليونانيون) يطالبون باستقلال الشراكسة في دولة شركسية تُقتطع من تركيا، كان الشراكسة مطرودين بأمر قيصر روسيا عام 1864، فسيقوا نحو السواحل، ثمّ ملأ الروس بهم السفن، وأبعدوهم إلى الدولة العثمانية في تركيا، فقام السلطان عبد الحميد بإسكان هؤلاء الشراكسة في منطقة جقور أووا في سيواس.

النّصارى ولعبةُ التعداد:

أخذَ اليونانيّون يقُومون بدعاياتٍ واسعة لهم في أوروبا، قالوا في دعاياتهم هذه إنّ الأروام في الأناضول سبعةُ ملايين نسمة، في حين أنّ الأتراك في نفس المنطقة- أي الأناضول- لا يتعدّون سوى ثلاثة ملايين نسمة، حتّى فينزيلوس اليوناني نفسه يقول في أحاديثه وبلسان رسمي إنّ الأتراك ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة، وإنّ الأروام أيضًا ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة.

إنّ ما قاله فينزيلوس كذِب صُراح، يريدون بذلك أنْ يعطوا للأروام النصارى أهمية أكبر من حقيقتهم بكثير حتّى يخدموا بذلك أطماعهم في تركيا.

أوروبا تحتلُّ الدولة العثمانية:

الإنكليز والفرنسيون يدخُلون الأناضول، الإنكليز في كلّ من: أزميد، واسكيشهر، وسمسون، ومرزيفون. كانوا يريدون التغلغل حتى أرضروم.

تركوا كلّ من: أضنه، وأورفه، ومرعش، وعينتاب للاحتلال الفرنسي.

الإيطاليون احتلُّوا كلًّا من: أنطاليا، وقونية، الإيطاليون يطمعون في أيرلي وأزمير، أمّا الإنكليز والفرنسيون فلم يكُونوا راغبين في حصول الايطاليّين على هذه المناطق، وبخفّة وسرية أنزلوا اليونانيّين إلى أزمير (15 مايو 1330).

الأكرادُ أيضًا يريدون اقتطاعَ جزءٍ من تركيا:

قامَ الأكراد أيضًا بإنشاءِ جمعية أسمَوها الجمعية الكُردية، ومركزها في ستانبول، وكان هدفُ هذه الجمعية إقامةَ حكومة كُرديّة تقُوم باقتطاع جزء من الأراضي التركية، وتقيم عليها دولة كردية قوميّة. كان الدكتور عبد الله جودت[1] ضِمن هذه الجمعية، وهو مِن جمعية الاتّحاد والترقّي، وملحِد، كم

(1) عبد الله جودت (1869-1932م): ولد في مدينة عرب كير في شمال كردستان، في عائلة كردية عرفتْ باسم عمر أوغلولري، أكمل دراسته الابتدائية في مدرسة معمورة العزيز العسكرية، وعندما بلغ سنّ الخامسة عشر ذهب إلى استانبول ليلتحق هناك بالمدرسة الطبية العسكرية، ليؤسّس هناك أوّلَ خلية لجمعيّة الاتحاد العثماني مع ثلاثة من الطلاب الآخرين هم: إبراهيم تيمو (الألباني) إسحق سكوتي (الكردي) محمد رشيد (الجركسي) سنة 1889م، ثمّ اعتقل سنة 1892م لنشاطه السياسي، أطلق سراحه واستكملَ دراسته ليصبح طبيبًا، نفي إلى طرابلس الغرب، ومن هناك هربَ إلى باريس ونشر في مجلة (مشورت) لكنّه اختلف بعد ذلك مع صاحبها أحمد رضا، حيث سافر إلى جنيف ليصدر جريدة عثمانلي مع زميله إسحاق سكوتي.
انظر، قادر سليم شمو: موقف الكورد من حرب الاستقلال التركية، ص 24.

كان هذا الرّجل عديم الحياء، كان لَدَيه مطبعة، وكلّ الناس يعرفون هذا، كانت هذه المطبعة ملكًا لجمعية الاتحاد والتّرقي في جنيف، لكنّه استولى عليها لنفسه.

أخذَ الإنكليز في الاستمرار في بثّ الفُرقة بقصدِ تقسيم تركيا، وقام كلّ من الأرمن والرّوم والأكراد والشّراكسة بالمطالبة بأجزاء من تركيا؛ ليقيموا عليها دُولًا عنصرية مستقلّة، فقاموا يقولون للأتراك الخلّص من العلويّين الذين يقيمون على امتداد شريط من أنقرة إلى تبريز: «إنّكم لستم أتراكًا».

وصل الأمرُ بالإنكليز أنّهم كانوا يقولون لأهل قونية: «أنتم سلاجقة[1]»!، إنّ هذه الدّعايات لا تستندُ على أساسٍ عنصري، ولا علمي، إنّه شيء لا معنى له، لكنهم لا يعلمون.

لسانٌ واحد، وعنصرٌ واحد، وحتّى - حسب الأغلبية - دينٌ واحد، لكن نجاح الإنكليز ممكن.

---

(1) الدولة السلجوقية دولة تركية سبقتِ الدّولة العثمانية في الأناضول ومناطق واسعة من العالم الإسلامي، وكانت مدينة قونية هي عاصمتها الكبرى.

عُقدةُ أتاتورك
كانت الانتقامَ من الخليفة(1)

الإنكليز يجزدون الأتراكَ من السّلاح:

قام الإنكليز من جانبٍ آخر بتجريد تركيا من السّلاح، كانوا يحطمون المدافع التركية بالدّيناميت، يجمعون المتروليوزات والبنادقَ من الأتراك، وينقلونها إلى استانبول، ويكوّمونها في المخازن، ويحْرسونها عن طريق عساكرهم، ولقد أساءَ الانكليز معاملة الأتراك.

في استانبول حكومةٌ على رأسها السّلطان، وصِهره فريد باشا، لكنّها في وضع هو وضْع الأسرى في يد الإنكليز!، تركيا تنتهي، دولة عظيمة ذات شأن- وأيُّ شأن- دامَ تسعة قرون تنتهي(2).

كانتِ الوقائع والأحداثُ تتّجه نحو إعطاء ولاية أرضروم وحتّى نواحي طرابزون إلى الأرمن، وعلى أكثرِ احتمال تسليم طرابزون إلى الأروام.

اضطراباتٌ عظيمة، وفي وضْع كهذا لم يكُن لدى الأتراك غير المقاومة المسلحة، بدأ الشّعب في عملية تلاحُم ذاتي بدافع الخطر، وهو خطرٌ حياتيٌ ووطني.

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 540، 25 شوال 1401هـ الموافق 25 أغسطس 1981م.

(2) استمرّت الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون، ومن قبلها استمرت الدولة السلجوقية أكثر من قرنين.

مَن يأمل العونَ مِن روسيا السلاح كالغريق يتعلق بالثعبان:

أخذَ الأهالي يعقِدون الاجتماعات، يتناقشون، يتدارَسون، يتذاكَرون، أسّسوا الجمعيّات، يرسلون الرجال إلى روسيا، إلى باكو، ينتظرون المددَ من روسيا، يقول المثل: «إنّ الغريق يتعلّق بالثعبان»، قائد الجيش في هذه المناطق هو كاظم قرا بكير، شخصيّات كبيرة تعمل.

وأخيرًا، أسّس الأهالي جمعيّة أطلقوا عليها اسم (جمعية الدفاع عن حقوق الولاية الشّرقية). الأهالي يعِدُّون العُدَّة لمؤتمرٍ سياسي في أرضروم، كما أنّ أهالي طرابزون قاموا بدورهم بتكوين جمعيّتين باسم جمعية الحفاظ على الحقوق، والأخرى جمعية اللّامركزية، الحُلفاء يسلّمون إقليم تراكيا لليونان، على ذلك قام أتراك تركيا أيضًا بتشكيل جمعية (تراكيا باشا ايلي) للدّفاع عن قضيتهم، فكّر الأهالي في إنقاذ منطقتِهم تراكيا، فوصلوا إلى فكرةِ إقامة جمهوريّة، وأخذ الآخَرون يفكرون في إنقاذ أرضروم وطرابزون على الأقل.

الشّعب يقاوم:

وعندما احتلّتْ القواتُ اليونانية إزمير شكّل بعض الوطنيين في مناطق إزمير الجمعيات، واستعدُّوا للمقاومة، لم يتحمّل دميرجي أفه (أحد الوطنيين) اعتداء اليونانيّين على أعراض النّساء التركيات، فصعِد إلى الجبل ليقُوم بحركة مقاومة انتقامًا من اليونانيّين، كان يقتل في اليونانيّين ويذبح فيهم ذبحًا كلما سنحتْ له الفرصة، قام بعضُ الضبّاط الأتراك والمتصرّفين هناك بالاشتراك خفية في أعمال هؤلاء الوطنيّين.

الأرمنُ والأروام ضدّ المسلمين الأتراك:

الأرمنُ يملأون أضنه من كلّ جانب، إنّهم يطلِقون على منطقة أضنه اسم أرمينيا الصّغرى، ضجّ الأهالي هناكَ مِن ظُلم هؤلاء الأرمن، لم يجِد الأهالي وسيلة إلّا الصّعود إلى الجبال وتشكيل فِرق المقاومة والدّفاع، وقام عثمان آغا الكيراسونلي بتشكيل عِصاباتٍ مسلّحة، وأخذ يلتحِم في معارك بالسّلاح مع عصابات الأروام التي تنادي بِفكرة إقامة مملكة بونتوس النّصرانية على أرض تركيا.

إنّ هذه الجمعيات المسلّحة هامّة، إنّ هذه الجمعيات هي أوّلُ مَن قام بأول حركة ثورةٍ في تركيا، ويجبُ كتابة التضحيات التي قام بها الأهالي من خلال هذه الجمعيات بكلّ تفصيلاتها، وكذلك أسماء أبطالها، لم أكُن بينهم، لذلك لا أستطيع الكتابةَ عنهم، يجبُ على واحد منهم ومِن بينهم أنْ يكتب هذا ويودعه التاريخ.

المثقّفون يائسون، والشّعب يقاوم:

المثقّفون في استانبول يائسون، يفكّرون في إنقاذ كلّ الدولة عن طريق الانتداب الأجنبي عليها، فريقٌ من هؤلاء المثقّفين يريد الانتداب الأمريكي، وفريق آخَر منهم يريدُ الانتداب الإنكليزي، على رأس هؤلاء المُنادين بالانتداب الأجنبي كلّ من جامي ورؤوف وأحمد، وخالدة هانم (خالدة أديب)[1]،

(1) خالده أديب أديوار: خالده أديب (1884-1964م) هي أبرز روائية في فترة الأدب القومي التركي، وكانت رائدةَ النّهضة الأدبية في تركيا، اتّخذت من القصة والرواية وسيلتيْن لإبلاغ رسالتها ذات المضمون الاجتماعي، واستلهمت موضوعاتها من البطولات التي يزخر بها التّاريخ العثماني، وكان ريفُ الأناضول هو المسرح الذي دارت في أرجاءه معظم رواياتها، وكان من أبرزِ هذه الروايات: طوران الجديدة، وقد توصّلت فيها إلى استحالة قيام فكرة القومية العثمانية أو القومية الطورانية في تركيا بسبب الصراعات الحزبية السائدة آنذاك.
وقد تجاوزتْ أعمال خالده أديب نطاق المحلية إلى العالمية بعد ترجمة الكثير منها إلى أكثر من لغة أوروبّية.
انظر، زينب أبو سنة: الأدب النسائي التركي، ص 154-155.

وبكير سامي[1]، والدكتور عدنان[2] (زوج خالدة أديب)، وكان مع هؤلاء عصمت باشا (إينونو)، قام هؤلاء بإقامةِ حوار وعلاقات، وأجروا مباحثات في هذا الصّدد مع ممثل أمريكا في استانبول.

وكانت جمعياتُ أرضروم وإزمير وغيرها[3] تقُوم بالمقاومة المسلّحة، وتعمل

---

(1) بكر سامي بك (1861-1932م): من مواليد القوقاز، وكان والده موسى كوندلاكوف قيصريًّا أوّل الأمر، ثمّ أصبح عثمانيًّا فيما بعد، بدأ بكر دراسته في المنزل بشكلٍ خاص، ثمّ التحقَ بمدارس جالاته سراي باستانبول، كما درس بكلية العلوم السياسية في باريس، والتحق بوزارة الخارجية حيث عيّن سكرتيرًا في السّفارة العثمانية في سان بطرس برج 1887م، وتدرج في المناصب حتّى وصل إلى قنصل عام سنة 1904م، كما صار متصرّفًا في عدّة مدن حتّى سنة 1915م، شارك في مؤتمري أرضروم وسيواس، وكان عضوًا في المجلس الوطني الكبير منذ بدايته، كما تمّ اختياره وزيرًا للشّئون الخارجية 1920م، لكنّه بعد ذلك انضم لحزب المعارضة، واعتزل الحياة السياسية عقب فشله في الانتخابات 1927م.

انظر، قادر سليم شمو: موقف الكورد من حرب الاستقلال التركية، ص 67.

(2) عدنان أدور: ولد عبد الحق عدنان أدور في غاليبولي (باستانبول) عام 1882م، وتخرّج من المدرسة الطبية في استانبول، ثمّ من المدرسة الطبية في برلين عام 1909م، عمل أستاذًا للطبّ ومديرًا للمدرسة الطبية، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى عمل كطبيب عسكري، وانتخب نائبًا عن استانبول في البرلمان بين عامي 1922-1926، كما عيّن وزيرًا للصّحة بين عامي 1920-1922، كما كان عضوًا في المجلس الوطني التركي الكبير في الفترة من 1926-1939، كما صار عضوًا في الحزب الجمهوري التقدمي، وبعدها نائبًا عن الحزب الديمقراطي، وعمل أستاذًا في جامعة باريس، ومقرّرًا في دائرة المعارف الإسلامية، وكان يجيد اللّغات الألمانية والفرنسية والانجليزية، اعتزل الحياة السياسية في 1954، وتوفي في استانبول عام 1955م.

انظر، أحمد التميمي: تركيا بين الموروث الإسلامي والاتجاه العلماني، ص 85.

(3) أدّى التوقيع على اتفاقية وقف إطلاق النار في موندروس، وتمزيق الدولة العثمانية واحتلال الوطن الأمّ، إلى تأسيس العديد من الجمعيات السياسية والفكرية، يمكننا أن نقسمها إلى المجموعات التالية: -1 جمعيات عثمانية مع الخلافة والسلطنة تلتف حول حزب الحرية والائتلاف في استانبول وتعارض جمعيات الأناضول. -2 جمعيات ومؤسسات تشكلت تحت رعاية الاحتلال وتعمل كمركز متقدّم لها أو طابور خامس، وهؤلاء هم الأقليات الحالمين بتمزيق الدولة وتشكيل دول

في نفس الوقت على تعريف الأوروبيِّين بالحقوق التركية عن طريق النشريات باللغة الفرنسيّة. كانت هذه القوات الوطنية الشّعبية تلتحم في صراع مسلّح ضدّ كلّ من اليونانيّين في جبهة إزمير، وضدّ الفرنسيين في الجبهة الجنوبية.

في كلّ مكانٍ من أرجاء الوطن تتشكّل العصاباتُ المسلّحة للدفاع عن الوطن، وكلّها تشكيلاتٌ تلقائيّة، أوجدها وضع الدولة ذاتُه.

لم يكُنْ لأتاتورك ولا لعصمت فضلٌ في قيام الحركة التحريرية التركية.

واضحٌ أنّ الحركة الوطنية قامت تلقائيّة في كلّ مكان، قامت بها الأمّة وحقّقتْها، لم تكُنِ الحركةُ الوطنيةِ مِن عملِ شخص واحد معيّن، إنّها حركة آلاف مؤلّفة من الأشخاص، وليس لمصطفى كمال ولا لعصمت (إينونو) مثقال ذرّةٍ مِن جهد فيها.

حتّى وقت هذا القيام لم يكُن لمصطفى كمال أيّ دور فيها، وإلى حين انتقال مصطفى كمال مطرودًا من استانبول إلى الأناضول لم يكُنْ مشغولًا بأعمال المقاومة، بل كان مشغولًا بأمور أخرى بعيدة عن مقاومة المحتلّ الأجنبي، وكذلك كان عصمت، عصمت على الأقلّ التحق بالذين فكّروا ونادَوا

قومية. -3جمعيات قومية هدفها الدفاع عن حقّ الأمة التركية والدّفاع عن الأرض واستقلال الوطن، وهي أهداف جمعتهم رغم الاختلاف في التوجه السّياسي والعقائدي والفكري، وبدأت هذه الجمعيات بالفعل في النضال. وقد اصطلح على تسمية هذه الجمعيات بكافّة مجموعاتها باسم (جمعيات الدفاع عن الحقوق). وكان من أبرز هذه الجمعيات: الهيئة العثمانية للدفاع عن تراقيا، تأسست في أدرنة 1918، الجمعية العثمانية للدّفاع عن حقوق إزمير، جمعية الدفاع عن حقوق شرق الأناضول، تأسست في أرضروم1919، الحركة القومية وتشكيلات ردّ الإلحاق (للمقاومة ضدّ إلحاق إزمير باليونان)، جمعية الحفاظ على حقوق طرابزون القومية.
انظر، الصفصافي أحمد المرسي: التطور الديمقراطي في تركيا، ص 36-39.

بالانتداب، حتى مصطفى كمال لم يأتِ إلى الأناضول بدافع من الاشتراك في الحركة الوطنية، لأنه لم يذهبْ إلى هناك بدافع من نفْسِه.

عُقدةُ أتاتورك كانت الانتقامَ من الخليفة:

أذاعَ مصطفى كمال أنّ كلّ أعمال الحركة الوطنية ضدَّ المستعمِر الأجنبي إنّما كانت مِن صُنعه هو!، وقال هذا عدّة مرات!!، وكتب رجالُه وأعوانُه هذا الأمر عدّة مرّات في الصّحف، لكنْ حقيقة المسألة هي ما ذكرتُه أنا، حقيقتُها أنَّ مصطفى كمال أتاتورك لم يشترك في الحركة الوطنية من بعد إلّا بدافع الانتقام الشخصي من السّلطان الخليفة وحيد الدين.

أمّ مصطفى كمال أتاتورك بغِيّ!:

في سلانيك يأتي موظّفٌ في الجمرك يُدعَى رضا أفندي، يأتي إلى المدرسة الحربية ليزُور ابنَ زوجته وابنه بالتبنّي (مصطفى كمال)، هناك روايات كثيرة عن والد مصطفى كمال، بعضهم يقول إنّه صِربي، وبعضهم يقول إنّه بُلغاري، وأمّه كانت عشيقة لِكلَيهما.

موسوعةُ لاروس القرن العشرين الحديثة تقول إنّه بوماقي من شعب البوماق، كبار السّن من أهل تساليا في اليونان يقولون إنّ أمّ مصطفى كمال كانت بغِيًّا تعمل في بيتِ دعارة في سلانيك.

يذهب مصطفى كمال وهو في الثّانية عشرة من عُمره إلى طرنوفا ويطلب الميراث، فيقولون له إنّه ابنُ حرام!!، ويرجعونه إلى حيث أتى، يدخُل مصطفى كمال المدرسة، وتتزوّج أمّه من علي رضا موظّف الجمرك؛ شيء عجيب، مصطفى كمال كان يتحدّث عن أمّه، لكنّه لم يتحدّث عن أبيه

قَطُّ!!، الحاصل أنّ الروايات كثيرة، فأيّها صحيح؟!، في مسألة واحدة تتعدّد الروايات، وهذا الشّيء ليس واضحًا.

وعلى كلّ فإذا تعدّدتْ النظريات في شيء واحد سواء في العلم أو في التاريخ، أو إذا تعدّدت الرّوايات في نفْس المسألة فمعنى ذلك أن هذه المسألة غير معقولة، معنى هذا أنّ مصطفى كمال حتّى لو لم يكُن ابن زنا؛ فلا أقلّ من أن يكُون والده مجهولًا.

عدوّ لأتاتورك كلّ مَن يحدّثه عن والده:

بناءً على دراستي شخصيًّا أنّه لا شكّ في أنّ المدعُو علي رضا موظف الجمرك هو زوجُ أمّ مصطفى كمال، وليس والده، فكما أنّ مصطفى كمال لم يتحدّث عن أبيه فإنّه كان يتحوّل إلى عدوّ إذا سمع أحدًا يتناول بالحديث والده والاستفسار عنه، وهناك وقائع تدلُّ على هذا.

مُحاضِر فرنسي يقول إنّ والدَ أتاتورك مجهول:

وأخيرًا قام الوزيرُ الفرنسي هيديو بإلقاء محاضَرتين عن تركيا في باريس، ونشرهما في مجلة (كونفرنسيو). يقول هيديو أيضًا فيهما إنّ والد مصطفى كمال مجهول.

تمرُّ الأيّام ويصبح مصطفى كمال أركانَ حرب، وكان عربيدًا سكّيرًا، لا خُلق له، لا يُطاق، عُيّن في فترةٍ من الفترات في سلانيك ثمّ دمشق، ويأتي عهد المشروطية فيذهب إلى سلانيك، وينضمّ إلى الاتّحاديين، وفي سلانيك أيضًا يعيش حياة كلها سُكْر وفُحش.

لم يكُن يحبّ أنور باشا، بل كان يريد أنْ يحلّ محلّه، فيدبر المؤامرات، ويريد أنْ يدفع الجيش إلى التمرّد، لا يشترك في الأعمال الهامّة مثل استئصال

شأفة المتمردين في مقدونيا وبلغاريا وأشقيائهما، ومثل تنظيمات جمعية الاتحاد للثورة من أجل المشروطية . أراد الاتحاديون ذات مرّة قتلَه، حكى لي هذا هو بنفسه عدّة مرّات أثناء ما كنّا في الأناضول، وفي كلّ مرّة كان يحكي لي هذه المسألة على وجهٍ مختلِف.

وعندما اعتدى الإيطاليّون على طرابلس الغرب (ليبيا) أخذ كلّ مِن فتحي وأنور وأمثالهما في الذّهاب إلى هناك، فذهب هو أيضًا معهم، لكنّه لم يكُن يؤدّي دورًا بارزًا.

أتاتورك يطمحُ لمنصب وزيرِ الحربية[1]

أتاتورك مُصابٌ بالزُّهري،

وهناك في ليبيا أُصِيب بمرض في عينه (Iritis)، وهذا المرض يحدُث نتيجة لمضاعَفات مرض الزهري، وهو من الأمراض التناسلية، وكان يعالجه طبيب يُدعى منير أحمد، وعندما أصبح مصطفى كمال- فيما بعد- رئيسًا للجمهورية، قام باستدعاء هذا الطبيب العربي من مصر إلى تركيا ليظلَّ معه.

تشتعل الحرب العالمية الأولى، ومع ذلك أيضًا يريد مصطفى كمال أن يخطف مكان أنور باشا، ويحرِّض الضباط على الثورة والتمرد، الذي قال لي هذا هو أنور باشا نفسه عندما كنتُ في موسكو، وعلى أثر عودتي إلى أنقرة حكيتُ هذا لمصطفى كمال، فلم ينطق بكلمة واحدة، ونظر أمامه.

أنور باشا لمصطفى كمال: «أستطيع قتلك ولكن»

كان أنور قد غضب على مصطفى كمال واستدعاه، وقال له:

«إنك مشغول دائمًا بإضفاء الهرج والمرج على الجيش، إذا أحببتُ أن

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 541؛ الحلقة الحادية عشر، 2 ذو القعدة 1401هـ الموافق 1 سبتمبر 1981م.

أقضي عليك فيمكنني هذا الآن، لكني سأعفو عنك الآن بشرط أن تقسِم لي بشرفك أن لا تشتغل بالسياسة مرّة أخرى، وإلّا أحلتُك إلى التقاعد»

فأقسمَ مصطفى كمال ألّا يعاود الاشتغال بالسياسة مرّة أخرى.

قال لي أنور: «يا لَمصطفى كمال مِن رجل!، إنّه عديم الشرف، يعِدُني بشرفه، ثمّ لا يفِي بوعده»!!

وأنور باشا نفسُه ينسى أنّه ذات يوم أقسمَ بشرفه لناظم باشا ألّا يعمل بالسياسة، لكنه عملَ بها، إلّا أنّ أنور باشا هذه المرة يقرِّر حقيقة مصطفى كمال!!.

مصطفى كمال يخون رُفقاء السلاح:

يتمُّ تعيينُ مصطفى كمال في الجبهة الشرقية، وهناك أيضًا لا يهدأ ولا يسكُن، يُجري اتّصالات مع عزّت باشا ووهيب وغيرهما من القوّاد للقيام بحركة ضدَّ أنور، ثمّ فجأة يخاف فيقُوم بتسليم أنور باشا نفسه، كلّ المكاتَبات التي حدثتْ بينه وبين هؤلاء القادة، مصطفى كمال يريد أن يحرق إخوانه في السلاح في سبيل إنقاذ نفسه!!، إنّه يقوم بأعمال خسيسةٍ من الخيانة، ومِن التجسُّس على زملائه، كما أنّه يقوم بعمل هذا والجيش أمام العدو، متى؟!، أثناءَ حالة الحرب، إنّ هذا لَيُعتبر جُرمًا عظيمًا وخيانة.

وفي هذه الأثناء، أقام مصطفى كمال في ديار بَكْر، فعاش عيشة الفُحش والمُجون، الفُحش بكلّ أنواعه، الكثير من الذين يعيشون فترةً من حياتهم في هذا العيش، يعيشونها فترةً محدودة ثمّ يتوقّفون، لكنّ مصطفى كمال لا يتوقّف عن حياة الفُحش والمُجون!!.

ياور مصطفى كمال يسرقُ ويحتمي به:

كان جواد عبّاس ياور[1] مصطفى كمال هناك، هذا الرجل أصبح فيما بعدُ رئيسًا لجمعيّة الطيران، مصطفى كمال هو الذي عيَّنه في هذا المنصب، سرق جواد عبّاس ذات مرّة خمسين ألف ليرة، فتكتّم مصطفى كمال عليه، كان جواد عباس يقوم بدور القوّاد لمصطفى كمال!، هذا الرجل- أيْ جواد عباس- هو الذي حكى لي بنفسه عن أعمال الفُحش والعربدة التي كان يقوم مصطفى كمال بها أثناءَ وجوده في حلب، إلّا أنّ جوادًا عندما كان يحدّثني عن هذا، كان يحدثني به وكأنه يقصُّ عليَّ مهاراته مفاخرًا بها!!.

انتصارُ مصطفى كمال في الدّردنيل لم يكُنْ لامتيازفيه:

عُيِّنَ مصطفى كمال أثناءَ الحرب العالميّة الأولى في الدردنيل، وأظهر هناك صلاحيات هامّة في موقعة آنافارطه، لو كان الإنكليز تمكّنوا من الدردنيل لَسقطتْ استانبول، يقول بعضُ الضبّاط: لو أُسنِدت القيادةُ في هذا الموقع لأيِّ ضابط من الضبّاط، كان لا بدّ أن يكون النصرُ حليفَه، ذلك لأنّ قوّات الإمداد كانت تصِل تِباعًا وأكثر من لزومها إلى هناك، ولا أدري هل كان هذا الانتصار نتيجة دِرايته، أم أنّه هكذا حدث بِفعل الظّروف، فلْيدرُس العسكريون هذا الأمر.

---

(1) ياور Yaver: وهي كلمة فارسية الأصل، وتعني المساعد والمعاون، أو المعين، أو المرافق، وكانت تعني في بعض الأوقات رئيس أركان حرب، وقد استخدمت كلمة ياور على نطاق واسع خاصّة في المسمّيات العسكرية العثمانية، أمّا كلمة «ياوران» تطلق على قادة الجيوش والفرق والفيالق والقطاعات العسكرية في الولايات وفي المراكز المدنية.

هزيمةُ مصطفى كمال في سوريا:

ثمّ عُيِّنَ مصطفى كمال بعد ذلكَ في سوريا، فانهزمَ أمام الإنكليز هزيمة نكراء!، كان هناك- أيضًا- عصمت إينونو الذي كاد يقعُ أسيرًا في يد الإنكليز هو وعلي فؤاد، لكنّهما سلِمَا وهربا إلى الأناضول، وهُما في حالةٍ يُرثى لها، يجيء مصطفى كمال بعدَ هذه الهزيمة استانبول، لا يأتي هكذا فقط، وإنّما أتى تاركًا- ودونَ إذن- إنقاذ جيشٍ مضطرب مهزوم، قدّم هذا الجيش للإنكليز خمسة وستين ألف أسير، كان مصطفى كمال قبلَ ذلك ياور للسّلطان وحيد الدين، ذهب معه في رحلة إلى ألمانيا.

مصطفى كمال يريدُ التزوّجَ بابنة الخليفة:

تحدُث الهُدنة، ومرّة أخرى لا يستطيع أحدٌ التّعايُش معه، إنّه هذه المرّة يريد أن يجعل السّلطان أيضًا تحتَ سطوته وسيطرته واستبداده، أثناء ما كانت الأمّة كلها وفي كلّ مكانٍ في حالة اضطرابٍ واضح، كان هو يطلبُ الزّواج من ابنة السلطان وحيد الدّين، يرفض السّلطان، فيحاول مصطفى كمال، لكنّه لم يصل إلى نتيجة.

يطمحُ لمنصبِ وزير الحربية:

ثمّ يريد أنْ يصبح وزيرًا للحربية، ولم ينجح- أيضًا- في هذا المسْعى، إذًا فلم يكُن وحيد الدين وصِهره فريد باشا سيّئان عندما يصِفهما بالسّوء، لم يحقّق السلطان رغبات مصطفى كمال، ولم يساعدْه في تحقيق طموحاته، لذلك اتّجه اتّجاهًا مضادًّا للسّلطان.

يطمحُ لقيادة استانبول العسكرية:

ينضمّ مصطفى كمال إلى حزب الحرية والائتلاف في ذلك الوقت، كانت أهمّ شخصيّة الحزب هو زين العابدين خوجه النائب البرلماني القديم لمدينة قونية، يطلب مصطفى كمال من زين العابدين قيادة مركز استانبول، لا أدرى لماذا يريد هذا حسب الأحوال الرّاهنة وقتها، حدث أنْ غضب مصطفى كمال من وحيد الدين غضبًا شديدًا، فأراد الانتقامَ منه، غالبًا إنّه كان يريد أنْ يكون قائدًا لمركز استانبول، حتى يقوم بعمل شيء ضدّ وحيد الدين.

لم يؤدِّ هذا إلى نتيجة، إنّ هذا الحزب كان مؤيّدًا لوحيد الدين، فهل يمكِن أن يعطوا مصطفى كمال في مثل هذه الحالة مركزًا مثل هذا المركز، هل يفعلون شيئًا دون الرّجوع إلى السّلطان؟ إنّه لو كان فكّر قليلًا لَكان عليه إلّا يعاود المحاولة مرة أخرى، بالطّبع لا يعطونه هذا المركز، كما أنّ القوات الإنكليزية موجودة في استانبول، فهل هذا معقول؟.

حتّى في هذه الحالة لم يفكّر مصطفى كمال أنْ يتّجه إلى الأناضول لكي يشارك الوطنيّين في حركتهم الشّعبية ضدّ المحتلين، لم يفكّر مصطفى كمال في هذا؛ لأنه كان يستطيعُ الانتقامَ من وحيد الدين كيفما شاء، المهمّ إنّه اشتغل بأنور باشا كثيرًا أو لعدّة سنوات، ولم يستطعْ أن يعمل شيئًا ضدّه، ذهب أنور فوجد مصطفى كمال أمامه السّلطان وحيد الدين.

مصطفى كمال وأعوانه يقولون الآن إنّ أتاتورك كان يُعِدُّ العُدّة للقيام بالحركة الوطنية في الأناضول في تلك الفترة!، ليس هذا فحسْب، بل يقولون إنه أعدّ العُدّة لهذه الحركة من بيته الذي يسكُن فيه!، وقاموا بوضع لوحةٍ على هذا المنزل للذكرى ولتأكيد قولهم، لم يرَ أحد- إلّا نادرًا- هذا القدْر الهائل

من تزييف التاريخ، ليس لكلّ هذا أصل ولا فصل، إنّ هذا كذب وضعوه فيما بعد، كرامة الشيخ منقولة عن فمه هو!!.

إنّنا لَنرى بوضوح أنّ الثورة الوطنية كانت قد بدأتْ من فترة طويلة في ذلك الوقت وفي كلّ مكان، وبدونه.

وحيدُ الدين يضيقُ بمصطفى كمال:

ضاقَ السّلطان وحيد الدين بمصطفى كمال، فقرّر أنْ يطرده، لقد أبغضه إلى حدّ لم يعُدْ معه يستطيع تحمُّله، قال وحيد الدين: «ليخرُجْ من استانبول، ولْيذهبْ أينما يريد الذّهابَ».

صدرَ قرارُ تعيين مصطفى كمال مفتّشًا للجيش في منطقة أماسيا، ولأنّ الضباط يعرفون طبيعته تمامَ المعرفة فإنّ وزارة الحربية رفضتْ هذا التعيين، كما أنّ محمد علي أيضًا وهو وزير الداخلية عارضَ في هذا الأمر، أمّا السّلطان وحيد الدين فقد أصرَّ، فتمّ بالفعل تعيينُ مصطفى كمال لمنصبه الجديد، وبهذه الصورة من الطرد والإبعاد يخرُج مصطفى كمال من استانبول، ليصِل أماسيا في 19 مايو 1335، إنّه هو نفسه لا ينكِر هذا، فما معنى هذا؟.

الحركةُ الوطنية بدأتْ، ومصطفى كمال بعيدٌ عنها:

معنى هذا أنّه لم يأتِ برغبته للاشتراك في الحركة الوطنية في الأناضول ضدَّ المستعمِر، لقد مضى زمنٌ طويل من الهُدنة، وحتّى تاريخ نقله إلى سمسون كانت الحركةُ الوطنية خلالَه قد قامت في كلّ مكان، معنى هذا أيضًا أنّه لم يكُن عاملًا في الحركة الوطنية.

والآنَ لا أدري كيف ينسب هذا الرجل كلّ هذا الشّرف لنفسه؟!!، في الوقت الذي مازال فيه على قيْد الحياة الآلاف من شهود هذه الحركة الوطنية والمؤثرون فيها، إنّ مصطفى كمال قد شنق كلّ الناس وذبحهم، وكمّم كلّ الأفواه، وأخذ يمدح نفسه ويكذب كيفما أراد، بالطّبع لن يعترض عليه أحد.

هناك رجالٌ عملوا في سبيل الحركةِ الوطنية وتحرير الأمّة بعد أن ضحّوا بأرواحهم، ثمّ يأتي فردٌ لا يذكُرهم لا بخير ولا بشر، ثمّ ينسبُ لنفسه هو فقط كلّ الشرف الذي حقّقه هؤلاء الرّجال بدمائهم وأرواحهم، نسب الشرف إلى نفسه؛ في حين أنه لم يبذل فيها قطرة دمٍ واحدة، يا لَكِ من دنيا سافلة، ما أكثرَ مَهازلَك.

أتاتورك يغتالُ المعارض، ويقرّب إليه الحَملَ الوديع[1]

مصطفى كمال غبي:

إنّه بذل كلّ جهدِه في خطابه على أنْ يصوِّر ذاته بالعظمة، أيظنّ هذا الرجل أنّ كلّ العالم أعمى وغبي؟!، إنّ مَن يظنّ هذا لا شكّ أنّه هو الأعمى وهو الغبي، إنّ مصطفى كمال يعمل لإثبات أنّه لا يوجد إنسانٌ ذو دراية ودربة غيره هو، إنّنا إذا نظرنا إلى الرّوايات التي تُروى عنْ والده لَداخَلَنا الشكّ في كونه تركيًا من الأتراك، إنّه يتصرّف وكأنّ النّاس في كلّ الولايات مثل شيخ أرزنجان، مع أنّي أرى أنّ البلد مليئة بالنّاس ذوي التعليم العالي وذوي الخبرة، لكنّ مصطفى كمال لا يعترف بأحد.

أوقع مؤتمر أرضروم كلًّا من فريد باشا وحكومة استانبول في اضطراب عظيم، حاولت حكومة استانبول فضّ المؤتمر، وعملتْ على القبض على أعضائه، أصدرتْ الأوامر في هذا الخصوص إلى كلّ الأنحاء، لو كان قائد أرضروم- وهو كاظم قرا بكير- إنسانًا عديم الشّرف منعدم الوطنية لَقبضَ على هؤلاء وربطهم بالسلاسل وأرسلهم إلى استانبول، ولَذهبَ مصطفى كمال بينهم.

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 543؛ الحلقة الثالثة عشر، 16 ذو القعدة 1401هـ الموافق 15 سبتمبر 1981م.

مسكين كاظم قرا بكير، إنّه حصد ثمار هذا جيّدًا من مصطفى كمال، إنّه لم يذكُره بهذه الخدمة القيمة جدًّا حتّى ولو بكلمة.

مصطفى كمال مريضٌ بالرئاسة:

وفي سيواس يريدُ مصطفى كمال أنْ يصبح الرئيس ويحكُم كيفما شاء، الآخرون يعرفون طموحَه ويخشَون العاقبة، لذلك لا يريدونه رئيسًا، اقترح بعضُهم أن تكُون الرّئاسة لكلّ واحد أسبوعًا، إنّهم بذلك فكّروا جيدًا، ويجب على المرء أنْ يباركَ لهم تفكيرهم هذا، آه لو كانوا نجحوا في هذا، ما حصل ظُلم مصطفى كمال هذا الظلم الذي نعاني منه قد حدث، ولا كان استطاع أنْ يسرق ويختلس، ولا أن يرتكب الفواحش رسميًّا.

لكنّهم لم يُوفّقوا- وهُم الأغلبية- في منع مصطفى كمال من طموحه وجشعه، لقد انْهزموا أمام مؤامرات مصطفى كمال، كان في هذا اليوم ذا الوجهين، يوم كتبتْ فيه الأمّة التركية خلاصها لأهمية المؤتمر ويوم وفاتها، إنَّ لكلٍّ من كاظم قره بكير ورؤوف المسئولية الكبرى في هذا الأمر على غير معرفة منهما، بينما كانت الأمّة تحارب الأعداءَ في جبهات القتال كانت المؤامرات لاستحصال الرئاسة في سيواس على أشدّها.

كان ثروت نائب طرابزون هو أكثرَ المعترِضين على مصطفى كمال، كان مع ثروت صديقُه عزّت، بعد فترة- وبينما كان عزّت قادمًا من سمسون إلى أنقرة- إذا به يُغتال بجوار حوضه.

قالوا: «إنّ قُطّاع الطّرق اعترضوه وقتلوه ليستولوا على ماله»، ومرّت المسألة هكذا، مع أنّ قطّاع الطرق في الأناضول بالذّات يسرقون دون أن

يقتلوا، وإذا وجدوا مقاوَمة يقتلون، وكان الرجل في عربة، والذي في داخل العربة لا يستطيع الدِّفاعَ عن نفسه.

في مؤتمر سيواس[1] تناقَش الأعضاءُ كثيرًا في مسألة الانتداب الأجنبي، بعض الأعضاء يؤيِّدون الانتدابَ الأجنبي، وبعضهم يعترضون عليه، الأغلبية تريد الانتدابَ، ولم يكُن مصطفى كمال يوافق على هذه المسألة على حسب قوله هو شخصيًا، وسرعان ما أعطى المؤتمر استراحة، وكان هذا هو ديدَنَه، وكان يعمل هذا في مجلس الأمّة، بعد ذلك يعطي استراحة، وفي أثنائها يقوم بلقاءٍ شخصيٍّ مع الأعضاء، يكذِب ويهدِّد ويزوِّر، ويعمل على ترويج الفكرة التي يريدها بمختلف أساليب المؤامرات، وأخيرًا يتّخذ قرارًا بكتابة خطاب بدعوة وفد من أمريكا، ليدرُس أحوال تركيا، فإذا حدث هذا فإنّ نتيجتَه الطبيعية هي الانتداب.

تحايُل مصطفى كمال:

يقول مصطفى كمال فيما بعد في خطابه الرّسمي: «إنّني لا أذكر هل تمّ إرسال هذا الخطاب أمْ لم يُرسل»، قال هذا مرّة، إنّه مزّق مسودة الخطاب، إنّه يقول هذا الكلام لينفي اشتراكه في المسألة، كانت هذه هي عادته، إنّه يُلغي خفية وبطريقة غير مشروعة أيّ قرار لا يريده، هذا إذا لم يستطعْ عملَ ما يريد بشكل مشروع

---

(1) غادر مصطفى كمال باشا أرضروم يوم 29 أغسطس 1919م متوجّهًا إلى سيواس للإعداد لمؤتمرها المرتقب، وسط عواطف جياشة من المواطنين، ومنذ لحظة وصوله والجميع يعمل من أجل المؤتمر المرتقب، فعاود الاتّصال بالولايات لإرسال مرخصيها وفق القرارات المتّخذة سابقًا في أماسية، توالى وصول الممثلين عن الولايات، وبلغ العدد 38 عضوًا، ولم يحضر أيّ ممثل لولايات الجنوب وشرق البحر الأسود، تم افتتاح المؤتمر في 4 سبتمبر، وتمّ انتخاب مصطفى كمال رئيسًا للمؤتمر بالإجماع، أصدر المؤتمر قراراته المؤيِّدة للقرارات السّابقة، والتي تركّز على: وحدة الأمة، الحفاظ على الخلافة، الحفاظ على السّلطنة، الوقوف بصلابة ضد الاحتلال.
انظر، الصفصافي أحمد المرسي: التطور الديمقراطي في تركيا، ص 43

وعلني، مع أنّ المسألة إذا كانت قرارًا فلا بدّ أن ينفّذه، فإذا كان رجُلًا شريفًا ولم يكُن هذا القرار مطابِقًا لفكره وغير متوائم معه، فلا بدّ له أن يستقيل، إنّه فعل المئات من أعمال اللّصوصية هذه في قراراتِ مجلس الأمّة وهيئة الوزراء.

جعلوا في مؤتمر سيواس مصطفى كمال يقسِم بأنّه لن يقبل في المستقبل أيّ وظيفة، حقيقة إنّ هؤلاء الناس يعرفون ما هم جيّدًا.

يزُجُّ بالجيش في السياسة لكي يصبح رئيسًا!:

ولكي يبرّئ نفسه من هذا القسم يقول إنّه وافق أن يصبح كاظم قرا بكير رئيسًا للوزراء، كما يدّعي أنّ كاظم قرا بكير قد أصرّ في طلب هذا المنصب، إنّ هذا لا يمكن أنْ يكون عُذرًا له لتنفيذ مآربه، هل الواعظ الذي يعِظ الناس بعكس ما يفعل يفعل الغلط أمامَ الناس؟!، وكأنّه رأى أنّ فتحي[1] وكاظم قرا بكير مناسبان لمنصب رئيس الوزراء، لقد رأى مصطفى كمال ضرورة حدوث عملية ترجيح لواحد منهما على الآخر، لذلك عيّن فوزي جقمق باشا[2] حَكَمًا في هذا الأمر.

---

(1) فتحي أوقيار (1880-1943م): عسكري وسياسي تركي. رئيس حرس السّلطان عبد الحميد في منفاه في سلانيك. أصبح- فيما بعد- من الأمناء العموميّين لجمعية «الاتحاد والترقّي»، ثمّ سفيرًا للدولة العثمانية في صوفيا (في بلغاريا). عمل رئيسًا للمجلس النيابي التركي الذي أقامه أتاتورك، ثمّ رئيسًا للوزراء في عهد الجمهورية (عهد أتاتورك).

انظر، محمد حرب: مذكرات السلطان عبد الحميد، ص 280.

(2) فوزي جقمق/ تشاقماق (1876-1950م): مصطفى فوزي باشا، تخرج من الأكاديمية العسكرية سنة 1898م، وترقّى في الجيش العثماني حتّى رتبة قائد عام، وعين وزيرًا للحربية مرّتين في حكومة علي رضا باشا وصالح باشا المؤيّدين للوطنيين بعد الحرب، انضم إلى الوطنيّين في مايو 1920 وانتخب عضوًا في المجلس الوطني 1920-1924، وتمّ تعيينه وزيرًا للحربية ورئيسًا للأركان، وصار أيضًا رئيسًا للأركان في العهد الجمهوري حتّى تقاعده في 1944، رقّي إلى رتبة مشير بعد الانتصار في سقاريا، كان محافظًا للغاية في الأمور العسكرية ومعارضًا للتّحديث، انضمّ إلى الحزب الديمقراطي المعارض سنة 1946 وخاض الانتخابات الرّئاسية في السنة نفسها ضدّ إينونو.

انظر، إريك زوركر: تاريخ تركيا الحديث، ص 515.

قال فتحي: «إني أقوم بمهامّ هذا المنصب بطريقة أفضل من كاظم»، لذلك أسند المنصب لفتحي، وليس دليلًا على تفوُّق شخص على غيره من الناس أنْ يقول هو بالذات: «إنّ أدائي أفضل من أداء غيري»، إنّ قرا بكير كان يستطيع هو أيضًا أنْ يقول نفس الشيء ويزكّي نفسه، وقد فعل ذلك.

هناك مسألةٌ أخرى مهمّة في هذا الخصوص، وهي ما دخل فوزي باشا رئيس الأركان في هذا؟!، مسألة مثل هذه المسألة لا تُحلّ بهذا الشّكل، ليست رئاسة الوزراء فقط هي التي كان يمنعها عن قرا بكير، بل إنّه كان يحجُب عنه كلّ منصب، إنه منذ البداية كان يقُوم دائمًا بدعاية مضادّة ضدّ قرا بكير أمام كلّ إنسان يصادفه، كان يقول دائمًا لنا عن كاظم قرا بكير: «إنّه أحمق وأبله، رجعي وحمار.. إلخ»!!.

إنّ المسألة عبارة عن دسيسة يقُوم بها مصطفى كمال، لكي يتخلَّص من اليمين الذي كان قد أقسم به، ونفَّذ ما يريده بأنْ كان يُطْمع قرا بكير في قبول رئاسة الوزراء، وعلى ذلك يجعل المجلس في حالةِ اضطرار لكي يستندَ إليه هو منصب رئاسة الجمهورية، في هذه المسألة تبدو للعِيان مسألة وخيمة للغاية، ألا وهي الزجُّ بالعسكر في المؤامرات السّياسية، إنّ مصطفى كمال يجعل الجيش أداة سياسية، بمعنى أنّه يجعل مِن رئيس هيئة أركان حرب الجيش حَكَمًا في تعيين رئيس الوزراء!!.

رئيس الأركان ثور

وممّا هو جديرٌ بالأسف حقًّا أنّ فوزي باشا رئيس الأركان قد أصبح أداة لمؤامرات مصطفى كمال، إنّه يخضع له وكأنّه خادم!، بالطبع ليس خادمًا مثل الذين يخلعون له الحذاء، وإنّما خادم سياسي، ولهذا السبب ففي أوّل مجلس للأمّة وضع النوّاب نقطتين فوق حرف الفاء من الاسم الأول لهذا الرجل!، وبذلك أصبح (قوزي باشا)، وقوزي معناها في التّركية الحمل (الوديع)، فكانوا عندما يتحدّثون عنه يتحدثون بصفتِه عندهم، وهي قوزي باشا وليس فوزي باشا، فيتضاحكون، فريق من النوّاب وجدَ أنّ هذا الاسم أو الصّفة قليل على رئيس الأركان، فأطلقوا عليه فيما بينهم اسم (أوكوز باشا)، وأوكوز معناها في التركية (الثور)!.

مصطفى كمال يؤمنُ بالبلشفيّة، وينتظر المددَ من روسيا[1]

يتّجه مصطفى كمال في هذه الفترة إلى محاولةِ الحصول على ما يمكن الحصول عليه من روسيا البلشفيّة، يعقِد آمالًا كبيرة على البلشفيِّين في روسيا، يحاول التباحُث معهم، يرسل الرجالَ مِن عنده إليهم، كان يظنّ أنّ البلشفية والشيوعية شيئان عظيمان للغاية، وكان يرى أنّ تركيا ينبغي أنْ تحيا بهذا النظام.

كان يرى أنّه لا بدّ من الاتّحاد مع الرُّوس، كان يتصوّر أنّه بالتعاون مع الروس سيرسلون إليه نجدة وعَونًا، وأنّهم سيرسلون إليه جيشًا من الأتراك والتتار الموجودين في نطاق روسيا يسمّيه (الجيش الأخضر)!، وانتشرتْ هذه الفكرة في كلّ مكان، كلّ النّاس كانوا مندهِشين من هذا الأمر، إذْ أنّ العداء تاريخي مستحكِم بين الأتراك والرّوس طوال كلّ العصور.

سافر بعضُ أشخاص من أرضروم وطرابزون- في تركيا- إلى مؤتمر كان منعقدًا في مدينة باكو- في روسيا-، ذهبوا إلى هذا المؤتمر والأملُ يحدُوهم في أنّهم سيحصُلون على معُونات من الرُّوس.

كما أنّ رجُلًا يُدعى الدكتور فؤاد الأرضرومي ذهب إلى روسيا وأصبح بلشفيًا شيوعيًا، ثمّ عاد إلى أرضروم بعد اتّفاقه مع الروس على ذلك؛ يقلب

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 544؛ الحلقة الرابعة عشر، 23 ذو القعدة 1401هـ الموافق 22 سبتمبر 1981م.

تركيا إلى بلد بلشفي يصبح هو رئيسه، كذلك شخص يُدعى بهاء سعيد، أصبح بلشفيًّا في روسيا ثمّ عاد، ثمّ أُودع السّجن في الجبهة الشّرقية من تركيا (المقابلة لروسيا)، لكنه انقلب معاديًا للبلشفيّة، ولم يكن تبدو في شكله سِمة من سمات النظام، هكذا حال الذين يعُودون من روسيا، مطلوب منهم إقامة اتصالات وتحويل منطقتنا الشرقية إلى منطقة شيوعية.

حتّى أكذوبة الجيش الأخضر كانت في الأصل أكذوبة روسية أُشيعت على جبهتنا الشّرقية، ومن هناك انتقلتْ هذه الكذبة إلى الأناضول حيث ذاعت وانتشرتْ، كانت أوّل آثارها أنّها أيقظتْ في الرأي العام في الولايات الشرقية من بلادنا محبّة عظيمة للشيوعية.

وكان هذا خطرًا عظيمًا، حتّى كاظم قرا بكير- هذا القائد العسكري أحد كبار أعوان مصطفى كمال- صدّق هذه الفكرة وآمنَ بها، كان يقول إنّه بالبلشفية سيصبح الروس مسلمين، وكان مسرورًا من هذا!، ووصل الأمر به أنه أحدث في جيشه بعض تعديلات في الرُّتب والنّياشين على النمط الروسي البلشفي، ولمّا رأى هذا القائد أنّ الجيش قد بدأ يخرُج من طوع يديه أفاق.

مصطفى كمال يؤمنُ بأنّ روسيا هي المنقِذ والشيوعية هي المثل!

لكنّ مصطفى كمال آمن بهذا الفِكر الشيوعي الخاطئ، ومازال مستمرًّا في إصراره على هذا، كان بهاء المناسترلي في هذه الأثناء في أذربيجان، لكنّه انقلب مُعادِيًا للشيوعية، حبسه كاظم قرا بكير لهذا السبب.

وقد كانت أسطورة الجيش الأخضر أكذوبةً قصد بها الرُّوس أن تسهّل لهم عملية احتلالهم لأذربيجان (المسلمة)، كوّنوا جيشًا من المسلمين في روسيا من

أتراك وتتار، وأشاعوا أنّ هذا الجيش لا بدّ له من المرور عبر أراضي أذربيجان ليصل إلى الأناضول في تركيا، ليساعد الأتراك في حربهم ضد المحتلين الأوروبيين، وبذلك استطاع الرّوس أن يخدعوا أهل أذربيجان ويدخُلوا بلادهم.

والذي حدث أنّ هذا الجيش الروسي لم يتّجه إلى تركيا لمساعدتها في حربها ضدّ جيوش الاحتلال الأوروبّية لها، وإنّما احتل الرُّوس به أذربيجان، وبذلك تمّ احتلال الرّوس لأذربيجان بهذه الطريقة السّهلة، وهذه هي كلّ المسألة، ومع هذا كلّه فمازال مصطفى كمال يقوم بالدّعاية للجيش الأخضر!!.

وبينما الأمر على ذلك إذا بالأنباء تفِدُ من استانبول باستقالة الوزارة، وكانت هذه المرّة وزارة فريد باشا، وحلّت محلّها وزارة علي رضا باشا، وكان طبيعيًا أن تسقط وزارة فريد نتيجة عدم الدراية.

يقول مصطفى كمال في خطابه إنّه لم يكُن يريد فريدًا، كان يريد وزارة أخرى شريفة، له الحقُّ في هذا، هيّا لنرى ماذا سيفعل إذا جاءت وزارة شريفة بالفعل؟ ماذا يجب عليه أنْ يفعل، ها هو ذا علي رضا باشا قد كوّن الوزارة، وإنّ مجرّد الشك في وزارة علي رضا ليُعتَبر هذا الشّك مخالفة صريحة للوجدان والضمير.

مصطفى كمال لا بدّ أنْ يضايق الوزارة، لأن المضايقة هي الطريق الطبيعي لإرضاء طموحه الشّخصي، أمّا مصلحة الوطن فتأتي عنده في الدرجة الثانية.

لماذا لم يحاولْ إنقاذ إزمير؛

قامت بالفعل في نواحي إزمير عمليات دفاع وطنية ومناوَشات مع العدو، ومصطفى كمال في حدّ ذاته رجل عسكري، وإذا به بدلًا من أنْ يسرع إلى إزمير، إذا به يتجه إلى النّاحية الأخرى؛ إلى ناحية أرضروم.

وفي سيواس لا يشغله إلّا حكومة استانبول والسّلطان، وأخيرًا وصل إلى أنقرة، فذهبْنا نحنُ بالتّالي إلى أنقرة، اجتمع مجلس الأمّة، وتكوّنت حكومة في الأناضول. أمّا لماذا لم يُعر جبهة إزمير أيَّ اهتمام؟ إنّه يعترف بهذا، لكنّه يحمّل المسئولية في هذا إلى رأفت، رأفت سيئ، فلماذا لا ترسل أحدًا غيره؟!، وأخيرًا دخلتْ القوات اليونانية مغنيسيا، كما دخلتْ بورصة أيضًا.

ارتفعتْ درجةُ الاضطراب، واقترب الخطر إلى أنقرة نفسها، وعندما بدأ القيل والقال انتشرتِ الإشاعات في المجلس بحيث ملأته، أخذ مصطفى كمال بالاهتمام بهذه الجبهة- أيْ جبهة إزمير-.

مصطفى كمال يريدُ الفتنةَ ويسعى إليها:

وبمجرّد أن تسلّمتْ الحكومة الجديدة في استانبول مهامَّ عملها، أخذ مصطفى كمال يبحثُ عن وسيلة ليتشاجر معها ، أعضاء الوزارة في أوّل لحظاتهم فيها- بل إنّهم لم يجلس أحدٌ منهم على مقعده في الوزارة بعدُ- وإذا بمصطفى كمال يطلب من هذه الوزارة أنْ تعتقلَ عديدًا من الشّخصيات!، كيف بهذه الوزارة تستطيع القبض على مَن طلبهم، وهي تحت قبضة الإنكليز الذين يحتلون استانبول؟ بالطبع مستحيل، وهو بنفسه يعرف هذا ويدركه، ولكنْ كلّ همّه أن يشعل معهم مشاجرة!.

بعدَ ذلك يقول لهذه الوزارة الجديدة أنْ يسلّموا له على كمال ومجموعة أخرى من الذين لا يحبّهم هو شخصيًّا، يريد أنْ يقدّمهم للدّيوان العالي عند افتتاح المجلس، حسنًا جدًّا، ولكنْ ما لزوم التّعجيل في هذا؟!، لا بدّ أولًا من افتتاح المجلس، ثمّ اعتقِل كما تشاء، لم يكُن المجلس وقتها قد افتُتح، لا.. بل إنّ

انتخاباته نفسها لم تكُن قد بدأتْ بعدُ، يا لَلّعيب!، ثمّ إنّ لكلّ طلب ولكلّ اقتراح ولكلّ تخابُر- رسميًا كان أو غيرَ رسمي- عاداته وآدابه، وأصوله وسلوكه.

في حالة حدوث أمرٍ ما سريعًا ما يقوم مصطفى كمال بإرسال البرقيات إلى الصدر الأعْظم، وإلى وزير الدّاخلية في استانبول، هذا إزعاج، ولا يستطيع أحدٌ أن يتحمل كلّ هذا مهْما كانت درجةُ صبره واحتماله، إنّ مصطفى كمال يفعل هذا عن عمدٍ، حتّى يحصل وهو يريده.

عندما تطلُب استانبول التعاونَ معه يتّهمها بالخيانة:

يطلبُ منه الصدر الأعظم مُوافاته بقرارات مؤتمرَي أرضروم وسيواس اللذَين عقدهما الوطنيّون في الأناضول، إذا بمصطفى كمال يصدِر حُكمه الفوري بأنّ هذا الوزارة خائنة، يصِف طلبَ هذا بقوله: «إنّه تدبير شيطاني جديد»!، مِن أين أتى بهذا؟ من أين عرفتَ هذا؟ أتعلم خبايا الصّدور؟!.

يقول: «أيمكن أنْ يجهلوا مقرّرات هذين المؤتمرَين؟»، هكذا قال، نعم يجهلون، ولِم لا؟!، ومِن أين لهم معرفتها؟ إنّهم مازالوا بعدُ في طريقهم إلى منازلهم متّجهين نحو الباب العالي- حيث مقرّ الوزارة- لاستلام مهامّ ناصبيهم، بدلًا من أن تدّعي هذا على الوزارة، هيّا أسرِعْ بإرسال هذه المقرّرات إليهم، ما هو المحظور في هذا؟!، إذا كنتَ تريد أن تتّهم بالجاسوسية إذا ما أرسلتَ إليهم هذه المقررات أفلَم تقُل عنهم مستنكرًا «أيمكن أنْ يجهلوا مقرّرات هذين المؤتمرين؟!»، يعني حسب قولك إنّهم يعرفون هذه المقرّرات.

أنتَ تقول لهذه الحكومة وفي صيغة الأمر: «أبعِدوا الرقابة الأجنبية عن المطبوعات»، إنّ هذا يدخل في باب التكليف بما لا يُطاق، كنْ أنت في

موقفهم، فهل تستطيع إنقاذ المطبوعات من هذه الرقابة؟! إذا كانت بكَ قوّة لفعل هذا فافعل، وهو ما لن تستطيعه، إنّ هذه الحكومة تشكّلتْ والإنكليز يحتلُّون استانبول.

المسألة ليست مسألةَ مطبوعات ولا غيرها، إنّ المسألة أنه يبحث عن سبب للنزاع والمشاجرة!، إنّه سيعتبرهم خَوَنة، يا لَكَ مِن رجُل!، إنّ هذا كثير، ويدخُل في باب قلة الأدب.

وبينما الأمرُ على هذا إذا بعلي رضا باشا الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) يتصرَّف تصرُّفًا ما أجمله وما أعقلَه!، إنّه يقبل طلبات مصطفى كمال، إن علي رضا في جوابه المتعقل هذا يبدو وطنيًا ومحقًّا للحق، إنّه يرى أنه لا بدّ من حدوث الانتخابات بسرعة، يرى أيضًا أنّه لا بدّ من ترك مستقبل الأمة لرأي نوّاب الأمة.

وإذا بمصطفى كمال يغضب أيضًا لهذا الأمر، لماذا يا مصطفى كمال لا تدَعُك من هذا؟! هذا الرجل- علي رضا باشا- يوافق على كلّ أساسيات القضية الوطنية، ويقبل كلّ اقتراحاتك، هيّا!، ضعْ يدك في يده، وتعاونا معًا، لماذا لا تكون- وأنت في الأناضول- قوّة تناصرهم.

أخذ مصطفى كمال في التّوقيع على كلّ الرسائل والتخابُر الخاصة بالحركة الوطنية وكأنّه كلّ شيء، تسبّب هذه المسألة الكثيرَ من النّزاعات والاعتراضات الطويلة، الاعتراضات تصِلُ من كلّ مكان، لكنْ كلّ هذه الاعتراضات عنده تساوي صفرًا!، كلّ ما تطلبه حكومة استانبول (الشرعية) أن يكُون مصطفى كمال عَونًا لها، وألّا يتدخَّل في كلّ شئونها كبيرة كانت أم صغيرة وكأنه السلطان، وألّا يأتي بأعمال غير مشروعة.

وأمّا مصطفى كمال فيريد أنْ يكون المرجع العام والخاصّ في كلّ الأمور، وأن يتلقى وزراء استانبول الأمرَ منه، يعيب مصطفى كمال في خطابه الرسمي على الصدر الأعظم علي رضا باشا، يقول عنه إنّه ترك مقدونيا، ولكن- يا مصطفى كمال- أنت أيضًا كنتَ في الحرب، ثمّ إنك سلّمتَ سوريا وهي منطقة هائلة للأعداء، فإذا كانت الأولى عيبًا فإنّ الأخرى عيب، لا سيّما وأنّك عندما كنتَ في اسكيشهر وكان معك عصمت اينونو قد تسبّب في هزيمة الجيش، وكان متفوّقًا وشُجاعًا أمام اليونانيين!، ثمّ إنّك هممتَ بالهرب من أنقرة وقتَ اقتراب الخطرِ منها، وقمتُ أنا بالسيطرة على مجلس الأمة ومنعتُك من الهرب.

تكدّرتْ الحكومة في استانبول كدرًا تامًّا من الإزعاجات التي يقوم بها مصطفى كمال، فأرسلتْ صالح باشا وزيرَ الحربية إلى أماسيا في الأناضول للتباحث مع الحركة الوطنية في الأمر، التقى صالح في أماسيا بكلٍّ مِن مصطفى كمال ورؤوف وبكير سامي.

ثوراتُ الأهالي ضدَّ شخص مصطفى كمال[1]

وعندما كان مصطفى كمال في أماسيا قامَ أهالي سيواس- وعلى رأسهم الشيخ رجب- بثورة ضدّ مصطفى كمال، إنّهم يكرهونه، لا يريدونه، أمّا هو فقد وصف هذه الثّورة بأنّها عصيان ضدّ الحركة الوطنية!!، مع أنّ هذه الثورة لم تكُن إلّا ضده هو شخصيًا. إنّ جانبًا من الثّورات التي قام بها الشعب ضدّ الحركة الوطنية التي قادها مصطفى كمال لم تكُن إلّا نتيجة لما يقُوم به هذا الرجل- مصطفى كمال- من اختلاسات ومُجون وارتكابٍ للفواحش وإشاعتها.

وفي هذه الأثناء، قامت في «أضنه بازار» جمعية حرّاس الحرية والائتلاف، وهي مكوَّنة من الضباط، قامت مع الشيخ سعيد بتشكيل قوات ضدَّ حركة مصطفى كمال، وظهرتْ لهذا الاتجاه فعاليَّات واضحة، كما قام إسماعيل الكمولجنوي بنشاط ملحوظ في هذا الاتجاه أيضًا، وإسماعيل هذا هو والي بورصة وغيرها، قام شخص شركسي في باندرمه بعصيان مسلَّح أيضًا ضد مساوئ مصطفى كمال.

مازال سوءُ التفاهم بين الوزارة في استانبول برئاسة علي رضا وبين مصطفى كمال مستمرًا، تدُور المراسلاتُ بينهما، وكانت هذه المراسَلات

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 545، 1 ذو الحجة 1401هـ الموافق 29 سبتمبر 1981م.

تتمّ عن طريق جمال باشا (الصّغير) [1] وزير الحربية، وهو غير جمال باشا المشهور في سوريا.

الوزارة تشكو من عدّة مسائل، هي: وجود حكومتين على أرض تركيا، إحداهما في استانبول وهي الشّرعية، والأخرى في الأناضول بإشراف مصطفى كمال، وهي غير شرعيّة، وأنّ مصطفى كمال يتصرّف كأنّه حكومة، ويتراسل مع الممثلين الرسميين للدّول الأجنبية، وأنّه لا يستمع إلى الحكومة الشرعية في استانبول، وكذلك كانت تشكُو من حوادث السّلب والنهب التي تقُوم بها العصابات في الأناضول.

كلّ هذا صحيح، لكنّ مصطفى كمال ينفي ويكذّب كلّ هذا!، لكنّه هو الكذاب، ويقوم باتّهام الحكومة بأنّها متقاعسة عن اعتقال مجموعة من المفسِدين، وأنّها متهاونة في أداء واجباتها، حتى إنّه اتّهمها بالخيانة!، وأنّها تسير في نفْس خط وزارة فريد باشا.

(1) جمال باشا مرسينلي (ولد1873): يعرف باسم «جمال باشا الصغير». عسكري عثماني خدم شمال جانب مصطفى كمال في سورية في سنه 1918. ومع أنّه كان أعلى رتبة (كان لواء) فقد تمّ تجاوزه عندما خلف الأمير آلاي مصطفى كمال ليمان فون ساندرو في قيادة مجموعة الصاعقة. وفي أعقاب الهدنة عيّن مفتّشا على الجيش الثاني في قونيا. وخلافًا لمصطفى كمال، عاد إلى اسطنبول عندما أدّى موقفه القومي إلى مطالبة البريطانيين باستدعائه. أصبح ناظرًا للحربية في حكومة علي رضا باشا المؤيّدة للقوميين في سنة 1919. وكان نظريًا ممثّل جمعيّة الدّفاع عن الحقوق المليّة في العاصمة، وأغضب مصطفى كمال عندما استقال في يناير 1920 بضغط من الحلفاء. نفي إلى مالطا بعدما احتل الحلفاء اسطنبول في مارس 1920. وخلافًا لمعظم المنفيّين فإنّه لم ينضمّ إلى مصطفى كمال عندما عاد إلى تركيا. اعتقل في سنة 1926 لمشاركته في مؤامرة اغتيال مصطفى كمال، لكنّ برّأته محكمة الاستقلال في إزمير.

انظر، أندرو مانجو: أتاتورك.. السيرة الذاتية، ص567

إنّ أوّل الاتهامين صحيح، لكنْ من الواضح أنّ الحكومة لا تستطيع عمل شيء في هذين الأمرين وهي تحت سلطة الاحتلال، وأمّا الاتهام الأخير فإنّه اتهام ظالم تمامًا، بل وتزوير، نهب العصابات صحيح، ولكنْ في ذلك الوقت لم يكُن من الممكن فِعل شيء تجاه هذا الأمر، والسيطرة على الأمن كانت مستحيلةً.

يتلهّف لكي يظفر بالسُّلطة في استانبول:

حدثتْ انتخابات مجلس المبعوثان في استانبول، بذلك ينتقِل مركز الثقل في الحركة إلى استانبول، مصطفى كمال لا يستطيع الصبر، لا يمكِنه أن يصبر في سيواس، يذهب إلى أنقرة، ويطمِعُه الهوس في أنْ يصبح رئيسًا للمجلس النيابي هذا الذي في استانبول، وكان سيسافر بالفعل إلى استانبول.

عرف كاظم قرا بكير وزملاؤه بهذا الأمر، ولم يريدوا أن يتركوه يخرُج من سيواس، لكنّه لا يستمع إلى أحد، لكنّه- أيضًا- وفي نفس الوقت يخاف من أن يُقبض عليه في استانبول، فيحصل على وعدٍ من علي فؤاد على أنْ يقوم بهذا الأخير بحمايته.

يتّجه مصطفى كمال بعد ذلك إلى أنقرة، أوّل ما يعمله كان دعوته للنواب للحضور إلى أنقرة للتباحث، يحتمل أنّه كان يريد حضورهم هكذا لكي يقبض عليهم جميعًا مرّة واحدة، حكومة استانبول خافت جدًّا مِن دعوته هذه، والذي حدث أنّ أغلبية النوّاب لم تلبِّ دعوته، واجتمعوا في استانبول، ولم يتعدَّ عددُ الذين لبّوا دعوتَه وذهبوا إليه ثلاثين شخصًا.

إنّه يقول: «ألا يجب على النوّاب أن يلتقوا بزعيمهم؟!»

كم نائب يثق بك يا رجل؟!، إنَّ مثل رؤوف وواصف وغيرهما هم أكثر الناس خوفًا منك، وليس مِن بينهم شخصٌ واحد يثق في كلامك، واجتمع النوّاب في استانبول لانفتاح المجلس.

يقول مصطفى كمال في خطابه الرّسمي صفحة 220: «استطاعت حكومة استانبول أنْ تقول للبعثات الأجنبية إنّها عاجزة أمام القوات الوطنية»، الواقع أنّ شرف القوات الوطنيّة لا يخصُّ مصطفى كمال، فهو حتّى الآن غير مهتمّ بالجبهة، إنّ القوات في الجبهة عبارة عن قوّة قائمة بذاتها، مكوَّنة من الفتوّات وبعض الضبّاط ذوي الحمية والغيرة الوطنية مع جنودهم.

أهالي أنقرة لم يحبّوا مصطفى كمال:

قال مصطفى كمال عدّة مرات إنّ أهالي أنقرة قد استقبلوه استقبالًا عظيمًا، والحقيقة أنّ أهالي أنقرة لم يرغبوا لا في مصطفى كمال، ولا فينا على الإطلاق!، بل حتّى أن هؤلاء الناس بالذّات لم يقيموا معنا– طوال عدّة سنوات أقمنا فيها الحركة الوطنية في مدينتهم- أدنى اتصال، لا بالنواب ولا بالحركة الوطنية، ولقد عِشْنا في هذا الأمر، إنّ الكذب بهذا الشكل أمرٌ غريب ومدهِش!!.

يستعدي الإنكليز ليظفرَ هو!

ظلّ مصطفى كمال يهدّد وزارة استانبول، وكانت تهديداتُه عبارة عن إرسال برقيات اتّهام وتهديد للصّدر الأعظم، والمفهوم أنّه يقوم بإرسال هذه البرقيات بُغْيةَ الآتي: أن تتحمّس حكومة استانبول لمقاوَمة الإنكليز، فيقُوم الإنكليز بإلقاء القبض على كلّ أعضاء الحكومة، وينفونهم إلى مالطة، وبالتالي يقُوم مصطفى كمال في الأناضول ليأخُذ مكان الحكومة.

يتخذ الدين قنطرة لمآربه:

إنّ آخر جملة في برقية الاتهام والخيانة التي وجّهها مصطفى كمال إلى الصدر الأعظم جملة مهمّة، يقول فيها مصطفى كمال بإعلان الجهاد الوطني والديني في سبيل استقلال الأمّة!!.

معنى هذا أنّ هذا الرجل يقول إنّ الدين يمكن استغلاله كسلاح في مثل هذه الأوقات، ثمّ بعد ذلك يقضي على الدّين!، هاهو ذا الجهل المطلق والخيانة المتأصّلة، ترى ماذا يحدُث ذات يوم إذا أصبح الدين لازمًا لنا كسياسة، ترى ماذا سنفعل؟ هذه النقطة في غاية الأهمّية. مصطفى كمال يقترح على الحكومة في استانبول أنْ يتوجّه المجلس النيابي إليه في الأناضول، كما يقترح إسقاط الحكومة علنًا.

خطّ الجنرال ميلن:

يقوم الجنرال ميلن قائدُ الجيش الإنكليزي بتخطيط حدود للأراضي التي احتلّها اليونانيون في أزمير، وبذلك يكُون قد حاول منع اعتداء قوّاتنا الوطنية على هذه الحدود، وقد عُرفتْ الحدود باسم خطّ ميلن، وبينما الأمر على ذلك إذا باليونانيين بالرّغم من وجود هذا الخط، يقُومون بهجوم ضدّ الأتراك أصحاب البلاد.

مصطفى كمال يطلب المنصب والرُّتبة والمكافأة المالية:

اجتمعَ المجلس النيابي (المبعوثان) في استانبول، يقول لهم مصطفى كمال: «لا بدّ أنْ تقيموني رئيسًا!»، من آفات الإنسان أن يطلب لنفسه الرّتبة والمنصب، إن هذا لَدليلٌ على طمع الشّخص وجشعه، لكن عادته هو أنْ

يطلب، والمثال على ذلك أنّه فيما بعد هذا قد طلب بنفسه أنْ يوجَّه إليه لقب «الغازي»[1]!، وأن تُوجَّه إليه رتبة المشيرية[2]، ورتبة القائد العام.

بل ووصل به الأمرُ أنْ طلب مكافأة نقديّة بملايين الليرات!، يقول في هذا: «إني أطلبُ هذا نظرًا لأهميتها بالنسبة لمُدافع عن الوطن»!!، لكن هذه الأهمية لماذا؟ إنّه لا يوضِّح هذا.

إنّه يقول في خطابه الرسمي في صفحة 234 إنّه طلب أن ينتخبوه رئيسًا لمجلس المبعوثان في استانبول.

---

(1) الغازي: لقب فخري من الغزو، وهذا اللّقب يتّصل اتصالًا وثيقًا بالنهضة السنية التي كانت تدعو إلى الرّجوع إلى التعاليم الإسلامية الأولى، وفي عهد المماليك كان لقب «الغازي» من ألقاب أرباب السّيوف والسلاطين. واستمرّ استخدامه لسلاطين آل عثمان اعتزازًا منهم وافتخارًا بالانتصارات التي أحرزوها، لا سيّما على العالم المسيحي، وقد عرف هذا اللّقب عندهم منذ قيام دولتهم فقد تلقّب بلقب الغازي «أورخان».

انظر، مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية، ص47.

(2) في عام 1832م استحدثت الدولة رتبة المشير أعلى الرتب في الجيش، وأصبح توالي الرّتب العسكرية في الجيش من أسفل إلى الأعلى على النحو التّالي: الجندي المستجد «نفر»، ثمّ الأونباشي، ثمّ أمين البلوك «بلوك أميني»، ثمّ الجاويش «جاوش»، ثمّ الجاوش الأوّل «باش جاوش»، ثمّ الملازم، ثمّ اليوزباشي، ثمّ صول قول أغاسي، وصاغ قول آغاسي، ثمّ البيكباشي، ثمّ القايمقام، ثمّ الميرالاي، ثمّ الميرلوا، ثمّ الفريق، فالمشير.

انظر، أكمل الدين أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، 1/ 409.

مصطفى كمال مشاكسٌ بطبْعه(1)

أصبحَ مصطفى كمال عدوًّا لمجلس المبعوثان لأنّهم لم ينتخبوه رئيسًا، مع أنّه وعد بألّا يتدخّل في شئونهم إذا تمّ افتتاح مجلس المبعوثان، ومِن ثمّ أصبح يكِنُّ لأعضاء مجلس المبعوثان كلّ شعور بالضيق.

ألقتْ حكومة علي رضا بيانَها في المجلس، وحازت الثقة، وأعقبتْ هذا بتوزيع تعميم حكوميّ على كلّ الولايات، ولكن كيف ترسل الحكومة تعميمًا إلى الولايات؟!!، ادّعى مصطفى كمال أنّ تعميمًا صادرًا عن الحكومة إنّما هو دفع للبلاد نحو إفساد وخدتها!، والواقعُ أنّ كلّ الأمر يتركّز في أنّه حانق على هذا التعميم لأنّه مسَّ جبروته وتحكُّمه في الصميم.

يقول: «إنّ حكومة استانبول لا تهتمّ إطلاقًا بالمعارك التي تدُور في آيدين وأطنه ومرعش وأورفه».

لماذا لا تكُون منصِفًا؟! هل اهتممتَ أنت بهذا؟ إنّ كلّ ما يشغلك- يا مصطفى كمال- ليس المعارك التي تقوم بين قطاعات الشعب المسلّحة من جانب وبين قوات الاحتلال الأجنبية من جانب آخَر، بقدْر ما يشغلك أنْ تكون رئيسًا لمجلس المبعوثان في استانبول.

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 546، الحلقة السادسة عشر، 8 ذو الحجة 1401هـ الموافق 6 أكتوبر 1981م.

ظلمُ الأوروبيين للأتراك:

في هذه الأثناء، كانت الأمّة تحارب اليونانيّين الغاصبين في أزمير، ووصل الفرنسيّون إلى أطنه، الأمّة على قدمٍ وساق، التحمتْ الأمّة بالجيش الفرنسي، وكان الإنكليز قد احتلُّوا من قبلَ كلٍّ مِن مرعش وأورفه وعينتاب، ثمّ انسحب منها الإنكليز وتركوها للفرنسيّين، والذي حصل أنّ الفرنسيّين قاموا بتسليح الأرمن الموجودين في المنطقة، تمامًا كما فعلوا في أطنه، كما قاموا بارتكاب أنواع الظلم الصارخ، ودبَّروا المذابح ضدّ الأتراك[1]، ولكلّ هذا قامت الأمّة بالثورة، وأخذتْ تلتحم بالفرنسيين والأرمن في معاركَ شديدة، كانت قواتُ الاحتلال في استانبول على الشكل الآتي:

الجنسية	العدد
فرنسي	40،000
إنكليزي	35،000
إيطالي	4،000
يوناني	2،000
المجموع	81،000

(1) الذائع بين الناس أنّ العثمانيين هم الذين قاموا بمذابح ضدّ الأرمن، وهذه أكذوبة كبرى، لأنّ الوثائق والوقائع تثبت بالأدلّة القطعية أنّ المسلمين العثمانيين تعرضوا لمذابح وحشية على أيدي الأرمن أثناءَ الحرب العالمية الأولى، وبلغ عددُ القتلى فقط أكثر من نصف مليون شخص، غير الخراب والدّمار الذي لحق بقراهم ومدنهم.
انظر، أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: مذابح الأرمن ضد الأتراك في الوثائق العثمانية والروسية والأمريكية، دار البشير، القاهرة، 2016م.

وكان كلّ من الأروام والأرمن في صفوف الإنكليز والفرنسيين، كان كلّ هؤلاء يحرقون الأتراكَ بنيرانهم، وأصبحتْ حكومة استانبول عاجزة لا تستطيع حراكًا.

يثير الانتباهَ قولُ مصطفى كمال الجملتين التّاليتين؛ الأولى: «لقد نجح مجتمعنا في افتتاح مجلس المبعوثان»!، والثّانية: «إنّ المعارك التي شنّتها القوى الوطنية في المناطق المحتلّة من بلادنا»!.

الجُملة الأُولى محضُ كذِب، وأمّا الجملة الثانية فإنّ مهارته في إظهار فضله في تشكيل هذه الجبهات التي يتحدّث عنها لم تتجلَّ إلّا في مدى مهارته في صياغته للجملة على الورق فقط.

وبتأييدٍ من دول الائتلاف لليونانيّين ومساعدتها لهم في توسيع رُقعة احتلالهم في أزمير، قامت اليونان في ٣ مارس 1336 بهجوم احتلّت به عدّة أماكن علاوة على ما تحتَ أيديها، واضطرّ علي رضا باشا وسط هذه المشكلات إلى الاستقالة، وشكّل صالح باشا الحكومة الجديدة، وأخذ فيها أغلب أعضاء الوزارة السابقة.

إعلانُ استانبول مدينة محتلَّة:

وأخيرًا، وفي 16 مارس 1336، أعلن الحلفاء رسميًّا أنّ استانبول مدينة محتلّة.. في صباحِ ذلك اليوم هاجم الجنود الإنكليز قرقول «ميزيقا» في حي «شهزاده باشي»، وطعنوا الجنود الأتراك بالسونكي، وإذا بجنودِنا يأخُذون في الدفاع، إلّا أنّ الأمر انتهى باستشهاد ستّة، وجرح خمسة عشر منهم، احتلّ الإنكليز مبنى الحربية ومراكز البرق، وأوقفوا عملها، ولم يكُن بالمستطاع في

تلك اليوم التنقُّل من مكان إلى مكان آخَر في استانبول، هاجموا المجلس النيابي وقبضوا على بعض النواب، وأرسلوهم إلى مالطة، أعلن الإنكليز احتلالهم لمدينة استانبول رسميًا ببيان أذاعوه.

مصطفى كمال يصطادُ في الماء العَكِر:

وها هي الفرصةُ قد سنحتْ لمصطفى كمال، وهي فرصة كان يتحيَّنها منذ وقت طويل، إنّه كان يبحث عن موقعٍ في استانبول يعتليه، إنّه يرسل من استانبول إلى الأناضول، وعندما يصلُ إليه يريد أن يصبح رأسًا كبيرًا في استانبول، مستخدِمًا في هدفِه هذا الحركة الوطنية، وعندما يفشل في هذا يجمع المجلس النيابي في أنقرة، ويصبح رئيسًا، ويريد أن يستحوذَ على الدولة ويضعها بين يديه.

إنّ هذه الضربة- التي أحدثها الإنكليز بإعلان احتلالهم لاستانبول- تأتي موافقة لآماله؛ لأنّ الوطنيين في استانبول يرَون أنّهم بهذا الاحتلال مضطرّين لأن يتكدّسوا في الأناضول، وبالتّالي يقبلون رئاسة مصطفى كمال.

أخذ الوطنيون في التوجّه إلى الأناضول وفودًا وجماعات، ويأخذ مصطفى كمال ينشر البيانات في كلّ الأنحاء حتّى في أوروبا وأمريكا، وكان لا بدّ من قطع الصّلات تمامًا بين الأناضول واستانبول؛ مِن مَخابُر ومراسَلات ومكالَمات، وسريعًا كتب إلى كلّ أنحاء البلاد يطلُب انتخاب خمسة أشخاص من كلّ سنجق لإرسالهم إليه في أنقرة، وبهذه الصورة يتجمّع مجلس يحُوز صلاحية غير اعتيادية، كان هذا الانتخاب خارج أصول كلّ الانتخابات، كما كان خارجًا على القانون، لكنه كوّنه وافتتحه!.

قمتُ أنا بتعطيل مجلس المبعوثان في استانبول تعطيلًا مؤقتًا، وقراري هذا تمّت ترجمته إلى لغات أوروبا، ووزّعناه في كلّ مكان مضبطة مارس 1336. أرسلنا وزارة صالح باشا إلى أنقرة كما جاء إلى أنقرة أيضًا عدّة نوّاب آخرين.

أصبحتُ في مركز الأحداث مرّة أخرى، ولكن من أنقرة:

أنا في مركز الأحداث مرّة أخرى، حتى أكثر من هذا، أصبحتُ في داخل الأحداث في أنقرة، ننامُ في دار المعلمين بأنقرة، أفكّر، الخوف موجود، والأمل ضعيف، ولكن لا حيلةَ أخرى، إذا كانت الأمّة ستتحرّر فإنّما بالقوة والمقاومة، لكن لا يوجد ما يلزم لهذا من سلاحٍ وذخيرة ونقود، لا يوجد شيء من هذا.

نعم لا يوجد، ولكنّ العمل واجب، لا بدّ من تداركُ هذا والعمل على إيجاد القوة، فربما يحدث التّحرر، فإذا لم يحدث فلا شيء علينا، وإنّما نكون قد أدّينا واجبنا، ومعنى هذا أنْ لا بدّ من العمل.

اسمُ الدولة الجديدة تركيا:

وفي أنقرة، كان مصطفى كمال يبِيت في مدرسة الزراعة، وكانت تقع فوق رابية، وكان يدعُوني للقائه أنا ويوسف كمال كثيرًا، وهناك كنا نجتمع ونتباحث في أمور كثيرة، مثل كيفية تشكيل الحكومة، وما الاسم الذي نطلِقه على الدولة؟.

مصطفى كمال جاهل، كثيرُ الشّتم، ثمِلٌ باستمرار[1]

وكان يشترك- أحيانًا- في هذه الاجتماعات كلّ من خالدة هانم (خالدة أديب)، والدّكتور عدنان (زوج خالدة)، وغيرهما، كنّا كلّنا حواليَ عشرة أشخاص، أثرْنا مسألة مسمّى الدولة الجديدة.

قلتُ: «لا لزومَ للبحث في هذا، فالاسم موجود بالفعل، وهو تركيا، إنّ جماعتنا- يعني الأتراك- كانوا يصيحون عبر العصور باسم الدولة العلية العثمانية، لكنّ أوروبا ومنذ قرون تسمّينا باسم تركيا». قلتُ أيضًا بهذا الكلام في المجلس (مجلس المبعوثان) في استانبول، كما قمتُ بإصدار النّشريات في هذا، وافقوا على اسم تركيا.

ثمّ تساءلوا: «ماذا سنطلق على الناظر يعني الوزير؟»

قلت: «وكيل»، فوافقوا.

اقتراحي بفصل الدّين عن الدولة:

وفي مسألة عددِ أعضاء الحكومة قالوا باستحداث وزارة للاقتصاد ووزارة للصحة، اقترحوا إطلاق لقب وكيل (وزير) الأمور الشرعية على شيخ

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 547، 22 ذو الحجة 1401هـ الموافق 20 أكتوبر1981م.

الإسلام، فاقترحتُ أنا الآتي: «كلّ ما قلتموه جميل، ولكن بهذه الوسيلة أقول لكم: فلْنفصِلْ الدين عن الدولة، فلْنُقِم حكومة علمانية، إنّ هذه لَفرصة عظيمة يجب ألّا ندَعَها تمرُّ هباءً»، اعترضوا كلّهم على إنشاء مشيَخة مستقِلّة، خاصّة خالدة أديب، وأظنّ أنّها لم تعترض على هذا بدافع من القلق على الدّين، وإنّما كان اعتراضها على أن ما أقوله يخلُو من التدبُّر والحَيطة.

كان الاعتراضُ الثاني من جلال الدين عارف، اعترض مرّة، ثمّ اعترض مرّة أخرى، وكان في الاعتراضيْن مخلِصًا بدافع القلق على الدين، كان جلال عارف حقيقةً مسلمًا متديّنًا، لكن معاملاته كانت تخلو من الإسلام والأخلاق، ولكن اعتقاده سليم، وأمّا غايتي أنا فكانت عصرية الدولة.

في الحقيقة إنّني معدوم الدّين!!، لكنّي لستُ ضدَّ الدين، وقد شرحتُ هذا كثيرًا في كتاباتي وتطبيقاتي، لكنّي ضدَّ ما يفعله الجاهلون باسم الدّين وضدّ الإسرائيليات، كما أنّي أعترض بشدّة على كَون الدّين والدولة متلازمَين، لم يكُن مصطفى كمال يفهم شيئًا من تعبير العلمانية، رفض الجميع اقتراحي، واستحدثوا وزارة للشرعية.

وعن اسم المجلس قلتُ لهم: «فلْنجعل اسم المجلس النيابي (ملت مجلسي)، يعني مجلس الأمّة، ولْنتخلَّ عن اسم مجلس المبعوثان لأنّه يفوح بتأثير اللغة العربية»، وافقوا على هذا إلّا أنّ مصطفى كمال أضاف إلى هذا الاسم الذي اقترحتُه صفة الكبير، فأصبح اسم المجلس هكذا (مجلس الأمة الكبير) [1].

---

(1) ( ) المجلس الوطني الكبير: وهو المجلس النيابي الذي دعا إلى إقامته مصطفى كمال في 28 جمادى الآخرة 1338هـ/ 19 مارس 1920م عند تأجيل اجتماعات مجلس المبعوثان في استانبول، وطلب مصطفى كمال بإجراء انتخابات في مدّة وجيزة لعقد مؤتمر طارئ يجتمع في

نجاتي، مثالٌ على حاشية مصطفى كمال:

وصل نجاتي إلى درجةِ وزير المعارف، كان جاهلًا وعديمَ الأدب!، ويذهب مذهبَ كلِّ شخص جاء باريس العامَ الماضي في فندق كالرتشي في الشانزليزيه، أخذ يتحدَّث عن سرقات زملائه حاشية مصطفى كمال، وقال الآتي: «كم كان جيدًا أنني لم أقبل أنْ أكُون المدَّعي العام في محكمة الاستقلال[1]، وإلَّا كنتُ سأصبح جانيًا مجرمًا تغرق يدي في الدِّماء، صحيح أننا وزراء، لكنَّك تعلم أننا عبيد عند الغازي (مصطفى كمال)، نفعل وننفِّذ ما يقول، فإذا لم نفعل فإنّه يأخذنا من أيدينا ويُلقي بنا، ولا يكتفي بهذا، فإنَّه يقتل ويسحق»، هنَّأته لأنه لا يسرق

أنقرة؛ حيث كانت اللجنة الدائمة اتخذتها مقرًا لها منذ 4 ربيع الثاني 1338هـ/ مارس- أبريل 1920م، وبلغ عددُ أعضاء هذا المجلس (270) عضوًا منتخبًا أضيف لهم (80) مبعوثًا من أعضاء مجلس المبعوثان العثماني الذين غادروا استانبول في ربيع الثاني- جمادى الأولى 1338هـ / يناير 1920م، واجتمع المجلس الجديد الذي عرف باسم «بيوك ملي مجلسي»، في 4 شعبان 1388هـ/ 23 نيسان 1920م، وحاول أعضاء المجلس الإبقاء على علاقاتهم مع السلطان محمد وحيد الدين؛ إلَّا أن العلاقات بين السلطان وهذا المجلس قد انقطعت، وعيَّن المجلس حكومة «مجلس وزراء» في أنقرة والتي أصبحت تعرف باسم «حكومة أنقرة».

انظر، أحمد صدقي شقيرات: مؤسسة شيوخ الإسلام، 2/ 471.

(1) محكمةُ الاستقلال: عقب إعلان حكومة المجلس الوطني الكبير في أنقرة في 28 أبريل 1920م، كان لذلك الإعلان ردّ فعل كبير، لا سيّما وأنّ مجلس وحكومة استانبول موجودين، فسارع مصطفى كمال باقتراح قانون الخيانة الوطنية، فصدر في اليوم التالي 29 أبريل، وبعد قليل استصدر قانون (محاكم الاستقلال)، وقد نصّ على تشكيل هذه المحاكم بقرار من المجلس ومن قضاة يختارهم المجلس من بين أعضائه، وعلى محاكمة كلّ مَن يفرّ من الجيش أو يتكاسل في القبض على الفارّين أو يعاونهم بأيّ شكل من الأشكال، ومحاكمة كلّ من يقوم بتحركات أو تحريضات لمصلحة الأعداء ولمناوئة قرارات المجلس وأهدافه أو لإثارة الفتنة، وكلّ مَن يعرقل نشاطًا للحركة النِّضالية...، وقد نصّ قانونها كذلك على محاكمة المتهمين بالخيانة الوطنية أمامها...

انظر، محمد عزة دروزة: تركيا الحديثة، ص 33.

في حين أن الآخَرين يسرقون، بعد ذلك مات نجاتي، وإذا بنا نعلم أنّه ترك ثروة تُقدَّر بأربعمائة ألف ليرة (400.000) ليرة!!.

نجاتي كان فقيرًا جدًّا، ومُعدَمًا جدًّا، وإنّها لَمهارة منه عظيمة حقًّا أنْ يجمع كلّ هذا المبلغ!!، والآن كيف يذكُرون نجاتي؟!، يقوم العاملون بوزارة المعارف سنويًّا بتنظيم احتفال سنوي بذكرى نجاتي، فيزُورون قبرَه ويضعون عليه باقات الزهور، ويصيحون باسمه قائلين عنه إنّه «الابن النّجيب للأمّة التركية»!!، ماذا أقول؟!، أقول لهم: رزقكم الله قليلًا من العقل!!، برافو.. أيّها الثيران!!.

مصطفى كمال جبانٌ بالطّبيعة:

أعُود إلى الحديث عن لقاءاتنا بمصطفى كمال واجتماعاتنا معه في أنقرة، جذب انتباهي في هذه اللقاءات شيء آخَر، كانت مدرسة الزراعة التي يقيم فيها مصطفى كمال تقع على رابية عالية، وفي أنقرة لا تنقطع الرياح الشديدة، حدث ذات يوم أن هبّت رياح عاصفة في وقت العصر، وهي كذلك لعدم وجود الغابات المانعة لها في تلك المنطقة، أغلقتْ الرياحُ بابًا في أسفل المدرسة بشدّة، ففزِع مصطفى كمال وقال: «أليس هذا صوت مترليوز؟».

هذه المسألة لم تحدث مرّة واحدة، بل مرّات عديدة، تقول له مهما تقول «إنّ الرياح هي التي تغلق الباب بشدّة هكذا»، لكنّه لا يصدّق!، يقوم وينظر من النوافذ، ويرسل أحدَ الرجال ليتحقّق من الأمر.

هذا الرجل جبانٌ جدًّا، وعسكري؟!!، لا يستطيع أن يفرّق بين صوت المترليوز وضربة الباب!. وحدث ذات يوم أن انطلقتْ أصوات مدافع، فحاول الهرب فعلًا!!، فوقفَ أمامه جلال عارف وآخَرون يعترضونه، فامتنع لأنّ هناك جنود حراسة في الحديقة الخلفية لهذه المدرسة.

جاهل يشتمُ النّاسَ في غيبتهم:

يبدو عليه الجهل التّام أثناء تباحُثنا، وأحيانًا يتلفّظ بأشياء غبية تنمّ عن جهله، إنّ هذا الرجل جاهل جهلًا فظيعًا!!، وفيه آفةٌ أخرى أقبحُ، وهي أنْ يكون الشخص معه يحادثه ثمّ يفارقه، فإذا بمصطفى كمال يشتمُه في غيبته شتائمَ فظّة، مثل: «إنّه حمار.. إلخ»، يقول هذا في كلّ الناس مهما كانوا!!.

معنى هذا أنّنا نحن- أيضًا-، ومَن يدري عندما نخرج مِن عنده ماذا يقول خلف ظهورنا، وعندما يقول لا ينظر إلى صحيح، ولا ينظر إلى كذب، وإنّما يتلفظ بكلّ ما يأتي على لسانه من شتائم!!، يشتمُ في أشخاص نثقُ نحن فيهم كلّ الثقة، مع أننا نرى أنّه يتعامل مع هؤلاء الأشخاص أثناء لقائه بهم بأحسن أنواع المعاملة!!. وما أنْ يدُور الحديث حول أحد بعينه إلّا وينطلق لسانُه بالسّب والكذب والافتراء، معنى هذا أنّ هذا الرجل عديم الخُلق القويم، ورجُل مؤامرات.

تشخيصي- كطبيب- لمصطفى كمال:

إنّه يشرب الخمرَ باستمرار، ويطْلع عليه الصّباح وهو ثمِل سكْران، كان اتصالنا به وهو على هذه الحال ولمدّة عدّة أشهر، لقد رأيتُ الوضع الفيزيقي له على النحو الآتي: «طويل القامة، أشقر الشّعر جدًّا، في خدَّيه وفي أنفه علامات خاصّة بمدمني الخمْر، هذه الأماكنُ في وجهه حمراء، لا سيّما أوّل أنفه أحمر كالطماطم، حاجباه في الجزء المتّجه إلى الأمام مرتفعان وكثيفان، جبهتُه هابطة من الوسط، وهذا الوضعُ موجود أيضًا في جانبَي رأسه.

كما لاحظ تكويناته الخلقيّة الغريبة عصمت باشا، الذي قال لي ونحن في لوزان: «كم غريبٌ هو رأس الغازي (مصطفى كمال)»، ثمّ تدارَك نفسه بلوْم احتياطًا مني وخوفًا من أنْ أفتح هذا الموضوع أمامَ مصطفى كمال، فقال فورًا: «ولكن كم هو ذكي»!.

كثيرًا ما دعاني مصطفى كمال إلى مجالس شُربه وسُكره، لاحظتُ أنّه كلما أكثر من الشّراب، أو كلّما غضب فإنّ عينيه تحَوَّلُ بصورةٍ مدهِشة!، ودرجة هذا الحول بالتّقريب 160، إحدى عينيه تتّجه إلى الشّرق والأخرى إلى الغرب!، معنى هذا أنّ عند هذا الرجل تردِّيا عائليًا وراثيًا.

جوّال، يتابع أمورَه ولا يتركها دون تعقُّب، حتّى في الشيء الذي لا يعرفه ألبتّة، يفهم على الفور ما يُقال له، ثمّ يشرحُه بعد ذلك، لكنْ كلّ مبادئه ونظامه عبارة عن تآمُر. هذه المشاهَدات والملاحَظات التي أراها بنظرةِ طبيب أعطتني هذه الفكرة، هذا الرجل متردِّي خبيث الروح وسُفلي، طمّاع لأقصى درجة، وإنّي أضع تشخيصي هذا كطبيب.

كم هو مؤسفٌ أنْ يكُون مصطفى كمال زعيمًا لنا؛

ذاتَ يوم، كنتُ أجلس مع كلّ مِن الصيدلي حُسين حسني- وهو الآن نائبٌ برلماني- والتّاجر نافذ الأرضرومي، وحُسين عوني (نائب برلماني)، ويوسف كمال، كنا نتحدث عن مصطفى كمال، كانوا جميعهم ضدّه بشدّة، لم يكُونوا يكفّون عن الكلام فيه، قلتُ لهم: «أقول لكم شيئًا، إنّ روح هذا الرجل خبيثٌ وسُفلي، إنّه شديد الطمع، وكم هو مؤسفٌ أنْ تكُون له الرّئاسة في هذا العمل، العمل مع هذا الرجل أمر صعب، لو نجحْنا وأنقذَ الدولة فإنّ

هذا الرجل سيجبر الأمّة كلّها على تقيؤ الدم، كما سيجبرنا على ذلك نحن أيضًا، وسيفسد كلّ مكاسبنا، ولكن ماذا بيدنا، لا بدّ من العمل والاجتهاد، حظّ الأمّة سيّئ أن يقُودَها هذا الرجل».

ولأنّي لم أمدحه كثيرًا في كتابي (التّاريخ التركي)؛ فإنّه غضب منّي، وأصبح عدوًّا لكتابي هذا، كتبتُ عنه في هذا الكتاب العبارة الآتية: «ذكي، وجوّال، وروح كلّ شيء»، ولم أستطعْ أن أكتب أكثرَ من هذا، وكنت أخاف إنْ لم أكتب عنه حتى بهذا القدرْ الضئيل أنْ يمنع نشر الكتاب، ومع ذلك فقدْ منع نشرَ الجزء الثالث عشر والرّابع عشر من كتابي هذا.

الحملةُ على الدّين[1]

مصطفى كمال روحُ كلّ شيء خبيث:

نعمْ إنّه ذكي وجوّال، وهذا صحيح، ولكنّ روحَ كلّ شيء يعني الروح الخبيثة، إنّه فعّال وذكي نعم، ولكنّ هناك شيئًا، وهو أنّ ذكاءه يتصبُّ في التآمر، كاد يقلبُ البلاد إلى النّظام البلشفي الشيوعي، أكان هذا عملًا عاقلًا منه؟ لا شكَّ أنّهم يغالطون عندما يعتبرون التّآمر من الذّكاء ويخلطون بين الاثنين، مع أنّ كلًّا منهما مسألة تختلفُ عن الأخرى.

إنّ الذّكاء والتّآمر كلّ منهما نتاجُ مركز مختلف في الدّماغ عن مركز الآخَر، فكم من أحمق شديدِ الحماقة يهرج ويحتال ويوقع الإنسان في حيرة شديدة مِن جرّاء تآمره، وكم من عالمٍ وعاقل لا يستطيع حبْكَ مؤامَرةٍ أو دسيسة ولو تافهة صغيرة.

ها هو ذا الموقفُ المضطرب، ظلام المستقبل وغُموضُه، بالإضافة إلى كون هذا الرّجل هكذا؛ يسُوقني كلّ هذا إلى التفكير في صورة عميقة وأليمة، كان اليأس في داخلي يتضخّم، كنتُ حزينًا، ولوْلا الواجب الوطني لما وقفتُ بجانب هذا الرجل دقيقتيْن، بعد مدّة وصل عصمت إلى أنقرة، وخلفه صالح ياور وزارة الحربية، ومن بعده فوزي باشا.

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 548، 29 ذو الحجة 1401هـ الموافق 27 أكتوبر1981م.

ينفي نظيره:

تمَّ افتتاح المجلسِ في 21 نيسان 1336، أجبرهم مصطفى كمال على انتخابه رئيسًا، اغتاظ جلال عارف كثيرًا لهذا، ومن هنا بدأتْ منافَسةُ الرجُلين، عارف جلال يعتبر نفسَه الرئيس الطبيعي لمجلس أنقرة هذا الذي افتُتح لأنّه كان رئيس مجلس المبعوثان في استانبول قبل التحاقِه بمصطفى كمال، وكان يصرّح بهذا علنًا.

والواقع أنّ هذا هو العدل، ولكنْ أيُعطي مصطفى كمال صيدًا هكذا للرجل؟!، جلال عارف كان ضعيفًا جدًّا أمام النقود، فعلى الأقلّ نهض للحصول على مرتَّب الرئاسة مثلما كان يأخذ في استانبول. وكانت نتيجة أطماع هذا المنافس في رئاسة المجلس أنْ عيَّنه مصطفى كمال ممثّلًا سياسيًّا في روما، فرضي بذلك وذهب.

أنا وزيرٌ للمعارف:

تشكَّلتْ الحكومة، أسندتْ إليَّ وزارة المعارف، كما أصبح يوسف كمال وزيرًا للاقتصاد، أدخلوا رئاسة أركان الحرب إلى الوزارة، وبذلك أخطأوا لأنّ هذه عسكرية فظيعة، لكنّ مصطفى كمال هو الذي عمل هذا، أصبح عصمت رئيسًا للأركان، وأصبح فوزي باشا وزيرًا للدفاع الوطني، ومصطفى كمال رئيسًا للوزراء التنفيذيين، لكي يمسِك بيده مجلس الأمّة وباليد الأخرى الحكومة.

أُطلِق على الوزارة اسمُ هيئة الوزراء التّنفيذيين، وقد أسندت للمجلس بناء على اقتراح مصطفى كمال الصّلاحية التشريعية، وكذلك الصلاحية

التنفيذية، وكان هذا أمرًا غير مُستساغ، كما أنّه ليست هناك حاجة إلى ذلك، لكنّه يفكر في أن تكُون كلّ الأمور بيده، وأطلقَ على هذا: (وحدة القوى)، شيء مُضحك وطُفولي، وكان علامة على الاستبداد والتحكّم، مع أنّ علماء الدساتير قسموا الأمر إلى اثنين، وبذلك أوجدوا التّوازن، وليس من الممكن فهمُ ما يقصده مصطفى كمال إلّا أنّ غايته الاستبداد والتحكم.

مصطفى كمال يستغلّ الشّعورَ الدّيني في الأمّة:

أصدر مصطفى كمال تعميماً في افتتاح المجلس، يحوِي هذا التعميم مسألة مهمّة، مصطفى كمال يتظاهرُ بحماية الإسلام، ويستغلُّه آلة في السياسة، إنّه احتمى بالدّين، وكتب هذا، والذي حدث أنّه بعد ذلك شنق الكثير من الرجال، بحجّة أنهم استخدموا الدّين في السّياسة، مع أنّ هؤلاء الذين شنقهم لم يفعلوا أكثر ممّا نادي هو به، ما معنى هذا؟! معناه أنّ الأمّة التركية متديّنة، وللآن مازالت الأمّة بكاملها هكذا، لا يمكن لأمّة أنْ تبدِّل دينَها فجأة.

الدّين والاعتقاد مسألتان لازمتان لكلّ أمّة، معنى أنّه يذكُر الدين في أزمة مثل الأزمة التي تعيشها الأمّة أنّه يعترف بأنّ الدين قوّة عظيمة، وأيُّ قوة!، ومع هذا الاعتراف فإنّه يقوم خلال ثلاث سنوات أو خمس بالإطاحة بهذا الدّين!، وماذا لو مسّت الحاجة إلى الدّين ذات يوم؟!!، وسيحدُث هذا.

الإسلامُ أساسُ التّراث التركي:

إنّ الدّين هو المستنهِض لهِمم هذه الأمّة في الحرب، فماذا سيحدُث إذا قامت الحرب بعدَ ذلك؟! إنّ أعمال مصطفى كمال هذه تدفع الإنسان إلى الظنّ بأنّ هذا الرجُل عدوّ للأمّة التركية.

إنّه تسلّط في أوّل حملةٍ من حملاته على دين الأمّة، الدين من التراث، والحجر الأساسي في أيّ أمّة من الأمم هو تراثها، إنّ هذا الرجل وأمثاله مشغولون بهدم تراث الأمّة التركية، إنّه خائنٌ في هذه الحال، لكنّ الأمر عندي أنّه يقوم بعمل كلّ هذا بدافعٍ من الحرص على الشّهرة، حتّى يُقال إنّه داهية عبقري، ويقوم بانقلابات عظيمة، لكنّه ينتزع أحجار الأساس من مبنى الأمّة.

ليسَ لهذا أهميّة عنده، فإذا وجد الأمّة تغرق فإنّه سيقول على الفور: «وماذا في يدي؟!، كمْ من جهود بذلتُها، وكمْ من غيرة وحميّة أظهرتُها!!، لقد صنعتُ- وبشكل عبقري- من هذه الأمّة، ومن هذه الدّولة أمّة أوروبّية متكاملة، ولم تتواءم الأمّة مع هذا، فما معنى هذا؟، معناه أنّ الأمّة تنعدم فيها القابلية للتأورب».

يقول هذا أيضًا، كان مدهشًا، كانت هذه العصابات تتكوّن من تلقاء نفسها، ومازالت تتكوّن، إنّ قوّاتنا الوطنية كانت عبارة عن هؤلاء مع قليل من العسكر، وكم كانت هذه العصابات تقُوم بالقتلِ وارتكاب الجنايات، فإنّها كانت- أيضًا- تقوم بعمليات نهبٍ وسرقة مدهِشة، كانت هذه العصابات تقول للمدن: «عليكم بدفع خمسين ألفًا أو مقدارًا آخر خلال يومين».

وهكذا كانتْ هذه العصابات (الوطنية) تستولي على كميات ضخمة من النقود، وفرضوا الإتاوات، والواقع أنّه كان لا بدّ لهذه العصابات المسلحة من الأكل والشرب والملابس والطرق، وليس لدى الحكومة نقود.

لكنْ أكثر هذه النّقود التي تفرضُها العصابات على الشّعب نقود مختلَسة، وتدخُل في جيوبِ كبار رجال العصابات!، مثالٌ على هذا في هذه الأثناء جمع إبراهيم جولاق ثروةً ضخمة من السّلب والنهب، وأقام مصنعًا للأخشاب بمليون ليرة، وكلّ هذا من السّرقة.

نموذج من خوف النّاس منّا:

أصبحتُ وزيرًا للمعارف، وبالتّالي يلزمُنا مبنى، والمبنى غير موجود، حوّلتُ غرفة من غرف دار المعلّمين إلى وزارة المعارف، وجدتُ منضدة وكرسيًا مكسورًا، وقمتُ بمهامّي وزيرًا للمعارف من هذا الكرسي لمدّة تسعة أشهر متوالية!!، أريد موظفين، لا يوجد.

استدعيتُ كاتبًا من أهالي أنقرة يُدعى محمد، وقلتُ له: «ستعمل معي»، لم يقبَل، قلتُ له: «سأعطيك مرتّبًا كبيرًا»، لم يرضَ، توسّل إليّ، بكى وقال: «إنّي أخاف»، سألته عن سببِ خوفه، فقال: «لا بدّ من شنقكم ذاتَ يوم!، فإذا تبعتُك سألقى نفس المصير».

كان رجلًا ساذجًا، ووجدتُ أنّ طريقتي معه لن تُجدِي، هددتُه، قلت له: «إذا لم تعمل معي فإنّ ما تخاف منه مستقبلًا سأنفّذه فيك الآن»، خاف!، وقلتُ له مهوّنًا: «إذا شنقونا فلا خوفَ عليك»، ثمّ أخذتُ أهوّنُ عليه، فوافق، ظللتُ أعمل مع هذا الموظف وحده لمدّة ثلاثة أشهر، ولم يكُن معي- وأنا وزير- أحدٌ يعمل معي ولا يساعدني غيره!!.

الثّورةُ تأكُل أبناءها[1]

أنا حَملَ أجرَب ابتعدَ عن القطيع!

أوّل ما فعلته الوزارة أنْ كتبتُ تعميمًا لكلّ مديريات المعارف، قلتُ فيه إنّ الأمّة عيّنتني وزيرًا للمعارف، وإنّ اللّحظة التي نحياها لحظة في غاية الأهمية، وعلى كلّ فردٍ في الأمّة أنْ يكون ظهيرًا للحكومة الوطنية بكلّ ما أوتي مِن عزم، ولا بدّ من العمل.

قام أحدُ مديري المعارف في منطقة بولو بإرسال هذا التّعميم إلى حكومة استانبول، فتلقّفه الصّحفي علي كمال، فأرغى وأزبد، لم نكُن في ذلك الوقت نرى صحف استانبول، لكنّهم حكوا لي بعد ذلك أنّ علي كمال كان يكتب المقالات ضدي، وكان يقول عنّي إنّني: «الحملُ الأجرب الذي ابتعدَ عن القطيع»!!.

وقال هذا الصّحافي عن كتابي (خفايا حزب الحرية والائتلاف) وعني شخصيًّا ما نصّه: «إنّ رضا نور قد كتب هذا الكتابَ بعد أن قبض من الاتّحاديين عشرين ألف ليرة»!.

أصدرتُ الأمرَ بتتريك المسمّيات العربية:

وسريعًا أصدرتُ أمري بأنْ تكون المراسلات بلُغةٍ تركية صرفة، ألغيتُ الألقاب في المراسَلات، الشّيء العجيب المثيرُ للدهشة في هذا الأمر أنّ الجميع

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 549، 6 محرم 1402هـ الموافق 3 نوفمبر 1981م.

لم ينفّذوا هذا الأمر، لا بدّ وأن يكتبوا بلُغة تركية معقّدة!، أيْ يكتبون اللغة التركية التي تحتوي في غالبيتها كلمات عربية وكثير منها فارسية.

إنّ هذه المسألة عادة، ومسألة تربية، ثمّ عملتُ على أن تتّخذ الحكومة قرارًا بهذا الشّأن، قام مجلس الأمّة الكبير أيضًا بإلغاء الألقاب والنّياشين[1]، لكن هؤلاء السّادة العظماء قاموا بعد معاهدة لوزان بإعادة إحياء تعبيرات ملغيّة مثل: (ذات دولتكم، والوزارة الجليلة)، وأدخلوها في الكتابات الرسمية كذلك.

شيخُ الإسلام يعتبرنا خارجينَ على السّلطان!!

عندما كنّا نشكّل الحكومة قام السّلطان بإقالة صالح باشا، وتنصيب فريد باشا صدرًا أعظمَ، قام فريد باشا بنشر فتوى بتوقيع شيخ الإسلام دري زاده[2]، تتّهمنا- يعني تتّهم حكومة أنقرة- بتهمة الخروج على السّلطان!،

(1) أكثر الأوسمة والنياشين أحدثت ومنحت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876/ 1909م). فقد أحدثت إضافة إلى الأوسمة الموجودة من قبل: وسام آل عثمان، الخاص بالأسرة العثمانية الحاكمة، ووسام أرطغرل، ووسام الامتياز، ووسام الشفقة. كما أحدثت بعض الأوسمة بعد انقلاب عام 1908م، منها: وسام المعارف، ووسام المزية، ووسام اللياقة الزراعية. ومن الواضح أنّ السبب الأساسي في هذا التوجه للسلطان عبد الحميد الثاني، رغبته في لمّ شمل أجزاء واسعة من الدولة العثمانية، وارتباطها بالعاصمة استانبول من خلال الجامعة الإسلامية. هذا وقد ألغيت الأوسمة الخاصّة بالدولة العثمانية مع إعلان الدولة في تركيا عام 1342هـ/ 1923م.
انظر، سهيل صابان: الأوسمة العثمانية، ص 6-22.

(2) ( )هو المولى عبد الله بن محمد بن عبد الله عارف، المشهور بـ (دري زاده) وهو شيخ الإسلام السادس من عائلة دري زاده، وهو شيخ الإسلام رقم 130، وقبل الأخير، ولد في استانبول سنة 1869م، وتولّى المشيخة لعدّة شهور في الفترة من 5 أبريل إلى 31 يوليو 1920م في عهد السّلطان محمد وحيد الدين السادس، حصل على أرقى الشهادات العلمية الدّينية، وترقّى في المناصب من كاتب في باب الفتوى وعضو في مجلس التدقيقات الشرعية وقاضي عسكر الأناضول، ثمّ استقال من كلّ الوظائف الحكومية في عهد حكومات الاتحاد والترقي، ثمّ عاد

وقرّروا إعدامنا!، والحاصل أنّه قد صدر ضدّنا الحكم بالإعدام!!.

قام مصطفى كمال بدوْره بخداع مفتي أنقرة، قام هذا المفتي بكتابة فتوى يتّهم فيها استانبول، بالطّبع أنّ كلّ فتوى أصدرها في جانب من الجانبين كانت شديدة، ووجدتُ أنّ قرار إعدامنا الذي صدر من استانبول لم يؤثّر في أحدٍ من زملائي في الحكومة، لأنّ الواقع أنّنا لو وقعْنا في أيدي حكومة استانبول فإنّ إعدامنا محقّق، وكنّا نعرف هذا.

تكوينُ جيوش الخليفة:

والآن تقوم استانبول بترتيب الثّورات ضدّنا في مختلف أماكن الأناضول، وتكوّنت جيوشُ الخليفة، وتُسمّى أيضًا بالقوى الانضباطية، ها هو ذا تأثير وجود علي رضا في الحكومة يتّضح لنا رُوَيدًا رُوَيدًا، بدأنا نُدرِك خدماته لنا وقيمته بالنسبة لموقفنا، كما كان كلامه صائبًا عندما كنّا في طريقنا إلى أنقرة (لمقابلة مصطفى كمال)، واليونانيون يقُومون بالهجوم من أزمير، وكان الأرمن يهدّدوننا من منطقة صاري قاميش، وبالطّبع تشكّلتْ جبهات مختلِفة، واحدة في أزمير، وثانية في أطنه، وأخرى في العِراق، وواحدة في أرضروم.

أطلقَ جنودُنا على هذه الجبهات الأسماء الآتية على التّوالي: جبهة الغراب (أو جبهة أزمير) جبهة الجنوب (أو جبهة أطنه)، جبهة الجزيرة، وجبهة

لوظائفه مرّة أخرى سنة 1918 وتدرّج حتّى وصل لمنصب شيخ الإسلام في حكومة الداماد فريد باشا الرابعة، وقد أصدر عدّة فتاوى تعتبر رجال أنقرة وأتباعهم عصاةً يجب قتالهم لأنّهم خارجين عن السلطان خليفة المسلمين، فردّت أنقرة بنفس الأسلوب، وأصدر مفتي أنقرة محمد رفعت أفندي فتوى وقّع عليها 152 مفتيًا في الأناضول جاء فيها أنّ الفتوى الصادرة من شيخ الإسلام باطلة، واستقالت بعد ذلك حكومة فريد باشا، واعتزل دري زاده الوظائفَ الحكومية وتوجّه إلى الحجاز، وعاش هناك حتّى وفاته في 30 أبريل 1923م، ودفن في مكة المكرمة.

انظر، أحمد صدقي شقيرات: موسسة شيوخ الإسلام، ج2، ص 463-473.

الشرق، وفي جبهة الجزيرة كانت القوات الآشورية والكلدانية تزعجنا، هؤلاء أخذوا في الضغط علينا ضغطًا مكثَّفًا مدروسًا، وبدأنا نتأزَّم.

مصطفى كمال يُوقِعُ بين زملائه في الحركة:

كان جامي هو وزير الداخلية، أمّا يحيى غالب نائبُ الوالي سابقًا فقدْ أصبح واليًا، لكنّ هذا الشّخص خاقان بكلّ معنى الكلمة، لا يعترف بوزير الداخلية كرئيس له، بالعكس إنّه هو الذي يأمُر وزير الداخلية، يا لَلمشكلة!، مشاجرة من أوّل خطوة، جامي لم يستطع التحمّل، اشتكاه، بحثْنا في الحكومة هذه المسألة طويلًا، اتّضح أنّ جامي على حق.

لكنّ مصطفى كمال يحمي يحيى غالب، ويحيى رجُله، أغلبُ الظنّ أنّ مصطفى كمال هو الذي حرّض يحيى غالب على هذا، بل وهو الذي أحدث هذه المشكلة؛ لأنّ يحيى غالب لا تبلغ به الشّجاعة إلى حدّ هذه المعارَضة، ولأنّ مصطفى كمال لا يتحمّل الحياة بلا مشاجَرات!، كما أنّه لم يمنع الذين بقَوا في الغربال من الوصول إلى مواقعهم، أو لم يستطعْ أنْ يمنعهم بسبب الحاجةِ إليهم، وقد يأخُذ في التخلص منهم واحدًا واحدًا.

إنّه لا يتحمّل أنْ يكون حوله رجلٌ عاقل شريف، كذلك لا يتحمّل أن يكون له منافس، إنّ هذه أبرز خصاله، أنْ يسحق ذوي القابلية والاستعداد، يرميهم، يدفعهم بعيدًا، قام جامي بتقديم استقالته، وهذا ما يودُّه الرئيس!، وأخيرًا لم أستطع تحمل هذا الظلمَ الصّارخ، وقلت لمصطفى كمال بصورة غاية في الجدّ والصّراحة: «ما هكذا تُسيَّر الحكومة، ما هذا العمل في أوّل خطوات تخطُوها الحكومة؟، إمّا أنْ توافق على عزل هذا الرّجل من منصب الوالي، وإمّا أنْ نقدّم كلُّنا استقالتنا».

أفاق، وجدّ أنّ أزمةً أساسية ستحدُث، ونحن مازلنا في الخطوة الأولى، وذهب يحيى غالب، لكنّ مصطفى كمال عيّنه نائبًا في مجلس الأمّة الكبير، ودبَّ اليأس إلى جامي، وأخيرًا طردَ مصطفى كمال بدرجة ممثّلنا السّياسي في روما، وبعد مدَّة عزله أيضًا من هناك.

يبدأ في التّخلّص من رفاق الثّورة:

ها نحن مازلنا في بداية عملنا الثّوري، وإذا بواحدٍ منّا ينتهي. أصبحتْ حياة جامي قصيرة لأنّ مصطفى كمال اتّهمه فيما بعد- ظلمًا- بارتكاب جريمةِ اختلاس، كما أصبح يوسف كمال لا يذهبُ إلى الوزارة التي هو وزيرها، وكذلك لا يوقّع على القرارات الصّادرة في اجتماعاتِ الحكومة، لم تكُن هذه القراراتُ تسجّل في دفتر.

ليس في الخزانة شيء على الإطلاق:

تكوّنت الحكومةُ والمجلس، أقمنا الطّاحونة، ولكن مِن أين لنا بالمال اللازم؟، لا نملك شيئًا على الإطلاق، كان حقّي بهيج هو وزيرَ المالية، لا شيء يأتي من الضرائب، وضعْنا يدَنا على بنوك الزراعة، وأخذْنا النّقود التي بها، صرفْناها على المرتّبات والجنود، ليس هناك حسابٌ ولا كتاب، بمعنى أنّه لا شيء يسجّل.

والواقع أنّه هو نفسُه لا يفهم في المالية شيئًا!، تعقّدتْ الأمور، لم يبقَ في البنوك ولا المؤسّسات مالًا يمكن مصادرتُه، ثمّ أصبح فريد وزيرًا للمالية، إنّه رجُل ذو دراية وخبرة، وضعَ أسُس المالية وأدارَ أمورَها، وجد النقود، آه لو كانت أخلاقُه أيضًا مضبوطةً بنفْس الدرجة التي يعمل بها.

الوزارةُ تتصوّر أنّ روسيا هي المنقِذة:

أولُ ما فكرتْ فيه الوزارةُ كان التفكيرَ في إقامة صلاتٍ مع روسيا، والحصول منها على السّلاح والنقود وما إلى ذلك، كان مصطفى كمال يطلِق على الوزراء في المراسَلات والخطابات الفرنسية لقب (قوميسير) مثلما يفعل البلشفيّون، كان بكير سامي هو وزير الخارجية، تمّ إرسالُ وفدٍ يتكوّن من شخصيْن: منه هو وبرئاسته وعضويّة يوسف كمال لعقد معاهَدة مع الرّوس، والحصول منهم على مساعدات ومعُونات، وعلى ذلك أُسندتْ إليَّ مهامُّ وزير الخارجية.

الأممُ المُسلمة في روسيا تأملُ فينا تحريرَها من الرُّوس:

وبمناسبة الحديثِ عن بكير سامي وهو عرقيًا من الآستيّين، وهؤلاء قوم في روسيا يبلغون مائتين وخمسين ألفَ نسمة، وهذه الأمّة تستوطن في جبال القوقاز، مائة وخمسون ألف منهم نصارى، والباقون مسلمون، ولهم لغتهم الخاصّة، وهي لغة تختلفُ عن اللّغة الشركسية، والغريب أنّ القادمين منهم إلى تركيا يقومون بالدعاية للقومية الشركسية، وهُم الآن في روسيا.

وعلى ذكْر روسيا فإنّ كلّ الأمم المسلمة في روسيا من: لازكيين، وششن، وآستيّين، وأنكوش، وشركس، وأباظة، وغيرهم؛ يحبّون الأتراك حبّهم لأرواحهم، ويعيشون على أملِ أنّ خلاصهم وتحريرهم من روسيا سيكُون على يدِنا نحن الأتراك.

عندما سافرتُ إلى روسيا كان بعضُ هؤلاء يقترّبون من نوافذ عربة القطار التي كنّا نستقلُّها، وذلك في محطّات القطارات، ويتلفّتون حولَهم

خشية أنْ يراهم الرُّوس، ثمّ يقبلون علينا ويقولون لنا بشكلٍ يظهر فيه إحساسُهم بالظلم من روسيا، يقولون لنا: «متى أيها الأتراك ستحرّروننا من روسيا؟!».

كما أني رأيتُ أثناءَ وجودي في روسيا أنّ بعض هؤلاء المسلمين قام بعد مغادرتنا أحدِ الأماكن، فقبّل الأرض التي وطأتها أقدامُنا!، هكذا ينظرون إلينا وهكذا يحبّوننا، إذا حصل هؤلاء على حريّتهم واستقلالهم من روسيا فإنّ حريتهم هذه واستمرارهم فيها لن يكُون إلّا بفضل تركيا.

الفسادُ يخصبُ في عهد أتاتورك[1]

في أزماتِ الكفاح الوطني، مصطفى كمال يسامح عاهرةً!

بدأتِ الثّورة ضدّنا- نحن حكومة مصطفى كمال- في كلّ مكان من البلاد، كلّ شيء في خطر: المستقبل، وحياتنا، وهدفنا الوطني، وكلّ شيء، في كلّ مكان يزداد غليانُ حركات الثّورات ضدّنا، نشاطُ استانبول يزداد، استانبول على اتصالٍ بأماكن كثيرة: دوزجه وبولو وغيرها، يجري تشكيل الجيش المسمّى بالقوى الانضباطية (جيش الخليفة) ، نشاط اليونانيّين في الجبهة الغربية أيضًا يتزايد.

وهكذا أصبحْنا في وضعٍ مفجعٍ وقلِق، في قلب هذه الظّروف الخطرة القلِقة لاحظتُ أنّ الحجراتِ الواقعة بجانب غُرفة اجتماعات الحكومة قد اتّخذتْ شكلًا محرّمًا، فلا أحد يستطيع الاقترابَ من هناك، سألتُ رجال مصطفى كمال عن السّبب، قالوا: «إنّ أختَ الباشا- مصطفى كمال- وصلتْ من استانبول»!!.

صدّقتُ هذا بحُمق، لم تكُن أختُه هي التي جاءت من استانبول، بل كانت (فِكْرية) عشيقتَه، يا للعار!!، أهذا وقتُه؟!!، ثمّ كيف تنزلُ منه المرأة

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 550، 13 محرم 1402هـ الموافق 10 نوفمبر 1981م.

ضيفة بجوار غُرفة اجتماعات الحكومة ورئاسة الوزارة؟!!، ثمّ أهكذا تركَب قرونًا[1] لخمسة عشر نائبًا ووزيرًا وموظّف ولاية وقاطني مقرّ الحكومة؟!!، إنّ هذه الوقاحة فظيعة، كما أنّ هذه جرأةٌ سفيهة، كما أنّ المرأة بغيٌّ مومِس.

آهٍ لو سمع الشّعب بهذا!!، إنّه سيرجمنا!، ومن الواضح أنّ الشّعب ينظر إلى مثل هذه الأمور باحتقارٍ لأهلها، ليس عندنا فقط، بل في أوروبا أيضًا يعتبرون هذا النوع من السّلوك فضيحة فظيعة، لا بدّ من قضية تحبّب الشّعب فينا، وهذه لا تكون إلّا بالتصرّفات والأخلاق القويمة، ما هي قضيتنا؟، وما هذا العمل؟، كثر القيل والقال، على كلّ حال، اختفتِ المرأة بعد مدّة من الحكومة!.

مصطفى كمال يقرّب إليه ضابطًا رومانيًا وزوجته الجميلة:

انتقلَ مصطفى كمال من مدرسة الزّراعة إلى مبنى المحطة، واتّخذ منه دارًا له، كان في أنقرة شخص يُدعى (س)، كان ضابطًا رومانيًّا مسلمًا، التحقَ بجيشنا العثماني الذي ذهب إلى بوخارست في الحرب العالمية الأولى، وكانت معه زوجته، وهي سيدة جميلة على قدْر فائقٍ من الجمال، كان يقول عنها إنّها زوجته، والمرأة مجَرية.

كان هذا الشّخصُ يذهب دائمًا ويمرّج في مبنى المحطة، حتّى أنّه ذهب بزوجته وأقام مع مصطفى كمال، يشربون معًا ويلعبون معًا، كان مصطفى كمال في كلّ هذا معهما ونوافذُه مفتوحة، والنّاس يتجوّلون مساء حول المنزل، ويشاهدون هذه الرذائل!، ويسمعون كلّ أنواع الصّيحات المتعالية مع احتساء الخمر والشّهوة.

---

(1) تعبير شعبي يستخدم لمَن يخدع شخصًا ما، ويجعله يبدو كالدّيوث دون أن يدري.

تسري الإشاعاتُ بين الشّعب وأعضاء مجلس الأمة الكبير، وكنا أيضًا نحترق من جرّاء هذا، فلا بدّ أنّ الشعب سيصفنا بالإلحاد والإباحية، قال لي بعضُهم: «قل لهذا الرّجل أن يتوقّف ومَن معه عمّا يفعلونه»، قلتُ: «إنّ عصمت يستطيع ذلك»، أقول أنا لعصمت وهو ينصحُه بأنّ ما يفعله لا يجب أن يكُون هكذا، أو على الأقلّ فليفعلْ هذه الأمور في الخفاء، فذلك شيء يضرُّ بالقضية الوطنية.

وجدتُ عصمت، وشرحتُ له المسألةَ بصفاءٍ كامل، وسريعًا تلقّيتُ منه جوابًا لم أتوقّعه لأنّه غضب، واتّخذ موقفًا عنيفًا!!، ظننتُ أنّه بالتّالي قد غضب من مصطفى كمال لما يفعله من سفاهات، وإذا بي أجدُه يغضب منّي أنا!!!، وغيّرتُ فكرتي عن عصمت، وكنتُ أظنّه مستقيمًا صافيًا، كان لا بدّ أن يكُون معي في تفكيري هذا التّفكير المعقول.

تعيينُ الضّابط الرّوماني مستشارًا:

مضتْ عدّة أيام على هذا، إذا بي أعلم أنّ (س) قد تمّ تعيينه مستشارًا لوزارة الزراعة، فكّرتُ كثيرًا، نحن هنا لا نعمل إذًا من أجْل الوطن، نحن آلاتٌ في منصب السيد الكبير ولرغباته ولفُحشه، ونحن مازلنا في الأيّام الأولى من قضيتنا يقوم الرئيس بمسافحة امرأةِ أحدهم، ومكافأةً لهذا يعيّن زوجَها مستشارًا مسئولًا!!.

ركِبني الشّيطان، فذهبتُ وسألتُ مصطفى كمال في مسألة تعيين هذا الديوث مستشارًا، قلت له: «إنّ (س) جاهل، ولا يفهم شيئًا»، ستعجبون من الإجابة التي قالها لي!، قال: «إنّه يملك مزرعةً في رومانيا، يديرها جيدًا، متخصّص حسنًا

حسنًا»!!، قلت له: «لا نستطيعُ تحمُّل مستشاريّة شخصٍ من صنف (س) هذا، ولا بدّ من عزْله»، نجحْنا في هذا، وعزلْناه، فاختفى الرجلُ وامرأته.

مصطفى كمال يعيّن الزوماني الديُّوث قنصلًا له في روسيا!

لكنْ يبدو أنّ هذا الديُّوث شخصٌ له قيمتُه من نوع ما، واشتغال بفنّ مهمّ، لذلك من المستبعَد أنْ يلقِيه مصطفى كمال في الشّارع، لا، فقدْ عيَّنه مصطفى كمال قنصلًا لنا في نوفورسكي (في روسيا)، وأرسله إلى هناك، مِن طباع رئيسنا أنّه يحبّ نساءً كثيرات، لكنّه لا يحبّ امرأة واحدة كثيرًا؛ لأنّه بعد حين سريعًا ما يغيِّرها ويبدِّلها بأخرى، معنى هذا أنّه ضاق بها بعد حين فأرسلَها وزوجها بعيدًا عنه، يعني أنّه شربَ ماءها وألقى بثفلها!، ولأنّه لا يحبّني، وكان غضبَ عليَّ بسبب مسألة يحيى غالب؛ فإنّه بالتّالي غضب عليَّ أكثرَ في هذه المسألة، فلْنتابع قصّة (س)!!

الضّابطُ الدّيوث يعرض عليَّ زوجته:

توجّهتُ عند ذهابي لروسيا في المرّة الثانية إلى مدينة باطوم، جمعتُ عدّةَ أشخاص من الأتراك والكرج[1] الموجودين هناك لكي أستقي منهم معلوماتٍ عن الأحوال السّائدة، قالوا لي في هذه الأثناء إنّ (س) مازال يعمل قنصلًا

(1) الكرج/ كرجستان: أو بلاد كرجستان، إقليم واقع في جنوب جبال القوقاز، ويحده غربًا البحر الأسود، وشرقًا إقليم طاغستان، وجنوبًا أرمينيا، وتغلّبت عليها أيدي جميع الفاتحين بآسيا، ففتحها في العرب في خلافة مروان الثاني، ثمّ قامت بها حكومة مستقلّة، ثمّ أغار عليها جنكيزخان، وتيمور الأعرج، واستولى عليها العثمانيّون مدّة، وأخيرًا ألحقت بمملكة الروس. انظر، محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 261.

هناك، وإنّه يقوم بمختلفِ السّرقات والاختلاسات، ويعمل بالتّجارة، وجمع ثروة طائلة، اشترك مع بعضهم في بعضِ الأعمال التجارية، ثمّ خدعهم.

وأحضروا لي شهودًا على ما يقولون، وكان من ضِمن مهامّ عملي: التفتيش على سفارتنا وقُنصليّاتنا في روسيا، ذهبتُ إلى نوفورسكي، استضافني (س) في بيته، وجدتُ أنّ لَدَيه سجّادًا في غاية الرّوعة!، وألماس في حجم البندقة في أُذُن زوجته!.

في اليوم التّالي حدث شيء غريب، بعد تناوُل طعام العشاء معهما خرجتِ المرأةُ من الحجرة، فقال لي (س): «لا تؤاخِذْنا، فزوجتي عليها العادة الشّهرية»!!!، دُهِشتُ، لم أستطعِ التوصُّلَ لما يرمي إليه، كان غالبًا يريد أنْ يقول إنّه لا يستطيع أن يضع زوجَتَه في أحضاني!!، وذلك لعُذرها!!.

إنّ شيئًا من هذا لم يرَه أحد!، ولم يسمعْ به من قبلُ أحد!، وأظنّ أنّه لم يحدُث في العالم أبدًا أنْ أبدى زوجٌ عذرًا كهذا لضيفِه!!.

عزلتُ الديّوث صديقَ مصطفى كمال:

إبّانَ عودتي من روسيا شرحتُ للحكومة جرائمَ (س) وقلت لهم: «لا بدّ من عزله»، وكان يوسف كمال هو وزيرَ الخارجية، وقرّرتِ الحكومةُ موافقتَها على رأيي، وقال يوسف كمال: «نعم!، أعْزِله»، لكنّه لم يفعل هذا، بعد قليل أُسنِدتْ إليّ وزارة الخارجية، وسريعًا ما كتبتُ قرارَ عزل (س) بيدي. جاء (س) إلى أنقرة، وقال إنّه سيصدر جريدةً ضدّي، وسيرميني إلى الشّارع وسيقتلني!!، أرسل لي خبرًا بهذا، قلت: «ليس الكلامُ بمهارة، إنّما المهارة في التنفيذ»، جالَ حولي فترة ثمّ اختفى، ذهب من أنقرة وانقطعتْ أخباره.

الأوروبّيون يخافون ولا يستحون:

حدثتْ في أنطاليا حادثةٌ مثيرة، قتلَ شخصٌ آخَرَ، فقامت الحكومة بحبس القاتل، وكان الإيطاليّون يحتلون أنطاليا، وجّه قائدُ القوات الإيطالية إنذارًا إلى الحكومة التّركية، قال فيه: «إنّ القاتل من رعايا إيطاليا، ولا بدّ من إخراجه من السجن وتسليمه إلينا»، أخبرَنا متصرّف المنطقة بهذا.

وكان هذا أمرًا شاقًّا، تذاكرْنا الأمرَ في الحكومة، وقرّرْنا إصدار الأمر التالي إلى المتصرّف «اجمعْ قوّاتك، وقلْ للجنرال الإيطالي لن أسلّم القاتل، وإذا حضرتَ إليّ بقوّاتك سأطلقُ عليكم النار»، وبهذا نفّذ المتصرّف الأمر، فتراجع الجنرال عن طلبه، لو كان هذا الجنرال حضرَ بالفعل بجنوده لَواجهتْنا مصيبة جديدة لا طاقةَ لنا بها.

وهكذا الأوروبّيون!، إذا وجدوا فيمَن أمامهم جبنًا وخوفًا أسرعوا بامتطاءِ ظهره بظلم وقسوة، وإذا وجدوا فيمَن أمامهم شجاعة أو قوّةً سرعان ما يجنحون لصداقته. إنّ الشّيء الوحيد الّذي يحترمونه في العالَم هو القوّة، القوة فقط، وأنا رأيتُ أمثلة على هذا كثيرًا في لوزان، يجب أن يكُون الإنسان شديدًا وجسُورًا وثابتًا، بشرط أن يكون أيضًا محدودًا بإطارِ الأخلاق.

موقفي من الهجومِ على الإسلام في المدارس:

واقعةٌ أخرى حدثتْ في أنطاليا أيضًا، ذاتَ يوم كان ثلاثةٌ من المعلّمين يجلسون معًا في المدرسة الإعدادية، وكان مفتي أنطاليا- وهو مدرّس العلوم الدينية- موجودًا، سبَّ أحدُ المدرّسين الإسلام، سبَّ النبيَّ أيضًا، اشترك الآخَر في المناقشة، واحد معه والآخَر ضدّه، كتبَ المفتي بتلك الحادثة إلى

وزارة المعارف، أمرتُ بالتحقيق في الواقعة خوفًا من أن تكُون مختلَقة، وجدتُ أنّ الواقعة صحيحة تمامًا.

في رأيي أنّ الدين والأفكار والقناعات بأنواعها أمورٌ خاصّة بالشخص وحده، لكن عامّة الأمّة يجب أن تكُون متديّنة بشرط البُعد عن الهوس الديني والتعصُّب، وأنّه من الخطأ الوخيمِ العاقبة أن تحدُث مثل هذه الترّهات التي حدثتْ بين المعلّمين.

اتّخذتُ فورًا تدبيرًا مشدّدًا، عزلتُ هذين المعلّمَين، كما عزلتُ ناظر المدرسة أيضًا من الخدمة؛ لأنّه علِم بالأمر ولم يمنعْه، ولم يقدّمه للوزارة، عزلتُ أيضًا مديرَ المعارف، أرسلتُ تعميمًا لكلّ الجهات التابعة للوزارة، أوصيتُ فيه بعدم إفساد العقائد الدينية لدى الطّلاب، بالعكس تمامًا.. أيْ لا بدّ من تقوية هذه العقيدة، ولقد كتبتُ من قبل عن فوائدِ الدّين في تراث الأمم وعدّدتُ فوائده.

مجلسُ الأمّة يحرّم الخمورَ، ولكن!

حرّم مجلسُ الأمّة شُربَ الخمور، واتُّبعتْ الشدّة في تطبيق ما أمر به المجلس، كان النائبُ علي شكري- وهو نائب متديّن- على رأس مَن كانوا يطالبون بهذا القرار، وكان الشّاعر محمد عاكف[1] في الدرجة التي تلي علي

(1) محمد عاكف (1873م - 1936م): عاكف هو شاعرُ الإسلام، وواعظ وداعية من دعاة الجامعة الإسلامية عندما نادى بها السّلطان عبد الحميد، حصر عاكف نشاطه وتفكيره في الدّعوة إلى الاعتصام بالإسلام في مواجهة الدّاعين إلى تحطيم دولة الخلافة، وأخذ يبثّ فكرَه إلى المسلمين في أوائل القرن العشرين عن طريق أشعاره، ومقالاته المؤثرة، وعن طريق الوعْظ في المساجد، وعن طريق ترجمة أعمال المفكّرين الإسلاميّين من اللغة العربية إلى اللغة التّركية. وبعدما سقطت الدّولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، وتكالبت قوات الغزو الأوروبّية لاحتلال تركيا؛ سافر

شُكري مباشرة في هذا الأمر، كان كلّ من علي شكري ومحمد عاكف يسعيان لتكوين حزب ديني في المجلس، وكان منعُهم شُرب الخمر عملًا عظيمًا ماديًّا ومعنويًّا، وخاصّة في تلك الفترة، ولكن!!.

عاكف إلى ميادين المقاومة التركية ليشعل حماسة الشّعب التركي لمقاتلة المعتدين، وله في ذلك قصائد معبّرة، وبعد انتصار الأتراك نظم محمد عاكف نشيد الاستقلال ليصبح النّشيدَ الوطني لتركيا اليوم. وفي شتاء عام 1925م هاجر محمد عاكف إلى مصر؛ حيث استضافه الأمير عباس حليم باشا في حلوان وهي ضاحية من ضواحي القاهرة. وأخذ عاكف يدرس لطلّاب الجامعة المصرية اللغتين التركية والفارسية، وأخذ في ذلك حتّى مرضه الأخير. وتوفّي شاعر الإسلام محمد عاكف في استانبول عام 1936م، وقد ترجم الأستاذ إبراهيم صبري- نجل شيخ الإسلام مصطفى صبري- جزءًا من ديوان محمد عاكف إلى اللّغة العربية وطبع في مصر بعنوان «الظلال».
محمد حرب: الصراع بين الفكر الإسلامي والمادية، ص10-13.

مصطفى كمال سياسةٌ متخبّطة[1]

الخمرُ يحرِّمها المجلس، ويشربُها مصطفى كمال!

الذي حدث أنْ صادرتِ الحكومةُ بالفعل الخمور، إلّا أنّ أصحابَ النفوذ من كبار رجال الدّولة استولوا لأنفسهم على جزءٍ من هذه المقطّرات- رغم أنّها مصادرة وفي ذمّة الدّولة- ونقلوها إلى منازلهم!!. ومن بين هؤلاء الذين فعلوا هذا (دلاور) مدير شرطة أنقرة في عهد مصطفى كمال!!، وفطين الذي أصبح فيما بعد واليًا على بورصة!!، أنتج كلٌّ منهما أفخرَ وأجودَ أنواع خمر الرّاقي، وتاجرا فيه، وكلّ منهما من أقربِ المقرّبين لمصطفى كمال!!.

والواقعُ أنّهما لو لمْ يكُونا من أقرب المقرّبين إليه لَمَا تاجَرا في الخمر في الوقت الذي حرّمها مجلس الأمّة، وبلغَ بهما الأمر أنّهما كانا يُنتجان لمصطفى كمال خمرًا خاصّة!، وبمرور الأيّام أصبح دولار هذا من أغنى أغنياء البلاد؛ لأنه زوّر وثائق تمليكٍ عندما كانت وزارةُ الإسكان توزّع الأراضي والأملاك على المهاجرين، فحصل من جرّاء تزويره هذا على خمسة عشرة أو عشرين منزلًا ودكّانًا، كما حصل على عدّة مزارعَ بجوار أنقرة.

الشّيوعيون- أيضًا- حرّموا الخمرَ في الفترة الأولى من حُكمهم، وذهبوا في تنفيذ هذا إلى حدٍّ بعيد جدًّا، أوصلوه إلى الحُكم بالإعدام، أمّا مصطفى

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 551، 20 محرم 1402هـ الموافق 17 نوفمبر 1981م.

كمال فلم يمرّ عليه يوم بلا خمر!!، هناك أمثلةٌ في التّاريخ على تحريم الخمر، الأمريكيون حرّموها ثمّ أعادوها، والواقع أنّ الخمر نكبةٌ للبشرية، إنّ الخمر تقضي على صحة الإنسان ودماغه وذرّيته.

الجيشُ الأخضر والبلشفيّة:

كان أهمّ ما يشغل مصطفى كمال في هذه الأثناء ثلاثَ مسائل: الجيش الأخضر، والتّنظيم الشيوعي، وإقامة البلشفيّة في تركيا، كان أحيانًا يقول: «إنّ إنقاذ البلاد لن يتمّ إلّا بالبلشفيّة»!!، وسرعان ما التفّ حوله مجموعةٌ من الشيوعيّين؛ حقي بهيج، ويونس نادي، وعدنان، وتوفيق رشدي[1]، وعدّة أشخاص آخرين، أعدُّوا البرامج وطبعوها، ولبسوا على رؤوسهم القالباق[2] من القطيفة الحمراء، وأذكر أنّ توفيقًا كان شيوعيًّا متحمّسًا.

في صفحة ٢٣٩ من خطابه الرّسمي يقول مصطفى كمال إنّه لم يكُن هو الذي فعل هذا؛ وهذا كذِب كما أراه؛ لأنّ هذا كان من عمله، وأنا أرى أنّه مسكين، فقد كان يتصوّر أنّ البلاد لم تكُن تتحرّر إلّا بالشيوعية. حاولتُ

(1) توفيق رشدو (آراس) (1883-1972): درس الطب في بيروت، والتحق بجمعية الاتّحاد والترقي. التقى بمصطفي كمال أوّلَ مرّة في سنة 1907، وأصبح من أتباعه الدائمين. وهو من مؤسّسي الحزب الشيوعي التركي (الرسمي) الذي أقامه مصطفى كمال. انتخب في الجمعيّة في سنة 1923، وأصبح وزيرًا للخارجية في سنة 1925، واحتفظ بالمنصب حتّى وفاة أتاتورك. عيّنه إينونو سفيرًا في لندن حيث خدمَ بين سنتي 1939و1942، بعد أن حاول منع انتخابه. ساند الحزب الديمقراطي ضدّ إينونو في أعقاب الحرب العالمية الثانية، عندما أصبح من دعاة التّقارب مع السوفييت.

انظر، أندرو مانجو: أتاتورك.. السيرة الذاتية، ص566.

(2) قابالاق KABALAK: قلنسوة أو قبعة اعتمدها الجيش العثماني في الحرب العالمية الأولى.

انظر، لطفي المعوش: موسوعة المصطلحات التاريخية العثمانية، ص 235.

أنا في ذلك الوقت أن أفتح مدارسَ لتكوين دعاة قوميّين، وضعتُ برامجها، ورآها هو مناسبة، لكنْ لم يأمر بتنفيذها.

وبينما الحال على ذلك إذا بمجلس الوزراء يجتمع، وبدأ مصطفى كمال حديثَه قائلًا: «أيها الإخوة، تعلمون أنني مشغول منذ فترة طويلة بالتّنظيم الشيوعي، وجهّزتُ كلّ شيء فيه، وسنكوّن جيشًا أخضر كقوةٍ متكاملة، وأنّ هذه البلاد لا يمكن أن تقُوم من كبوتها إلّا بالبلشفيّة، وها هو ذا الوقتُ المناسب قد جاء، هيّا اتّخِذوا القرار، سأخطِر العالَمَ بأنّ تركيا قد أصبحتْ بلشفيّة».

يقصدُ مصطفى كمال بكلمة (الجيش الأخضر) قوّات أدهم، لم يصدُر أيُّ صوت في المجلس من أيِّ أحدٍ منّا، ربّما من الدهشة، بعد حين سأل فوزي عن رأيه، فقال فوزي «موافق»، وبسرعة أخذ يسأل الآخَرين، لا أحد يقول شيئًا، فقال هو- أيْ مصطفى كمال-: «إذًا، فالقرارُ جماعي»!.

وفورًا قلتُ له: «لا، القرار لم يتمّ بعدُ، استمع إليَّ»، وبدأتُ أتكلّم في اضطراب مدهِش: «الشّيوعية لن تدخُل هذه الأمّة، أيُّ إقطاعي أو أي مصنع موجود لَدَينا حتى نقول بالشّيوعية؟!، هل تغلق الدّكاكين؟!، أين الطّبقة البرجوازية الصغيرة؟!، وما هي؟، هل هي أصحاب رأس المال الذي يبلغ المائة أو المائتي ليرة؟!، إذا قضيتَ على هؤلاء فالبلادُ تصبح خواء، كما أنّ الأمّة تفهم أنّ البلشفية هي الإلحاد، ونحن مُحاطون بالأعداء، والأمّة نفسُها ضدّنا، وبالتّالي ففي وضع كهذا الوضع الذي نحن فيه نجد أنّ من الخطر العظيم القيامَ بانقلاب مثل الذي تقوله، وبهذا الإعلان فإنّنا سنجد الأمّة بكاملها تتحرّك ضدّنا، يجب ألّا ندفع البلاء إلينا دفعًا، كما أنّ الإنكليز أعداء أشدّاء للبلشفيّة، وإنّ الإنكليز الذين لم يحرّكوا ضدّنا حتى الآن أيَّ جيش

أو أيّ قوة سيتحرّكون ضدّنا بالتأكيد إذا أصبحنا شيوعيّين، وإذا وصل الإنكليز إلينا انتهينا، ماذا نعمل؟، لم يحدُث خطأ ضخم مثل هذا الخطأ في العالَم، وسيحاكمنا التاريخ».

قلتُ هذا وضربتُ المائدة بقبضةِ يدي، وقلتُ: «وإذا كنتَ مُصرًّا على إعلان هذا الإعلان فأنا لنْ أعمل معك». ونتيجة لاعتراضي هذا لم يتّخذ حينها قرارًا بهذا الشأن، واصلتُ حديثي قائلًا: «يلزم قانونًا أنْ نعرض المسألة على مجلس الأمّة، وإذا لم تعرض أنتَ المسألة على المجلس سأقدّمها أنا، وأنا ذاهب الآن للمجلس، سأحرّض المجلسَ على القيام بثورة، وسأعمل على منع قرارك هذا، بلساني وقلمي وقوّتي وروحي وكلّ ما أملك، وأنا عدوٌّ لك، وإنّني ضدُّك في أوّل صفٍّ في المعارضة، وسأثير الأمّة كلّها عليك».

كانت شدّتي هذه في غاية الخطر؛ لأنّ هذا الرجل يمكن أن يفعل كلّ شيء، لا سيّما وأنّ أدهم الشركسي[1] الآن في صفّه، وهو رجُله وقوّته البلشفية.

وقفَ رأفت بعدي، ورأفت هو وزيرُ الداخلية، وقال بشدّة: «إنّي أوافق على كلام رضا نور، فكلامُه صحيح، إنّكم لا تستطيعون بلشفة تركيا»، وعلى هذا قال مصطفى كمال: «إذًا نترُك هذا الموضوع»، وتركه، وبذلك

---

(1) شركس أدهم (1886-1948): كان قائد القوات غير النّظامية الشركسية في شمال غرب الأناضول مع أخويه رشيد وتوفيق. قاتل برتبة ضابط صفّ وقائدًا للفرسان في حرب البلقان، وعمل في منظمة أنور الخاصّة في الحرب الكبرى. وفي أعقاب الهدنة قاوم تقدم اليونانيين في الأناضول، وقاد فرسان القوات المتحرّكة، ورعى النشاط المؤيّد للبلاشفة في منطقته، ورفض إدماجَ قوّاته في الجيش النظامي الذي بثّه حكومة أنقرة. وعندما فشل مصطفى كمال في استمالته، فوّض عصمت (إينونو) بالتحرّك ضدّ أدهم، فالتجأ إلى اليونانيين مع بعض أتباعه. واستقرّ في الأردن بعد حرب الاستقلال وتوفّي هناك، بعد أن رفض العفو في سنة 1938.
انظر، أندرو مانجو: أتاتورك.. السيرة الذاتية، 572-573.

نجتْ الأمّةُ من هذا البلاء المدهِش، وقدَّر مصطفى كمال قيمةَ هذا فيما بعد. إنّ خدمتي هذه لأكبرُ خدمةٍ للأمّة التركية، ومَدْعاة للفخر.

ينقلبُ ضدّ البلشفية:

رأى مصطفى كمال- بعد قليل- أنّ كلًّا من أدهم الشركسي وصديقَيه توفيق ورشدي قد أصبحوا أقوياء الجانبِ بسبب الجيش الأخضر، ثمّ وجد أنّ موقعه ومنصبه سيطيران منه بسببِهم، فاضطرّ مصطفى كمال لإلغاء الجيش الأخضر والتنظيم، وعانى في هذا عناءًا كبيرًا، ومِن هنا بدأ الخلافُ بين مصطفى كمال وأدهم الشركسي، ذلك الخلاف الذي انتهي بانتقال أدهم الشركسي إلى صفوف أعدائنا اليونانيّين، والمسألة كلّها عبارة عن تنافُس، وقضية منصب.

الشّعبُ يكرهُنا:

التّمردات والثّورات التي تديرها استانبول ضدّنا تزداد وتقوى، التمرّدات ضدّنا تسير جنبًا إلى جنب مع اعتداءات اليونانيّين من أزمير، وأوّل حركة قوية ضدّنا كانت حركة أنظافور، قام بضرب مناطق باندرما وكونن وكير ماستي وقرجابك وبيغا، وهزم العصابات الموالية لنا عدّة مرات، وأخيرًا هُزِم أنظافور وهرب، ثمّ قُتل وانتهى أمره.

وبينما الأمرُ على ذلك، إذا بكلٍّ مِن أخنا بازار، ودوزجه، وخندق وبولو، وكرده، ونالليخان؛ تتعرّض للقصف، كان هذا أهمّ ما واجهنا من ثورة وتمرُّد، اشترك في هذا التمرُّد الرجالُ الذين أرسلَهم السّلطان والقوات

الانضباطية، وكان قائد هؤلاء هو سليمان شفيق، وقد أنزل جنودًا في أزمير، وأكثر هؤلاء الجنود والضبّاط من الشركس والألبانيين وأمثالهم من العناصر غير التركية.

وكان الأهالي الذين قاموا بالثورة ضدّنا غالبيتُهم من الشراكسة، وخاصّة الأباظيين، وامتدّت النيرانُ من أضابازاري حتّى الشّرق، ضربوا حيدر بك المتصرّف في بولو وسجنوه، أرسلْنا بعضَ زملائنا من مجلس الأمّة إلى بولو، لكي يوقِفوا هذا العمل، ثمّ أرسلْنا الأميرالاي محمود بك بقوة نظامية، لكنّ الأهالي أعدُّوا له كمِينًا أوقعوه فيه، ثمّ قتلوه وأسروا كلّ قوّته.

ساءتِ الأحوال، وأرسلْنا للأهالي المتمرّدين قوّةً أخرى برئاسة القائم مقام عارف بك، فهزموه أيضًا، استطاع عارف تدعيم قوّته، ومع ذلك هزموه وقتلوه أثناء وجوده في خيمته ليلًا، وأصبحت قوّاته صِفرًا.

إسقاطُ مصطفى كمال فرض[1]

يكذِبُ على قادةِ الجبهة:

أحدثَ سقوطُ بورصة في يد اليونانيّين تأثيرًا سيّئًا في مجلس الأمّة، وفكّر كثير من النوّاب في إصدار أحكام بإعدام حاجيم والي بورصة، والأميرالاي بكير سامي؛ بحُجّة أنّهما لم يتّخذا الوسائل الكافية للدّفاع، ولم يكُن هذا صحيحًا، ولكنّه كان انفعالًا حسّيًا صرفًا أمامَ النكبة، والحقيقة أنّه لم يكُن أمامهما أيُّ حل آخر غير الهزيمة، على كلّ حال انتهى هذا الانفعال، وللحقّ أقول إنّ مصطفى كمال قد بذل جهدًا كبيرًا لإغلاق هذا الموضوع.

قبل الاعتداءِ اليوناني الأخير، وقد أحسّ القوّاد بقُرب الهجوم اليوناني النهائي، فطلبوا قوّات إمداد ونجدة، وطلبوا ذخيرة وسلاحًا، كانوا يتوسّلون في هذا، وكان مصطفى كمال يكذِبُ على القوّاد ويقول لهم: «أرسلتُ لكم ما تطلُبون، وإني أعِدُّ العُدّة للإرسال»!، والحقيقة أنّه لم يرسل لهم شيئًا قطُّ!، والواقع أنّه لم يكن لديه أي شيء يرسله!.

وكانت القوّاتُ الموجودة في صالحلي قد أرسلتْ نجاتي- وزير المعارف فيما بعد- إلى أنقرة للحصول على إمدادٍ وذخائر، كنتُ مع أركان الحرب في مدرسة الزراعة عندما جاء هوَ إلى هناك، وأوضح مطالبه

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 552، 19 صفر 1402هـ الموافق 15 ديسمبر 1981م.

باسْم الجبهة، فألقى عليه مصطفى كمال خُطَبه، قال فيها إنّ اليونانيين قد انهزموا وعادوا إلى أزمير.

إلى هذا الحدّ يكذِب مصطفى كمال!، أمسكتُ نفْسي بصعوبة من انطلاق القهقهات منّي على هذا الكذب العجيب!، كنتُ سأقول له: «لا يكون الكذبُ بهذا الحد!!»، وجدتُ أنّ نجاتي لم يهضمْ كلامَ مصطفى كمال، بل وأمسك بتلابيب بعض أكاذيب مصطفى كمال.

وإذا بهذا يغضبُ ويثُور، وقام من فوره ورسَمَ خريطة للجبهة على خشبة سوداء، وأشارَ إلى القوّات المتوّهمة، ووضع في مكان على الخريطة رسمًا للمدافع، ثمّ قال: «إنّي سأُنهي هذا الموضوع بهذا الشكل»، فقال نجاتي: «ولكن لا يوجد في هذا المكان مدافع!»، وعقب قوله هذا انفجرَ فيه مصطفى كمال يقول: «أأنت عسكري؟، ماذا تفهم أنتَ حتّى تقول هذا؟، هيّا اذهب من هنا، وقل لهم في الجبهة إنّني عملت اللازم».

شركسيّ يصبح بطلًا قوميًا تركيًا:

كان الجميعُ يقدّرون أدهم الشركسي نتيجةً للخدمات التي أدّاها للحركة الوطنية في كلّ من دوزجه وبولو، استقبَله مجلِس الأمّة بالتصفيق، وعلى ما أذكُر أن المجلس وجّه إليه رسميًا لقبَ (البطل القومي)، شركسي يصبح بطلًا قوميًا!!، بالإضافة إلى هذا فإنّه قاطع طريق.

يرقب مصطفى كمال بدقّةٍ واهتمام اتّساعَ نفوذ أدهم الشركسي، وكان يتصوّر أنّه مصدرُ خطرٍ على مركزه ونفوذِه، وكان يخاف من هذا، وبالتّالي أصدر مصطفى كمال بسرعة أمرًا بإلغاء الجيش الأخضر، وبدأ يعمل على

هدم نفوذ أدهم. وعندما استقبلَ مجلس الأمّة أدهم بهذا الشّكل الحماسي جُنّ جنون مصطفى كمال!، ولم يستطعْ تحمُّل منح المجلس لأدهم هذا اللقب.

بعد حصول أدهم على لقب البطل القومي، توجّه إلى يوزغاد لقمع ثورة الأهالي ضدَّنا، ونجح في هذا، ثمّ أوضح أدهم من هناك أنّ ثورة الأهالي علينا كانت نتيجة لرحلةٍ قام بها والي أنقرة يحيى غالب، وطلب من الحكومة إرسال يحيى غالب إلى يوزغاد، يعني إليه.

ارتعدَ يحيى غالب، ذلك لأنّه يعرف أنّ أدهم لا يعرف إلّا الجدِّية دائمًا، أدهم يشنق فورًا!، إلّا أنّ مصطفى كمال رفض تسليم يحيى لأدهم، رأى مصطفى كمال أن تسليم رجُل من أتباعه المقرّبين المطيعين له لأدهم من شأنه الاعتراف بنفوذ أدهم على أنقرة، وفي هذا ضربةٌ مدهِشة لنفوذه وقبوله بنفوذ آخر عليه.

وسّعتْ هذه الحادثة مِن شُقّة الخلاف بين مصطفى كمال وأدهم، وأصبح كلّ منهما يتحدَّث ضدّ الآخَر علنا بالشتائم والسّباب. اتّجه أدهم من يوزغاد إلى اسكيشهر، وأصدر من هناك جريدةً باسم «العالم الحديث»، وفيها كان يدعو للشيوعية، كما كان يهاجم فيها مصطفى كمال بصورة مغلَقة غير علنية.

وبسبب مرضِه جاء أدهم إلى أنقرة، وكان معه شخصٌ يُدعى كاظم الكريدلي، وقد أصبحَ فيما بعد وزيرًا للمعارف، وكان كاظم بمثابة أركان حرب أدهم، أراد أدهم في هذه المرّة أنْ يتعرَّف بي، قلتُ: «فليتفضل»، جاء أدهم والتقَينا، وكنت أحترم أدهم بسبب خدماتِه العظيمة التي قام بها في أخطر أيام المِحنة التي مررْنا بها، اهتممتُ به كثيرًا، أخذتُ أُطريه حتّى أعرف رأيه في مصطفى كمال، إلّا أنّه لم ينطلق في الحديث، ولكن كان واضحًا أنّه ضدُّه.

الأمرُ الذي خفي عليَّ أنا هو أنّ مصطفى كمال قال لأدهم: «اذهبْ لرضا نور وهدِّده، وأجبِره على الاستقالة من وزارة المعارف»، معنى هذا أنّ دوري قد جاء بعد كلّ مِن جامي وجلال عارف، حاول إسقاطي ووجّه لي استيضاحًا في المجلس، ولم يستطعْ إسقاطي، وما لم يستطِعْه دستوريًّا يريده الآن بالتهديد. سمعتُ بهذا الأمر بعد مرور سنواتٍ عديدة عليه، سمعتُه من سامي الصيدلي الذي كان ضابطًا مع أدهم.

لا بدّ من التحدّث بصراحة عن كلّ شيء، أزهق أدهم كثيرًا من الأرواح، هذا صحيح، لكنّه كان عاملًا من العوامل التي أكسبتْنا الحرب الوطنية، ولو لم يلتحق أدهم بعد ذلك بالجيش اليوناني لَكان هذا جيدًا؛ لأنّه انتهى عندما التحقَ بالعدو، لكن الذي دفعه إلى هذه العاقبة هو مصطفى كمال، أوصلَه إلى الدرجة التي ألقى بها بنفسه إلى اليونانيّين، أمّا الدافع والمحرّك له فقد كان عصمت (إينونو).

مؤامرةٌ للإطاحة بمصطفى كمال:

في أغسطس 1336، جاءني كلّ مِن جلال عارف وحُسين عوني- وهُما من جيراني- وأودعا عندي السرّ الآتي: «إنّ العمل مع مصطفى كمال لن ينفع، هذا الرّجل سيأتي بالنّكبات على رأس أمّتنا، لا بدّ من الإطاحة به من الآن، سنذهب كلانا إلى أرضروم لإثارة الشّعب ضدّه، وتسقطه».

قلتُ لهما: «صحيح قولكما، لكنّ المسألة دقيقة، يجب القيام بهذا الأمر دون إحداث فتنةٍ في البلاد، ودون ترك إمكانيّة له للاعتداء أو المقاومة، خاصّةً أنّ أمورنا الدّاخلية ضعيفة، وهذا من شأنه تقوية العدو، وستنتهي

القضية القومية، اذهبا وتفاهما مع قرابكير، إذا وافق فالقوّاد في يده وتحت إمرته، سيطلُبون مِن كلّ مكان إسقاط مصطفى كمال، في هذه الحالة ستقُول حينئذ: وما الحيلة؟!، اعتزِل، بهذا فقط يمكن، أمّا إذا لم يرغب قرابكير في هذا فلا تحاولا شيئًا».

أنا لا أريد مصطفى كمال بأيّ شكل من الأشكال، فقد شاهدتُ روح هذا الرجلِ الخبيثة وطباعَه وطمعَه، واقتنعتُ بأنّ هذا الرجل سيجبِر الأمّةَ على أن تئنّ أنينًا موجعًا، إلّا أنّنا في أزمة لا وقت فيها لأنْ يعمل أحدنا ضدّ الآخر، إنّ شيئًا كهذا عظيمُ الخطر. إنّ أهمّ شيء هو ضرورة التكاتف لطرد العدو وتحرير البلاد، بعضهم يقول بضرورة الثّورة على مصطفى كمال أو قتله، وكنتُ دائمًا أقول لهم: «احذروا!، فليسَ هذا بوقته»، كنتُ أعمل على اجتياز هذا الموقف ومنعه، وإلّا فإنّي كنتُ أرى أنّ إسقاط هذا الرجل فرض.

إنّ الذين يظهرون في أوقاتٍ عصيبة كهذه في حياة الأمم غالبًا يكُونون مستبدّين، وعندما كنتُ أنصحُ اللّذَيْن يحاولان القيامَ ضدّه، كانَا يقولان لي: «سنتألّم فيما بعد!»، كنت أقول لهما: «نعم، إنّه سيكون بلاءً علينا بعد تحرير الأمّة، لكنْ لتتحرّر الأمّة أولًا وقبلَ كلّ شيء، وبعد هذا إذا كان في الإمكان عملُ شيء لنعمله؛ فلنعمله، وإذا لم يكُنْ في الإمكان شيء فلْنتحمّل ما نصاب به».

قالا لي: «عند ذلك الوقت سيكون أمرُه قد استفحل كثيرًا، ولن يستطيع أحد أن يسقطَه»، قلت: «نعم، وهذا صحيح، إلّا أنّ الوضع الآن لا يسمح بالفُرقة والصراع»، فقال لي هذان الشّخصان: «حسنًا إذًا»، ومضيا، ومضى على هذا زمن.

مصطفى كمال يشربُ حتى الثُّمالة في السفارة الروسية:

في أنقرة موظَّفون روس يعيشون فيها منذ فترةٍ طويلة، لماذا يقيم معهم علاقات وطيدة ويلتقي بهم كثيرًا؟، ولماذا يوجد معهم دائمًا نساء روسيّات؟ يقال إنّه يشرب معهم الخمر في منزلهم حتّى الصباح، في هذه الأثناء يأخُذ هؤلاء الرُّوس في تلقين مصطفى كمال ما يريدون ويعمَلون على كسبه لمقاصدهم، يقدِّمون إليه هؤلاء النّساء، يشربون معه، ويسرقون الوثائق من جيبه!!.

حدثَ ذاتَ مرّة أنْ سهر مصطفى كمال في السفارة الروسية، وأخذ يشرب كثيرًا حتى ثمِل وفقدَ الوعي، ومع خيوط الصّباح الأولى قام أربعة من موظَّفي السفارة يحملونه من ساقيه، ووضعوه في سيارته، حيث أخذتْه إلى بيته؛ بيت مصطفى كمال في جانقايا، وقد دفع الأهالي دفعًا لكي يُهدوه هذا القصر.

لقد كان يدفع الأهالي كثيرًا إلى أنْ يُهدوه أشياء كثيرة من بضائع ومزرعة ودار، وفي كلّ مكان، في أنقرة، وفي أزمير، وفي بورصة، وفي أطنه، وفي استانبول، إنّه يريد هذا، ويظهِر الأمر وكأنّ الأهالي قد فكّروا فيه وأهدَوه!!، إنّه يصوِّر الأمر على هذا الشّكل، وانتشرتْ أخبار هذه الهدايا الجبرية في كلّ مكان!.

آلامُ الأمّة تحت سطوةِ مصطفى كمال[1]

مصطفى كمال يستخدمُ الجمعيّات مطيّةً لأغراضه:

منذُ فترة طويلةٍ تأتي شكاوى فظيعة من كلّ مكان عن جمعيات الدفاع عن الحقوق[2] وظلمها، وتدخُّلها في الحكومة، ولا سيّما سرقاتها، نحن مقتنعون في مجلس الوزراء بإلغاء هذه الجمعيّات بمجرّد تشكيل الدولة والجيش، وبعد مذاكرات في مجلس الوزراء توصّلْنا إلى ما يأتي: «مادام لَدَينا قوّة نظامية تبلُغ عشرة آلاف شخص تحت قيادة علي فؤاد باشا؛ فلا بدّ أن نطلب إلغاء هذه الجمعيات».

لم يوافقْنا مصطفى كمال إطلاقًا على هذا، لم يكُن يريد إلغاء هذه الجمعيات أبدًا، لأنّه كان يرى فيها قوّةً له، ولكنَّ ظُلمَ هذه الجمعيات وسرقاتها أشياء

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 553، 26 صفر 1402هـ الموافق 22 ديسمبر 1981م.

(2) أسلفنا الإشارةَ إلى تأسيس العديد من الجمعيات السياسية والفكرية، وكان منها: -1 جمعيّات عثمانية مع الخلافة والسلطنة تلتفّ حول حزب الحرية والائتلاف في استانبول وتعارض جمعيات الأناضول. -2 جمعيات ومؤسّسات تشكلت تحت رعاية الاحتلال وتعمل كمركز متقدّم لها أو طابور خامس، وهؤلاء هم الأقليات الحالمين بتمزيق الدولة وتشكيل دول قومية. -3 جمعيات قوميّة هدفها الدفاع عن حقّ الأمّة التركية والدفاع عن الأرض واستقلال الوطن، وهي أهداف جمعتهم رغمَ الاختلاف في التوجه السياسي والعقائدي والفكري، وبدأت هذه الجمعيات بالفعل في النّضال. وقد اصطلح على تسمية هذه الجمعيات بكافّة مجموعاتها باسم (جمعيات الدفاع عن الحقوق).

انظر، الصفصافي أحمد المرسي: التطور الديمقراطي في تركيا، ص 36-37.

لا تهمّه، أصررْنا على رأينا هذا مدّة طويلة، عقدْنا عدّةَ جلسات لهذا السبب، كِدْنا نتفجر، كلّ الوزراء متّفقون على هذا، وأخيرًا قال لنا: «حسنًا جدًّا»، ألغاها بتبليغ منه، لكنّه أحياها مرّة أخرى، وصنع منها حزب الشّعب[1]، مازال حتّى الآن يستخدم هذا الحزب مطيّةً وخادمًا لشخصه.

الشّعب يهتف: «الخليفةُ والدنا»

كان الشّعب والجنود يهتفون دائمًا: «السّلطان الخليفة والدنا»، وهذه مسألة مهمّة، فقدْ اشتهرَ بين الناس فُحشُ مصطفى كمال وشُربُه الخمر دائمًا، ولم يعُد الشعب يحترمُه، فكّرنا في أنْ نأتي بشخصٍ من عائلة الخليفة، ونجعله رئيسًا لنا، ومِن شأنه هذا إحداثُ تأثير هامّ للغاية، وسيؤثّر هذا في نجاح حركتنا بنسبة ثمانين من مائة.

وعلى سبيل المثال، أقول إنّ وليّ العهد مجيد أفندي[2] لو كان حضر إلى أنقرة؛ كنّا فورًا نقول: «إنّ السلطان الخليفة أسير في استانبول، لذلك فقد

(1) حزب الشعب الجمهوري: تكوّن رسميًا وبدأ نشاطه السياسي كحزبٍ أوحد في 11 سبتمبر 1923م برئاسة مصطفى كمال أتاتورك، وكانت أسسُ منهاج هذا الحزب ستة أركان تمّ إدخالها في صلب الدّستور سنة 1937م؛ فأصبحت أساس نظام الدولة أيضًا، وهي أنّ تركيا: جمهورية- قومية- شعبية- دولية- علمانية- انقلابية (ثورية). وكان رئيس الجمهورية هو رئيس الحزب، يتمّ اختياره من قِبَل أعضاء المجلس، وهو بدوره يختار رئيس الوزراء، ومن حقّ رئيس الوزراء اختيارُ الوزراء بعد موافقة رئيس الجمهورية، فكان أتاتورك هو الذي كان يختار الوزراء أيضًا، وبذلك جمع في يده رئاسة الدولة ورئاسة الحزب ورئاسة المجلس وحق اختيار الوزراء ورئيس الوزراء.

انظر، الصفصافي أحمد المرسي: أوراق تركية..، ص 22-23.

(2) هو عبد المجيد أفندي وليّ عهد السلطان محمد وحيد الدين محمد السادس، الذي صار فيما بعد خليفةً باسم (عبد المجيد الثاني) وهو آخرُ الخلفاء، وبدون سلطة.

أرسل وليَّ عهده إلينا، هرّبه ليصل إلينا، وهو وكيل عن الخليفة»، وهذا من شأنه أعظم الفائدة، لن يثُور أحدٌ ضدَّنا، قرّرْنا إحضار مجيد أفندي.

وقصّة هذه المسافة بدأتْ باقتراح جلال عارف في مجلس الوزراء باستحضار وليِّ عهد الخليفة، فإذا بمصطفى كمال يُجنُّ جنونُه!، أرغى وأزبدَ ورفض بشدّة، دُهِشْنا لتصرُّفه هذا أمامَ اقتراح كهذا، مع أنّ هذا الاقتراح تدبير غاية في الأهمية والفائدة، يا أيُّها الرجل إنّ البلاد تنتهي وأنت لا تفكّر إلّا في نفسك!!، فالواقع أنّ الذي كان يتملّكه وقت ثورته وغضبه هو طمعُه في المستقبل. إنّ حضور عبد المجيد سيمنع مصطفى كمال من أنْ يصبح رئيسًا للجمهورية فيما بعد.

أيّدتُ أنا اقتراحَ جلال عارف، كما انضمَّ إلينا فريد وزير المالية، وأمّا الوزراء الآخَرون فقد وقفوا محايدين، حاولْنا هذا كثيرًا في عدّة أيام خلال عدّة جلسات، وبالفعل اضطرَّ مصطفى كمال لقبول هذا، وتمّت كتابة رسالة دعوة إلى عبد المجيد، وكانَ لنا جواسيسُ يذهبون ويأتون إلى استانبول، وأرسلْنا الدعوة التي نقول له فيها: «تعالَ وكنْ رئيسنا»، وذهب الخطاب، وذهبتُ أنا إلى سينوب.

عبدُ المجيد يرفضُ رئاستنا:

وجدتُ في سينوب شخصًا طرابزونيًا، لا أستطيع تذكُّر اسمه، كان يملك زورقًا بخاريًّا، وهو شابٌ محنّك، ففاتحتُه في الأمر قائلًا: «هل تستطيع تهريبَ مجيد أفندي؟». وكان هذا الشّخص من هؤلاء المهرة المهرّبين، فقال: «نعم». إنّ هؤلاء المهرّبين بين طرابزون وريزه أدّوا خدمات عظيمة للحركة

الوطنية بزوارقهم هذه الصّغيرة الحجم، كانوا ينقلون لنا السّلاح والذخائر من روسيا، ويوصّلونها في ظرف 24 ساعة إلى بداية نهر صقاريا، ولولا هؤلاء الناس ما استطعْنا نقل احتياجاتنا.

لم يذكُر مصطفى كمال خدماتِهم هذه إطلاقًا في خطابه؛ لأنّه ينسب كلّ شرف إلى نفسِه، ويهضم حقّ الآخَرين!.

وصل الخطابُ إلى عبد المجيد، لكنّه لم يأتِ إلى الأناضول، بل وأخبر الإنكليز بهذا، فأصدر قائدُ قوّات الاحتلال أمرًا إلى أمين باشا، وهو بالتّالي أرسل إلى الملازم رفقي الشركسي أنْ يتوجّه بمفرزة، وحاصرَ بها قصر عبد المجيد في بشيكتاش، قال عبدُ المجيد بعد انتصارنا في أزمير على اليونانيّين: «إني كنتُ سأذهب إلى أنقرة، لكنّ الإنكليز علِموا بالأمر، فحاصروا بيتي، لذلك لم أستطع».

ومع أنّه أرسل ابنَه الأمير عمر الفاروق إلى الأناضول بطريق إينه بولي، إلّا أنه من الطّبيعي أن تمّت إعادتُه مرّة أخرى إلى استانبول، وكانت هذه معاملةً تليق بابن عبد المجيد، إنَّ تصرُّف عبد المجيد بهذا الشّكل أغضبني، إلّا أنني أثِق في عبد المجيد وأحترمه لأنّه يجيد عدّة لغات أوروبّية، وهو رسّام وعالم بالموسيقى ومثقّف، إلّا أنّ تصرُّفه أزعجني.

إنّ حادثة تراجُع عبد المجيد عن الحضور إلينا بهذا الشكل دفعتْني فيما بعد إلى إبداء رأيي بتقرير مسألة السّلطنة العثمانية.

لو كان عبدُ المجيد جاءنا عندما طلبْناه، لما كانت الأمّة تجترُّ آلامها تحت سطوة مصطفى كمال، إنّ صيحات التأوُّه العميقة التي تصدُر من الأمّة كلّها كانت بسبب تقاعُس عبد المجيد، كنتُ مسرورًا عندما تقدَّم جلال عارف

باقتراح استدعاء عبد المجيد لسببين؛ هما: كسْب القضية الوطنية، والتخلُّص من استبداد وتحكُّم مصطفى كمال المتوقَّعين، كنّا سنضرب عصفورين بحجر واحد.

إلغاء الخلافة بمبلغ مليوني ليرة:

عبدُ المجيد موجود الآنَ في نيس، جاءني من عنده رشيد باشا، قال لي: «إنّ عبد المجيد يقول إنّ عصمت إينونو وأنت- رضا نور- قد أخذتما من الإنكليز مليونَي ليرة نظيرَ إلغاء الخلافة، والذي قال لي هذا دبلوماسيٌّ رُوسيٌّ».

هزيمةُ قوّاتنا في الجبهة الغربيّة أمام اليونانيّين:

كان علي فؤاد قائدًا للجبهة الغربية، اتّخذ علي فؤاد من اسكيشهر مقرًّا لقيادته بعد أن احتلَّ اليونانيون بورصة ومغنيسا، ثمّ قام بالهجوم على اليونانيين في كديز، وانهزم. وكان البكباشي صفوت هو أركان حرب علي فؤاد في هذه المعركة، وصفوت هذا يشغل الآن منصبَ السّكرتير العام لحزب الشعب، وهو بمثابة رجُل مصطفى كمال الأثير لَدَيه.

يطلِقون عليها اسمَ معركة كديز، إلّا أنّ أحدًا لم يسمع بها، ولم تكتسبْ شهرة ما، قام مصطفى كمال ببثّ الدّعاية المغرِضة ضدَّ علي فؤاد، يريد مصطفى كمال في خطابه تحميل علي فؤاد المسئولية كاملةً في هذه المعركة؛ لكنّ رئيس أركان الحرب وهو عصمت اينونو كان قد ذهب إلى الجبهة، واتّخذ عصمت وعلي فؤاد معًا قرار الهجوم، وإنّ عصمت رجُل له طراز واضح، فما لا يريده مصطفى كمال لا يريده عصمت، معنى هذا أنّهم مشتركون كلهم في هذه المسئولية.

لماذا لم يتولَّ مصطفى كمال القيادة؟

أيُّها المستبِدُّ!، يا مَن واتته الجرأةُ ليطرد وزير الداخلية ناظمًا الذي انتخبه مجلس الأمّة!، لماذا لم تقف أنت أمام هذا الهجوم؟، ولماذا لم تقُده بنفسِك!؟، لو كنتَ أردتَ هذا لَفعلتَه؛ خاصّة وأنّ القادة العسكريين لا يتحرّكون طالما أنّ رئاسة أركان الحرب لم تصدِر أمرَها إليهم، لقد انهزم الجيش هزيمة نكْراء لدرجة أنّ الجميع هربوا!، ولم يبقَ غيرُ علي فؤاد وصفوت، وهرب الباقون، وكان هروبهم أيضًا صعبًا، كان هناك العديدُ من الجَرْحى، وكان الأطبّاء في الجيش قليلين.

أمّا الجرّاحون فلم يكُن لهم وجود ألبتّة، قالوا إنّ الجروح قد أصابها العفن، حال مفجِع لدرجة أنّه أصبح من موضوعات مجلس الوزراء، فقلتُ لزملائي: «إلى الجبهة»، فوافقوا. كان والد علي فؤاد يحبُّني كثيرًا، وكان يريد الذهاب لابنه، وكان مريضًا قليلًا، وكنتُ أذهب إليه في بيته وأعالجه.

في تلك الأيام، كان مصطفى كمال مشغولًا بهذا الرّجل أيضًا منتبهًا إليه؛ أيْ إلى علي فؤاد، وكنتُ قد أوصيتُ والدَ علي فؤاد بتغيير الجوّ وبالراحة، لم أكُن أستطيع نسيانَ ذِكرى صداقتي لابنه، ركِبْنا القطار معًا إلى اسكيشهر، والتقينا بعلي فؤاد، ثمّ اتّجهتُ على الفور إلى المستشفى.

كبيرُ الأطباء البكباشي هاشم، زميل جيد، وهناك أيضًا رشدي كبير الصيادلة، زميل قديم، وليست علاقتنا على ما يرام، عندما رأيتُهما تذكّرتُهما، هاشم غيور في عمله، ولكنْ ليس معه طبيب آخَر، قلت له: «وغرفة العمليات؟»، قال: «لا توجد»، قلت له: «ألا توجد آلة جراحية؟»، قال: «لا يوجد».

وكانت هذه المستشفى هي الوحيدةَ في الجبهة!، هذه هي الحالة الصحية!!، رأيتُ كبيرَ أطبّاء جيش علي فؤاد، وهو من زملائي في المدرسة، وهو مِن أعزّ أحبابي، إلّا وهو كمال، حسنًا، لكنّ كمال هذا كان أكثر الطلاب في الطبية بلَادَةً وكسلًا، طبابته صفر، لكنّه الآن أميرالاي وكبير أطباء الجيش!!!.

كشفتُ على الجروح، والحقُّ أنّ بعضَ هذه الجروح أنتن وتعفّن، وبعض هذه الجروح مضى عليها من الأيّام عشرة ولم يعاودْها أحد، قال لي هاشم: «لم يهتمّ أحد بالجروح نظرًا لعدم وجود جرّاح، وكذلك لعدم وجود القطن واللفائف».

ليس في الجبهة جرّاح:

والآنَ لا بدّ من وجود بعض الآلاتِ الجراحية، ولكن أين توجد؟!، تذاكرْنا هذه المسألة، قال كبيرُ الصيادلة رُشدي: «هناك صندوق في المخزن لم نفتحْه بعدُ، وبالتّالي لا ندري ما به»، قلتُ له: «أرنيه»، أحضرْنا الصندوق، فتحْناه، وإذا بنا أمام أعدادٍ كبيرة من الآلات الجراحية، قلتُ لكبير الأطبّاء: «أرِني أيّةَ حُجرة أعمل منها غُرفة العمليات»، وقد كان، أمرْنا بتنظيف حُجرة، وحوّلْناها إلى غُرفة عمليات، وبدأتُ أقوم بعمليات جراحية.

شخصٌ مسكين اخترقتْ رصاصةٌ كتفَه، وهشّمتْ مفاصلَه وعِظامه، لم يعتنِ به أحدٌ، أصابتِ الجرح غرغرينا، بحيث سرتْ من ذراعه حتى قدمِه وكلِّ جسمه، قمتُ بنشر مفصلِ هذا المسكين، وعالجتُه مِن رُسغه وظهره حتى فخِذه، لم أرَ أبدًا غرغرينا بهذا القدْر، تحت جلده مليء بالالتهابات، ملأتُ جروحه بقماش مبلّل بمولد الحموضة، هبطتْ درجة حرارته، تحسّنت حالُه، عدتُ على كلّ جراحه، عملتُ العمليات اللّازمة، استمرّ عملي هذا عشرة أيّام، ثمّ قمتُ أتجوّل في اسكيشهر.

كيفَ عالجَ مصطفى كمال قضيّةَ الأرمن[1]

لماذا الخوفُ من رأس المال الأجنبي؟:

حوّلوا ورشةَ إصلاح القطارات إلى مصنع للسّلاح، وبالمواد الأجنبية أخذ بعض الأتراك يصنعون فيها المدافع، وكّان لهذا قيمة عظيمة، وقد نفعتْنا هذه الورشة كثيرًا، معنى هذا أنّ الخوف من المؤسّسات الأجنبية عبث، فلْنشجّعهم بقدْر الإمكان على إقامة المصانع وأمثالها في بلادنا، ليأتوا بملايينهم وليكسبوا، والمستفيد الحقيقي لذلك هو نحن، وأخيرًا فإنّهم يعِدّون لنا رجالَنا ويدرِّبونهم، والمثال على ذلك هو: خط السّكة الحديديّة في الأناضول، ولا سيّما القِسم الذي في اسكيشهر، الذي أدّى خدمات جليلة لأقصى درجة في حربنا.

عصمتْ باشا يخافُ خوفًا شنيعًا من الأجانب، والجمهورية تأخُذ بهذا المبدأ، وليس هناك خطأ أفدحُ مِن هذا، الفحم غير موجود، وكنّا نشغّل هذه القطارات بالحطب والخشب.

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 554، 3 ربيع الأول 1402هـ الموافق 29 ديسمبر 1981م.

روسيا تشترطُ تنازُلنا عن أراضٍ تُركيَة للأرمن:

رجعتُ إلى أنقرة، كنّا في هذه الأيام مشغولين بتنظيم الجيش، توجد حاجة ماسّة للسّلاح والذّخيرة والمال، وحتّى الآن لم يصِلنا أيُّ خبر عن وفد بكير سامي؛ الذي سافر إلى روسيا لعقْد معاهَدة معها، وطلبِ مساعدات منها في هذا الخصوص.

نبحث بالبرقيّات عن بكير سامي، نبحث عنه في موسكو وغيرها، لا يوجد، ثمّ إذا بنا أمام يوسف كمال، وفي يده مادّتان بالحروفِ الأولى من المعاهدة، قلتُ له: «لماذا جئتَ؟»، فقال: «يا سيدي!، إنّ هؤلاء الرُّوس لا يمكن عقدُ معاهَدات معهم، هذا غير مُمكن»، ثمّ عقّب قائلًا بعد قليل: «الرُّوس يقترحون علينا أنْ نتنازل للأرمن عن وان[1] وشيشيرون»، يصرُّ على ذلك ويقول: «ما الفائدة التي تجنونها من وان؟!، هيّا تنازَلوا عنه، وبذلك تنتهي مشكلتها».

سألتُه عن أهالي روسيا، خاصّة وأنّي مهتمٌّ بالشيوعية، فأخذ يكِيل المديح للشيوعية، وقال لي- أيْ يوسف كمال-: «إنّني شيوعيٌّ بكامل الإيمان، وتُركيا لن تنجو من محْنتها إلّا بها»، وعلمتُ- فيما بعد- أنّ يوسف كمال وصل بزورق إلى كرزه، وقام هناك بالدّعاية للشّيوعية، وعندما وصل إلى بويا آباد ثمّ قسطموني، قام بنفس الدّعاية، حتّى أنّه أثّر في شخص يُدعى كوميش، وهو قهوجي، وجعل منه شيوعيًا حركيًا، بل وأمره بتشكيل خلايا شيوعية.

---

(1) وان، وتنطق أيضًا بالتركية فان، وهي إحدى الولايات في شرق الأناضول، فيها كثافة سكانيّة أرمنية، شاركت كثيرًا في الثورات الأرمنية المسلحة ضدّ الحكم العثماني في النصف الثّاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، لا سيّما في عهد السلطان عبد الحميد الثّاني، بدعم وتواصل مع روسيا القيصرية.

أقوالُ يوسف كمال أوقعتْني في الحيرة والشّك، ذلك لأنّي حتى ذلك الحين كنتُ ضدّ الشّيوعية، ولا أزال، والواقع أنّي لا أعرف الشّيوعية بعُمق، لكن القدْر الذي أعرفه عنها في هذا الموضوع يجعلُني عدوًّا لها، وأمّا يوسف كمال فإنّي أعرف أنه رجُل قارئ وذكي، ومع ذلك فإنّ هذا السلوك منه لا أستطيعُ هضمَه أبدًا.

طلب مجلس الأمّة أيضًا إيضاحًا من يوسف كمال بشأن المعاهَدة، وتحدَّث في جلسة سريّة، وأخيرًا قال: «لا بدّ من التنازل للأرمن عن منطقة وان حتّى نستطيع عقد المعاهدة مع روسيا، وبغير هذا لا يمكن» .

هاجَ مجلس الأمّة، كان أعضاء هذا المجلس جُهلاء، لكنهم وطنيون وعُقلاء جدًّا، هاجموا يوسف كمال، ولم يستطع يوسف كمال أن ينزل عن المنصّة، خاف وهرب!!، قال مصطفى كمال في خطابه إنّ المعاهدة تمّت بالأحرف الأولى، ثمّ عُقدت بعد ذلك، والجملة الأولى خطأ، والأحرف الأُولى لم تكُن إلّا على مادتين فقط، وهاتان المادتان تمّ تغييرهما بعد ذلك.

ولم يذكُر مصطفى كمال القسم الثاني، وخطابه عبارة عن 543 صفحة، جعل منها 350 صفحة للسبّ في رجال أدّوا خدمات جيدة!!، ولم يذكُر هذه المعاهدة إلّا في جُملة، والسببُ في هذا الاقتصار هو أن يتجنَّب ذكر خدماتي في سبيل المعاهدة.

مندوبُ مصطفى كمال في روسيا يدعو إلى استقلال الأستينيّين:

عاوَدْنا البحث مرّة أخرى عن بكير سامي، غير موجود، حتّى في موسكو أيضًا تجهلُ الحكومةُ الروسية مكانَ إقامته، إلّا أن المسئولين الرُّوس يخمّنون أنه من المحتمل أن يكُون موجودًا بين شعب الأستينيين في جبال القوقاز، ولما ذهبتُ

أنا إلى روسيا علمتُ بمسألة بكير سامي، شيشيرون طلب تنازُلنا عن منطقة وان للأرمن، وافقهما كلّ من بكير سامي ويوسف كمال، لكنهما قالا: «لا بدّ من رجوعنا إلى مجلس الأمّة أولاً»، وقال بكير سامي للروس: «إذا أعطيتم الآستينيين- الذين تحكمونهم- الاستقلال، أستطيع أنا إقناعَ مجلس الأمّة بالتنازل عن وان.

ولمّا سألتُ شيشيرون عنْ هذا أقرّه، قال: إنّ بكير سامي توجّه إلى حيث يقطن الآستينيّين في جبال القوقاز بروسيا، وقال ليوسف كمال: «سأذهب أنا، وانتظر أنت!»، فقال يوسف كمال: «أنا سأعود»، ثمّ دبّ الخلاف بينهما، وأخيرًا قال بكير سامي ليوسف كمال: «اذهب أنت، وحُلّ المشكلة في مجلس الأمة»، فأخذ يوسف كمال طريقه وكأنه يهرب، ووصل أنقرة.

خطّة بكير سامي:

عندما ذهب بكير سامي إلى روسيا تبرّأ من اسمه، وتسمّى باسم «الأمير قوندك»، عندما كنتُ أسأل عنه روسيا لم يكُن أحدٌ يعرفه، إنّ اسم عائلة بكير سامي هناك هو قوندك، وهُم أمراء.

تألّمتُ كثيرًا عندما علمتُ هذا، إنسان تربّى تربية تركية، وعاش في تركيا، ومن أجل الأتراك، وبالنقود التركية، ترسِله الدولة التركية في أحلك أيامها ليحصُل لها على نجدة وإمداد، فيترك المسألة التركية، ويعمل على استقلال بني جلدته الآستينيين، غايته أنْ يصير هناك أميرًا، إن هذا خيانة وشيء صعب، وعندما عدتُ من روسيا تحدثتُ أنا عن هذا الأمر، وسمع بكير سامي، وتأثّر تأثُّرًا كبيرًا، وجاءني، وأوّلَ الكلام، لكنّ تأويلاته مدهِشة.

وبينما الأمرُ كذلك إذا بالروس يرفضون استقلال الآستينيين، غضب

بكير سامي من هذا، وهو الذي حصل من الرّوس على وعد بهذا الاستقلال ابتداءًا، معنى هذا أنّهم خدعوا بكير سامي من أجْل خطف وان!!.

قام بكير سامي بتهديد حكومة موسكو قائلًا: «سأهجر الآستينيين»، أعطوهم استقلالهم، ولم يُعِرِ الروسُ هذا الكلام اهتمامًا، ولم يهجُر أحدًا، ولم يعُد في يده شيء يعمله، اتّجه إلى تفليس، وكان في تفليس في ذلك الوقت حكومة جورجية وطنيّة، وكان لديها ممثّلون لدول الحلفاء من إنكليز وفرنسيين إلى آخره.

خطأ فظيعٌ يرتكبه بكير سامي:

دخلَ بكير سامي في مُباحَثات باسْم تُركيا- وهو لا يحمل الصلاحية بذلك- مع كلّ من الجورجيّين والفرنسيين، موضوع هذه المباحثات هو: اتّحاد كلّ من بولندا ورومانيا وقفقاسيا (القوقاز) وتركيا، ويعلنون مشتركين الحرب ضدّ روسيا بمساعدة الفرنسيين، والفرنسيون يتُوقون لهذا.

والسببُ في ذلك أنّ روسيا أنكرتْ ديونها التي حصلتْ عليها من فرنسا، لكنّ هذا لن يكُونَ له فائدة بالنسبة لنا، إنّهم سيستعملوننا كالثيران والبغال!، وأمّا بكير سامي فقد غضب من الروس، وهو بصدد الانتقام منهم الآن، وهو يعلم ما نحن فيه من البلاء، فوق رؤوسنا أجانبُ من يونانيين وفرنسيين وإنكليز وأرمن إلى آخره، وليس لدينا جيش، ولا سلاح، ولا ذخيرة، ولا نقود.

أيهمُّنا هذا الذي يدبّره بكير سامي؟!!، لو كان بيدنا شيء فلنوجّهه لدفع بلاء اليونانيين والأرمن عنّا، ولو حاربنا الروس ماذا نفعل باليونانيين الذين يحتلُّون بلادنا، وفي نفس الوقتِ نحن نتسوّل السّلاحَ من روسيا!!!. إنّ ما فعله بكير سامي خطأ فظيع.

أوروبا مع الأرمن ضدنا:

منذُ مدَّة والأرمنُ الموجودون في منطقة أرمنستان[1] - بتُركيا- قد تجاوزوا حدَّهم كثيرًا، كانوا يقيمونَ المذابح للأتراك في كلِّ مِن نخجوان وقارص، قتلوا أهالي أربعين قرية في نخجوان، وكلّ قرية تحتوي على ألف دار على الأقل، يعني أنّ الأرمن قتلوا مائتي ألف تُركي، وأخيرًا اضطرَّ الأتراكُ هناك إلى حمل السلاح وقاوموا الأرمن، وعندما انهزمتْ روسيا قامَ الأتراك في قارص بإقامةِ دولة مستقِلّة لهم هناك.

وعندما حدثتْ الهدنةُ دخل الإنكليز وقضَوا على حكومة هذه الدولة، ونفَوا أركان هذه الحكومة إلى مالطة، وسلّموا قارص للأرمن، فقام الأرمن هناك بقتل الأتراك، وكأن لم يكفِهم أنّ الجيش الروسي عند انسحابه من المنطقة قتل مئات الآلاف من الأتراك في طرق بايبورد وأذربيجان وأرضروم وقارص[2].

(1) لا يوجد هذا المسمّى (أرمنستان) في الواقع الجغرافي، إنّما هو مسمى تراثي أو عرقي يرمز إلى المناطق التي يمثّل فيها الأرمن كثافة سكانية واضحة في الولايات العثمانية شرقي الأناضول، وهي ستّ ولايات: فان (وان)، قارص، سيواس، بدليس (بيتليس)، أرضروم، خربوط (معمورة العزيز).

(2) مجموع من تمّ قتلهم من الأتراك العثمانيّين على أيدي العصابات الأرمنية المسلحة المتحالفة مع القوات الأجنبية تجاوز نصف المليون قتيل، عدا الجرحى، وهذا الرقم هو ما استطاعتِ اللّجان إحصاءه من القرى التي أبيدت ونجا بعضُها ليخبر عن مآسيها، أو من المقابر الجماعيّة التي لا تزال تُكتشف حتى الآن، وثمّة بلدان أُبيدت بكاملها ولم يُعرف عنها شيء، ولم تدرج ضمنَ هذه الأرقام. وقد ذكر المؤرخ الأمريكي المتخصص في القضية الأرمنية (جوستين مكارثي) أنّ عدد ضحايا المسلمين العثمانيين جرّاء التطهير العرقي ضدّ الدّولة العثمانية قد تجاوز الثلاثة ملايين قتيلًا.

أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: مذابح الأرمن ضدّ الأتراك في الوثائق العثمانية والروسية والأمريكية، دار البشير، القاهرة، 2016م.

وقام كلّ من الأمريكيّين والإنكليز بتقديم كلّ شيء للأرمن؛ من مأكل وملبس ومدفع وبندقية وذخيرة ونقود، وانضمّ الضبّاط الإنكليز- كمتطوّعين- في جيش الأرمن، وقد كوّن هؤلاء جيشًا قوامه ثلاثونَ ألف شخص، وأصبحوا يشعرون بالعظمة، وأنّ المذكرة التي وجّهها لنا وزيرُ حربيتهم كانت تثبتُ أنّ الأرمن يعِدُّون هجومًا، وأخيرًا كان الموقف كما يلي:

اليونانيّون في الغرب، والأرمن في الشرق، ونحن بين نارين، أهمُّهما اليونان والحلفاء، لكنْ لا بدّ من الانتهاء من مسألة الأرمن، الأرمن لا بدّ أن يقوموا بهجوم علينا، ولا بدّ أن نهاجمهم نحن قبل أن يكملوا عدّتهم واستعداداتهم.

مصطفى كمال لا يريدُ الحرب[1]

مجلسُ الوزراء لعبةً في يديه:

لم يكُن مصطفى كمال مع الحرب، كان يقول: «الجيش هناك ضعيف، وهذا العمل لا يتمّ بقوة مكوّنة من أربعة آلاف شخص»، وعندما أصررْنا على الحرب قال لنا مصطفى كمال: «فلْنسألْ قرا بكير»، وسأله، فكان جوابه: «إني أستطيع أن أنجح في هذا الأمر».

كنت أحبُّ هذا الرجل- أي قرابكير- وزاد من حبّي له إجابته بهذا الشكل على مصطفى كمال، خاصّةً أنّه قالها بشجاعة وبطولة، آه لو كان مصطفى أدرج ردَّ هذا القائد في خطابه، ومع ذلك فإنّ مصطفى كمال لا يريد الحرب، قرّرْنا نحن توجيه الأمرَ لقرابكير بالهجوم، مضى أسبوع وعشرة أيام، ولا يوجد شيء!، فسألْنا مصطفى كمال، فوجدْنا أنّه لم يبلّغ القائد بالأمر، وقال لنا هذا دون ضيق!.

هذا الرجل لا يعترفُ بالحكومة، ويتحدَّث بأشياء غير مقنعة، وفي نهاية الجلسة انتحيتُ بمصطفى كمال جانبًا، وقلت له: «لماذا لم تبلِّغ القائدَ بالأمر؟»، قال لي: «يا حبيبي إنّ قرابكير شخصٌ مخبول!، إنّه حمار، كما أنه

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 555، 10 ربيع الأول 1402هـ الموافق 5 يناير 1982م.

ليس بالمقدرة التي يستطيع بها تنفيذ هذا العمل المهم».

كان مصطفى كمال يلعب بمجلس الوزراء، وكأنّه لعبة في يديه، إنه لا ينفّذ أمر الحكومة، وعدم التنفيذ أمرٌ غير مشروع، وأخيرًا ظللْنا نحاول معه كثيرًا حتى جعلْناه يصدِر أمر الحرب، ولكن كان قد مضى شهرٌ على ذلك، مع أنّ الموقف لا يسمح بالتفريط في الوقت، وقام قرابكير بإعداد جيش وقوة مدنيّة معاوِنة له، وقد بلغ مجموعُ كلّ هذا ستة آلاف شخص، هجم بهم من منطقة صاري قاميش، وهزم الأرمن في الحرب التي دارتْ هناك، وهرب الأرمن واحتمَوا بالتحكيمات العسكرية في قارص، لكنّ الأمر انتهى بالاستيلاء على قارص.

لم يذكُر مصطفى كمال كلّ هذا خوفًا من مدح قرابكير، لقد أجبرَ قرابكير الأرمن على توقيع معاهَدة مجحِفة بهم، وأجبرَهم على توقيعها، وهي باسم (معاهدة كومرو الكساندرابول)[1]، وبهذا الفضلِ تخلّصْنا من حِمل ثقيل أثقلَ ظهورَنا، فتنفّسْنا الصّعداء، وكانت هذه المعاهدة ثقيلة جدًّا على الأرمن، وتم تجريدُهم من السّلاح.

---

(1) معاهدة ألكساندرابول الموقّعة في 2 ديسمبر 1920م بين حكومة الجمعية الوطنية التّركية (المجلس الوطني الكبير) وبين جمهورية أرمينيا، وفيها تعترف الجمعية الوطنية التّركية باستقلال جمهورية أرمينيا، وقد تمّ تحديد الخطّ الفاصل بين جمهورية أرمينيا وبين الدّولة العثمانية. وفي هذه المعاهدة تتخلّى أرمينيا عن معاهدة سيفر وبنودها، وتحدد عدد محدّد من الأسلحة لجيشها، مع استئناف التواصل بين خطوط المواصلات عقب توقيع معاهدة السلام، سواء السكك الحديدية أو المرور البحري والبري وتبادل البضائع، مع عدم التزام أيّ طرف بدفع تعويضات حربية، وتمتع رعايا الدولتين بالحقوق المدنية، وإقامة علاقات دبلوماسية، منح منطقتي شارور وناخشيفان استقلال ذاتي، وجلاء القوات التركية عن الأراضي الأرمنية بعد تسريح الجيش الأرمني.
انظر، شاوارش طوريكيان: القضية الأرمنية والقانون الدولي، ص 223-225.

أنباء عن خلافي مع مصطفى كمال:

كانت صحفُ استانبول وأزمير في هذه الأثناء تتحدث عني: «خلاف بين رضا نور ومصطفى كمال»، «رضا نور سيهرب وسيُقضى عليه»، إلى آخر هذا من الأخبار، لا أدري السببَ في هذا، إلّا أني علمتُ به بعد ذلك.

عندما وصلتْ زوجتي إلى استانبول جاءها إسماعيل حقي نائب أماسيا، وسأل عني، فقالت له: «ليس في أنقرة مكانٌ يمكن العيش فيه»، غضِب وهو يشكو من مصطفى كمال، استولى اليونانيون بسهولة على كلّ من أدرنه وتراكيا الشرقية، وليس لديَّ معلومات كافية عن هذا.

عدمُ الجمع بين العسكرية والسياسة:

يقول مصطفى كمال في موضع ما من خطابه ما يلي: «ينبغي للعسكريين أن يكُونوا بعيدين عن تأثير الملاحَظات السياسية، يجب أنْ لا ينسَوا أنهم مكلّفون بوظائف أخرى غير التفكير فيما توجبه السياسة»، ص ٣٥٧، وهذا كلّه صحيح، هذه قاعدة مهمّة وأساسية، إلّا أنّه هو نفسه يقع دائمًا في هذا الخطأ، إنه لم يكتب هذا إلّا مدفوعًا بغايةٍ واحدة فقط، وهي سحق وتحقير وتصغير رفاقه.

مصطفى كمال اعترض بشدّة في هذه الصفحات على الجمع بين العسكرية والسياسة، إلّا أنّه عيّن- في نفس الوقت- كلّ قوّاده نوّابًا في مجلس الأمة!!، وبذلك جعل الجيش لعبةً في يده، واستفاد من ذلك كثيرًا في الدورة الأولى، نعم كانت استثنائية، أيمكن هذا؟!!، لكنّه عمل نفسَ العمل في الدورة الثانية.

العسكريّون دائمًا متكبّرون، والمدنيّون الذين يعملون معهم أقلُّ من الكلاب، أوّل أعمال العسكريّة التحكُّم والديكتاتورية، ولهذا السبب فإنّ كلّ العالَم يقِف ضدّ الحُكم العسكري.

الزجُّ بالجيش في السّياسة أكبرُ خطر، والأمثلة على هذا في التّاريخ كثيرة، وعندنا كثيرة، الجيشُ يشبه النّار والحديد المصهور، ولا بدّ من الخوف من مجرّد مسِّها، العسكريون يستخدمونك اليومَ آلة لهم، ثمّ يقتلونك غدًا، يعني أنّهم قنبلة تنفجِر في يد السّياسة، والحاصل أنّ الجيش كان ينفجر في يد مصطفى كمال، ثمّ أراد إخراج القوّاد من عُضوية المجلس بعد ذلك، ونجح في هذا، إلّا أنّ قرابكير، وعلي فؤاد، وجعفر طيار، ورشدي، ورأفت باشا؛ ظلّوا أعضاء في المجلس، لكنّهم أُبعِدوا عن الجيش.

وزيرُ الدّاخلية يقول لي إنّ مصطفى كمال جاسوس!

بدأتْ في المجلس في الأشهُر الأولى حركةٌ ضدّ مصطفى كمال، لكنها قويتْ في هذه الأثناء، تمّ تعيينُ النّائب البرلماني ناظم وزيرًا للداخلية، وبعد أن عيّنوا ناظمًا في هذا المنصب أوجدوا أكثريّة معارضة لشخص مصطفى كمال في المجلس، قابلتُ هذا الرجُل- أيْ ناظمًا-، لم أقتنعْ به، وجدتُه يروِّج للاشتراكية، أعطاني انطباعًا بأنه رجُلٌ مشوَّش، لا أدري عنه شيئًا، قال لي إنّ مصطفى كمال جاسوس، إنّ تصديقي لهذا الأمر صعب.

قام مصطفى كمال بطردِ ناظم هذا من مجلس الأمّة، ثمّ قدّمه لمحكمة الاستقلال، والذي أتذكّره أنّ ناظمًا بُرّئ بعد ذلك، فقامت المعارَضة في المجلس بتعيين نائب منطقة قوجه- وهو سري- وزيرًا، فطرده مصطفى

كمال أيضًا، وكان سري هذا تافهًا عديمَ القيمة، كان مجلس الأمّة هو الذي ينتخب الوزراء.

رأى مصطفى كمال أنّ استبداده الشخصي في خطر، فعدّل هذه المادة بأن جعل انتخابَ المجلس للوزراء يتمّ بعد أن يرشح عدّة أشخاص يختار المجلس منهم واحدًا، وبذلك جرّد المعارضة من حق الانتخاب.

مصطفى كمال يتخلّص من علي فؤاد أحدِ قادته البارزين:

نحنُ في أنقرة حياتُنا في غاية الضيق، في أنقرة لا يوجد مطعم، ولا حتى جبن وخبز، وكثيرًا ما ظللْنا جياعًا.

ومصطفى كمال لم يستطعْ أن يهضمَ الشّهرة التي أحرزها أدهم الشركسي، ودبّت فيه المخاوف، وصار يتصوّر أدهم خطرًا محدقًا به، ففكّر في طريقة يقضي بها عليه، كان مقتنعًا بأنّ هناك انسجامًا بين علي فؤاد وأدهم، وكانت قوّات كلّ مِن علي فؤاد قائد الجبهة وأدهم؛ هي القوّة الوحيدة الفريدة في ذلك الوقت، كانوا حواليَ عشرة آلاف.

وصارَ صاحبُنا يخاف من هذا، كان مضطربًا، سألتُ فوزي باشا ذات يوم عن هذا الموضوع، فزلَّ لسانُه بجملة قالها لي، وهي: «علي فؤاد وأدهم سيهجمان على أنقرة»، ثمّ أضاف قائلًا: «أقمنا كلّ الترتيبات اللازمة، ونحن مستعِدُّون للقائهم».

والحقيقةُ أني علمتُ بعد ذلك أنّ ترتيبات عسكرية قد اتُّخذتْ، فالخنادق قد حُفرتْ والمدافع قد وُضعت.

طلبَ علي فؤاد القوات الموجودة بأنقرة لتدعيمه على الجبهة، لم يوافقْ

مصطفى كمال بحجّة أنها قوّات للحفاظ على أنقرة، وكان قصدُه الحقيقي الحفاظ بها على نفسه وشخصه، ومحتمل أنْ يكُون تفكيره قد اتّجه إلى أن علي فؤاد إذا انهزم فسيسقط في نظر الجنود والنّاس وتضيع هيبته، ومصطفى كمال كائن يمكن أن يفعل هذا ويفكّر فيه، فالوطنُ عنده في المرتبة الثّانية، فإذا كانت سعادة الوطن ستضمن له منصبه فأهلًا وسهلًا، وإذا لم تكُن كذلك فسيعمل ضدّها فورًا دون تردُّد.

انهزمَ علي فؤاد، وكانت خسائره كثيرة، وظلّ هو وأركان حربه صفوت معًا في مكان بعيد، ولم يستطع أحدٌ من العسكر التّخابُرَ معه، ولا هو استطاع ذلك مع أحد، ولم يستطعِ الهربَ إلّا بصُعوبة، ولم يذكُر مصطفى كمال هذا في خطابه، وإنّما مرّره -على العادة- بالكذب، كلّ شيء يهتزّ مرّة أخرى، الخوف من وقوع تصادُم بين علي فؤاد ومصطفى كمال، لعلّ الله ينقذنا من هذا الأمر بسرعة، أريد من أعماقي انتصار علي فؤاد، لكنّ الذي بجوار علي فؤاد مَن؟!، إنّه أدهم الجاهل، قاطع الطريق، بالإضافة إلى أنّه ليس تركيًا.

وصاحبُنا فنّان في تدبير المؤامرات، أمّا علي فؤاد فطفلٌ سليمُ النّوايا بحق، وسرعان ما أرضى مصطفى كمال علينا، ثمّ دعاه من الجبهة إلى أنقرة من أجل التباحث في مسألة عسكريّة هامّة، وجاء هو بقدميه إلى مصيره، وصل علي فؤاد أنقرة، فعزله مصطفى كمال، وأرسله سفيرًا إلى موسكو، وعيّن عِوَضه في القيادة عصمت.

المعروف أنّ السّفارات من أصول النّفي والإبعاد، ويحدُث هذا في كلّ أمّة في التاريخ منذ القِدم، وبهذه الصّورة تمّ التخلّص من علي فؤاد، طبّق مصطفى كمال هذه القاعدة عليّ أنا ثلاثَ مرّات أو أربعة، فعل هذا معي،

ومع كلّ مِن نجاتي وجلال عارف.

وهو يرى أنّ إرسال شخص سفيرًا هو بمثابة وضعه في تابوت وإرساله إلى القبر!، ذلك لأنّه يقوم بعد ذلك بعزله. عزل جامي، أرسل جلال عارف، ثمّ عزله، والدور عليّ أنا، على كلّ حال فإنّ علي فؤاد قد أصبح رقم 3، واقترح مصطفى كمال على علي فؤاد أنْ يصحب معه أدهم الشركسي، إلّا أنّ أدهم لم يستسِغ هذا.

عيَّن مصطفى كمال عصمت- الذي يأمن جانبه- قائدًا على الجبهة، كما ترك له بعدَ ذلك رئاسة أركان الحرب، ولم يكُن هذا شيئًا عاديًا، لكنّه عمِله، كان هؤلاء الناس يقتسمون فيما بينهم عدّةَ وظائف ومهامّ ومناصب؛ مصطفى كمال وعصمت وفوزي شأن كلّ واحد منهم أنْ يقوم بأعمالٍ ثلاث أو أربع وظائف ومناصب مهمّة في وقت واحد.

القبضُ على الوفدِ الرّسمي لحكومة استانبول[1]

مصطفى كمال يتخلّص من البطلِ القومي أدهم:

أصدرَ مصطفى كمال أمرَه بفصلِ أدهم الشركسي من الجيش، وبتعيين رأفت قائدًا للقسم الجنوبي من الجبهة، وبهذا يستطيع كلّ من عصمت وفوزي أن يجتمعا بسهولة ويتّخذا التّرتيبات اللازمة ويتخلّصا من أدهم، وعندما صدر أمرٌ تعين رأفت للقيادة صدرَ معه أمرٌ آخَر بتعيينه وزيرًا للداخلية، وهذا شيء أكثر شُذوذًا وغلطًا. وبهذا أرضى مصطفى كمال رأفت لأنّه كان يريد أنْ يستخدمَه ضدّ أدهم حتى يؤدّي رأفت المهامّ التي ستُوكَل إليه ضدّ أدهم هذا بأمانة وبصِدق، وكلّ هذه الأمور عبارة عن ترتيباتٍ للإطاحة بأدهم، وبالطّبع بدأ أدهم يشكُّ في الأمر.

عصمت في الجيش يواصل مهمّته، ومصطفى كمال يقُوم بالدّعاية ضدّ أدهم لدى نوّابِ مجلس الأمّة، ولم ينسَ مصطفى كمال أن يأمر فؤاد بالسفر سريعًا إلى تسلُّم مهامِّ منصبه سفيرًا لتركيا بموسكو.

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 556، 17 ربيع الأول 1402هـ الموافق 12 يناير 1982م.

كان علي فؤاد بريئًا من اتّهام مصطفى كمال له:

بعد ذلك بفترةٍ في موسكو، سألتُ علي فؤاد وقلت له: «إنّك كنتَ ستهاجم أنقرة، وقد حفرتَ الخنادق لهذا الغرض»، لم يجبْ بنعم أو لا، وإنّما دُهش عندما حدّثْتُه عن مسألة ترتيبات الدّفاع التي حكاها لي فوزي باشا، ثمّ قلتُ لعلي فؤاد: «إنّ السفارة هي منفاك».

من المُحتمل أن تكُون مسألة الهجوم على أنقرة واقعًا، ومن المحتمل أن تكُون من نسج أوهام مصطفى كمال وخوفًا على منصبه، لكنّ الواقع يظهِر أن علي فؤاد ليس رجلَ هذه الأعمال، فقدْ كان يستطيع أن يرفض الحضور إلى أنقرة، ثمّ إن الجيش كان مستعِدًّا وفي يدِ علي فؤاد ورهنَ إشارته، وأدهم كان موجودًا معه، وكان يمكنه الزحفُ سريعًا نحو أنقرة، وكان هذا العمل سينجح سريعًا، ومصطفى كمال جبان بطبعِه، كان سيهرب سريعًا، ولو لم يفعل هذا فإنّ قوّاته لم تكُن تكفي.

الذي أتصوّره أنّ مسألة هجوم علي فؤاد على أنقرة ليست صحيحة، كما كان بين عائلة علي فؤاد وبين أدهم خصومةٌ كبيرة، رحمي نائب سلانيك كان صِهر خالة علي فؤاد، يعني صهر حُسني باشا، وعندما كان هذا النائبُ واليًا على أزمير قام أدهم- البطل القومي التّركي!- بخطف ابنه ونقلِه إلى الجبل، وطلب فِدية من أهله مقدارُها خمسون ألف ليرة ذهبًا، ولمّا أخذ الفدية أطلق الولد إلى أهله.

توفيق باشا يقول: «مصطفى كمال لا خَلاقَ له»

في استانبول، سقطتْ وزارة فريد، وتولَّى توفيق باشا[1]، وفي وزارة توفيق كان عزت باشا وزيرًا للداخلية، وصالح باشا وزيرًا للحربية، وكانت هذه الحكومة تريد التباحُث والتوافُق مع أنقرة، فقام مصطفى كمال ليصِف وزراء هذه الحكومة- في خطابه- بالخيانة، وأهال الترابَ عليهم!.

إنّ الإنسان الذي يتّهم توفيقًا بالخيانة إنسانٌ عديمُ الضمير، وعلي رضا لم يكُن في أيِّ وقت من الأوقات خائنًا، كما أنّه لا يوجد مَن يستطيع التطاول واتهام توفيق- بالذّات- بالخيانة؛ توفيق أمضى عُمرَه كلّه في خدمة الدولة بشرف، وهو شخص اكتسبَ احترامَ العدو واحترام الصديق على حدٍّ سواء، كما أنه رجل مسِنٌّ، إنّ إسناد تهمة الخيانة لهذا الرجل إنّما هي سفالةٌ كبيرة.

لماذا يفعل مصطفى كمال كلّ هذه الخِسّة؟، أتعرفون؟!، سأقول أنا: توفيق باشا رجلٌ شريف، وكان هناك احتمالٌ أن يتولّى دفّة كلّ الأمور ذات يوم، لذلك وجد فيه مصطفى كمال منافِسًا له، فتوفيق سيمنعُه من الوصول لآماله وفُحشه وجرائمه، هذا هو السبب.

ثمّ إنّ هناك مسألةً أخرى بينهما؛ هي أنّ الحكومة العثمانية عندما كانت تريد إرسال مصطفى كمال من استانبول إلى الأناضول- ليجمع القوى الشعبية

---

(1) أحمد توفيق باشا/ توفيق أوكداي (1845-1936م): ينتسب إلى العائلة الملكية في القرم، كان له عمل دبلوماسي طويل ومميّز، توّج بتعيينه وزيرًا للخارجية من عام 1895 حتّى 1909، ثمّ عين صدرًا أعظم لمدّة شهر واحد في عام 1909، وأربع مرّات أخرى بين أعوام 1918 و1922، وكان توفيق باشا آخرَ صدر أعظم للدولة العثمانية.

انظر، إريك زوركر: تاريخ تركيا الحديث، ص 528.

ضد المحتلِّين الأوروبيِّين، وليفتِّش على الجيش هناك- قام توفيق باشا بإبلاغ السلطان رسالة بواسطة رفيق، وكان رفيق يشغل منصب مدير الخزانة الخاصة، تقول هذه الرسالة للسّلطان وحيد الدين: «لا ترسلوا مصطفى كمال لهذه المهمّة، إنّه لا خَلاق له»، والآن ينتقم مصطفى كمال من توفيق.

القبضُ على الوفدِ الرّسمي لحكومة استانبول:

قدَّم مصطفى كمال اقتراح وزارة إستانبول -باللقاء والتباحُث مع أنقرة- إلى مجلس الوزراء، وافقنا، حدَّدوا مكان اللقاء في بيلاجيك، ذهب مصطفى كمال إلى هناك، وجاء إليها أيضًا كلّ مِن عزّت باشا وصالح باشا، ولم يُسفِرْ هذا اللقاء عن أيَّة نتيجة، وكان مصطفى كمال قد ذهب إلى أنقرة، أرسل مصطفى كمال تعميمًا إلى كلّ الأطراف والنواحي، يقول فيه إنّ الوفد القادم من استانبول وكلّ مرافقيه قد التحقوا بالحركة الوطنية في أنقرة، وبعد مدّة فهِم هذا الوفد أنّ مصطفى كمال قد قبض عليهم!!.

مصطفى كمال يضِيق بي ذرعًا:

أثناءَ ذلك أراد مصطفى كمال أن يتخلّص منّي عندما أراد مجلس الوزراء إرسال وفد إلى روسيا، وبذلك يكون دوري في قائمة الذين يريد أن يتخلّص منهم: الرابع، قبلتُ فورًا لأنني كنتُ قد ضقتُ ذرعًا بسرقاته وبمساوئه، ثمّ إني أريد أن أكتب كتابي (التّاريخ التركي)، وأيُّ شخص مشغول بتاريخ الأتراك لا بدّ أن يسافر إلى روسيا، وكانت هذه فُرصة لي لأجمع الكتب والمصادر في هذا الموضوع.

جاسوسٌ للإنكليز يقابل مصطفى كمال، ويقدِّم ثلاثين ألف جنيه إنكليزي:

وبينما نعِدُّ العُدَّة للسَّفر إلى موسكو قال لي عدنان إنّه تلقّى معلومات من الهلال الأحمر باستانبول بأنّ شخصًا هنديًا يُدعى مصطفى صغير سيحضر باسم مسلمي الهند، جاءنا وقال لنا بأنّ المسلمين الهنود أرسلوه للمساعدة والعون، ويسألنا عن احتياجنا، وأحضرَ معه مقدارًا من النقود، وعلى ما أذكُر أنّ هذا المبلغ كان ثلاثين ألف جنيه إنكليزي، استولى مصطفى كمال على هذا المبلغ!.

وقبلَ ذلك وصلتْنا مساعدات مالية من مسلمي الهند، وبلعها مصطفى كمال!، قال لنا مصطفى صغير: «إنّ هذا المبلغ قليل، ولكنْ هذا ما استطاعوا إرساله إليكم الآن»، هذا الرجلُ جميل الوجه، ذكي، ويبدو متفيقهًا، سألتُه بعض الأسئلة، ردوده متناقضة، ووجهُه يبدو عليه أنّه غارق التفكير خائف يفكّر كثيرًا، شككتُ فيه وقلتُ لمن حولي أني أشكُّ فيه.

ذهبْنا نحن، ثمّ ظهر بعد ذلك أنّه جاسوس أرسلَه الإنكليز، والنقود التي أحضرها أعطاها له الإنكليز، استطاعوا في أنقرة أن يكتشفوا أنّه جاسوس، وسرعان ما نصبوا له محكمةَ الاستقلال، وتمّ إعدامه شنقًا، بذل الإنكليز جهودًا كثيرة لإنقاذه، لجأوا في ذلك إلى التّهديد وإلى كلّ شيء، ولم يُجْدِ مع ذلك شيء، وانتقل مصطفى صغير إلى الدّار الآخرة.

القيادةُ التركية توجّه مدافعها إلى رفاق السّلاح بدلًا من العدو!، وأدهم البطل القومي لتُركيا ينضمُّ لقوات الأعداء!

أثناءَ انشغالنا بلوازم سفرِنا كان مصطفى كمال وعصمت مشغولين بالقضاء على أدهم، لكنّ أدهم ورفاقه لا يقِفون مكتوفي الأيدي، قال لي عصمت- فيما بعد- إنّ أدهم باغته، وانقضَّ على مقرّ قيادته في اسكيشهر،

وأراد قتله، فخاف عصمت كثيرًا، حتى أنه فكَّر في الهرب، هناك شيء مغلَق، لكنْ ليس لَدَينا الوقت للاهتمام به.

توجَّه مصطفى كمال إلى اسكيشهر، أخذَ معه أدهم، وأخاه رشيدًا، وقليج علي، وأيوب صبري كاظم- رئيس مجلس الأمّة-، وحقي بهيج، والقائم مقام شكري، وكانوا كالمنوَّمين بين يدي مصطفى كمال، كان كاظم يبدو في الظاهر ملتزمًا جانب أدهم، وبعد سنواتٍ طوال اتَّضح أنه كان يقوم بالجاسوسية لحساب مصطفى كمال في الظاهر أيضًا.

كان مصطفى كمال يثُور عليه ويغضب منه كثيرًا، بعضهم قال لأدهم إنّ القضاء عليك أصبح أمرًا محتَّمًا، سافرْنا نحن وهذه المسألة على أشدِّها إلى موسكو، ولم أكُن أدري خفايا الأمر، وأخيرًا وصلْنا إلى موسكو، حدثتْ معركة إينونو الأولى، وبدلًا من أنْ يحوِّل مصطفى كمال وعصمت قواتهما إلى العدو، حوَّلاها من الشمال من أمام العدو اليوناني ووجَّهاها ضدَّ أدهم.

وذاتَ يوم، هرب كلٌّ مِن أدهم وأخيه رشيد من اسكيشهر، وعندما تمّ التضييق على أدهم من الشّمال ومن الجنوب، وبعد مصادَمات بسيطة خاف الإخوة أدهم على أرواحهم، التحقوا بصفوف اليونانيّين، وقد قبِلهم اليونانيون بلا قيد وشرط، وكانوا عند انْضمامهم إلى اليونانيّين يبلُغون في مجموعهم مائة أو مائتي جندي.

وإنّ واقعة مثل هذه الواقعة وأثناء الحرب لَدليل على تفضيل مصطفى كمال وعصمت لمصالحهما الشخصية وتقديمهما على مصلحة الوطن، مَن الذي يفكِّر في مصلحة الوطن؟!، وما فعله أدهم في هذه الأثناء خيانة، لكن كمال وعصمت مسئولان عن دفعهما لرجُل مِثل أدهم- قدّم للقضية الوطنية

خدمات جليلة في أشدّ أوقاتها حرجًا، وأنقذها من الهلاك- إلى الأعداء اليونانيين، وقيامه بهذه العملية الخائنة.

والواقع أنّ الخوف على الرّوح هو الذي دفع أدهم إلى هذا، وإلى هذه النتيجة القبيحة، لا سيّما وأنّه حارب ضدّ جيوشنا بعد لُجوئه لليونانيين، وعليه فقد انتهى أمره، لأنه أخطأ، لا سيّما وأنّ اليونانيين قاموا بهجومهم فور لجوء أدهم إليهم.

إلّا أنّ هذا العمل محاسنه أيضًا، وهو التخلُّص من العصابات المحاربة، وبالتالي أفسحَ الطريق أمام تكوينِ جيش نظامي، وكان هذا شيئًا لا بدَّ من عمله، ولو كان أدهم وأتباعه قاموا بتكوين جيشٍ وطني لاستحقُّوا الهلال، قام الجيش اليوناني بالهجوم من كلّ النواحي، يقول مصطفى كمال إنّ هذا الهجوم حدث بعد التجاء أدهم لليونانيين بيوم واحد، اليونانيون عدوٌّ عديم القابلية، والحاصل أنّ مصطفى كمال قضى على منافسه هذا.

الجيشُ التُّركي
تلقَّى تدريبَه عن الألمان(1)

مصطفى كمال يتخلّص من رفيق سلاحٍ آخر، صلاح الدين جولاق

في ذلك الوقت، كان صلاح الدّين جولاق قائدًا لسيواس، ولم يسترح له مصطفى كمال، فاقترح ذاتَ يوم على مجلس الوزراء عزْل صلاح الدين هذا من القيادة، واستطاعَ استصدار قرارٍ بهذا، مع أنّ هذا لم يكُن له داعٍ لأنّ مصطفى كمال كان يمكنه عزلُه مباشرة، لكنّ صلاح الدين كان في نفس الوقت عضوًا بمجلس الأمة، ومِن ثمّ فقد يفتعِل شيئًا في المجلس، وعلى هذا فإنّ أفضل شيء أن يحمل مصطفى كمال مجلس الوزراء هذه المسئولية، والواقع أنّه كان يحمل مجلس الوزراء مسئوليات كهذه، يعني أنّه لم يعزل صلاح الدّين جولاق- رغم أنّ الأمر بيده- مغبّة أن يؤدّي هذا إلى مُعاداة صلاح الدين وجيشه له.

وكعادته لجأ إلى نفس لُعبته، دعاه إلى أنقرة للتشاور في أمرٍ مهم، لم أستطع أنا تحمُّل هذا، فقد كنتُ أحِبُّ صلاح الدين، لأنّي أعلم أنّه رجُل شريف، وللآن لم يظهر منْه شيء يغيِّر علمي بذلك، إلّا أنّ ذكاءه محدود وعصبي وخشِن.

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 557، 24 ربيع الأول 1402هـ الموافق 19 يناير 1982م.

لقيتُ صلاح الدين في القطار عند ذهابي إلى موسكو، قلت له: «يا هذا، ما هذه الغفلة؟!، إنّهم عزلوك من القيادة ولا تريد أن تصدّق؟!»، فقال بكبرياء: «لا، إني ذاهبٌ بدعوة كريمة، وهل كلامُك هذا يعقل؟!، إنه غير ممكن».

إنّه رجل غافل جدًّا، لكنّي نظرتُ إليه بعد قليل فرأيتُ لونه قد تغيّر، ووجهه تغيّر، معنى هذا أنّه بدأ يشك، والواقع أنّه كان لا بدّ أن يصدّق كلامي، فليس لي نفع في الكذبِ عليه، سافرْنا نحن، وذهب هو إلى أنقرة، وقد حدث ما أنبأتُه به، فقد رأيتُ صلاح الدين جولاق في صفوف المعارضة في مجلس الأمّة.

نريدُ عقد معاهَدة مع روسيا لكنّا لا نعرفُ عن الروس شيئًا:

وصلْنا أنا ويوسف كمال إلى قارص حيث وجدْنا علي فؤاد في انتظارنا، وفي قارص قالا لي: «هيّا ندخل روسيا»، قلت لهم: «لا، لن نذهب قبل تسعة أيام أو عشرة، لكي نقضي عملًا في روسيا لا بدّ من الحصول على معلومات عن الوضع في روسيا، وماهية الشخصيات التي تحكُمها، مَن هو أكثر نفوذًا من الآخَر منهم، وأفكار كلّ منهم... إلى آخِر هذا، وبعد ذلك نستطيع الذّهاب إلى روسيا، وعلى هذا لا بدّ من دراسة ملفّات قيادةِ الجبهة الشّرقية في هذا الخصوص»، وافقا، والتقينا بقرابكير قائد الجبهة الشّرقية، فأعطانا الملفّات المطلوبة وتدارسْناها.

العسكريةُ وشخصية قرابكير هي نقطةُ العطب في الأمّة:

كانت هذه أوّلَ مرّة أرى فيها قرابكير، إنّه أقرب للقِصر منه للطول المتوسط، ممتلئ الجسم، وجهُه جميل ومحبوب، وعلامات الصّحة تبدو في

خدَّيه، هذا الرجُل لا يتناول المسكِرات، بل ولا يشرب القهوة، ولا يدخِّن السجائر، وليس من أهل الفواحش، لقاؤه أيضًا رقيق، وهو إنسان مهذَّب، بل إنّه خجول خجلَ الفتاة العذراء.

لكنْ في هذه اللوحة شيء بارز يلفت النّظر، إنّه متعاظم، لم أعقد صلات قوية بمجموعة العسكريّين في الحركة الوطنية، رأيتُهم كلّهم تقريبًا أثناء الحركة، شيء عجيب، كلّهم يتعاظمون، إنّ هذه الصفة قاسم مشترَك جميعًا، شيء يدهش، كلّ واحدٍ منهم لا يرضى عن الآخَر.

ليس هذا عندنا نحنُ فقط، لكنّها علّة خاصّة بالعسكر في جميع الأمم، إنّ العسكريين يتعاظمون بالتّربية التي يتلقَّونها في فنّهم العسكري، إنّ وجود السيف وهو يحلّ كلّ شيء في أيديهم يمنحهم الغُرورَ والاعتماد على النفْس، إنّ التنفيذ الفوري للنظام والأوامر يجعلهم يظنُّون في أنفُسهم بأنّهم كلّ شيء!، ومن هذا يُولَد الاستبداد ويظهر المستبِدُّ، لن ندخُل في تفصيلات هذا.

لكنّي أقول إنّه بسبب هذا قال علماءُ الحقوق الأساسية والدساتير والفلاسفة إنّ العسكريّة هي نقطةُ العطب في الأمّة، ويبحثون عن الوسائل لتفاديها، وهذا صحيح كلّ الصّحة، ويجب عدمُ السماح إطلاقًا لفئة العسكرِ بالاقتراب من شيء اسمه السّياسة، إنّ هذه الفئة مادّة مفجّرة وخاصّة مثل القنبلة.

وبهذه الملاحَظة وضعتْ سويسرا جيشَها في حالة أشبهَ بالحرس الوطني، كما أنّهم ألغَوا رُتبة (الجنرال)، يعني مدَّنوا الضابط، إنها نظرةٌ جيِّدة جدًا،

وقاعدة طيّبة، فمِن المعلوم ما فعله البروتوريتيّون في روما، والإنكشارية[1] بنا، ومنذ المشروطية عندنا والعسكريّون على رأس الثّورات، وبعد أن ينجحوا فيها يمتطون المناصب الكبرى، ويقومون بالمهامّ المربحة ماديًّا، وهذا يعني دفع العسكرية إلى كبد الكيان الوطني.

الجيشُ التركي تلقّى تدريبَه عن الألمان، وبالتالي فقدْ دخلتْ الأصول والقواعد الألمانية الجيش عندنا، ضبّاطنا يعملون في إطار من الانتظام والنظام[2]، وهذا التفوُّق لدى ضبّاطنا ليس موجودًا ألبتّة لدى إداريّينا من المدنيين.

---

(1) الإنكشارية: الإنكشارية فرقةٌ مشاة خاصّة داخل الجيش العثماني، تكوّنت في عهد السّلطان مراد الأوّل بناء على أمره، ونفّذها الوزير جاندارلي خليل باشا لتقتصر مهمّتها على الحرب وتتفرّغ لها، وبذلك أصبحت أوّلَ فرقة عسكرية نظاميّة في التاريخ. كانت الإنكشارية وسيلةً فعّالة في انتصارات الدولة العثمانية وفتوحاتها في أوروبا والبلقان والشرق الأوسط، كما تسبّبت في هزائم الدولة ونكساتها.
اتّبعوا نظامًا صارمًا في التدريب والطاعة المطلقة، وحرم عليهم مغادرة الثكنات والزواج والاختلاط بالمدنيّين والعمل بالتجارة، وأمروا بالتفرّغ التّام للجندية. ولمّا أصاب التأخر الانكشارية فقد أفرادها روحَهم القديمة وخرجوا من الثكنات، وأسّسوا بيوتًا وعائلات، وألهتهم التجارة عن الحروب حتّى صاروا- وهم حماةُ السّلطنة- إلى التمرد عليها.
وصلَ التّدهور بالإنكشارية إلى أنّ أفرادها كانوا يرفضون الخروج للحرب أحيانًا، ويفرّون من جبهة القتال أحيانًا، ويعينون مَن يريدون في المناصب العليا في الدولة، ويطالبون برؤوس كبار رجال الدولة إذا خالفوهم. ولمّا كثر تمرّد الإنكشارية ودبّ فيهم الفساد، وأسس السلطان سليم الثالث جيشًا جديدًا؛ دعا الإنكشارية إلى الانخراط فيه، فرفضوا وتمرّدوا وعزلوا السلطان وقتلوه، ولمّا تولّى السّلطان محمود الثاني الحكمَ قام بإلغاء الإنكشارية وضرب ثكناتهم بالمدافع، وقضى عليهم في مذبحة شهيرة باسم «الواقعة الخيرية» عام 1825م.

(2) ذكر أحمد جمال باشا أحدُ أشهر الاتّحاديين في يومياته استحالة الاستغناء عن المدرسة الألمانية التي يتبنّى جميع أفكارها وعقائدها. وفي منتصف عام 1909 طلب أحد أشهر العسكريّين والمتأثرين بالمدرسة الألمانية عزت باشا من الحكومة استدعاء فون دير جولتس سريعًا للإشراف على القوات العثمانية. هذه الرؤية دفعت النّخب العسكرية وعلى رأسها الصدر الأعظم العسكري الشهير محمود باشا بطلب رسمي إلى ألمانيا بإرسال بعثة عسكرية كبيرة تقوم بإعادة تأهيل الجيش العثماني. انظر، محمد العوض: التواجد العسكري الألماني في الجيش العثماني خلال الحرب العالمية الأولى، مقال منشور في موقع (التاريخ السوري المعاصر).

وجدنا في الملفّات معلوماتٍ مفيدة، لكنّها ليست كافية، لكنها أضاءت لنا الطريق، وحتّى ذلك الوقت لم تكُن لدينا معلومات عن روسيا.

يجبُ عدمُ السّماح إطلاقًا لفئة العسكر بالاقتراب من شيء اسمه السياسة:

وفي تلك الأثناء وصل مصطفى صبحي[1] وأربعة عشر من أصدقائه من روسيا إلى قارص قادمين إلى تركيا، حيث يقُومون بالدّعاية للشيوعية، أعطاهم الروس المالَ والمجوهَرات، وكنّا نرى أن ردّ فِعل دعاية هذه المجموعة قد انعكس على الشّعب التركي انعكاسا جيدًا، إذْ أن الشّعب ثار ضدّهم وضدّ دعايتهم الشيوعية، ثمّ أمسكَ قرابكير بزمام عقله، وأنقذ الجيشَ من الاختلال، أمّا دلي حامد فقدْ كان ضدّ البلشفية وعدوًّا مدهِشًا للشيوعية.

شيوعي لكنّي أفدتُ منه:

كنتُ أعرف مصطفى صبحي من استانبول، قال لي هذا الشخص: «إنّ الروس سيوقّعون معك المعاهَدة، إنّي أعرف هذا من أقرب المصادر الرُّوسية»، أسعدني هذا، لا بدّ للدبلوماسي إذا أقدمَ على عمل ما من الاستعلامات وجميع المعلومات، إن هذا حجرُ الأساس في النجاح، ينطبق هذا الكلام على العسكرية أيضًا، وكنتُ أهتمّ بهذا جدًّا.

(1) مصطفى صبحي (1883-1921م): تخرج من كلية الحقوق جامعة استانبول، ودرس العلوم السياسية في السّوربون، درس في معهد تدريب المعلمين، نفته لجنة الاتحاد والترقي إلى سينوب بسبب ميوله اللّيبرالية، هرب إلى روسيا عام 1914، وبعد الثورة البلشفية 1917 عمل على نشر الشّيوعية بين أسرى الحرب الأتراك في روسيا، حضر المؤتمر الشيوعي الأول 1919، وأسّس الحزب الشيوعي التركي في باكو عام 1920، أغرقه القوميون في البحر في طرابزون سنة 1921. انظر، إريك زوركر: تاريخ تركيا الحديث، ص 523

ابتداءً من قارص وأنا أستخبرُ عن روسيا وأجمع المعلومات عنها، وليس لَدَينا في أنقرة أيّة معلوماتٍ عن الرُّوس، كما أنّه ليس لدى الحكومة التركية أيُّ ملفٍّ عن روسيا، وعندما خرجتُ من أنقرة في طريقي إلى روسيا كنتُ -ومَن معي- فارغي الأذهان تمامًا، صِفر الأيادي من المعلومات، حتّى رئاسة الوزراء لم تصدِر لنا أيّة تعليمات بخصوص مهمّتنا في روسيا.

ذهبَ صبحي ورفاقه، وكان النّاس يستقبلونهم من أرضروم إلى طرابزون، وفي كلّ مرحلةٍ بالبصْق في وجوههم، وسبِّهم بأقبح السِّباب؛ لأنّ صبحي ورفاقه شيوعيون، إلى أنْ أخذهم بحّار بزورقه، وابتعدَ بهم في البحر، ثمّ أغرقهم بإلقائهم في اليم، وكان مع صبحي امرأةٌ روسية.

عِلم الروسُ بالأمر، فحاولوا كثيرًا معرفة هذا البحّار القاتل، لكنّني أنا أعرفه، فقدْ كان متسلّطًا على طرابزون، وكان رئيسًا لطائفة الصّيادين، وأصبح غنيًّا، وعندما عدتُ من روسيا أقام لي مأدبةً دعاني إليها، وبعد ذلك اغتاله قاتلٌ مجهول، وسبب قتله كان كالآتي: جاء أنور باشا إلى مدينة باطوم، فأقام له هذا البحّار المتسلّط حفلًا عظيمًا، وهتف والناس معه «يحيا أنور»، أمّا قاتل هذا البحّار المتسلّط فهو القائد العسكريّ لطرابزون، قتلَه بأمر من مصطفى كمال.

الروس يجعلون أعِزَّة المسلمين أذلَّة[1]

في طريقنا إلى موسكو:

وصلَ «ماديواني» إلى قارص قادمًا من موسكو، ماديواني شخصٌ ضخم سمين وجيل.. جورجي، أخوه أصبحَ جنرالًا منشفيكا وسفيرًا للحكومة الوطنية، أمّا ماديواني فهو بلشفي ويمثّل روسيا، وكان قادمًا من موسكو إلى أنقرة.

ماديواني أيضًا قال لي: «ستنجحون في عقد المعاهدة».

خبر طيِّب، ولكنْ أتصدّق؟، إنّ الدبلوماسية هكذا، مصيبة إذا تسرّع الإنسان في تصديق كلمة أو كلمتين!، والتصديق شيء لا بدّ له من الاستناد إلى عديد من الوثائق.

ينصحوننا بمراجعة ستالين نفسه:

سـألتُ هذا الرجل، قال لي شيئا مهمًا، قال: «إذا صادفتُم مشكلة فعليكم بمراجعة ستالين»، سألتُه عمّا إذا كان ستالين ميّالًا لعقدِ المعاهدة، وإذا أراد هذا فهل لديه القوة والنّفوذ لذلك؟ فقال: «إنّه يريد، وإذا أراد فعل»، فوضعتُ علامة كبيرة على هذا، ستالين أيضًا جورجي (من جورجيا)، وستالين في نظر ماديواني أخطر رجل في البلشفيّة، عندما سمعتُ أنا هذا لم

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 558، 1 ربيع الثاني 1402هـ الموافق 26 يناير 1982م.

يكُن أحد يعلم بعدُ أنّ ستالين ديكتاتور!!، وأنّه هو الذي يدير روسيا إلّا بعد ثلاث أو أربع سنوات حتى علمتْ الدنيا بهذا.

إنّ كلام صبحي ومادبواني القليل هذا أهمّ من كلّ الوثائق التي تُعدّ بالمئات والموجودة في ملفّات القيادة الشرقية التركية، معنى هذا أنّ المعاهدة ستحدُث.

السُنة والشيعة في تفليس:

وفي تفليس استقبلَنا أهلُها- وهُم أتراك-، ودعَونا إلى الجامع، وفي تفليس مفتيان: أحدُهما شيعي، والآخَر سُنّي، هؤلاء الأتراك الذين يتبعون المذهبية كانوا يأكلون بعضهم البعض طوالَ العصور، ولكنّهم هدءوا الآن، وأصبحوا أصدقاء، والحمد لله.

إنّ الرّوس إذا دخلوا تفليس أخربوها:

استقبلَنا الأهالي الأتراكُ مع المفتيَيْن، كلّهم معًا أهل السُّنة والشيعة، توجّهنا إلى جامع الشّيعة، الجامع في الدّاخل بجدران، وأعمدته مملوءة بالمرايا بدلًا من القيشاني، إنّه جامع شاه عباس، ألقى المفتي السُنّي خطابًا، اشتكى فيه من الرّوس، قال: «إنّ الرّوس إذا دخلوا تفليس أخربوها»، كان يتكلّم كلامًا جيلًا ومثيرًا للحماس، تكلّم نيابةً عن وفدِنا يوسف كمال بصفتِه رئيس الوفد، وأخذ يكيل الشتائم للروس.

انزعجتُ حيث أنّ وِجهتنا ومهمّتنا هي الذّهاب إلى روسيا لعقد معاهدة، ويبدو أنّ خطاب المفتي سيطرَ عليه، وبالتأكيد إنّ كلام المفتي هو كلام الحكومة الجورجية، وليسَ في استطاعته التحدُث بغيرِ ذلك، والجورجيون يريدون إفساد علاقتنا بالروس.

تداركتُ- خوفًا- شتائمَ المسلمين في الروس:

المهمّ.. خرجْنا من الجامع- أيْ جامع الشيعة-، وقلت ليوسف كمال: «ما هذا الغلط الذي ارتكبتَه؟».

وصلْنا بكلّ جماعتنا من سُنة وشيعة إلى جامع السنّيين، وهناك قام مفتي الشيعة أيضًا بإلقاء كلمة، ثمّ ألقيتُ أنا كلمة، قلتُ فيها: «إنّ الكلّ هنا من سُنة وشيعة يتحدَّثون اللّغة التركية، ولذا فهُم إخوة، وإنّ الحكومة الجورجية حكومة جيدة لأنّها تعطي الأتراكَ الفرصةَ للحفاظ على تراثهم، كما أنّ روسيا أيضًا جيدة لأنّها تعامل الأتراك فيها معاملةً طيبة».

وكنتُ في ذلك أريد أنْ أصلح ما أفسده يوسف كمال بالهجوم على روسيا، ونحن في الطّريق إليها نريد التفاوض معها، والحصول منها على مساعَدات مالية وعسكرية لنا في تركيا.

جواسيسُ الرّوس في جورجيا:

وعلى هذا أذكُر أنّنا عندما ذهبْنا إلى موسكو سألني شيشيرون ذات يوم قائلًا: «إنّ يوسف كمال كان يهاجم روسيا، لكنّك كنت في كلّ مرّة يهاجمنا فيه تعدِّل أقواله»، وإنّ هجوم شيشيرون علينا في أوائل أيام وجودنا في روسيا لعقد المعاهدة سببه حملة يوسف كمال على روسيا، وأخطاء أخرى بدرتْ من يوسف كمال، أيُّها الرجل إنّنا في حاجةٍ إلى روسيا نذهب إليها لتسوّل المال والسلاح، ومن المؤكّد أنّ جواسيس روسيا موجودون، فلماذا تتكلّم ضدّهم، والحقُّ أنّ هذا قلّة عقل.

لماذا فشل الذين سبقونا إلى روسيا في توقيع معاهدة معهم؟ لأنّ بكير سامي اهتمّ باستقلال الأستينيين.

في هذا الوقت، استولى الرّوس على كلّ مِن أذربيجان وأرمنستان، وجعلوهما بلشفيّين، وجاء الدّور على جورجيا، حتّى أنّ الجورجيّين شكُّوا كثيرًا جدًّا مِن جرَّاء ذهابنا إلى موسكو، ظنُّوا أنّنا سنعقِد اتفاقًا مع الرّوس، يقُوم الروس بمُقتضاه بالهجوم على بلادهم من الشمال الشرقي، ونحن نهاجم من الجنوب، وبذلك نستولي على جورجيا، وكانوا خائفين من هذا جدًّا، كانوا يلفُّون حولنا كثيرًا، لا يستطيعون معرفة شيء منّا، فكادوا يُجنُّون، كان واضحًا مدى اضطرابهم وقلقهم.

والجورجيّون أناس لا خبرة لهم، فليس للروس احتياج لنا للاستيلاء على جورجيا، وكان هذا توهُّمًا منهم، أمّا مصلحتنا في هذا حتّى بالفرض اشتراكنا معهم في هذا، فهل يترك لنا الرّوس أيّة قطعة ممّا استولوا عليها؟!.

قبلَ أن يبتلعَ الروسُ جورجيا:

الـرّوسُ كانوا قد رتّبوا للاستيلاء على جورجيا، وبالطّبع أرسلوا الجواسيس الكثيرين إلى جورجيا أولًا، للرّوس رجال كثيرون في جورجيا، وهذه حقيقة، كان على هؤلاء الجورجيّين أن يعلموها.

وزيرُ خارجية مصطفى كمال شيوعيّ مريض:

والغريبُ أنّ يوسف كمال كان شيوعيًّا، لكنّ الذي كان ينظر إليه وهو في قارص وأرضروم يجد أنه يتكلم وكأنّه بدأ يتخلّى عن الشّيوعية، إنّه يتشكّل حسب الجوّ الذي يوجد فيه!، يسايره بكلّ ما فيه!، وطبيعته هذه عجيبة، ولا توجد كلمة تركية لوصفه بها، لكنّي سأستخدم كلمة فرنسية في هذا الصدد: يوسف كمال بفطرته (إيريتابل) جدًّا، (إمبرسيونابل) جدًّا، (إمبولسيف) جدًّا، يتأثّر فجأة من حادثة أو كلمة، ليس له حظّ ممّا يسمّى المنطق والعقل، يكون كيفما يكُون تأثير الواقعية وإيمانها عليه.

كان رجُل الاتحاديّين المقرّب، في ذلك الوقت حدثت حادثة، فإذا به يمدح التمرُّد، ويذمّ الاتحاديّين أمام الجنود، ولذلك ظلّ منكوبًا سنوات طويلة، ونال جزاءه على هذا الموْقف، وقد تأثّر بكلام المفتي في الجامع، وفقدَ- فعلًا- عقله ومنطقَه، لا يمكن أن يكُون هذا الرجل دبلوماسيًا.

الرّوسُ يجعلون أعزّة المسلمين أذلّة:

سافرْنا من هنا ووصلْنا باكو، أقامتْ لنا حكومة أذربيجان مأدبة غاية في الجمال، كان الرّوس قد استولَوا على هذه البلاد، وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة.

كان في باكو رجلٌ تُركي مشهور من البترول، كان غنيًا جدًّا ومشهورًا، وكان ينفقُ أموالَه على الأتراك، يبني لهم بها المدارسَ والمستشفيات، وكان يصدِر لهم جريدة، ثمّ مات، وعندما جاء البلشفيّون استولَوا على كلّ أمواله وممتلكاته، ثمّ أسكنوا زوجته في بدروم بأسفل منزله!، وعندما حكوا لي قالوا: «نزُور بيتَ هذا الرجل، واسمه تقي».

وجدتُ بيته عظيمًا، يماثل جبهة ثكنة السليمية- في استانبول- ضخامةً، وأنزلوني في البدروم لأسلّم على زوجةِ هذا الرجل المحسِن، بدروم نزلنا إليه بالسلالم!، ووجدْناها في حجرة بها أثاث بسيط جدًّا، وقدّموها لي: «السيدة زوجة تقي»، إن في هذا لَعبرةً، كيف كان هؤلاء النّاس الكرام، وكيف أصبحوا في ظلّ الحُكم الروسي، اللّهم احفظنا من هذا البلاء، إنّ هذا دعاء في محلّه تمامًا.

قمتُ بجولة في دار المعلّمين في باكو، كانوا من قبل يأخُذون منّا المعلّمين ليدرّسوا بها، وكانت دار المعلمين متقدّمة جدًّا، وعندما جاء الروس واحتلّوا البلاد دمّروا هذه الدار، وفي باكو مسرح جميل.

أتاتورك دفعَ الروسَ لاحتلال «باكو» [1]

رئيس جمهورية أذربيجان الشيوعية يكره الشيوعية:

الحكومةُ الأذرية- نسبةً إلى أذربيجان- جمهورية شيوعية، حكومة مكوَّنة من الكوميسيرات، وعلى رأسها كوميسير اسمه دكتور نريمان نريمانوف، وهذا الرجل عاقل، علمُه غزير، كاتب، فقد كتب رواية بعنوان «الشاه إسماعيل»، وكتب الرواية والمسرحيّة والتمثيلية، وجدتُ أنّه رجل جيد، صرّحتُ له بثقتي فيه واعتمادي عليه، فاطمأنَّ قلبه وتكلّم.

فقال لي: «ما هذه البلشفيّة؟!، إنّ هذه الرذيلة لا تأتي إلينا، نحن أتراك وسنعيش بوطنيّتنا»، سرَّني جدًّا هذا الكلام، أحببتُه جدًّا، لكنّه يخاف من الرُّوس إلى درجة الهلع، له حقٌّ في هذا، الروس لا يعرفون الرحمة، سرعان ما يقتلون الإنسان.

وما حدث أنهم عزلوا هذا الرجل المسكين، وحبسوه بعد ذلك، مات مسكينًا، نريمان قدّم لي معلومات عن روسيا، وقال إن ستالين يُعَدُّ الحاكم بأمره هناك، وزير المعارف في أذربيجان كان عاملًا في المناجم!!، حجّارًا!!، وقوميسير الحربية رجُل الروس تمامًا، ولا يعترف بالحكومة أبدًا.

ذات يوم قال لي نريمان أنه سيقبَل الحروف اللاتينية ويطبّقها في كتابة اللغة التركية، كان مؤيّدًا لهذه الفِكرة، حدَّثتُه في ذلك ما يقرُب من ساعتين

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 559، 8 ربيع الثاني 1402هـ الموافق 2 فبراير 1982م.

لكي يصلحَ وجهة نظره، قلت له: «لستم أنتم الأتراك فقط، لهذا السبب لا تستطيعون عمل هذا، إن هذا لا يكُون إلّا بعقد مؤتمر عامٍّ، كما أن هذا الأمر شيء يريدُه الروس لبَذْر الفُرقة بين الأتراك»، اقتنع، تركَ فِكرتَه، وبهذا تأخَّرتْ عملية تبديل الحروف ثلاث أو أربع سنوات.

مصطفى كمال هو السبب في احتلال روسيا لأذربيجان المسلمة:

الآذريون يشتكون أمَرَّ الشكوى من شيء، عندما يتحدَّثون عنه يبكُون، كما أني كلما التقيتُ بأحد منهم ردَّد نفْس الشيء: «أنتم أوجدتمُونا، ثمّ قتلتموننا»، يوضِّحون هذا قائلين: «جاءنا الجيش التركي فيما مضى، وأعطانا استقلالنا، ثمّ قال لنا خليل باشا أن روسيا تريد أن تعبُر من بلادنا لتساعد تركيا في محنتها، وتركيا ترجُونا في هذا، خدعَنا، وأدخَلَ الروس إلى بلادنا دون دفاع منَّا، كان لَدَينا جيش، كنا سندافع عن بلادنا، لم يجعلْنا نفعل هذا، وهكذا دخلْنا تحت نيران الروس مرة أخرى.

إن هذا شيء مفجِع، إنها خيانة وطنية كبرى، جناية تاريخية وخيمة، لم أكُن أعرف هذا، تولَّتني الدهشة، إن الذي فعل هذا تُركي وأصلُه تركيا، ياله من وصمة عار في جبيننا، ربما لم يكُن الآذريون قادرين على صدِّ الروس، وربما كان وطنهم يستعمره الروس، لكنَّهم على الأقل كانوا سيحاربون ويؤدُّون واجبهم، ومَن يدري لعلَّهم كانوا سيوفَّقون ويحافظون على استقلالهم.

◄◄ حاولتُ أن أستجلي هذا الأمر وأعلَمَه، كانت المسألة كالآتي: -

مصطفى كمال يأمر الآذريين بعدم الدفاع عن بلادهم:

وصل الروس إلى (دميرخان شورى)، أرسلوا خليل باشا -عم أنور باشا- إلى باكو، كان لدى الآذريّين جيشهم وجنرالاتهم، اتخذوا وسائل الدفاع، اجتمع مجلس نوّابهم في جلسة غير اعتيادية، وصل خليل باشا إلى مجلس نوّاب أذربيجان وهو منعقد، قال لهم: «لا تدافِعوا، لم يأتِ الروس هنا ليبقوا، إنهم يرسلون جيشًا لمساعدة إخوانكم في تركيا، هذا الجيش سيعبُر من هنا مجرد عبور للوصول إلى تركيا»، كتب لي مصطفى كمال باشا بهذا، قال لي مصطفى كمال باشا: «عليكم أن لا تدافعوا».

حدثتْ مناقشات حادّة طويلة، وبعدها اتُّخذوا هذا القرار، مادام هذا الجيشُ الروسي لإخواننا في الأناضول «بتُركيا» فلْيعبُرْ من أراضينا، ولْنرضَ بالقضاء والقدر.

الروس يحتلُّون باكو:

حدَّثني بهذه الواقعة في جزء منها نوري باشا «في قارص»، نوري هذا هو أخو أنور باشا، بمجرد أن وصل أنور إلى مركز السلطة أنعم على نفسه، ثمّ أقاربه - والده وعمه وأخيه... إلخ- برُتبة الباشا، نعم نوري هذا رجل جاهل، لكنّه شريف ومعقول، يدير مصانع في قارص، لكنّ خليل باشا جاهل وشرِّير وعديم الشرف، وقليل الأدب وحقير، هل يصحُّ أن يصبح شخص بهذه الصفات جنرالًا؟!.

دفع خليل باشا بالروس إلى باكو عاصمة أذربيجان؛ إلّا أن نوري قام بمحاربة الروس في كنجه، وحسنًا فعل، لكنّه هُزِم، كان يشكُو لي عمَّه،

ومن جُملة ما قاله في هذا: «هذا الرجل الغبي الذي هو عمّي لا تدري مقدار عدم شرفه وسفالته!!، إنه خدع الأذريّين، وبذلك أصبح كمَن ربط أيديهم وأرجُلهم وسلَّمهم للروس».

امضِ يا زمن، تعال يا زمن، الزمن بعد معاهَدة لوزان، كنتُ قادمًا من أنقرة إلى إستانبول، جاءها أيضًا خليل باشا، طلب مني مكانًا في جناح النوّاب في القطار، قلت له «تفضّل»، لم يكُن أحد غيره، تمدّد كلّ منّا على أريكة، تكلَّمْنا كلمة من هنا وكلمة من هناك، وأخيرًا وصلْنا إلى هذه المسألة، قلتُ له: «إن الأذريين يلعنونك»، قال لي: «أووه، أنا لم أفعل هذا من تلقاء نفسي!، إن مصطفى كمال أمرني بهذا، وأنا نفَّذتُ»!!.

برقيات مصطفى كمال لمسلمي أذربيجان تؤدّي للاحتلال الروسي:

فغرتُ فاهي دهشةً، أرى صفحة من صفحات الواقعة، ولو أن الشعب الآذري هذا قال هذا؛ إلّا أنني لم أستطع وضع أدنى احتمال له بأن لمصطفى كمال دخلًا في هذا، لكن المتحدث الآن هو صاحب المسألة بذاته، قلت له: «لم يكُن هذا صحيحًا!»، قال: «بل صحيح»، قلتُ له: «إذًا بأيِّ شيء تثبتُ هذا؟»، قال: «إني أحتفظُ ببرقيّاته في هذا الصدد».

البلشفية لا تعني إلّا التبعية لموسكو:

يقابل هذه الواقعة تمامًا في أنقرة انتشار مسألة الجيش الأخضر ورغبة مصطفى كمال في إعلان تركيا دولة شيوعية، كان مصطفى كمال في ذلك الوقت على اتصال بكلٍّ من خليل وأمثاله، كما أنه كان على اتصال مباشر بالروس، والواقع أن اتصاله بخليل كان معلومًا لدى الحكومة التركية.

ولكن لم يكُن لَدينا أيُّ خبر على اتصالاته، يعني هذا أن مصطفى كمال هو الذي دفع الروس لاحتلال «باكو»، ما أفجع الخطر الذي نقِف عليه، والواقع أن مصطفى كمال قال لنا ذات مرة في مجلس الوزراء، إنه ليس هناك من حلٍّ آخر إلّا ضرورة استخدام جيش من روسيا، كان يطلق شائعة فظيعة بين الشعب تقول إن الجيش الأخضر قادم لمساعدتنا من روسيا، أمّا نحن الحكومة فقد قُلنا: «لتعطنا روسيا المال والسلاح، ولكن لا يمكن السماح لجندي روسي واحد بالدخول إلى أراضينا»، ومعنى هذا كله أن هذه المسألة مرتبطة ببعضها البعض.

لقد أخفى هذه الأمور على الحكومة إخفاءً تامًا، يعني هذا أن الفاعل الأصلي في الخيانة التي حلَّتْ بأذربيجان هو مصطفى كمال، ويكاد يقتل تُركيا معها، لو لم أقِف مانعًا إعلان البلشفية في تُركيا كانت الجيوش الروسية ستعبُر إلى الأناضول، وكان سيتم القضاء على تركيا مثلما قضوا على أذربيجان، ثمّ يدفنونها، والواقع أن البلشفية معناها التبعية إلى موسكو، وهذا ضروري، وهذا شرطهم الأساسي[1].

---

(1) كان البلاشفة نشيطين في دعم الكماليين بالسلاح والعتاد والقوات، فقد قامت عدة مدن في تركيا بتشكيل منظمات ثورية ذات تنظيم عالٍ، إضافة إلى أن 105 من أعضاء المجلس الوطني تعهّدوا بتعزيز البرامج البلشفية، واستطاع البلاشفة إقامة اتصال مع العناصر الساخطة في تركيا، وقامت- كما يذكر التقرير البريطاني- على نحوٍ سريع بتثبيت عميل لها في الأناضول، واتّخذت طابع الحملة الدّعائية المناصرة للدولة المهزومة (تركيا) وكانت محاولاتهم الأولى تنصبّ على خلق جوّ إسلامي شامل كطريق أوّلي للنفوذ إلى الداخل، ولهذا الغرض تمّ تأسيس (جمعية الموحّدين) التي كان هدفها تحقيق الاستقلال وتحرّر جميع بلاد المسلمين، وقد سيطرتْ جمعية الموحّدين على المجلس الوطني وعملت على استمالة غالبية أعضائها إلى المبادئ البلشفيّة، ونجحت في فرض الاتفاقية التركية السوفيتية على الحكومة الوطنية.

ورسالة الدّبلوماسي الروسي الشهير شيشرون والتقرير البريطاني يوضح رأي الخارجية السوفيتية بأنّ «الإسلام باعتباره قوّة ثورية، يشكّل خطرًا علينا رغم رغبته الواضحة في الانسجام مع الشّيوعية؛ حيث أنّه سيتعين علينا عاجلًا أم آجلًا الوقوفُ ضدّه».

حماقة مصطفى كمال كادت تؤدي لاحتلال روسيا لتركيا الولاي:

ومما عجز عنه قياصرة روسيا الاستيلاء على الأناضول بقوة المدافع والبنادق، كان سيمكنهم ذلك بحماقة مصطفى كمال وسفالته، وكانت روسيا بالشيوعية ستستولي على الأناضول بسهولة، الأمر هنا وخيم؛ لأنه يقوم بدور عميل مهم، هكذا دون إخبار الحكومة والمجلس به، وهاهي ذي مخابراته مع الروس، وستكون فيها أمور كهذه إذا لم يكن مصطفى كمال قد محاها من الوجود.

لا أدري إن كان خليل سيبرز هذه البرقية ذات يوم، ذلك لأن مصطفى كمال أخذ زوجة خليل إلى قصر «جانقايا»، أحضر خليل زوجته برقيا من إستانبول، وسلّمها له بيده في جانقايا، قال لزوجته وهو يسلّمها لمصطفى كمال: «دعي الباشا يقبّلك كأخت له»!!، قال مصطفى كمال: «ماذا يعني كأخت؟!، فلتكن قُبلة ككل القُبلات الطبيعية»!!!.

حدّثني بهذا أحد الذين حضروا هذه الواقعة، ومقابل هذا منح مصطفى كمال خليلًا إحسانًا سُلطانيًا قدْرُه ألف ليرة!!، وعيّنه عضوًا في باليا وقرا آيدين بمرتّب ممتاز!!، استمعتُ لتفسيرات تقديم خليل لزوجته إلى مصطفى كمال كثيرًا في أنقرة وفي إستانبول، كما استمعتُ لها من علي سلطانوف في باريس، وعلي سلطانوف آذري من أذربيجان كان في ذلك الوقت يحاول مع خليل في أنقرة للحصول على امتياز للبترول، وكان خليل ضيفًا عليه.

وكان البلاشفة قد وضعوا شروطًا للتعاون مع الوطنيين الأتراك (الكماليون) منها: قبول تركيا للمبادئ الشيوعية- إلغاء الطابع الملكي (نظام السلطنة)- إناطة الخلافة برئاسة الحكومة الشيوعية- إلغاء نظام الحجاب وضمان النفوذ الضروري للمرأة التركية...

انظر، فاروق صالح العمر: ثورة أكتوبر البلشفية وتأثيراتها في تركيا، ص 70-72.

سفارتنا في موسكو تتحوّل إلى بيت دعارة!![1]

ديّوث هذا الجنرال الذي أعطى زوجته لمصطفى كمال:

في منزله يقول علي سلطانوف: «يالَه مِن ديُّوث، يحضر زوجته برقيًّا!، ويأخُذها ويسلِّمها إلى جانقايا حيث يقيم مصطفى كمال، زوجته تقضي هناك ثلاثة أيام وثلاث ليال!!، وخليل نفسه يقيم عندي أثناء ذلك ضيفًا في بيتي!!».

بدء المفاوضات في موسكو:

وصلْنا موسكو، استُقبلنا بمفرزة عسكرية، وصلْنا إلى مبنى السفارة التركية، بناء غاية في الجمال مجهَّز بكل أساليب الراحة، حتى جهاز التكييف الشتوي، كان ملكًا لرجُل غني، استولتْ عليه الحكومة، وحوَّلتْه إلى سفارة تركية، أقام علي فؤاد هنا مع رجاله، وأقمْنا نحن في مبنى آخَر مع يوسف كمال ورجالنا، وهو مبنى بجانب السفارة إلّا أنه تابع لها، مجهَّز أيضًا بأساليب الراحة.

ذهبْنا للحكومة، وقُمْنا بالإجراءات المناسبة، اقترح الروس حضور مندوبين من روسيا وأذربيجان ومِن الأرمن إلى آخِره في اجتماعاتنا. رفضْنا، وقلنا: «إننا جئنا هنا لعقد معاهدة مع روسيا فقط»، وبعد محاوَلات قبِلوا رأينا، عيَّنوا المندوبين الرُّوس: شيشيرون وقراخان.

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 560، 15 ربيع الثاني 1402هـ الموافق 9 فبراير 1982م.

الواقع أن شيشيرون هو قوميسير الخارجية، إلّا أن قراخان أيضًا كان ذا نفوذ كبير، والعادة أن للخارجية اثنين من القوميسرات، إذا ذهب واحد منهم إلى مكان يقوم الآخَر بعمل قوميسير الخارجية، المعاهَدات كلها يقوم بها هذان الرجُلان، قراخان أرمني، اسمه اسم تركي، ولكن الأرمن يسمُّون كثيرًا أسماء تركية، ومعلوم أن مصير المحاولة الروسية لاقتطاع منطقة وان من تركيا وإعطائها للأرمن قد فشلتْ.

لذلك كنتُ خائفًا، لأن أحد مندوبي في المباحَثات أرمني، قلت ليوسف كمال: «لكي تُلغى مسألة وان من المباحَثات يجب علينا أولًا رفض قراخان»، قال لي يوسف كمال: «وكيف أقول هذا؟، إنه عمل وخيم العاقبة، وليس لي حق في التدخُّل في أمور الوفد المقابل».

والواقع أن هذا صحيح، كما أن قراخان شخصية ذات نفوذ قوي في المركز الشيوعي العام، اقتراح كهذا يمكن بالفعل أن يكُون وخيم العاقبة، لكن المسألة بالنسبة لنا أن المسألة الأرمنية أهم، قلت لشيشيرون: «نحن لم نأتِ هنا للتباحُث مع الأرمن، إنما جئنا لكي نتباحث مع الروس وروسيا، وقراخان أرمني، ولا نستطيع أن نقبَله عُضوًا في المفاوضات».

لم يعترض شيشيرون، كما أنه لم يقُل أي شيء، أبلَغونا بعد يومين أن مندوبي التفاوض معنا هُما: شيشيرون وجلال قورقمازوف (يعني قورقماز أوغلو)، الحمد لله، لأن هذه المسألة انتهتْ بيُسر، جلال قوموقي (يعني من قوم القوموق الذين يعيشون في روسيا)، اتضح لنا بعد ذلك أنه أرمني!!.

الاتحاديون في موسكو:

الدكتور إبراهيم طالع في موسكو، مَن أرسله؟، كيف جاء؟، لا أدري، في الغالب بكير سامي أتى به من أرضروم، هذا الرجُل دُرزي وافد من جبل لُبنان، يوجَد جماعة من الاتحاديين غير إبراهيم طالع هنا، في الغالب أن أنور باشا عندما هرب من تركيا عند بداية الهُدنة لحِق به بعضُ رجاله، جاؤوا هنا واجتمعوا حوله، عمه خليل هنا والبكباشي جواد، وهو ياوره مِن قديم.

سمعتُ أن جمال باشا أيضًا هنا، وكان ذاهبًا إلى أفغانستان مِن قبل، وكان معه ويمعيّته، تنفق عليهم حكومة روسيا؟، هذا سر!!، وقد علمتُ هذا السر من الروس أنفسِهم، وهؤلاء أصبحوا شيوعيين، وسيرسلونهم ذات يوم إلى تركيا مع قوة، وسيقلبون مصطفى كمال!. هذه هي الغاية، حتى أنهم أرادوا في فترة من الفترات أن يعطوا أنور فِرقة من الفِرسان، ويدفعونهم إلى الداخل من القوقاز، وأنور يعمل مع هؤلاء الناس الذين جمعهم حوله.

وصف اجتماعي لروسيا في بدء الثورة:

موسكو شديدة البرودة، عشرون درجة تحت الصفر وأقل!!، منعوا الفواحش، ولذلك لا يوجد بيت للدعارة واحد، ولا حتى خاص، لأنهم إذا قبضوا على مرتكِبي هذه الفاحشة أعدموهم، وما دامتْ الدعارة مصيرها الإعدام فلا داعي لها!، الخمر أيضًا ممنوعة، واضطرَّ الشعب الروسي والفلاحون الروس الذين اعتادوا على شُرب الفودكا إلى تركَها.

ولو أن الشعب كما قال لي شيشيرون يستحصلون الفودكا في منازلهم بواسطة المقاطر الخاصة؛ إلّا أنها فودكا مضرَّة وقاتلة، العمل الذي يتطلّب

موظفًا واحدًا أرى فيه خمسة أو عشرة موظفين، وشبّان صغار، السبب أن أغلب الموظفين موالون للقيصرية، فعزلتْهم الحكومة، وعيَّنتْ بدلًا منها هؤلاء الصغار الذين أفسدوا العمل الحكومي وقلبوا أعلاه أسفله!.

سفارتنا في موسكو تتحوَّل إلى بيت دعارة!!:

وفي وسط منع الفاحشة رسميًا، النساء لا يظهرْن في الشوارع، والرجال لا يفارقن زوجاتهم، وفي هذا الجو جاء توفيق رشدي، وهو يرتدي فوق رأسه غطاء الرأس البلشفي الأحمر، شكَونا له عدم وجود النساء، فقال: «ليس هنا في روسيا أسهل من هذا»!!.

وفي المساء جاء بامرأتين، فشربْنا وأكلْنا ونِمْنا!!، وتحوَّلتْ السفارة إلى بيت للدعارة!!، أهتِف لتوفيق رشدي، إنه أرضانا، وبيته في أنقرة بيت بغاء خاص به!، إنه وزير خارجية يعرف إدارة أموره جيدًا، إنه بهذه الطريقة يرضي مصطفى كمال، كما أنه يبدو وكأنه إله وزارة الخارجية!!.

لا يمكن مقابلة لينين والمندوب الروسي يذلُّنا:

ذهبْنا لأول جلسة من الجلسات للمعاهدة التي أتينا روسيا بشأنها، شيشيرون يتكلم بتعالٍ بالغ، يعنِّفنا وكأننا عبيد عنده!، بل ويهدِّدنا!!، شيشيرون ذكي، وهو إيطالي الأصل، ويقرأ جيدًا؛ حتى أنه قرأ شاعرَنا التركي باقي[1]!، دهشتُ عندما حدَّثني بهذا، لأن الأوروبيين بشكل عامٍّ

(1) باقي (1526-1600م): اسمه محمود عبد الباقي، وهو شاعر تركي عاش فيما بين 1526-1600م، هو من أكابر أدباء الدّيوان التركي، باقي الذي أطلق عليه لقب «سلطان الشّعراء» قد أحدث تجديدًا في شعر الديوان من ناحية الشكل والخيال، وهذا لأنه أعطى أهمية بالغة في أعماله

لا يصدِّقون أن لَدينا شُعراء، ولم نترجِم تُراثَ شاعر من شعرائنا إلى لغات أوربا، شيشيرون يعرف ثمان لغات!!، يعرفها مثلما يعرف لغته الأصلية!!.

أُصيب لينين بالشلل في ذلك الوقت، وكان مريضًا، لا يدخِلون عليه أحدًا، كما أنهم يخفُون مرضه عن الشعب، حاولْنا كثيرًا مقابَلة لينين. أبدَوا لنا معاذيرَ كثيرة تحُول دون ذلك، يقولون: «إنه مريض جدًّا، ولا يستطيع إجراء مقابلات»، وقد أخفَوا الحقيقة، كنتُ أرغب كثيرًا في مقابلة هذه الشّخصية البارزة، ولم يحدُث.

لنتحدَّثَ عن المباحَثات: شيشيرون يحتدُّ كثيرًا علينا، وكان يبدو وكأنّه يريد أنْ يضربَنا!!. وبعد أنْ تكلَّم كثيرًا ترك المباحَثات وخرج، وتولّى مكانه قورمازوف، قال لنا هذا: «انتصارُكم على الأرمن يُعتبر استعمارًا، ودولة استعمارية كيف تأتي لعقد معاهدةٍ مثل هذه؟!، إنّ المظالم التي قُمتم بها ضدَّ الأرمن، وكذلك المذابح التي دبَّرتموها لهم فتحتِ الجروح في قلوب مسلمي روسيا، جعلتْنا نئنُّ، ثمّ ماذا يهمُّكم في قارص وأردهان!؟، النّاس هناك ليسوا أتراكًا، إنهم تتار».

انظرْ إلى هذا الكلام الغريبِ العجيب!، عمِلنا اللازمَ لإبعاد قراخان عن المباحَثات من أجْل هذه المسألة الأرمنيّة، ثمّ يأتي هذا ويكُون أهمّ ما يتكلَّم فيه هو الأرمن!، بالطّبع أنّ شيشيرون هو الذي وجّهه لهذا، نفِدَ صبري، اصفرّ وجهي وتغيَّر، رآني زملائي الأتراكُ في المباحثات بهذا الشّكل، فلكزني كلّ منهم برُكبته حتى أنجو.

لفنون البديع والبيان، فلقد اختار كلّ كلمة بعناية بالغة، وكان شعرُه محكم السبك صحيحَ اللّغة، فلقد اكتسبت تركية استانبول أجمل نماذجها بأشعاره التي دبجها، وأهمّ وأشهر أشعاره في أدب الديوان المرثية التي كتبها في السّلطان سليمان القانوني. Ansiklopedik sozluk Bk.

لكنْ ينبغي توجيهُ درسٍ قاسٍ لهذا الشخص الذي يتكلّم كلامًا غير علمي، تكلمتُ وقلتُ: «إنّ المظالم والمذابح التي تتحدَّث عنها ليست صحيحة، ثمّ إن قلبك لم يتأثّر بما أنزله الأرمنُ بمسلمي تركيا ونخجوان وقراباغ وقارص وباطوم، إنك تفرّق بين الأتراك والتتار، وتستثني مسلمي القوقاز، أنا أعلمُ منك بالتّاريخ، فليس هناك فرق بين التّرك والتّتار، وهذه الأماكن التي تتحدَّث عنها مِلكُنا، وشعبُها شعبنا، وكان الاستعمارُ الروسي القيصري قد أخذها منّا عنوة قبل ستين أو سبعين سنة، ولا بدّ من إعادتها لنا، وخروجُ هذا الكلام مِن فم تُركيٍّ وسماعُه أمرٌ قبيح وثقيل».

يُنافقونَ الشّيوعية! [1]

ذئابُ البحرِ والذّخيرةُ من روسيا لتركيا:

أثَّر هذا الكلامُ تأثيرًا شديدًا على قوريازوف؛ فأغلق فمه، ولم يُحِرْ جوابًا، بل لم يقلْ شيئًا، وبدا خجُولًا، ولم يلفظْ هذا الرجل طوال المباحَثات، ولا مرّة واحدة، وانتهتِ الجلسة، وقال لي يوسف كمال وهو يرتعد: «ألم أقُل لك إنّ الروس لا يمكن التعاقد معهم؟، ليس أمامنا إلّا أنْ نهرب من هنا».

كان أوّل عملٍ لا بدّ أن نعمله بمجرّد دخولنا موسكو هو تدبير الذخيرة، وإيصالها بسرعة إلى جبهتنا الغربية؛ لأنّ اليونانيّين لو قاموا بهجوم لن يجد رجالُنا الذخيرة معهم، في شيفاستبول خمسةُ ملايين فشنك ماوزر، تمّ الحصول عليها بهمّة علي فؤاد، وعن طريق المهرِّبين الأتراك تمّ توصيل هذه الذخيرة في ظرف ساعة إلى أوّل نهر صقاريا.

ومِن هناك حملتْها النساء والرجال والجـدّات الفلاحات للجبهة، المهرِّبون موجودون على طول السّاحل؛ من ريزة حتّى كيراسون، وهؤلاء ذئاب البحر، عندهم زوارق صغيرة اسمُها «طاقة»، يضعون عليها شراعًا ضخمًا، وقد هرَّبوا لنا الذخيرة أثناء الحركة الوطنيّة، وفرُّوا بها بين المدرَّعات الأوروبّية لدول الحلفاء الموجودة، وقد أدّوا بذلك خدمةً وطنية جليلة.

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 561، 22 ربيع الثاني 1402هـ الموافق 16 فبراير 1982م.

وصلتْ هذه الذّخيرة في وقتها إلى ميدان المعركة، وبعد وصولها بيومين قام اليونانيّون بهجومهم، وحدثتْ معركة «إينونو» الأولى، ولو سألوني «مَن صاحب الفضل في هذا الانتصار؟» لقلتُ «علي فؤاد»، فلو لم تكُن الذّخيرة وصلتْ إلى رجالنا لَاستطاع اليونانيّون بالبنادق على أكتافهم أن يصِلوا إلى أيّة منطقة يريدونها من بلادنا.

تحرّك الجيشُ اليوناني، وكلٌّ مِن مصطفى وعصمت مشغولان بالقضاء على أدهم!، هجمَ اليونانيون في 6 كانون الثاني عام 1337 في جبهة واحدة مساحتُها مائتا كيلو مترٍ من إزنق إلى كديز، بقوة بنادق تبلُغ ستة آلاف أو ثمانية آلاف، وإنها لَبركة كبيرة، إنّ هؤلاء اليونانيّين الأغبياء جاءوا بقوّة ضعيفة جدًّا. ذخيرتنا أسعفتْنا، القائد هو عصمت، وأصبح عصمت قائدًا مظفّرًا لأوّل مرّةٍ بعد أن أمضى حياته العسكرية كلّها حتى الآن في هزائم منكَرة!.

ستالين، الرجُل الأوحدُ في روسيا:

لمّا تعثّرتِ المباحَثات قلتُ: «نريد مقابَلة ستالين، سنتحدّث معه هو»، ستالين يُقيم في قصر الكرملين، أعطى لنا موعدًا، ذهبْنا ثلاثتُنا؛ علي فؤاد، وأنا، ويوسف كمال، القصر في قلعة، في جانب منها نهر موسكو، دخلْنا من باب لنخرُج من باب، ومِن منفذٍ لمنفذ، ووصلْنا إلى غرفة ستالين، الواضح أنّنا نذهب لمقابلة شخص يلفّ حياته بالغموض كثيرًا، جلسْنا، وتحدّثتُ، اتّفقْنا على كلّ شيء خلال ساعتين، ووافق على كلّ رغباتنا، ولم يبقَ على تحقيق ما جئنا إليه إلّا كتابة المعاهَدة وتوقيعها، وعند خروجنا قلتُ ليوسف كمال: «ما كلّ هذا؟، ألم أقُل لك؟، قلتَ لنا إنّ الروس قوم لا يمكنُ التعاهُد معهم.

سنطلبُ نقودًا من ستالين:

حدثَ شيء طريف، سنطلب نقودًا من ستالين. قلت لزميليّ: «ثلاثون مليونًا»، قالا لي «نحن لنْ نطلب». قلت: «أنا أتكلّم، الطّالب شحّاذ!، ورافضُ بذلِ الإحسان شحّاذان!!، ما الذي يخجل في هذا؟، إنّنا نطلب النقود لأمّتنا، ولن أطلبه لشخص، سأطلب مقدارًا كبيرًا من النقود، فيعطونا أكثر ممّا كانوا سيعطون».

قلت: «إنّنا نحارب الإنكليز، إنّنا نقُوم بدور يقُوم به جيش لروسيا السوفيتية، ويلزمنا المالُ الكثير؛ حيث مصاريف الحرب مكلّفة، وإلّا فلن نستطيع الاستمرار في الحرب، واستمرارُنا معناه سقوطُ جزء من جبهتكم ضدّ المستعمرين».

وكانت هذه هي النّغمة السّائدة على ألسنة هؤلاء الناس، كلّ دَعْواهم الحركة ضدّ الاستعمار، إعلامُهم يقول هذا، وهذا هو الشيء الذي يمتدحون به، لكنّهم في الحقيقة هُم المستعمِرون رقمٌ واحد، ولكنّنا نبدو وكأنّنا لا نعرف هذه الحقيقة.

قال ستالين: «كم يلزمك من النّقود؟»، قلتُ: «ثلاثون مليونًا ذهب»، ضحك، يظن هذا الرّجُل غالبًا أنّني لا أعلم ماذا يعني الذّهب!. وقال: «ليس عندنا هذا القدْر من المال، وتدبيرُه أيضًا ليس ممكنًا، نستطيع تقديم نصفَ مليون»، أمّا أنا فقلتُ: «لا يكفي أبدًا»، ومِن هنا وهناك استطعْنا الاتّفاق على مليون ذهب.

قلتُ لستالين: «إنّنا سعداء بك»

قلتُ لستالين: «إنّنا سعداء بك، فلولاك ما كانت هذه المعاهَدة، وكنا سنرجع بلا وِفاق، معنى هذا أنّ هذه المعاهَدة وفضلها يرجعُ لك أنت». كان المندوب الرسمي هو شيشيرون، لو كان تحرَّك مثلما تحرَّك معنا من قبلُ؛ ضربتُ على الوتر الحسَّاس، اتّخذ ستالين طورًا يُوحي بالاعتزاز، وقال: «أنا آمره الآن، وهو يعمل المعاهَدة على هذا الأساس»[1].

كان معنى هذا الكلام كبيرًا، معنى هذا أنّ ستالين كلّ شيء، فمن جهة نعمل المعاهدة، ومن جهة أخرى حصلْنا على مساعدة مالية، كما أنّنا رأيْنا حال روسيا البلشفيّة بأعيُننا.

ستالين جميل المحيًا، طويلُ القامة، عيناه تشعَّان ذكاءً، ويعطي الإحساس في تصرّفاته وأحاديثه بالذّكاء البالغ، والحاصل أنّ ستالين ترك فيَّ تأثيرًا عجيبًا، معنى هذا أنّ ما قاله لي ماديواني ونحن في قارص صحيحٌ. قال: «إذا تعقّدتْ أعمالكم فاتّصِلوا بستالين، وهو يُنجزُها فورًا». وكلامُه هذا صحيح كلّ الصحة، نحن سعداء، تحلّ الأعمال دائمًا هكذا؛ بالأحاديث الخاصة.

حصلْنا على إذنٍ بزيارة قرابيان، وهو قصرٌ مشهور لدى القياصرة في

(1) وبنود الاتفاقية التي وقّع عليها البلاشفة مع مصطفى كمال فقد جاءت في 12 نقطة، منها: تقوم الحكومة السوفيتية بإعلان الحرب مع حكومة مصطفى كمال ضدّ الإمبريالية الخارجية- وضع مخزن الذخائر في (طولا) في خدمة مصطفى كمال- اعتراف الحكومة السوفيتية باستقلال تركيا- اعتراف الحكومة السوفيتية باستقلال سوريا والجزيرة العربية- تسليم كردستان ولورستان ومقاطعة باطوم إلى أرمينيا التركية- ستكون الحكومة السوفيتية بمثابة الوسيط في قضية الحدود التركية/ الإيرانية/ الأرمنية- يبقى الحلّ المحدّد لقضية الدردنيل مع المؤتمر الخاصّ بدول البحر الأسود...

انظر، فاروق صالح العمر: ثورة أكتوبر البلشفية وتأثيراتها في تركيا، ص 73-74.

داخل قلعة مربّعة الشّكل، ممّا يلفتُ النظر أنّ في داخلها كثيرًا من الكنائس، ففي كلّ خطوة كنيسة، شيء غير موجود في أيّ مكان في العالَم إلّا هنا، وكلّها قطع معمارية أصيلة، القِباب عليها نقوش، وفي أعلى القباب هلال، وفي وسط الهلال صليب، ومعنى هذا أنّ الصليب يأخُذ الهلال تحت قدمه، ولهذا بُنِيَ على هذه الشاكلة.

والواقع أنّ المدينة كلّها هكذا، في كلّ خُطوتين كنيسة، ورأينا أماكِن كثيرة الكنيسة فيها ملاصِقة للأخرى، وأمامها كنيسة، في الواقع أنّها مدينة الكنائس.

مدينة موسكو مدينةٌ ذات صِبغة خاصّة بكنائسها، طراز معماري متميّز، منازلها فريدةٌ من نوعها في العالَم، وليس في روسيا مدينة مِثلها على الأغلب، فمثلًا بتروجراد مدينة أوروبّية كلّها، وليس فيها من خصوصيات الروس شيء.

سندخُل من باب القلعة، وهو مستمرّ كالنفق، في جانبه في الداخل جنود صاحُوا بنا وأوقفونا، كانوا قد أعطَونا موظّفًا يرافقنا، انطلق هذا وجرى ناحية الجنود، وأبرز ورقة وتقدّمنا، وجدتُ أنّ هناك ترتيبًا دفاعيًا من المكان عظيم بالأسلاك الشائكة، تقدّمنا قليلًا، فإذا بخطٍّ دفاعيٍّ غيره.. وغيره، إلى أنِ انتهينا منها جميعًا، تنفّسنا الصعداء، والآن نتوجّه إلى القصر.

وبدأنا نرى أشياءَ مختلِفة، أصعَدونا إلى مكان في السطح، قال لنا الدليل الذي يرافقنا: «كانت النّساء الروس مثل نسائكم محجّبات، ولم يكُن أحدٌ يرى أوجُه سيدات القصر، وكانت تلك النّساء ينظرْنَ إلى موسكو مِن هنا فقط».

أنور يستخدمُ في برنامجه في روسيا كلماتٍ شيوعيةً للتُّقية:

حدَّثني أنور عن تشكيلاته، فقال: «أبدو للرّوس وكأنّي شيوعي، والحقيقة أني لستُ كذلك»، وأخذ يستطردُ في حديثه قائلًا بأنّه نظّم تشكيلاته في أماكن عدّة في نواحي خيوه، وبخارى، وطشقند، وفرغانة، أغلبُ هذه التشكيلات أقامها (سامي قوشجر باشي زاده) الذي سقط أسيرًا في يد الروس في الحرب العالمية الأولى. داخل في هذه التّشكيلات الضبّاط الأتراك الموجودون هناك، داخل فيها أيضًا الأتراك المحلّيون هناك. وستحدُث ثورة قريبًا هناك، وسيُعلَن الاستقلال، موجود مجموعة من برامج حزبيّة مطبوعة بهذا الصّدد، فيها كلمات شيوعية وُضعت في البرامج للتقية.

قال أنور لياوره جواد أنْ يعطِيَني بعضَ نُسخ منها، أحضرتُها معي إلى تركيا، ووضعتُها في مكتبي في سينوب، ثمّ أعدمتُ هذه النّسخ خوفًا من أن يدّعي مصطفى كمال- بعد واقعة باطوم- أنّي معهم فيتّخذها حُجّة عليّ، هذا هو حُكم قراقوش، لقد أحرقتُ وأعدمتُ كثيرًا من الوثائق خوفًا من مصطفى كمال!.

حادثة باطوم[1]

آه لو لمْ يعفُ أنور عن مصطفى كمال ذاتَ يوم:

ثمّ عاد أنور وتحدّث عن مصطفى كمال، واضح أنّه حاقد جدًّا عليه، قال لي: «عندما تعُود قل له إنّه كان يشتغل بالسّياسة يوميًّا، كان يريد أنْ يفسِد الجيش ويجعله يتمرّد، وكنتُ أعفو عنْه، وأخبروني ذات يوم- والحربُ العالمية الأولى في أشدّ أيامها ضراوة- أنّه يحرّض الجيش على التمرّد، استدعيتُه، قلت له: ألن تكُفَّ عن العمل في السّياسة؟!، السياسة لا تأتلف مع العسكرية، سأُحِيلك الآن إلى التقاعد أو سأطردك، ومعنى هذا أنّك انتهيتَ، أو تقسِم بشرفك أنّك لن تعمل بالسياسة مرّة أخرى، وإلّا فحياتُك في يدي، فأقسَم بشرفه وانكفأ على قدمي- يريدُ تقْبيلها- للتعبير عن اعترافه بالجميل، فعفوتُ عنه!».

إذا كان مصطفى كمال عديمَ الخُلق؛ فأنت- يا أنور- أيضًا كذلك!!، فذات يوم وكنتُم في جمعية الاتّحاد والترقي تعملون بالسياسة مع كونكم ضبّاطًا، أغرقتُم البلاد بهذا في المصائب وقضيتُم عليها، ثمّ إنّ ناظم باشا كان قد استدعى أنور عندما كان هذا ضابطًا، وقبل انقلاب الجمعية على

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 562، 29 ربيع الثاني 1402هـ الموافق 25 فبراير 1982م.

عبد الحميد، وقال له: «يا أنور، ابتعِدْ عن السّياسة»، وجعلَه يقسم أن يبتعدَ عنها، وعفا عنه، بل ورقّاه إلى درجة أرفع.

ثمّ ماذا حدث؟ استمرّ أنور في العمل بالسياسة!، ولم يمضِ شهر على هذا العفو عنه إلّا وكان الاتّحاديون قد هاجموا رئاسة الوزراء (الباب العالي)، وقتلوا ناظم باشا نفسَه!!، وإذا وقع أنور الآن في يد مصطفى كمال سيعمل معه نفس الشيء، يقتله، وبالطّبع لم أستطع أنْ أقول لأنور هذا الكلام!.

لكنّي تحدّثتُ معه عن مسألة التّنظيمات التي يعملها ومسألة الثورة التي يريد أنْ يحرّض على القيام بها، قلتُ له: «آه!، احذروا، لا تقيموا الثورة، هذا العمل كان من المُمكن أن يقامَ قبل عامٍ من الآن، الرّوس الآن قبضوا على أشكال الفساد الداخلي، وأنهوا الحرب الخارجية».

أيّها المسلمون، احْذروا من الثّورة على الروس الآن:

«أصبحتْ جيوشُهم تعرف عملها جيدًا، يقضُون عليكم، افرضوا أنّكم انتصرتم ثمّ انتهتْ ذخائركم، فمِن أين تجدونها؟، في الحرب التالية تنتهون، ثمّ إنّ الروس يقيمون المشانقَ للأتراك، يذبحونهم ويخرّبون بيوتهم، ويقبضون على ذرّيتهم، لا جدوى في هذا العمل ولا أمل، لا تفعلْ هذا، إنّني مُصرٌّ على ذلك، أرجوك رجاءًا كبيرًا لا تفعل هذا، انتظروا الوقتَ المناسب، فمِن المُحتمل أنْ تظهر فرصة في المستقبل».

أقنعتُه، أقرّ بصحّة كلامي، لكنّه لم يَعِدْ بعدم القيام بالثورة، ونفّذ ما يريده في هذا الخصوص بعد ذلك.

مصطفى كمال يتهمني بتحريض الألبانيين على الثورة:

وعندَ عودتي إلى أنقرة سلَّمتُ الأمانة التي حملها لي بتوصيلها إلى مصطفى كمال، وذلك عندما جلسْنا معًا نحنُ الاثنين في مطعم الأناضول، استمع مصطفى كمال إليَّ باهتمام ودقّة، احمرَّ وجهُه وغضب وتحوّلتْ إحدى عينيه إلى الشمال والأخرى إلى اليمين!!، ثمّ أخذَ ينظر إلى الأمام فقط، ولم يستطع النظر إلى وجهي، كما أنّه لم يرفضْ هذا الكلام.

ولمَّا انتهى كلامي وقفَ وانصرف، رأيتُ أنّه خجِل ولم يكُن يجب أن أعرف هذا، وأنا في الحقيقة قبلتُ أنْ أوصل هذا لمصطفى كمال بكلّ سرور لأضعَه على وجهه؛ ولذلك أخذَ في خطابه الرسمي يشنّع عليَّ قائلًا: «إنّ رضا نور كان يحرِّض الألبانيين على الثورة»، وأنور ماذا يقول؟، أنا حرَّضتُ بعض الأتراك في روسيا على الثورة على ظالميهم أيّام السّلم، أمّا مصطفى كمال- ورغم كونه ضابطًا- كان يحرِّض الجيش أثناءَ الحرب!، والجيش كان أمانةً في يده، أخذ يحرّضه على التمرد في ذلك الوقت العصيب، مِن أجْل وصوله- أيْ مصطفى كمال- إلى ما يبتغيه ويطمع فيه من منصبٍ وموقع، وقفْنا نحن ولم نوقّفه، ولمّا جاء الوقت لتأديبه جثى على رُكبتيه بِذلّة، ولذا تمّ العفو عنه.

حادثة باطوم:

في هذه الأثناء، كان خليل باشا- عمّ أنور- يريد الذهاب إلى طرابزون بحُجّة مرضِه، نصحه علي فؤاد بألّا يفعل، والذّهاب ليس طيّبًا، كما أنّ مصطفى كمال يمكِن أن يزعِجك، لكنّ خليل مُصِرٌّ، وأخيرًا قال له علي فؤاد: «إذًا على الأقلّ نكتب لأنقرة ونرى جوابها».

وافقَ خليل، ولكنْ لم يأتِ جواب من أنقرة، بعد عشرة أيام أو خمسة عشر يومًا إذا بخليل يسافر دونَ أن يقولَ لأحد، وفي الغالب كانت هذه المسألة مقدِّمة للتجمُّع الذي حصلَ في باطوم، وحركة العبور إلى طرابزون، وكانت هذه تحدُث بالاشتراك مع روسيا.

مصطفى كمال يصدِر أمرًا باحتلال جيشِنا بكلٍّ من باطوم وأردهان وأرادوين، ويقيم حفلًا في أنقرة على شرف الاستيلاء على باطوم، يصِل نبأ هذا الحفل إلى موسكو، أخبرنا الرّوس بهذا ونحن في موسكو، جيوشنا على وشك الالتحام مع الجيوش الرّوسية، والأهمّ في هذا الوقت بالنسبة لنا هو الحصول على معُونة من الروس؛ لمواجَهة اليونانيّين الذين يحتلُّون أراضينا في الأناضول، وانتهى الأمر بأن الجيوش الرّوسية ضيَّقت على جيشنا في باطوم، فاضطرَّ إلى تركها.

ولو أنّ مصطفى كمال يبرز في خطابه أنّ الاستيلاء على باطوم يُعتبَر انتصارًا له، فإنّ هذه حماقةٌ لأنّه انسحب منها بشكلٍ ذليل، وهذه واحدة من أخطائه أيضًا، دخل الجيشُ الرّوسي باطوم جبرًا، والحاصل أنّ العار لحِق بنا في مسألة باطوم هذه.

يقول مصطفى كمال في خطابه إنّنا أخلَينا باطوم بموجب معاهَدة موسكو، احتلالنا لها كان خطأً، ولا يقول إنّنا أُجبِرنا على الانسحاب، كم هو كذّاب هذا الرجُل!!، إنّه يكذِب علانيةً، لم تكُن معاهَدة موسكو في ذلك الوقت قد عُقدت بعد، إنّ سبب تخلية جيشِنا لباطوم هو بداية دخول الجيوش الروسية في صدام مع قواتنا، وهذا جنون، كاد يفسدُ عقد معاهدتنا مع موسكو، وقد أسهمتْ هذه المعاهدة بمنافع جليلة في ضمان

العون والمساعدة لهذه الدّولة، وكانت كلّ هذه الفوائد ستُمحى، ماذا كنّا سنعمل في ذلك الوقت؟!، لا أدري، وإنّي أعرف كم عانَينا في موسكو من الجري وراء توقيع هذه المعاهدة.

على كلّ حال، فقدْ خرجوا من باطوم، وفي هذا خيرٌ للروس ولنا، ولما زال هذا العائقُ استطعْنا أن نصِل لعملِ المعاهَدة، وها نحن ذا سنوقّعها، فكّر الروس تفكيرًا جيدًا، قالوا: «احتلالُ الإنكليز استانبول في 16 مارس، فلْتكُن معاهدة موسكو في نفس التّاريخ، فلْننتظرْ يومين اثنين ونوقّع المعاهدة في 16 مارس بالضبط»، وبذلك يكونُ قد مضى على احتلال الإنكليز لاستانبول عامٌ كامل، وافقْنا ونفّذْنا، ووقّعْنا معاهَدة موسكو.

سمِعنا ونحن في برتوجراد أنّ اليونانيّين قاموا بهُجوم جديد ضدّ قوّاتنا في الأناضول، وصلْنا موسكو، خبر أسود: هُزِمنا، يا للْكارثة!، وبعد عدّة أيام من هذه الفترة السيئة فهِمْنا أنّنا انتصرْنا، فسعِدنا كلنا وابتهجْنا.

ثمّ بعد ذلك ونحن في أنقرة علِمْنا أنّ الخبر الذي وصلَنا بهزيمتنا كان صحيحًا، كان اليونانيّون ارتكبوا خطأ بأن قدِموا إلى منطقة أينونو الأولى بقوّة أقلّ عددًا من قواتنا، وفي هذه المرّة- يعني في موقعة أينونو- وصلوا بقوّات مهمّة، واستمرّت الموقعة سبعة أو ثمانية أيّام، وظلّوا يهزموننا باستمرار.

يعترف مصطفى كمال بهذا في خطابه ص361، ثمّ يقول إنّ عصمت باشا قام في النّهاية بالهجوم وهزم العدو، عصمت باشا يرسل برقية يقول فيها: «ها هو ذا الموقف كما أراه من تلّ «متريس تبه»، العدوُّ ينسحب انسحابًا غير منتظم؛ نتيجة الهجوم الذي قامت به مجموعةُ الجناح الأيمن، ترك العدوّ ميدان القتال الذي ملأه بآلاف من قتلاه».

إنّه لَشيءٌ يثير الدّهشة!؛ إنّ جيشنا يظلُّ طيلة أسبوع في هزائم ينتصر ويبعثر بهجوم واحد- في ظرف خمس أو ستّ ساعات- جيشًا ظلّ منتصرًا منذ أسبوع!، استمعتُ لأقوال الضبّاط الذين كانوا موجودين أثناء الحرب، قالوا إنّ عصمت ظلّ ينهزم دومًا!.

وفي اليوم الأخير، وبعد أن ظنّ أنّه انهزم تمامًا، أصدر أمرًا بالانسحاب العامّ، مع أنّ العدو رغم انتصاراته التي أخذ يحرزها طيلةَ الأسبوع، ورغم أنّه صبّ نيرانَه من عدّة مواقع إلّا أنّه لم يُبِدها تمامًا، ولمّا وجد أنّه لن يستطيع إبادتها تعِب ومَلّ وخاف، وبدأ في العودة؛ ولذلك كان الموقفُ هكذا، عصمت ينسحب بقوّاته، والعدوّ ينسحب!.

مصطفى كمال ساديّ[1]

قادةُ الثّورة الشيوعية يشربون الشّمبانيا وشعبُهم جائع:

أثارَ انتباهي شيء، وهو وجودُ بيانو في كلّ مكان!، كما توجد زجاجات الشمبانيا الخالية مُلقاةً من النّوافذ!، والذي يقيم في هذا القصر هُم القومسيرات وأعضاء اللجنة المركزيّة للشيوعية، والحاصل أنّ قادة البلشفيّين يقيمون في هذا القصر، ومعنى هذا أنّهم يأكلون ويشربون، ويتناولون الخمور، ويشربون الشمبانيا، ويعزفون، أيُّ شيوعية هذه؟!، أهذا مبدأهم؟!.

الشّعب جائعٌ حقيقة!، جائع بكلّ معنى الكلمة!، وفي ذات الوقت يعيش هؤلاء القادة في عالَمهم هذا!، وأيُّ عالَم يعيشونه؟!، ولكنْ كمْ كان جيدًا أنّي منعتُ مصطفى كمال من إعلان البلشفيّة في تركيا، عندما رأيتُ هذا تذكرتُ ذلك، ألْف شُكر لله، ألْف شُكر.

مصطفى كمال مُفرِط في ملذّات الفُحش عاجزٌ عن المعاشرة الزوجية:

كنّا نتحدّث أنا وعلي فؤاد ذاتَ مساء، كنّا نتحدّث عن الفُحش الذي يرتكبه مصطفى كمال، فقال: «ليس فيه ذكورة، عندما كنّا في سلانيك كنّا نذهبُ لممارَسة هذه الأمور، وكان يحاول مع النّساء، لكنّه لم يكنْ يستطيع

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 563، 6 جمادى الأولى 1402هـ الموافق 2 مارس 1982م.

عمل شيء»!!، استدعى هذا الكلام حيرتي!، لم أكُنْ أعرف هذا!، ولم يسمعْ أحدٌ هذا في أنقرة، ولم أرغب في تصديقه، ذلك لأنّه مفرِط في ملذّات الفُحش.

هذا الكلامُ سمعتُه بعدُ مِن زوجة أحدِ البكباشية، كان مصطفى كمال على علاقة بها واستمرّ فيها، وكانت حكايتُها معه على كلّ لسان، مرضتْ هذه المرأة فراجعتْني، سيدة جميلة جدًّا، جعلتُها تحكي مغامرتها مع مصطفى كمال، فقالت: «إنه كان مغرَمًا إلى أقصى حدّ بها، لكنّه لا يستطيع فعلَ شيء!!، لا ينْتصب!!!، يحاول ويدلّك!!!، ولا فائدة!!!، وأخيرًا ينْزِلُ في الخارج، كلّ ما يستطيعُه هو هذا!!!».

هذا الكلامُ يؤيّد قولَ علي فؤاد، ثمّ- وبينما الأمرُ هكذا- تزوّج مصطفى كمال من لطيفة هانم.

وكانت لطيفة صديقةً لزوجتي، شكتْ لها أنّ مصطفى كمال لا يستطيع أن يعاشرها كزوج!، وقالت لي زوجتي بالتّالي هذا الكلام!، اشتكتْ لطيفة هانم نفْس الشكوى لزوجة فتحي بك، وهي غالية هانم، سمعتُ هذا مِن فتحي، ومعنى ذلك أنّ كلام علي فؤاد صحيح، معنى هذا أنّ الرجُل مأبون!!، وحاله هذه ملازِمة له منذ شبابه، ويمكِن إيضاحُ انهماكِه في الفُحش بصورة طبيعيّة أنّ الذين لا ينتصب عُضوهم منذ المولد إمّا أن يكُونوا مولودين حمقى، أو أنّهم أشخاص مختلّون عقليًا، والذين لا يستطيعون عملَ شيء مع النّساء يتهوّرون طالما أنّهم لا يفعلون، وعلى الأكثر يجْرُون وراء هذا العمل، ويصبحون مجانين به!، يعتدُون على كلّ امرأة، وتلتاثُ عقولهم، وهذا ما فعله هذا الرجُل طوالَ الستّ سنوات الأخيرة، لا يفرّق بين الشّريفة من غيرها، ولا يعرف الظّرف المناسب من غير المناسب.

مصطفى كمال ساديّ:

كمْ من مرّة أسقط نساءً شريفاتٍ، إمّا بالرّضا أو بخداعهنّ، واعتدى عليهن، هذا النوع من الرّجال لا يكتفي بهذا فقط، وإنّما دائماً يقعُون في الأقسام المرضية من الشهوة، فمثلاً يحتدُون على عفافِ الفتيات الصغيرات في عمر الثّامنة والعاشرة من عمرهنّ، وربّما أقلّ من هذا، وهذا ما يُسمّى في علم الأمراض باسم «السّاديّة»، والمُصاب به يسمّى «ساديّ»[1].

معاهدةٌ مع أفغانستان:

نعُود إلى المعاهدة، مازِلنا بصددِها، وفي هذه الأثناء كان في موسكو شخصية أفغانيّة تحُوز صلاحياتٍ واسعة، يسمّى «محمد ولي خان»، كان يقوم بعقد معاهدة مع الرّوس، والتقينا نحنُ به، فقلنا له: «تعالَ نعقد بيننا معاهدة»، قال: «اكتبوا أنتم المسوّدة ونحن نوقّع عليها»، ناس أصفياء، يجلُّونَنا ويحترموننا، ويخاطبوننا بـ (رجال الخليفة).

---

(1) السّادية: حالة مرضيّة نفسيّة، أخذت اسمها من المركيز دي ساد (1740-1814م)، وهو روائي وكاتب مقالٍ فرنسي اختلف النّاسُ حول شخصيّته. يرى بعض النّاس أنّ ساد كان رجلاً مخبولاً، وأنّ كتاباته كانت مشينة، بينما ينظرُ إليه الكثيرون على أنّه كاتب مُبدع في معظم كتاباته، ويتمتع بأسلوب وصفي بليغ. ولد دوناتيَن ألفونس فرانسوا ساد في باريس، وعمل إبان حرب السنوات السبع (1756-1763م) ضمن ضباط الخيالة. وفي حوالي العشرين من عمره ظهرت عليه علامات الاضطراب العقلي، واتهم بتورّطه في كثير من الفضائح الأخلاقية والأفعال المشينة التي اتّسمت بالقسوة. أمضى أغلب أعوامه من 1768م إلى 1803م في مصحة عقلية وفيها توفّي. حاول ساد في كتاباته أنْ يبرز الشّذوذ الجنسي والأفعال الإجرامية التي لا يقرّها عقل ولا دين باعتبارها جزءًا طبيعيًا من سلوك البشر. ومن اسمه أخذت كلمة «السّادية» وهي الاستمتاع بالقسوة.

انظر، الموسوعة العربية العالمية، النسخة الإلكترونية.

لم يوافقْ يوسف كمال على توقيع معاهدة مع الأفغان، ولكنّي أقنعتُه، ولكنّه لم يتدخّل في هذا إطلاقًا، كتبتُ أنا المعاهدةَ باللّغة التركية، ولا بدّ أن يكُون وجهٌ بالتركية والآخر بالفارسية، ولو أنّ للأفغان لغتهم؛ إلّا أنّ لغة الحكومة الرسمية هي الفارسية، ونحن لا نستطيع الترّجمة إلى الفارسية، وكان واحدٌ من الوفد الأفغان سوريًّا، يعرف قليلًا من التركية، لكنّها معرفة غير كافية.

زوجة الملِك أمان الله سُورية، معنى هذا أنّ المرأة أحضرتْ أقاربها هناك، حاولتُ أن أشرحَ لهذا السُّوري المسألةَ باللُّغة التركية، وحاول هذا الكتابة بالفارسية، قرأتُ ما كتبه، أكثر من النّصف غير مطابِق، لا أستطيع الكتابة والتحدُّث معه بالفارسية، لكنّي أفهم ثمانين بالمائة من الفارسية، أسعفتْني اللغة العربية في هذا الموقف، شرحتُ الفقراتِ المترجمة خطأً، شرحها لي باللغة العربية، فهِم وكتب بالفارسية، انتهتِ المسألة على خير، ووقّعت المعاهدة.

وهذه أوّلُ معاهدة أعقدها في حياتي، وثاني معاهدة في حياة تركيا الجديدة، وكانت الأولى معاهدة كومرو، وقد عقدها قرابكير.

أوْلَمَ الأفغانُ لنا وليمةً كبيرة، مائدة تتّسع لخمسين شخصًا، كان أنور باشا مدعُوًّا أيضًا، أتى وعلى رأسِه قلباق، جلس على السفرة دون أن يخلَع هذا القلباق من رأسه، كان الأفغان أنفسُهم جالسين على المائدة حاسري الرؤوس.

سألتُ بعضَ الجالسين: «لماذا لم يخلع القلباق؟»

قالوا: «إنّه شديد التديُّن، لا يخلعه».

كما أنّ في ذراعه تعويذة، وهذه لماذا؟

قالوا: «لأنّه يعتقد أنّ الرصاص لا ينفذ بها إلى جسده».

وهُم أيضًا يضعونَ تعويذات في أذرعهم، حتّى لا يؤثّر فيها السكين والرصاص.

الأفغانُ يحترمون أنور باشا لأنّه صهر الخليفة:

قدّم الأفغانيون أنور علينا، مع أنّه ليست له أيّة صفةٍ رسمية، ونحن وفد يحمل صفة الوكالة عن تركيا رسميًا، ثار يوسف كمال فاحتدّ وقال: «ما هذا الرجل؟، هؤلاء الناس لا يعرفون؟»، أمسكتُ به من ذراعه وهدأتُ مِن روْعه، إنّ الأفغان يحترمون أنور احترامًا عظيمًا، فهو صِهرُ الخليفة، وقد قام ببطولات عديدة.

حقيقة إنّ أنور من أسعد النّاس حظًّا، وصلتْ شهرتُه إلى كلّ العالَم، خاصةً العالَم الإسلامي، وقد رأيتُ ذلك أثناءَ مقامي بمصر، صورة أنور باشا موجودة في كلّ مكان، في كلّ بيوت الفلاحين وأهل الحضر أيضًا، وسمّى كثيرٌ من الناس هناك في مصر أبناءهم باسم أنور.

وصل إلى مؤتمر في «باكو» قبل وصولنا، واستُقبل استقبالًا عظيمًا، وكان الناس هناك يقبّلون الأرض التي وقف عليها، ويحدُث هذا أيضًا بعد أن ارتكب أخطاء كثيرة في الحرب العالمية الأولى، وهو أيضًا حالُه في ذلك حال العسكريين؛ الغرور والكِبر والخُيَلاء، لم يتنزّل أنور ليحيّينا، مع أنه يعرف يوسف كمال شخصيًّا.

هذه هي الرّوح التي أعطيتها للمعاهدة الأفغانية: نقول للإنكليز إننا وقّعنا مع الأفغان اتّفاق عدم اعتداء، الأفغان تابعونَ للخلافة، وبواسطة الأفغان نوجّه ضربة للهند، وإلّا فكُونوا معنا، وجمال باشا في أفغانستان يعمل، وكوّن

هناك جيشًا، والروس يساعدونه، والإنكليز حسّاسون جدًا من هذه الحركة التي في أفغانستان، معنى هذا أنّ الجانب العقلي من المسألة موجود.

الأوروبّيون لا يفهمون غيرَ لغةِ القوّة:

الإنكليز وكلّ الأوروبّيين لا يفهمون غيرَ هذا المنطق، يعطُون أهمية للقوّة والتهديد، ويقيسون الإنسان، ثمّ يكُونون ليّنين مع الإنسان فيعطونه شيئًا، وإذا وجدوا الإنسان لطيفًا معهم يطلب الإنصافَ والرّحمة ويتوسّل وما إلى ذلك؛ يسرُّون بذلك ويقولون: «إذًا هو عاجز»!، وسريعًا ما يركبونه ويأكلونه!، وضعتُ في هذه المعاهدة جملة يعترفُ الأفغانيون للأتراك أصحاب الخلافة، بالمثل والاقتداء، إلّا أنّ الملك وجد أنّ الجُملة منافيةً لاستقلاله، فطلب من أنقرة تعديلها، فعُدِّلتْ.

أنور يريدُ العودةَ إلى تركيا:

وفي روسيا قال لي أنور رغمَ عدائي له: «إنّ الوطن يحتاج اليوم كثيرًا!، أريد أن أعودَ لأقدِّم خدماتي، إلّا أنّ مصطفى كمال لا يريد السّماح لي بدخول البلاد، كيف يكون هذا الأمر؟!، لا أستطيع دخول وطني، أريد أنْ أخدم بلدي كجندي».

هذا الرّجل أحقُّ حقيقةً، انظر كيف يقول لي هذا، لم أستطعْ منعَ نفسي من محاولة الانتقام منه بلُطف وكياسة؛ قلتُ له: «لا تفزعْ يا باشا!، هذه هي الدّنيا، تحدُث فيها أشياء مثلَ هذا، ثمّ تزول، إنّكم أيام حُكم الاتّحاد الترقي نفيتُموني من الوطن، ولم أستطعْ دخول وطني مدّة ثمان سنوات، وعشتُ أجترُّ آلامَ الغربة والشوق للوطن، وقالت جمعيّتكم إنّي خائنٌ للوطن!،

ومع ذلك مضى كلّ هذا وانتهى، وعدتُ للبلاد، إنّكم وأنا هنا تعملون على تحرير الوطن الذي تركتموه في حالة انقراض واحتضار وذهبتم بعيدًا عنه!، وأنا هنا لكي أعقدَ لهذا الوطن معاهدة هامّة، وستمرّ فترة اغترابكم أيضًا، وتدخلون الوطن ذاتَ يوم».

أمّا داخل نفسي فكنتُ أقول: «أأنت الذي يرضى بأنْ يخدم بلاده كجندي عادي؟!!»، إنّه سرعان ما يقوم بمؤامرة، ويطيح بمصطفى كمال، ويحتلّ مكانه.

قوّادنا العسكريّون فاشلون[1]

ضابطٌ تسبّب في نصر الجيش فعتّم عليه عصمت:

أيضًا في تلك الأثناء، شاهد أحدُ الضبّاط الترك من الصفّ الأوّل قواتِ اليونان وهي تتراجع، ولمّا تلقّى هذا الضابط الأمر بالانسحاب أرسل أحدَ رجاله جاريًا ليقول للقائد عصمت: «اسحب أمرَ الانسحاب، والقوات التي سحبتَها ادفعْ بها إلى الأمام، العدوّ يتراجع من تلقاء نفسه».

هذا ما حدث، وبالتّالي أصبح النصرُ في صفّنا، ولو كانت هذه الحادثة حدثت في أيّ جيش من الجيوش لَترقّى هذا الضّابط عدّة مرّات، ولَكانوا يقدّمون له المال والمكافآت، ولأقاموا له التّماثيل، لكن حتّى اسمه لا يعرفه أحدا!، ويحتمل أن يكون عصمت قد عتّم على هذا الضّابط؛ حتّى لا يسمع به أحد، يجب أن نكشف عن هُويّة هذا الضابط، ونخلّد ذكراه.

النّصر لصاحب الأعصاب الأقوى:

ها هو ضابطٌ ينقذ هذا الموقف، لو لم يكُنْ هذا الضابط لاحظ هذا الانسحاب اليوناني لَانسحب جيشُنا، ولَلاحَظَ اليونانيّون ذلك، ولَعادوا مرة أخرى، وكانوا سيصبحون هُم المنتصرين، وعندما سألتُ أنا عصمت

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 564، 6 جمادى الأولى 1402هـ الموافق 2 مارس 1982م.

عن هذه المعركة، وكنّا متوجّهين إلى لوزان لعقد معاهدة لوزان مرزنا من منطقة الحرب.

وعندما سألتُ عصمت عن هذا النّصر، تغيّر وجهُه، وأطرق!!، ولم يكُن يريد أن يتكلّم، كان يفكّر، لكنْ كنتُ مُصرًا على سؤالي، وأخيرًا تراجعتُ عن السؤال في التّفصيلات، وسألتُه عن كيفية كسْب الحرب، فقال: «النصرُ لصاحب الأعصاب الأقوى، مَن يقاوم أكثرَ فالنصرُ له»، ثمّ سكتَ، ثم أضاف قائلًا: «أحيانًا يظنّ كلٌ مِن طرفَي المعركة أنّه انهزم، وينسحب، وأيّهما يرى هذا الوضع قبل الآخر، ويتّخذ لذلك الأمرَ وضعه؛ فهو الذي ينتصر».

كنتُ أعرف القصّة من قبل، والآن أسمعها منه هو شخصيًا تمامًا، فبهذا فقط انتصر، كانت نتيجة هذه الحرب عبارةً عن عودة العدوّ وعدم حصول العدو على أراضٍ جديدة، وعلى هذا النّصر رفع مصطفى كمال عصمت باشا إلى أعلى مكان، وأخذَ يكيل له المديح، وهذه موقعة إينونو الأولى لموقعة إينونو الثانية أخرى كان رأفت هو قائدَ القطار الجنوبي من الجبهة، وكان قد حقّق انتصارًا في موقعة دوملو بينار، وقد صفّق له مصطفى كمال، ثمّ قالوا له بعد ذلك: «لا، إنك هُزمتَ»، وعزلوه من القيادة.

وفي خطابه يقول مصطفى كمال عنه إنّه انهزم، ولا أدري هل هذا صحيح، أم أنّها مؤامراتُ عصمت يتخلّص من منافسه رأفت، ليخلُو له الجوُّ، بالتالي دبّر له أمر عزله، لكنّ المحقّق هو أنّ اليونانيّين تقدّموا نحو قونية، ثم انسحبوا، يجب على العسكر هناك أنْ يوضّحوا الأمر، غضب رأفت، وذهب إلى أجاويد، وأقام هناك، والمكانُ هناك مليء بالغابات وأشجار السّرو، ويقع على طريق إينه بولي- قسطموني.

ولكنْ كيف يذهب؟ ذهب إلى هناك كقائدٍ روماني مظفر، العسكر دومًا هكذا شيمتُهم الكِبرُ والخُيلاء، ذهب ومعه الياوران، وأركانُ الحرب، وفرقة حرس، وخُصصت له خيمةٌ ووسائل نقلٍ ومواصلات ومصاريف، وكلّها من خزانة الدولة، وعند وصولنا إلى أنقرة كانوا يتحدّثون في مجلس الأمّة عن هذه الفخفخة.

وزارةُ الدّفاع الوطني مزرعةٌ يملكُها العسكريّون:

إنَّ عسكريّينا يتصوَّرون أنّ وزارة الدّفاع الوطني مزرعتهم العامة، ويستعملونها على هذا الأساس، معنا في مجلس الوزراء بعضُهم يحضرون ومعهم مرافقوهم وياورانهم وحرّاسهم وعددٌ من الجنود، ولهم سياراتٌ عسكرية، ونحن وزراء أيضًا، ولكن ليس لديْنا مرافق (ياور) ولا غيره؛ بل ولا حتّى خادم عادي لأنّنا مدنيُّون، وإذا كانوا هُم في مواقع خطر فنحنُ- أيضًا- هكذا، وليس لَدَينا حرس، كثيرًا ما نتأخّر في مجلس الوزراء، نجُوع فنأكلُ الخبزَ والجُبنَ، وكم كان يحدُث أنّنا لا نجِد غير هذا فنبيتُ على الطّوى.

أصبحَ عصمت رئيسَ الوزراء بعد معاهَدة لوزان، فبنى فيللا، ووضع فيها كلّ وسائل الرّاحة؛ حتّى جهاز تكييف الهواء الشتوي، فكان العامل على هذا الجهاز جنديًا، والذي يرمي الفحمَ فيه جنديّ، والذي يقطع الخشبَ جنديّ، والخدم الآخَرون جنود، وعرباتُ النقل التي تحمل الفحم والخشب عربات عسكرية، هؤلاء الرجال هكذا، ومازالوا كذلك، جميعُ خدم مصطفى كمال حتّى الآن جنود، ومن الجيش لمصطفى كمال ثمانيَ عشْرةَ سيارة من أحدثِ وأفخم السّيارات، كلّ سائقي هذه السيارات جنود في الجيش.

بعد توقيع معاهدة موسكو، أخذْنا في الاستعداد للعودة، وفي موسكو قال لنا علي فؤاد أنْ نترك له مائةَ ألف ليرة من مجموع نصف مليون ذهب،

وقال إنّه سيحصُل على ذخيرةٍ من ألمانيا بهذا المبلغ، وقلنا له: «ليس معنا إشعار بهذا، ولذلك لن نعطيك»، فذهبَ إلى الرّوس دون أن يخبرنا بهذا، وأخذ منهم المبلغ.

قلتُ للروس: «لن نستطيع أنْ نوقِّع بأننا تسلَّمنا نصف مليون ليرة»، وأخيرًا سلَّمونا 400000 ليرة (أربعمائة ألف ليرة)، ووقَّع يوسف كمال على هذا المبلغ، ووضعوا النقودَ في صناديق، وحملوها في عربات القطار، وأعطونا مفرزة قوامها ثلاثون أو أربعون عسكريًا مسلَّحًا، ثمّ أخذْنا عددًا من المدافع والمتراليوزات، والبنادق والطلقات، والقنابل، وقد تمّ إرسال هذه من جهات مختلفة.

موقعةُ صقاريا:

يتحدَّث مصطفى كمال في خطابه- بدءًا من ص 337- عن معركة صقاريا مع اليونانيّين، وأنا كنتُ أثناءها في قلب الأحداث.

كنّا قد هُزمنا شرَّ هزيمة في جبهتَي اسكيشهر وأفيون، وقد بلغتْ الهزيمة حدًّا رهيبًا جعلتْ قوّتنا تتبعثرُ وهي تهرب، وقد ترك جنودُنا قطعان الماشية في ميدان المعركة، وقد استفاد اليونانيّون استفادة كبيرة من هذا الخطأ، وقد نفعتْهم هذه القطعان في الأكل كثيرًا، ولو لم تكُن هذه القطعان موجودة لَما استطاع اليونانيون البقاء في صقاريا عشرين يومًا.

وأنا أكتبُ هذه الحقائق التي رأيتُها وعشتُها وعرفتُها.

اقتنعْنا بكلام مصطفى كمال بأنّ اليونانيين لن يقُوموا بالهجوم، وبينما نحن على اعتقادِنا بأنّ المسألة قد انتهتْ على هذا إذا بانفجارٍ مفاجئ في أفيون، وقراحصار، وكان أقوى هجومٍ على أفيون وقراحصار حتى الآن، قام اليونانيون

بهجوم شديد كلّ الشدّة من هناك، إذًا فالحربُ أمرٌ واقع، واستشرتْ الحرب على طول الجبهة حتى الشّمال، وأقوى هجوم كان على جناحنا الأيسر، يعني من جانب كوتاهية، وفي حذائها إلى أفيون، وقراحصار، وسيد غازي.

صبّ اليونانيون نيرانَهم في البداية على العصابات المسلّحة التابعة لنا، ولم يرَوا حربًا حديثة نظاميّة في معركة إينونو الأولى، كان اليونانيّون قد حضروا بقوات قليلة، وفي إينونو الثّانية جاءوا بقوّات مساوية، وربّما كانت جنودنا هم الأكثر، لو كانوا استطاعوا الصبرَ عدّة ساعات أكثرَ لانتصروا، وفي هذه الحرب لم يظهر الجنود اليونانيّون أيّة دراية ولا دربة، لقد أثبتوا أنّهم يفتقدون الحماسة العسكرية، وأنهم عدُو تافهٌ، والآن قتلوا جنودًا بأعداد كبيرة، وهُم الآن يقُومون بحركة هامّة، وعلى رأسهم ملكهم.

يصرِّح مصطفى كمال في بيانه أنّه لم يكُن يملك أيّة معلومات لا هو ولا قائدنا عصمت عن الجيش اليوناني، معنى هذا أنّهما كانا في غفلة تامة!!، كما أنّ هذا يدلّ على أنّهما لم يفهما في الأصل الحركة التي بدأتْ في الجيش اليوناني.

قوّادنا عسكريّون فاشلون:

صحيحٌ أنّ عصمت هو القائد، لكنّه لا يخطو خطوة بخلاف رأي وأمر مصطفى كمال!، كان القائدُ اسمًا هو عصمت، ولكنّ القائد غير الشرعي هو مصطفى كمال.

والخلاصةُ أنّ العدو استطاع بنجاح أنْ يخدعنا، وأخيرًا كان الانسحاب أمرًا محتومًا على جناحنا الشّمالي، طلب القادة الجُدد المدد من عصمت، يرفض عصمت ويقول: «إنّ العدو في مظاهرة بالقوّة فقط في هذه المنطقة– أيْ في

جناحنا الشمالي-، ولن أرسِلَ جنديًا واحدًا»، ولم يرسلْ بالفعل، رغم أنّ القادة المذكورين يتمزّقون بعد أن دافعوا بشجاعة وجنون.

وأخيرًا، يقُوم عصمت بهجوم مقابل من اسكيشهر، ويقولون إنْ كان هذا خطأً كبيرًا، المهمّ وأخيرًا فطِن قائدُنا للمسألة، فتراجَع عن ذلك بسُرعة، وأمر بانسحاب عامٍّ، ولو لم يكُن أصدر هذا الأمر لانتهى الجيشُ، والجنود يهربون، والذين منهم من أهالي المنطقة التي يقع فيها الحرب يتّجهون إلى قراهم.

مصطفى كمال يسمّي هذا رجعةً وانسحابًا (ص 377)، إنّها هزيمة نكراء، يُبدي في ذلك الأسباب، وكلّها كذب، هذا الرجل لا يخجل أبدًا!، كلّ صفحات هذا الرجل على الإطلاق كذب!.

نزلَ علينا هذا الخبر في أنقرة كالصّاعقة، الأمّة والدولة تغرق تارةً أخرى، قرّر كلّ من مصطفى كمال وفوزي نقل الجيش إلى ما خلف (يشيل إيرماق)، هرب مصطفى كمال من الجبهة، ووصل إلى أنقرة.

وكان كالقطّة لا يتكلّم!!، لا يكذب مِثلما يفعل في كلّ وقت، ينبغي الآن فورًا تقديم كليْهما للمحاكمة، لكنّنا في حاجةٍ للعسكر مهما كانوا جيّدين أو سيّئين.

أصبحتْ أنقرة كيوم الحشر، كان أوّلُ مَن هرب إلى قيصرية- خوفًا من العدو- هو حمد الله صبحي[1] وزيرَ المعارف، ومعه يوسف نادي الحمد الله، وإن كان ثمانية أو عشرة من النوّاب قد هربوا!؛ إلّا أنّ أحدًا غيرهم لم يهرب،

(1) حمدالله صبحي: ولد في استانبول عام 1885م، انتخب عضوًا في البرلمان، ووزيرًا للمعارف عام 1920م، وتمّ تعيينه سفيرًا للجمهورية التركية في بوخارست عام 1931م، تبنى فكرَ القومية الطورانية، واشتهر بخطبه السياسية وكتاباته الأدبية، توفي في 10 يونيو 1966م.
انظر، سليمان الخراشي: كيف سقطت الدولة العثمانية، ص 62.

الحكومة والموظفون والضبّاط يرسلون عائلتهم إلى قيصرية خوفًا من مداهمة اليونانيين لأنقرة.

لا أرى الله أحدًا يومًا كهذا اليوم، حتّى أنّهم يقولون في الأمثال «ولا العدوى»، صحيح، مسئولية عصمت في هذه الحرب فظيعة جدًّا، ما فعله كان عملًا صبيانيًا.

لو كان هذا القائدُ في أمّة أخرى لأعدَموه فورًا، ولكنْ ليست عندنا مسألة تحميل المسئولية لأحد، خاصّةً أنّ المسئول من الذين يتملّقون مصطفى كمال، ومن الذين يجعلون أنفُسهم عبيدًا له، ففي هذه الحالة يكُون الخطأ صوابًا، والهزيمة نصرًا.

كنتُ قد قرأتُ قبل حوالي شهر مِن هذه الحرب في مجلّة (التايمز) مقالًا للجنرال الفرنسي دي ركروا، قال فيه: «سيقُوم اليونانيّون بهجوم كبير، وهُم الآن يستعدُّون له، ولكي يستطيعوا القيامَ بهجوم كبير كهذا؛ لا بدّ من تأمين الرجال، والسلاح، والمأكل، ونقلِ الذّخيرة، ولذلك فلا بدّ أن يقُوموا بالهجوم من منطقتي أفيون، ذلك لأنّ هناك خطّ سكّة حديد من أزمير إلى هناك، ولا يستطيعون القيام بهجومهم من مكان غير هذا».

ثمّ إنّه في أثناء تحقيقي في أنقاضِ الجيش الذي هرب إلى قاريه، وعندما عرفتُ الخطأ الذي ارتكبَه عصمت في إينونو من انتظار للحرب هناك، تذكّرتُ هذه المقالة، لو كانَ هؤلاء الناس قد قرأوا هذا المقال، ولو كانوا اتّخذوا منه درسًا، ولو كان عسكريٌّ فكّر قليلًا؛ لَعرفَ أنّ هجومًا كهذا لا يمكن أن يتمّ إلّا من أفيون، وهذا مثل ضرب اثنين في اثنين يساوي أربعة، وقد جهل رجالُنا حتّى هذا، أخجلوا أنفسهم، وأخجلونا معهم.

سيسحب هؤلاء السّادةُ القوّات، الجيش خلف (قيزيل إيرماق)، أي جيش!؟، لقد تفرّق وتبعثرَ جيش قوامُه مائة وعشرون ألفَ شخص، ولم يأتِ خلف صقاريا إلّا عشرون ألف شخص، ومعظَم السّلاح استولى عليه العدو. كان جنودنا يهربون هروبًا فظيعًا أثناءَ الهزيمة، والواقع أنّ مجموعة من الجنود كانوا يهربون حتّى قبل أن تبدأ الحرب، لا يجب أن نفخر كثيرًا، ونقول «بطلنا وأبطالنا»، وما إلى ذلك.

الجنودُ ملُّوا الحربَ، وكلّما تسنح لهم الفرصة يلقون سلاحَهم من أيديهم!، وقسم منهم كان يهرب بسلاحه، وقد تمَّ القضاءُ على هذه الظاهرة بعضَ الشيءِ عندما تشكّلتْ محاكم الاستقلال.

مصطفى كمال
يفكّر في الهرب من أنقرة!![1]

مصطفى كمال يفكّر في الهرب من أنقرة!!

نوّاب مجلس الأمّة في أنقره لا يدرُون شيئًا عن الموقف، كما أنّه ليس لدى مصطفى كمال أيّ خبرٍ يثلج الصّدر، إنّه مضطربٌ هو والحكومة في مسألة الفرار من أنقرة!، ليس لَدَيه شيء آخر يفكِّر فيه، أمر مصطفى كمال بجمع حاجاته الخاصّة.

كنّا نتحدّث أنا وبكير سامي وثلاثون من نوّاب المجلس، قالوا: «ماذا بك؟»

قلت: «ما هو الوضع؟، هل تعرفون؟»

قالوا: «لا»، كلّ تفكير مصطفى كمال انصبَّ في الهرب، والكلّ يعرف هذا، إذًا لا بدّ أنْ نعقد جلسة عاجلة للمجلس، شكّلوا لجنةَ تحقيق من الزملاء، وانتخبوني فيها، هيّا بسرعة، فالوقت فُرْصة، واليونانيون لا بدّ سيزحفون على أنقرة، وقلنا هذا، وتكوّنَتْ لجنة من 14 عضوًا.

أبلغْنا الحكومة بذلك، وكتبوا لعصمت بهذا، عصمت لا يريد استقبالَنا، حتى لا تظهر فضائحُه علانيةً، إنّه رجُل خبيث، أيُمكِن التفكير في شيء مِثل هذا اليوم، كلّ الذي يفكّر فيه ألّا تظهر فضائحُ قيادتِه أمام الجميع!، ثمّ كيف

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 565، 12 جمادى الأولى 1402هـ الموافق 16 أبريل 1982م.

يمنع نوّاب مجلس الأمّة؟!، عصمت يقول: «النوّاب والمدنيّون لا يتدخّلون في الأمور العسكرية، إن هذا يُعَدُّ شغبًا، إنّ هذا مغاير للنظام».

قلت: «إنّ هذا الرجل تسبّب في إبادة الجيش، ثمّ انظر ماذا يقول لنا، عزيزي، لماذا تضطربُ ونحن قادمون للتّحقيق؟!؛ نحن لم نحضر للجبهة لكي نأخذ القيادة منك، ولنْ نتعارك معك أمام الضبّاط والجنود، ولن نحرّض الجنود على التمرُّد، وهل هذا وقته؟!، إنّ الأمّة تريد أن تعرف الوضع والحال، أليس هذا من حقّها؟».

والنّتيجةُ أنّه اشتدَّ في رفضه لزيارتنا للجبهة للتّحقيق، وأصررْنا نحن، أخذْنا طريقنا إلى الجبهة، ولم يعترضْنا، لكنّه اختفى عن أعيُننا.

سببُ الهزيمة سوءُ القيادة وجهلُها:

زُرْنا الجبهة من أوّلها لآخِرها، نقُوم بجولتِنا، أتحدّث مع الضبّاط من مختلف الرُّتب؛ حتّى مع الأومباشية والجاويشية والجنود، أسحبهم إلى جانب ونتحدّث. أريد معلومات، حدّثونا عن الحرب، كلام الجميع متّفق، وكأنّ كلّ الجيش يتكلم بِلسانٍ واحد، يقولون: «لم يكُن عددُنا وعدّتنا وذخائرنا أقل مما لدى العدو، خاصّةً وأننا كنّا قد أخذْنا مواضعنا جيدًا، وخنادقُنا كانت ممتازة، وكان من المستحيل أن ننهزم، إن هزيمتَنا سببُها القيادة، سوء القيادة وجهلها، إنّا نريد قيادة حكيمة».

كانت هذه الجُملة الأخيرة خاصّةً وكأنّها جملة سرّ لدى الجميع، استمرُّوا في أقوالهم «نحتاج لقائد حكيم، وأعطُونا السّلاح والقوة القديمة التي في خط اسكيشهر وأفيون، وبالتّأكيد سنقضي على العدوّ هنا، هزيمتنا كانت

عبثًا، نحن لم ندخُل الحربَ حتى نُهزم».

عصمت ليس جديرًا بأن يكُون قائدًا، إذًا هذه هي حكمة اعتراض عصمت على قيامنا بالتّحقيق في الجبهة، ومع ذلك يقُوم مصطفى كمال في خطابه الرسمي بتغطية وسترِ أخطاء عصمت؛ ذلك لأنّه شريك له في المسألة.

ضبّاط شُجعان يبكُون في الحربِ لأنّهم لا يستطيعون مواجَهة الأمّة مهزومين:

في أحد الأماكن في الجبهة التقيتُ بأربعةٍ من الضبّاط ذوي الرُّتب العالية مجتمعين، ما شرحوه لي هو نفسُ الشيء، ما يريدونه هو نفس القوة القديمة وإدارة حكيمة، انطلقتُ قائلًا: «آه! يا لَها من خسارة».

فأخذَ هؤلاء الضبّاط في البكاء، إنّه لَمنظر محزن وفظيع أنْ يبكي رجال الحرب في يومٍ مثل هذا اليوم، وفي الجبهة، أخذتُ أنا أيضًا في البكاء، يبكون وهُم يقولون: «اعملوا كلّ جهودكم في أن تعطُونا القوّة القديمة، وقائدًا جيدًا!، لم نعُد نستطيع مواجهة الأمّة!، إنّا نخجل من الأمّة، افعلوا ما قلناه لكم، بالتأكيد سنهزم اليونان هنا ونقضي عليهم، ودماؤنا ستسيل أنهارًا لهذا الهدف».

ومرّة أخرى أخذْنا في البكاء معهم، وعدتُهم خيرًا، وسُرّيتُ عنهم، الضبّاط في منتهى الحميّة، وفي منتهى الشّجاعة، وكانت هذه أوّلَ مرّة يدخُل فيها الأمل القلب ويملؤه.

داومتُ التّحقيق، وكم مِن ليالٍ بِتْناها في العراء على الأرض، تجوّلْنا ورأينا مناظر كثيرة، ودائمًا أسمع نفْسَ الشيء، إذًا فليس من الضّروري الاستمرار في التحقيق، فقدْ تبلورَ الأمر ووَضح، وهو الآتي: يتلخّص في

أنّ الأمل لم ينته، خاصةً وأن حميّة الضّباط في أوْجها، ويخجلون من الهزيمة، ويريدون أن يغسلوا وصمة العار، وسيحاربون بحماسٍ عظيم، وكلّهم يقولون إنّهم سيهزمون العدو، شخّصنا المرض، والآن يلزمهم قائدٌ حكيم، ويجب إعطاؤهم جيشًا كالسّابق بالبنادق والمدافع والذخيرة.

والمسألة عبارة عن هذا، ولا بدّ لعمل هذا أنْ نسرع بالوصول إلى أنقرة، لا بدّ من السرعة.

عصمت يخشى مجلس الأمة:

كان وضعُ الجيش كالتالي: جيش مكوّن من مائة وعشرين ألف شخص، تناثر وتبعثر، لم يبقَ منه غيرُ عشرين أو خمسة وعشرين ألفًا، فرّ الباقون، حتى أنّ جنديًا قطع ثمانين كيلو مترًا في الساعة، أروني هذا الجندي، يقول الضبّاط إنّ هذه السرعة نادرة في تاريخ الحرب، كانوا يتصوّرون أنّه ينتعِل مداسًا، ولكن لم يكُن بقدميه شيء، يقول الضبّاط إنّ الجنود وهُم يهربون يُلقون بكلّ ملابسهم من معاطف وجاكتات وغيرها حتّى يكونوا أكثر سرعة، وإنّ الجنديَّ في ذلك الوقت يرى أنّ المنديل شيء ثقيلٌ يمنعه من الفرار.

لا أحدّث أحدًا بنتيجة التّحقيقات ولا فيما سأفعل، لن أفشي ما سأقوله، حتى لا يذهب هباءً، أريد أنْ أشرح للمجلس الموقف، وأقول فيه ما يجب عمله، وكل ذلك بضربة مفاجئة.

وبينما أنا على ذلك إذا بعِصْمت باشا يزورني في البيت، جلس عصمت بجانبي، يبدو عليه الاضطراب، لا يتحدّث، وبعد التّرحيب والتحية وردّها قال: «أريد التحدث معك، هيّا لنذهب إلى بيتنا».

وافقتُ، كان الوقتُ حينها قد قرُب من منتصف الليل، وقُمْنا وذهبْنا إلى منزله، وهناك سألني عدَّة أسئلة: «ماذا رأيتم في الجيش؟ ما هو انطباعكم؟ وماذا ستقولون في المجلس؟ هل النوّاب ضدّي؟، يعني كأنّهم سيستطيعون عمل شيء ضدّي؟... إلخ».

مفهوم أنّ عصمت مضطربٌ نتيجة ما فعله، يخاف من المجلس، يبحث عمّا سأقوله، والذي لم أكُن أعرفه أنّ النوادي في أنقرة- ونحن مازلنا في الجبهة- طلبوا تقديمَ عصمت- وهو السّبب في هذه الهزيمة- إلى ديوان الحرب، وبالطبع عمل مصطفى كمال على التصدّي لهذا لاشتراكه في الهزيمة.

ولم يكُنْ لديَّ أنا خبر عن كلّ هذا، مضبوط!، إذًا لقد جاء لزيارتي ثمّ أخذني لبيته مِن أجْل هذا السّبب، كلّ اضطرابه بسببي أنا، يا تُرى هل ستطلب تقديمه لديوان الحرب؟! كان يريد معرفة هذا!!.

انْفجرتُ فيه قائلًا: «الجيش كلّه ضدُّك، يقولون إنّ القيادة الجاهلة هي سبب وضعِنا هذا، وإلّا فمِن المستحيل أنْ نُهزم، نريد إدارة حكيمة، أنت تقول إنّ المجلس لا يستطيعُ عمل شيء ضدّك، وأنا أظنُّ أنّ المجلس سيمسكُك، بل وحتى سيشنُقك على بابه، فأنت مسئول عن هذه الهزيمة».

فقال لي: «لستُ أنا وحدي المسئول، لكنّي كنتُ أنفّذ أوامر مصطفى كمال باشا». ومع بزوغ الفجر عدتُ للبيت، يعني استمرّتْ هذه المناقشة الحادّة حوالي خمس أو ستّ ساعات.

أعددتُ بعضَ المذكرات لإلقاء خطابي في المجلس، آمل في الدفاع، كانوا يشتكون هناك من أمرٍ آخَر قالوه لي، وهو أنّ فوزي رئيس هيئة أركان الحرب كان يريد إكمالَ النّقص في الجيش، فاستدعى أفرادَ القرعة الجدد،

وأرسل هؤلاء الأفراد غير المدرَّبين إلى الجيش، وذلك عندما وصل الجيش إلى صقاريا.

وهناك قالوا له: «ليس في هؤلاء منفعة، بالعكس إنّهم يضرُّوننا، لا يعرفون إصابة الهدف، ولا يعرفون النّظام، يفرُّون من أوّل طلقة للبندقية أو المدفع!!، وهُم بهذا يُلقون الخوفَ في قلوب الجنود المدرَّبين، ومِن هنا يحدث الاضطراب والذعر في الجيش، بأيِّ عقل يرسلُ هذا الرجل هؤلاء الأنفار؟!، فلْيسحبهم من الجبهة».

تجيء الآن مسألة السّلاح، يقولون: «ليس لدينا بنادق»!!، مصيبة!، حققتُ في هذا، علمتُ أنّ 35،000 بندقية روسية الصُّنع أحضرْناها نحن من روسيا، موضوعة في حمّام قديم أمامَ الحكومة، وليس لدى فوزي وزير الدفاع ورئيس هيئة أركان الحرب خبرٌ عنها».

أعددتُ الأمر، وجريتُ إلى المجلس، كان مصطفى كمال ينتظرني في الممر، قابلَني باضطراب!، كان أصفرَ الوجه!، نظر إليَّ وكأنّه ينتظر النجدة منّي، عيناه متّجهتان إلى الأرض، يا لكِ من أيّام!!. قال: «ماذا ستعمل؟، وماذا ستعمل؟؟».

تحوّل مصطفى كمال إلى حَمَل وديع!!، يطلب منّي أن أنجده!، فقلتُ له: «فلْنعملْ جلسةً سريّة، افتتحِ الجلسة سريعًا»، قال: «حسنًا». جرى، وفتح الجلسة، وأعطاني الكلمة، صعدتُ إلى المنصّة، وألقيتُ خطابًا استمرّ حوالي ساعتين أو ثلاث ساعات، وهو خطاب في عدّة أقسام، ولُبُّه هو الآتي:

1 - الجيش: حالُه ووضعه.

2 - ما يريدُه الضّباط، والوعدُ الذي قطعوه على أنفسهم بإزالة وصمة العار.

3 - التّدابير التي ستُتّخذ.

«انهزمَ الجيش هزيمة نكراء، وفرَّ مَن فرَّ، وتبعثرَ وضعُ الجيش، والذي تبقّى منه والذي استطاع أنْ يأتي إلى ما وراء صقاريا عبارة عن 20 إلى 25 ألف شخص، بنادقهم قديمة خاصّةً السونكي قليل جدًّا، وليس مع المشاة سيوف، وجزء مع المدافع مفقود، الجنود يفتقرون إلى الملابس، لا توجد خيام، اضطراب فظيع.

الضبّاط يخجلون من الهزيمة، الإدارة الجاهلة التي دفعتْ بنا إلى هذه الحالة؛ وإلّا فلَم نكُنْ لنُهزَم، أعدادنا كانت كافية، وموقعنا كان طيبًا؛ إلّا أنّنا نريد قيادة حكيمة، أعطونا جنودًا بالعدد القديم، وبالشّكل القديم، أعطُونا سلاحًا وذخيرة، ضعُوا قائدًا حكيمًا خبيرًا بشئون الحرب، ونحن نُبيد اليونانيين بالتأكيد.

أيّها الزملاء، إنّني سعيد لأنّ معنويات جنودنا عالية، كما أنّ من الممكن إعطاءهم ما يريدون، شكرًا لله، فإذا اليونانيّون لم يتحرّكوا بعد، لقد منحُونا الوقت للنجاح في هذا الأمر، لَدينا الأمل العظيم، لا تيأسوا، لا تقطعوا الأمل إطلاقًا، الإمكانات موجودة لدحْر العدو في صقاريا.

التّدابير التي ستُتخذ أنّنا نعيش أهمّ وأخطر لحظات في حياتنا القومية، وما نتخذه من تدابير في هذا السبيل هي أهمّ وأخطر تدابير، وهي:

- يترك كلّ أفراد الوطن أعمالَهم، ويتوجّهون إلى صقاريا لخدمة البلاد.

- لا بدّ للجيش من الأكل والبترول والصّابون وغيره، وعلى الحكومة

وضع يدها على كلّ ما لدى الأفراد، وما في الدّكاكين من أشياء لتقديمها للجيش، والواقع أن هذا أمر ثقيل، وسيحدث في هذا سوءُ تطبيق واستغلال وسوء استعمال، ولكن ماذا نفعل؟، يكفي أن تتّحد الأمّة مهما كان الأمر، إذا هلكتْ الأمّة فما فائدة المال؟.

- جمع كلّ ما عندَ الأفراد من ماوزر وبنادق وطلقات وغيرها، وتسليمها للجيش بسرعة.

- جمْع السّيوفِ القديمة من المنازل وتقديمها للفِرسان.

- هيئةُ أركان الحرب دفعتْ بالأفراد غير المدرّبين إلى الجبهة، وهذا خطأ، لا بدّ من إرجاعهم فورًا، والعمل على تهيئتهم لحمل البندقية وتعليمهم الرماية.

- على مصطفى كمال أنْ يكُون هو القائد العام للجبهة قيادة فعلية، الحرب ستكُون في صقاريا، ولن ينسحبَ الجيش خلف نهر قيزيل إيرماق، وستبقى الحكومة، وسنبقى نحن في أنقرة، والخروج منها عار.

نفّذوا هذا فورًا، ولْتطبّقه الحكومة سريعًا».

يلعبونَ نفسَ اللعبة[1]

أفِقْ يا رئيسَ هيئةِ أركانِ الحربِ

«وبكلِّ أسفٍ، فإنَّ هذا لا يتمشَّى ومصلحة الحكومة، إنّها حكومة كسل!، فمثلًا فوزي باشا يقُوم بعدَّة مهامٍّ: رئيس مجلس الوزراء، رئيس هيئة أركان الحرب، ووزير الدفاع الوطني، وأمور أخرى كثيرة!، ما هذا؟!.

إنَّ مهمّة رئيس هيئة أركان الحرب تأخذ من الإنسان كلَّ وقته، فما بالك بالوظائف الأخرى؟!، إنِّي أوجِّه خطابي لفوزي باشا، وأسأله: كيف تستطيعُ عمل كلّ هذا في وقتٍ واحد؟!، من المحقَّق أنّك لا تستطيع كلّ ذلك، ما طمَعُك هذا؟!، إنك تحتكِر ما يقرُب من خمسة مناصب، لم تُبدِ حتّى الآن أيَّ وعي من أجْل إعادة تنظيم الجيش.

إنّهم مازالوا نائمينَ أيُّها الزملاء، إنِّي أرى حالهم مثل حال أصحاب الكهف، وتعلمون حكايتهم، ظلّوا نائمينَ في مغارة سنين طويلة، وعندما استيقظوا رأوا الدنيا وقد تغيَّرت كلّيةً، وهؤلاء عندما يستيقظون سيكُون العدوّ قد استولى على أنقرة!!، وسيجِدون أمّة غيرَ الأمّة!، سيجِدون ميخائيل بدلًا من محمّد!، وسيتعاملون بالدراهم بدلًا من القرش!.

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 566، 19 جمادى الآخرة 1402هـ الموافق 14 أبريل 1982م.

جاء الوقتُ لتستيقظوا.. فوزي باشا، اترك كلّ وظائفك ومناصبك، ودَعْ عنك طمعَك هذا، أنتَ تعمل كثيرًا، وأنا أعرف هذا، ولكنّك لا تستطيع استيفاء واجبات كلّ مناصبك، كُن رئيسَ هيئة أركان الحرب فقط، فكّرْ في الجيش وأصلِحْه، معنى هذا أنّه لا بدّ من تنظيم الوزارة أيضًا».

نهضَ فوزي باشا ليحيّيني، قال: «أنا لستُ طمّاعًا، إنّهم أمروني، قالوا: تولَّ هذا المنصب، فتولّيتُه، ثمّ قالوا لي: هذا المنصب أيضًا لا بدّ أن تتولاه، فتولّيتُه، وفي غيره حدثَ هذا أيضًا، أنا لم أطلبْ لنفسي شيئًا، فماذا أفعل؟». كان في حالة من الاضطراب شديدة، كان يتكلّم كمَن يطلب العفو، تألّمتُ لحاله!.

رئيسُ هيئة أركان الجيشِ يغطُّ في نومه زمنَ الحرب!!

ثمّ واصل كلامه: «مِن أين أجدُ أنا السّلاحَ للجيش، أنا لا أستطيع النوم»!!، قلت له: «يا فوزي باشا، أنت لم تطلُب لنفْسك شيئًا، معنى هذا أنّهم هُم الذين ولّوك هذه المناصب، ألا تفكّر؟!، إعطاؤك هذه المناصب خطأ، ولكن قبولها أمرٌ خطأ كذلك!، ألا تعرف هذا؟!، تقول إنّك لا تستطيع النوم!، إنّك تغطّ في النوم!، تقول: مِن أين آتي بسلاح؟ أخبرُك أنا.. ففي هذا الحمّام الذي هناك خمسةٌ وثلاثون ألف بندقية، هيّا اذهب وخُذها»!!.

اضطربَ حالُ المسكين أكثر وأكثر!!، وأخذَ فكُّه في الارتعاش، واسودّت شفتاه كدرًا، قال: «سأذهب إلى الجبهة، وسأعرف كيف أحاربُ كجُندي فردٍ عادي».

كلامُه صحيح، فقدْ ذهب حقيقة بعد ذلك إلى الجبهة في صقاريا، وعندما بدأتِ الحركة أخذَ موقعه في الصفوف الأُولى، مع أنه رئيس هيئة

أركان الحرب، وكان يتفقّد الجنودَ وفي يده القرآنُ ويشجّعهم.

كان النوّاب قد عرفوا طِباعَ فوزي قبل هذا لأنهم كانوا يسمُّونه (الحمل الوديع)، وفريق آخَر لم يقتنعْ بهذا الاسم، وأطلق عليه (فوزي الثور)، طاعته في الواقع مثل طاعة الحَمل الوديع!، ومثل الحمل أيضًا لا يفكّر، لكن آهٍ لو كان في صفاء الحمل لأطلقتُ أنا أيضًا عليه هذا اللقب، لكنّه ليس كذلك، والحقيقة أنّه في بعض أوقات يكُون كالثّور تمامًا!!.

نرجعُ إلى خطابي، القِسم الأكبر منه كان هكذا:

«أنتم أعضاءُ الحكومة تتركون أنقرة وتهربون!، أقول إنّنا سنبقى في أنقرة، الجيش سيحارب في صقاريا، ونحنُ سننتصر هنا، أنا في هذه النقطة ضدّكم تمامًا، مجلس الأمّة يمنعُكم من هذا، ستبقَون هنا، وستبقون في صقاريا، وما سيحدث لا بدّ أن يحدث هناك».

وافقَ المجلسُ كلُّه على كلامي بالتّصفيق، ومنذ هذه اللحظة وفي الأيام التالية أيضًا كان المجلس كلّه ورائي، نزلتُ من المنصّة، انتهتْ الجلسة، ونزل مصطفى كمال من منصّة الرئاسة، جاء إليّ وقال: «يا هذا، ماذا فعلتَ؟»، كم كنتُ مندهِشًا، لم أكُن أعرفْ. ضحكتُ فقط!!.

وعندما فُتحت الجلسةُ مرّة أخرى صعِد إلى منصّته، وتحدّث من أجل البقاء في أنقرة، وعدم الذّهاب إلى قيصرية، وبقاء الجيش في صقاريا.

مصطفى كمال يحاول أنْ يرشيني الوزارة:

وفي المجلس، وبين ما يقرُب من عشرين وثلاثين نائبًا قال لي مصطفى كمال: «حسنًا، وأنت أيضًا لا بدّ أنْ تأخذ موقعًا في الوزارة»، وكان يظنُّ أنّي

قلتُ ما قلتُه في خطابي بهدف انتزاعِ منصب، لأنه نفسُه يفعل كلّ ما يفعله في سبيل الاستيلاء على المناصب. ضحكتُ، وقلت له: «ليس لي هوسٌ بالمناصب، كنتُ أوافق لو أن الخدمة ستكُون بين الحكومة، لكن إذا كانت الأعمال ستكُون بين رئاسة الأركان فلا أريد، إذْ لا مكان لي».

لماذا يتردّد مصطفى كمال في قبول منصبِ القائد العامّ؛

وبينما نحن على ذلك إذا بمصطفى كمال يقول: «لا، لن أقبلَ مهمّة القائد العامّ»، وتردّد في هذا، قلنا له: «يا هذا، دَعْك من هذا الرّفض، اقبل»، قال لنا: «الواقع أنّي أنا الذي أقُوم بإدارةِ المعارك، ولم أتخلّف، فلا داعي لأنْ تعملوا مثل القائد العامّ للجبهة»، قلتُ له: «لا، لا بدّ أنْ تكُون القائد العامّ رسميًا ومسئولًا مباشرةً، في ذلك الوقت ستعمل بحماس أفضل».

يخافُ ضياعَ شرفه!! أيّ شرف لديه؟!!

لقد انتهى كلّ شيء بالفعل، وليس معنا شيء اسمُه الجيش، ومصطفى كمال يائس تمامًا، والواقع أنّه لا يريد فعلًا أن يكُون القائد العامّ لأنّه يعلم أنّ الهزيمة محقّقة، ولو أصبح القائدَ العام فهزيمته مؤكّدة، وقد اعتاد أنْ يكُون وراء الستار، وأن يلعب بدُميتيْه فوزي وعصمت!، إذا كان أمامَه عمل ثقيل المسئولية فإنّه يُحيله إليهما!، فإذا كان الشّرف فإنّه يخصُّ به نفسَه. ولذلك لا يريد أن يقبل مهمة القائد العامّ لا رسميًا ولا فعليًا، والمجلس كلّه غاضب لهذا، المجلس في غاية الانفعال، وهو لا يعرف شيئًا ولا يسمع شيئًا، كلّ ما يقوله: «لن أقبلَ القيادة العامّة»، غضبتُ، ثمّ صرختُ في وجهه: «إلى متى ستنتظر؟، ولأيّ عمل تصلُح إذًا.. إذا كنتَ ترفض القيادة العامّة رسميًا وفعليًا؟!!».

غضبَ وهاجَ وماجَ، ومِن فوق منصب الرّئاسة في مجلس الأمّة أخذ يشتُمني ويهدّدني ويكيلُ لي السّباب!. وفي هذه الأثناء قال: «إنّ الهزيمة مؤكّدة، وأنت تريدني أنْ أصبحِ القائد العامّ لكي تحُطَّ مِن قَدْري ويذهب شرفي»!!، وقع هذا الكلام عليّ وقعَ الصّاعقة لدرجةِ أنّني كدتُ أجنّ، شرف!!!؟، هل نسيَ هذا الرجل أنه هُزِم في سوريا؟.

ومِن هذه اللحظة شعرتُ أنّي أشمئزُّ من هذا الرجل، وصرتُ أبغِضه بُغضًا شديدًا، نظرتُ إليه وإذا بي أجدُه وقد تحوّل إلى كلب مسعور!.

أمرَ عثمان طوبال[1] بأنْ يأتي بحرسه إلى المجلس، فقدْ كان يثق فيهم، وأخذ يهدِّد بهم المجلس تعريضًا، وكثيرٌ من هؤلاء كان موجودًا في ممرّ المجلس.

انْتهى كلّ شيء، تمّت الموافَقة على جميع اقتراحاتي، لكنّه لا يزال يرفُض مسألة القيادة العامّة، نحاول معه ثلاثة أيام وهو يأبى، مع أنّ الوقت ضيّق، ثمّ وجد أنّه لا مفرّ، وجد أنّ المجلس مُصِرٌّ، وإذا واصل الرفضَ فإنّ شخصيته ستنهار، وأخذ الأعضاء يقِفون موقفًا واضحًا، وتقدّم رسميًا بالاقتراح الآتي للمجلس: «إذا أعطاني المجلسُ كلّ الصلاحيات التّشريعية والتنفيذية فإنّي سأقبل أن أكُون قائدًا عامًا».

بمجرّد أن سمعتُ هذا أخذتُ أضرب رأسي بقبضتي يدي، آه!، ماذا يريد هذا الرّجل؟!، كيف يمكن هذا؟!، هل هذه الصّلاحيات يصحُّ إعطاؤها

---

(1) عثمان أغا (1883 – 1923): عرف باسم عثمان «الأعرج» زعيم سيّئ السّمعة للقوى غير النظامية. خدم جمعيّة الاتّحاد والترقي في البلقان– حيث أصيب بالعرج– وفي منطقة البحر الأسود التي ينتمي إليها، ثمّ مصطفى كمال الذي عُيِّنت عصابته حرسًا له. اضطهد الأرمن واليونانيّين وخصومه المسلمين من القوميين، قتلته القواتُ النّظامية بعد أن اختطف عضوًا في الجمعية وقتله.

انظر، أندرو مانجو: أتاتورك.. السيرة الذاتية، 574.

لأحد؟!، أهذه أشياء تُطلب؟!، إنّ هذا الأمر فظيع، لا لزومَ إطلاقًا لكلّ هذا، وظيفة القائد العام للجبهة لا تحتاج لكلّ هذه المطالب، كما أنّ مصطفى كمال وأصحابه في الواقع وبالفعلِ سيستحوذون على الصلاحيات الكاملة.

لكنْ معنى طلبه هذا أنّه يُخفي في ضميره شيئًا، لا أحد يدري فيما يفكّر، أيريد أن يصبحَ مستبدًّا فظيعًا ويُذيق الأمّة مِن ويلات استبداده، سيشرّع قوانين خاصةً له، وسيشنُق هنا ويقتلُ هناك، أو هناك احتمال آخَر؛ وهو أنّه يعلم أنّ المجلس حسّاس وغيور على صلاحياته، ولن يفرّط فيها، وبالتّالي فسيتخلّص من مهمّة القائد العام المُسنَدة إليه، أو في حالة موافقة المجلس على إعطائه هذه الصلاحيات سيقضي علينا بعد ذلك، وسيُفني كلّ المعارضين له، وسيحاكم بها مَن يريد أن يحاكمه.

ولا يوجد في التّاريخ إلّا مثال واحد لهذا؛ وهو «يوليوس قيصر»، حيث أخذ من مجلس الشّيوخ في روما جزءًا من صلاحياته، وجعلهم يعترفون بأنّه «نصف إله»!!، وهذا يشبه ذلك.

اشتعلتْ مشاجَرات شديدةٌ في المجلس، المجلس لا يريد إعطاء مصطفى كمال هذه الصّلاحيات.

وأخيرًا فكرتُ قائلًا: عصمت أظهرَ مدى عسكريّته، فوزي لا يمكن أن يكُون قائدًا، وغالبًا ليس في أنقرة أحدٌ آخَر، وقد أبدى مصطفى كمال في موقعة آنافارطه أنه عسكريّ جيد، وليس هنا مَن هو مناسب للأمر غيره، وما يطلبه عمل وخيم العاقبة، ولكنْ لا بدّ أن نُعطي هذا الرجل ما يريده، ويكفي أنّه سيبعد اليونانيّين عنّا، اقترحتُ على المجلس اقتراحًا يقول: «لا بأس، أيريد هذا؟ فلنعطِه ما يريد، ولْيذهب ليدفعَ الأعداء، وهذا يكفي».

وأخيرًا قبِل المجلسُ، أمّا هو فلَم يقُل شيئًا آخَر، قال لي عدنان: «وقّع أنت قانون تنصيبِ القائد العام»، وبالطّبع لم تكُن هذه فكرة عدنان، وإنّما فكرة مصطفى كمال نفسه، لا أدري سببَ هذا، فيمَ فكّر؟، قلتُ له: «يا عزيزي، أهذا وقت الأعمال الشّخصية؟!، إنّ الاقتراح اقتراحي أنا، وتوقيعي أو توقيع غيري ليس مهمًّا»، أصرّ عدنان، قلتُ: «حسنًا»، ووقّعتُ.

وقد وافقَ المجلس على لائحة القانون كما هي، وأعطاه الصّلاحيات التي أرادها، وقد وافق المجلسُ أيضًا على كلّ التّدبيرات التي اقترحها كما هي، وأحال تنفيذها على القائد العام، وقد نفّذها عن طريق أوامرَ متتابعة، ولكنّي كنتُ قد قلتُ بمصادَرة جميع الأموال، إلّا أنّ المجلس رأى أنّ هذا كثير، فاتّخذ قرارًا بمصادَرة نسبة أربعين في المائة فقط، كما أنّ المجلس انتخبني عضوًا في لجنة تفتيش مكوّنة من النوّاب وتابعة للقيادة العامة.

وبدأ التنفيذ، وبعد يوم أو اثنين بدأ الجنودُ من كلّ مكان في التوافُد، ومنهم- كما قلتُ في اقتراحي- رجالٌ تبلُغ أعمارهم 94، 95، 96 من الذين سبق أنْ حملوا السلاح.

بدأ اليونانيّون بحركة من اسكيشهر، وإلى حين وصول اليونانيّين كان إكمال ترتيبات الجيش قد تمّ، اليونانيّون قادمون من الشّمال، يلعبون نفس اللعبة، يعني يحشُرون كلّ قوّاتهم كأنّهم سيهجمون على جناحنا الأيمن. رجالنا يخدعون أيضًا كما حدث في معركتهم السابقة مع اليونانيين.

عصمت يكاد يقتلنا غيظًا!!؛ لأنه يتّجه إلى هناك، كلّ النوّاب يتحدّثون عن هذا، والواقع- أنّنا كنوّاب ونحن نتابع المعارك- أصبحنا نِصف عسكريّين، مازال عصمت بالجيش، أهذا يصحّ؟!، كان لا بدّ من عزله.

العدوّ يضرب جيشنا مِن هنا ومن هناك، يضرب ويرجع، يحطّم خطّنا من هنا وهناك، وجيشنا يسير شبرًا شبرًا!!؛ لكنّ ينطلق نحو الشّمال، وهكذا ظلّت الحرب على أشدّها ثمانية أو عشرة أيام شديدةً جدًّا.

أتاتورك يطلبُ من مجلس الأمّة مكافآتٍ ماديّةً لأنّه انتصر!![1]

ضبّاطنا يغسلون بدمائهم جهلَ عصمت:

غضبي شديد، لا أستطيع النّوم، ضبّاطنا يحاربون كالأسود، والجنود ليسوا أقلَّ منهم، إنّ الجهد الذي بذله الضبّاط في هذه الحرب شيء رائع، لم يُسمع به مِن قبلُ، كانوا قد قالوا لي أثناءَ تجوالي في الجبهة: «أعطُونا القوة القديمة، وسنُزيل وصمة العار هذه، وسندفع العدو».

والحقيقة أنّهم يفعلون ذلك الآن، ففي هذه الحرب المهمّة التي تُدعى حرب صقاريا نجدُ أنّ خسائرنا من الضّباط مذهِلة، وهذا يدلّ على حماستهم، لا هرب!، القتال من شبرٍ إلى شبر، يموتُ الجندي، فيحلُّ محلّه آخرُ من مخزن الجنود، يأخذ سلاح زميله الميّت ويحارب به، الضّباط هُم السّبب في انتصارنا، غسلوا بدمائهم جهل عصمت الذي أبداه في اسكيشهر.

القتال عنيف، نحن ننسحبُ خطوةً خطوةً إلى الخلف، نتراجع، وبالتالي احتلَّ اليونانيّون الجبال الموجودة في جنوب غرب أنقرة، وأخيرًا سيطروا على جبل جال، وهو أعلى مكانٍ في هذه الجبال، وفي أنقرة كنتُ أسمع أصواتَ المدافع، بينما أعمل في المستشفى إذا بساحةِ القتال امتدّت حتى اقتربتْ من أنقرة!.

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 567، 26 جمادى الآخرة 1402هـ الموافق 21 أبريل 1982م.

مصطفى كمال يصدر الأمر بالانسحاب العام:

سقوطُ جبل جال قضى على كلّ الآمال، وعلى ذلك أصدر مصطفى كمال أمر الانسحاب العام، وصلَنا أيضًا هذا الخبرُ، وصل الخبرُ ووصل من الجبهة أيضًا صالح، وهو ألباني، وياور مصطفى كمال، والذي يستخدمه في مآربه الخاصّة، جاء يحزمُ أشياء مصطفى كمال، يهربون. مصطفى كمال امتطى صهوة جواده وهو سكران، فوقع من فوقِ جواده، وأُصِيب في عِظامه.

الخطأ في أمر الانسحاب أنّ العدوّ أيضا كان ينسحب:

ولمّا وجد الجيش اليوناني- وهو على جبل جال- أنّه لم يستطعْ منذ عشرة أيام تحقيقَ ما يودُّه؛ غلبَه التشاؤمُ، فقرّرَ الانسحاب، ينسحب وفي نفس الوقت ينقل كلّ ثقلِه إلى الجبهة الغربية من صقاريا، لاحظَ فوزي هذا، فقال لمصطفى كمال: «أرجوك لا تنسحبْ، فالعدوّ يتراجع وينسحب، اسحبْ على الفور أمر الانسحاب».

وعلى هذا فقدْ أوقف مصطفى كمال أمرَ الانسحاب، وعلى هذا فقد تسبَّب فوزي في إنقاذِ هذه النّهاية التي لو كانت حدثتْ لَكانت عاقبتُنا وخيمة، ولَضاع علينا سُدى هذا القدْر الرّائع من جهود ضبّاطنا ومصروفات الحرب، وقد كاد يحدُث هذا على يد مصطفى كمال، لكنْ بارك الله في فوزي.

اقترح فوزي اقتراحًا آخَر على مصطفى كمال بعد إيقاف الانْسحاب، قال له: «العدو ينسحب، هيًا فلْنهجم بجناحنا الأيمن على صقاريا، ولْنمطُل العدوَّ حتى يترك أثقاله وممتلكاته؛ لتبقى لنا»، ولم يقتنع «فتوّتُنا»! بهذا الكلام.

والواقع أنّ اليونانيّين قاموا بجهود كبيرة بذلوها طوالَ عشرة أيام، دفعوا

فيها بجبهاتهم نحو جنوب أنقرة، لكنّهم ابتعدوا عن خطّ السكة الحديد، ولم يستطيعوا إسعاف قواتهم بالأكل والمهمّات، فأكلوا لحوم قطعان الماشية والماعز التي جمعوها منّا عندما تركناها غافلين أثناء انسحابنا في اسكيشهر.

لم يجدوا الخُبز، ولحم الماعز يسبّب الإسهال، فانتشر بين الجنود اليونانيين الإسهال كالوباء، كما صادف هذا الوقت الصيف الشّديد والملاريا، آذتهم الملاريا بشكل شديد، ولم يجدوا من وسيلة إلّا الانسحاب، مقاومة جيشنا في عشرة أيام جعلت الحربَ في صالحنا، لكنّ القائد العام الذي عقدْنا عليه الآمال العظيمة وعيّنّاه لهذه المهمّة لم يفطن لكلّ هذا، وأمر بالانسحاب!!.

بدأتْ فترةُ هدوء بعد عشرة أيام، لا هجوم إطلاقًا من الجانب اليوناني، لا حرب، حيرة!، لا نستطيع فهمَ ذلك، جيشنا يقف منتظرًا، لا يتحركون، ولم يفطن أحد إلى أن اليونانيّين قد نقلوا أثقالهم وجناحَهم الأيمن إلى غرب صقاريا، وأخيرًا وبعد خمسة أيام أو ستّة فطِن مصطفى كمال لهذا، وعرف أنهم يتراجعون.

ومع ذلك فقد كان اليونانيّون قد عبروا بجميع قواتهم، وعيّنوا فرقة قويّة ضدّ أي هجوم محتمَل يقع على خطوط انسحابهم، وقد عبروا النهر، وعادوا سالمين، وبهذه الصورة أيضًا انتهتْ هذه الحرب، وهي أهمُّ حربٍ في القضية القومية، ولأنّها انتهتْ في 12 سبتمبر، فمعنى هذا أنّها استمرّت عشرين يومًا.

وصلَ مصطفى كمال إلى أنقرة، واستُقبل استقبالًا عظيمًا، وضعوا له أقواس النصر ومرّ منها، وها هو يحُوزُ شرفًا وشأنًا، بعد أنْ مات الآن آلاف البشر!، وبعد أن رفض أنْ يكُون قائدًا عامًّا، وبعد أن أصدرَ أمرَ الانسحاب، وبعد أن استعدَّ للهروب فِعلًا، وهذه هي الدّنيا!!.

يطلب من مجلس الأمة مكافآت مادية لأنه انتصر:

وبعد عودة مصطفى كمال طلبَ من مجلس الأمّة أن يُطلق عليه لقب «غازي»!!، كما طلب مكافأة قدْرُها أربعة ملايين ليرة، أزبد النوّاب وأرغوا، وأخيرًا حصل من المجلس على لقب «غازي»!، لكنهم لم يُعطوه النقود، بأي وجه يطلب لنفسه مالًا؟!، ثمّ أن أربعة ملايين ليرة مبلغ مهُول!.

تحرَّرت تركيا من جديد، إذًا فقد انتهتْ مهمتي، فأنا متعَب وأحتاج لتغيير الجو، كما أن زوجتي تنتظرني بفارغ الصبر، وذهبتُ إلى بلدي سينوب.

دكتور عدنان أديوار (زوج خالدة أديب) كان في البداية وزيرًا للصحة ثمّ للداخلية، ثمّ الرئيس الثاني لمجلس الأمّة، يفعل دائمًا ما يطلبه مصطفى كمال، يهدّئ من ثورة المعارضين لمصطفى كمال، ويعمل على شدهم لصف مصطفى كمال.

خالدة أديب يهودية:

(وزوجته) خالدة هانم نشطة في أنقره، لا تعيش مع عدنان، إنها تعمل بين الضبّاط في الجيش، وقد حصلتْ من مصطفى كمال على رُتبة أومباشي[1]، تنتقل خالدة من خيمة ضابط إلى خيمة ضابط آخر، وهي تقتفي أثر (س)، وقد كان هذا حديث كلّ الناس في أنقره.

النوّاب يتحدثون عن هذا بأشكال وأشكال، يتناقشون ويتحدثون، بعضهم يقول: «إنها زوجة عدنان»، والآخَرون يقولون: «ليست زوجته»، ويقولون: «لو كانت زوجته لَحملتْ اسمه ولم تكُن لتتلقّب بخالدة أديب، أو

(1) رتبة عسكرية صغيرة، تعني قائد عشرة.

إنما كان لا بدّ أن تتسمّى باسم خالدة أديوار، لاسيما وأنها كانت تتسمى باسم خالدة صالح عندما كانت متزوجة من صالح زوجها الأول، إنها ليست زوجته، إنما عشيقته». وبعضهم يقول: «إن والدها يهودي»، ويروون قصة إسلامه، وكلُّها روايات مختلقة.

في الجلسة السرية للمجلس التي عقدها قبل حرب صقاريا أخذ عدنان يتملّق مصطفى كمال ويقول كلامًا مخالفًا لكلامنا، فصاح به النوّاب قائلين: «بدلًا من أن تتكلم كلامًا فارغًا هكذا خُذ زوجتَك من الجيش، واتركا الضبّاط يحاربون جيدًا»، وعدنان رجل بعيد الغَوْر، لم يهتمّ بهذا إطلاقًا.

أصبحتُ وزيرًا في وزارة يرأسها الحَمَل الوديع!!

كنتُ أريد أن أقضي كلّ الشتاء في سينوب، أمضيتُ في سينوب مدة أربعة أشهر، وإذا ببرقية تصلني من أنقره تقول: «أُنهي إليكم نبأ انتخابكم وزيرًا للصحة والعون الاجتماعي، وذلك في الانتخاب الذي عقده مجلس الأمّة الكبير، بورك لكم هذا، أرجو تفضُّلَكم بحضوركم إلى أنقره فورًا، توقيع فوزي رئيس الوزراء».

كانت نيّتي تتّجه إلى البقاء طويلًا في سينوب، ولم أكُن أرغب في رؤية وجه مصطفى كمال، ولا وجه عصمت، كما أني أتصوّر أني أحتقر نفسي عندما أكُون في وزارة يرأسها الحَمَل الوديع!!، وأرسلتُ له برقية: «إلى حضرة فوزي باشا رئيس هيئة الوزارة التنفيذية». واعتذرتُ عن قبولي منصب وزير الصحة، معتذرًا بأني في حاجة إلى التداوي، وأنني آسف أشدَّ الأسف لحرماني من شرف أداء هذه الوظيفة، وإذا ببرقية من مصطفى كمال

يرجُوني فيها أن أقبل هذا المنصب، لم أهتمّ، ولم أرُدّ عليه، وإذا بعدنان يؤدّي دوره المعهود، وإذا بسَيلِ البرقيّات منه ترجوني القبول، قلتُ له: «لا أريد».

متصرّف سينوب (ذهني) يحاول معي لكي أقبل، وأنا أقول له: «هذا غير ممكن»، مصطفى كمال يضغط على المتمرّد لكي يتوسّط لديّ، تمضي الأيام، وأخيرًا أرسلتُ برقيةً إلى مصطفى كمال أقول له إنّي أشكر لهم هذا الانتخاب إلّا أنّني محتاج إلى الرّاحة وإجراء عملية، وأرجو إعفائي عن أداء هذه الوظيفة، وكانت هذه البرقية بتاريخ 26/ 12/ 1337.

ولم أكُن مريضًا، وليست هناك عملية ولا غيرها، وإنّما كلّ هذا وسيلة أتصوّر أنها تنقذني، وبالطبع لا بدّ وأن يكُونوا عرفوا من التصرّف أنني غير مريض، وعلى هذا فقدْ تلقّيتُ برقيةً من مصطفى كمال، يقول: «خاصّ إلى الدكتور رضا نور بك المحترم وزير الصّحة»، ويقول إنّه حزين لأنّني مريض إلّا أنّ الحاجة إليّ شديدة، ويمكنني التّداوي في أنقرة، وأنّه ينتظر حضوري سريعًا إلى أنقرة، ثمّ يختتم البرقية بقوله إنّه ينتظر ردّي أمام جهاز البرق، ويوقّعها كالآتي: 28/ 12/ 1337 «مصطفى كمال رئيس مجلس الأمّة التركي الأكبر».

وإذا بالجميع من متصرّف وأهلٍ وأقارب ومعارف وأشراف سينوب يلحّون عليّ بأن أقبل، وأخيرًا قبلتُ، ثمّ عرفتُ بعد ذلك أنّهم لكي يجبروني على قبول الوزارة أحالوا عليّ الأهالي والأقارب وزوجاتِ أشراف البلد حتّى يقنعوا زوجتي!.

غباء السّاسة في أنقرة[1]

أوّلُ ما فعلتُه في وزارة الصّحة هو طردُ غير الأتراك منها:

وبدأتُ العمل، وكان أوّل ما فعلتُه هو تطهيرَ الوزارة من غير الأتراك، فقد أصدرتُ الأمرَ بعزل كلّ الأطباء التّابعين للوزارة من الألبانيّين والعرب واليهود.. إلخ، كما فعلتُ تمامًا حينَ كنتُ وزير المعارف، وأذكرُ حين كنتُ وزير المعارف أنّه قد تشاجر معلّم ألباني مع معلّم تُركي، فعزلتُ المعلّم الألباني، وقلت له: «ما دام لا يحبّ الترك، فلماذا لا يذهب ويخدم قومَه؟!»، ثمّ أصدرتُ أمري إلى الوالي أن يطرد هذا الألباني خارجَ الحدود.

خبزُ تركيا للأتراك، وعلى العرب أكلُ خبزهم في بلادهم:

حينَ كنتُ وزير الصّحة أتى من سوريا طبيبٌ متخرّج من مدرستي الطبية، وكان قد ذهبَ إلى سوريا ليعمل بها، ثمّ عاد إلى وطنه بجنوب تركيا، ربّما كان في سوريا منذ حركة استقلال العرب عنّا، وربّما اشترك في التمرد الذي قام به العرب ضدّنا في الحرب العالمية الأولى، وعلى الفور أصدرتُ أمري بطرده خارج الحدود، إنّه يخدم في سوريا ثمّ يأتينا يريد وظيفة!.

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 568، 4 رجب 1402هـ الموافق 27 أبريل 1982م.

وجاء طبيبٌ آخَر من الشّام ليعمل عندنا في أطنه أيضًا، فأصدرتُ أمري إلى والي أطنه، قلت له: «إنّ خبز تركيا خاصّ للأتراك، وعلى العرب أن يأكلوا خبز بلادهم في بلادهم، وليس في بلادنا لُقمةٌ لَمَن هُم على شاكلة الطبيب حلمي الدمشقي، هيّا أسرِعْ وخُذ حلمي من يديه، وألْقِ به خارج الحدود!»، وقد فعل الوالي ما أمرتُه به.

مصطفى كمال لا يريد أن يترك مهمّة القائد العام، وكلّما انتهتْ مدَّتُها يعمل على تجْديدها، وكلّما يريد تجديدَها تقُوم قيامةُ المجلس، وفي التجديد الثالث كان أكثر النوّاب ضدَّ ذلك، وتمّ تقديم اقتراح للتجديد، فرفضتْه الأكثرية، معنى ذلك أن الاقتراح سقط، وانتهى الأمر.

ولكنّه في اليوم التالي لهذا ذهب مصطفى كمال إلى المجلس، وأخذ جزءًا من النوّاب بالكذب، وجزءًا بالتّهديد، واستطاع تجديد فترة القائد العام، وحدث أنّه اضطرّ للتهديد العلني في آخِر جلسة تمّ فيها تجديد مدّة القيادة العامّة له، ثمّ يكذب في خطابه الرّسمي (ص 402) ويقول عكس هذا!!.

أذكُر أننا عندما ذهبنا إلى لوزان- لعقد معاهدة لوزان- قال لنا: «إذا ظهر شيء ولم تستطيعوا أنْ تحتفظوا بـــأدرنه واستانبول؛ فلا تعقّدوا الأمور، واتركوهما، واتركوا الموصل أيضًا».

الرّوس يطردون سفيرَنا:

طردَ الرّوس سفيرنا علي فؤاد، وأركبوه القطارَ ليعُود لبلاده، ثمّ هجموا على السفارة، واعتقلوا عدّة ضبّاط أتراك منها، وحبسوهم، واستولَوا على الأوراق الرسمية، كيف حصلَ هذا في الوقت الذي سنأخذ السّلاح

والمعونات المادية من روسيا؟!، فإذا بهم يطردون سفيرنا! وفي الحال وجّهنا مذكّرة بهذا إلى روسيا وطلبْنا ترضية، ولم تعطِنا روسيا ترضية.

قال لي مجلس الوزراء: «حلَّ أنتَ هذه المشكلة، اذهبْ إليهم، واجعلْهم يعطوننا ترضية، ثمّ اعملْ على إعادة العلاقات إلى طبيعتها مرّة أخرى، ثمّ اطلب السلاح والمال»، وجعلوني رئيسًا لوفدٍ بصلاحيات رسميّة، ذهبتُ إلى روسيا مرّة أخرى.

مات أبي وأنا في روسيا، موتُه لا يؤثّر في أحد، فقد عاش كثيرًا، وربّى أولاده، وعاش بشرفه، ولقِي الإكرام من الأهالي، وأدّى واجبات حياته بالكامل، لكنّه والد، وقاتلتُه هي زوجتي، فقد أخذتْه وهو في الخامسة والسبعين من عمره إلى استانبول، وكنتُ معارضًا لهذا، وهناك عاملتْه معاملةً سيّئة، وكنتُ قد قلتُ لها: «لا تأخذِيه إلى استانبول، فهو رجلٌ عجوز، وقد يصيبُه البردُ فيمُوت»، لكنّها لم تطِعْني، والواقع أنّي لم أستطع أنْ أجعل هذه المرأة تطيعُني ولو مرّة طوال حياتي معها!!.

القُمّل في كلّ مكان في روسيا:

روسيا هذه المرّة تختلف، ينتشر فيها وباءُ التيفوس، القُمّل في كلّ مكان من روسيا، وفي روسيا علمتُ المسألة التي طرد الروسُ من أجْلها سفيرنا علي فؤاد؛ علي فؤاد سفيرُنا في موسكو صديقٌ لممثّل إنكلترا، وعلاقتهما قوية جدًّا، ثمّ إنّ علي فؤاد نفسه يتكلّم في موسكو ضدّ الرّوس، كما أنّ لعلي فؤاد علاقات وثيقة بممثل بولندا في روسيا.

علي فؤاد خصّص منزلًا خارج موسكو للملحَق العسكري، وكان يعيش

فيه هذا الملحق مع اثنين من ضبّاطنا، وجد ملحقنا العسكري الجواسيس، وحثّهم على سرقة وثائق وخرائط- خاصّةً بالجيش الروسي- من هيئة أركان الحرب الروسية، حدث هذا بأمرٍ من علي فؤاد بالاشتراك مع البولنديّين، علِم الروس بالأمر، فاقتحموا منزل ملحَقنا العسكري عند دخول الجاسوس إليه، وقبضوا على الجاسوس وضباطنا، بينما كان الجاسوس يسلّمهم الوثائق.

قبضَ الروس على الجاسوس وعلى ضبّاطنا، وأوسعوهم ضربًا، وأخذوا الأوراق، وأخذوا ضبّاطنا أيضًا وحبسوهم، وأركبوا علي فؤاد- ممثّلنا- القطار وطردوه.

تملُّق الروس كان شيئًا مهمًا:

إنّ ما فعله علي فؤاد خطأ فظيع، لماذا تصادق سفيري إنكلترا وبولندا؟، ثمّ ماذا يهمُّنا من وضع روسيا العسكري، وماذا يهمُّنا من الإنكليز واليونان؟، بالعكس.. إنّ الذي يهمُّنا هو المساعدة الروسية.

معنى هذا أنّ الـروس لا يثِقون فينا، يظنّون أنّنا سنهجم عليهم بالاشتراك مع البولنديّين والفرنسيّين، وهذا أخْوَف ما يخافه الرُّوس، إنّ أكبر أعداء الروس في هذه الفترة هُم الإنكليز والبولنديون، والرّوس محِقُّون في غضبهم، استطعتُ استمالة الرّوس، وقد ازدادوا فرحًا لأنّ المطبوعات البولندية تهاجمني بشدّة نتيجة الخُطب التي ألقيتُها في روسيا مادحًا الرّوس، هذا هو المهمّ بالنسبة لنا.

وكانت مهمّتي الثانية أن أقنع الرّوس بأنّه لا علاقة إطلاقًا تربط بيننا وبين البولنديّين، ونجحتُ في هذا. ومهمّة أخرى كانت تنتظرني؛ وهي إقناع

الروس بأنّ علي فؤاد كان يتصرَّف من تلقاء نفسه، ونجحتُ بعد هذا في سحبِ المال والعتاد من الرّوس.

تقدُّم روسيا حدث بفعل العلماء الأجانب عنها:

في روسيا تقدُّم عظيم، الروس يصنعون كلّ ما يلزمهم تقريبًا، حتى خرائط الصيد، وأخذتِ المدنُ الرّوسية شكل المدن الأوروبّية، والعلم تقدَّم فيها، وأقاموا المكتبات والمدارس والمتاحف، كما أنّ المسارح ارتقتْ.

قام وزيرٌ عاقل منهم باستقدام العلماء الألمان إلى روسيا، وجعلهم يدرُسون روسيا بكلّ ما فيها؛ علميًّا، وزراعيًّا، وكلّ شيء. وكان قد وزَّعهم على شُعب وفروع؛ شُعبة علمية، وشُعبة اقتصادية،.. إلخ. ثمّ قام الروس بتطبيق النتائج التي أسفرتْ عنها هذه الدّراسات، وبفضل هذا وصلتْ روسيا إلى ما وصلتْ إليه، والحقيقة أن العلماء الرُّوس المشهورين الآن هُم العلماء الألمان الموجودون كمُواطنين روس على ساحل البلطيق.

وتقدُّم اليابان أيضًا حدث بفضل العلماء الألمان، وفي رأيي أنّه من أجْل إحياء تُركيا لا بدّ من استقدام العلماء الألمان في كلّ التخصُّصات لدراسة بلادنا من كلّ نواحيها، وبدون هذا لن يحدثَ شيء، وكلّ شيء سيكون خطأ وبلا أساس، ولن تكون هناك سعادة لتُركيا إلّا بهذا، وإنّ سعادة مصر كانت نتيجة لبحث علمي كهذا، قام به العلماء الفرنسيّون، ونفَّذه محمد علي، كان ذلك قبل قرن من الزمان- حتّى كتابة هذه المذكّرات-، ولكن منذ ذلك العهد تفوّق الألمان على الفرنسيّين مائة مرّة.

جاء دورُ تسوُّل السّلاح والمال:

شيشرون ليس في موسكو هذه المرّة، وإنّما قراخان هو الموجود، والآن جاء دور تسوُّل السّلاح والمال من روسيا، قال لي: «لن نستطيع إعطاءكم نقودًا هذه المرّة»، قلت له: «إنّ جبهتنا ضدّ الفرنسيّين والإنكليز تعني جبهتكم أيضًا»، قال لي: «ليست لدينا نقود، لو كان عندنا لَأعطيناكم بكلّ سعادة، آخِر مرّة صادرْنا الذهب والمجوهرات الموجودة في الكنائس، وليس أمامنا شيء آخَر نصادره».

وجدتُ أنّ قراخان يتكلّم معي بصدق، كما أنّه صرّح لي بسِرٍّ ولو لم يكُن صادقًا لما صرّح به. إنّ الروس يصرفون أكثر على الدّعاية الشّيوعية في أوروبّا وفرنسا وإنكلترا وألمانيا، بل حتّى في مصر وفي أفغانستان وفي الهند.

أضاف قراخان قائلًا: «لكنّي أظنّ أنّنا نستطيع إعطاءكم السلاح»، وقابلتُ قوميسير الحربية تروتسكي، أبلغتُ أنقرة بالشّفرة أنّ الروس سيعطوننا السّلاح، لكن ليس لديهم المال الذي يعطوننا إياه، طلب منّي الروس إعدادَ قوائم بالمطلوب من السلاح، وجلستُ مع رئيس هيئة أركان الحرب الروسية لهذا الشأن.

غباءُ السّاسة في أنقرة:

في هذه الأثناء تمامًا أقام قراخان وليمةً للهيئات الأجنبية، ودعاني أيضًا إليها، وفي الوليمة أجلسَني عن يمينه، وأجلس الجميعَ في الوسط، وعندما انتهى الأكل أخذني على جانبٍ وقال لي: «علي فؤاد قادمٌ الآن مرّة أخرى سفيرًا لكم»!

دُهشتُ وقلتُ له: «هذا كذِب، مِثل هذا مستحيلٌ أن يحدُث».

قال لي: «تسلَّمتُ الآن برقية من سفيرنا لَديكم أنّ علي فؤاد أقام مأدبة وداع، ودعا إليها سفيرَنا هناك، وعلي فؤاد الآن في طريقه إلينا»

سكت ثمّ قال في حزمٍ: «إذا وصل إلى الحدود سنقبض عليه ونُعيده مُهانًا»

يا لَه من موقف!، كم نبذل من جهدٍ في موسكو، وانظروا ماذا يفعلون في أنقرة!، إنّ مساعدة روسيا لنا في السّلاح الذي نحن في أشدّ الحاجة إليه سيكُون في خبر كان.

فكّرتُ قائلًا لنفسي: إنّ الذي فعل هذا هو مصطفى كمال، وليس هناك في أنقرة أحدٌ يستطيع فِعل هذا إلّا هو، إنّه لا يريد علي فؤاد في أنقرة، فأبعده عن أنقرة لهذا السّبب، ولكن أهذا عقل؟!.

رغباتُ أتاتورك فوق الأمّة[1]

رغباتُ مصطفى كمال فوق الأمّة:

إنّ مسائل مصطفى كمال الشّخصية فوق الدولة وفوق الأمّة!، كتبْنا ما فعله علي فؤاد، قاله أيضًا سفيرُ روسيا، الروس طردوه، وساءت العلاقات بين الدولتين، أيُعقل أنْ يرسل إلى روسيا سفيرًا لنا بعد كلّ هذا؟؛ إلّا إذا كنتم لا تريدون غير العداء لروسيا في هذا الوقت العصيب الذي نحتاج فيه إلى المساعدات الروسية.

إذا كان هذا حسنًا فإنّ ما تفعلون هو الأفضل، إذا كنتَ (يا مصطفى كمال) تريد التخلُّص من علي فؤاد، وأن لا يبقى معك في أنقرة؛ فلماذا لا ترسله إلى مكان آخر؟، وعلي فؤاد نفسُه رجل عجيب يا عزيزي، حتّى إذا عيّنك مصطفى كمال مرّة أخرى لهذا المنصب؛ فلماذا تقبَله وتعُود إلى روسيا؟!، أنسيتَ ما فعلوه بك من الإهانة؟!، أنت رجلٌ مطرود!.

هدأتُ من روع قراخان، وقلت له: «أنا أكتب لأنقرة الآن حتّى لا يرسلوه، لا بدّ وأن يكُون في الأمر خطأ ما، وفي الحقيقة أنّني أسرعتُ في مساء ذلك اليوم بإرسال شيفرة إلى أنقرة»

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 569، 11 رجب 1402هـ الموافق 4 مايو 1982م.

قلتُ: «قال لي قراخان الآن إنّكم أرسلتم علي فؤاد مرّة أخرى، كيف ترسلونه بعد كلّ ما حدث؟!، قراخان يقول سأمسك به في الحدود وأقذف به خارجها، بكلّ الاختصار لا ترسلوه حتّى لا ينتهي كلّ شيء، إذا لما تصدّقوني فأرسلوه».

مصطفى كمال يريدُ التخلّصَ منّي بتعييني سفيرًا في موسكو:

بعدَ ذلك لم يرسلوه، فعلًا تعقّلوا في هذا، وأخبرونا بذلك عن طريق الشيفرة، وفي نفس الوقت اقترحوا عليّ منصبَ سفيرنا في موسكو، معنى ذلك أنّ مصطفى كمال انتهز الفرصة فورًا، مصطفى كمال إذًا يريد التخلّصَ منّي، رفضتُ المسألة بأدب.

قلت لهم: «إنّي سأصل عندكم وتتكلم، فلديَّ أشياء هامّة، لا أستطيع الكتابة»، وبشّرتُ قراخان بأنّ علي فؤاد لن يأتي.

حدث قحطٌ كبير في روسيا، إنّ القحط يحدث في هذه البلاد بمعدّل مرة كلّ عشر سنوات، الحكومة الروسية تستولي على المحاصيل عنوةً من مكان لترسله إلى مكان آخر، تأخذه من منطقة الفولجا، وأهالي الفولجا تتار، والموزّع عليهم المحاصيل هم الرّوس، والتّتار يقولون: «لو أنّ هذه المحاصيل والحبوب موجودة لدينا لما مات منا رجلٌ واحد؛ لكنّ الخطأ خطؤنا، والسّبب أنّ الشّيوعيين التتار يدلّون الحكومة الروسية على الأماكن التي يخبّئ فيها التتار محاصيلهم، فيستولون عليها»، يقولون إنّ خمسة ملايين نسمة ماتوا في هذا القحط.

أنور باشا يقود الثورة ضدّ الروس:

حدثتْ ثورة ضدّ الروس في فرغانة، والذين قاموا بهذه الثورة هُم الأتراك المسلمون، يُطلق على هؤلاء الثوّار اسم (باصماجي)، وهي كلمة تعني (النّهّابون)!، والواقع أنّهم ليسوا كذلك، والحقيقة أنّهم سُمُّوا هكذا لأنّهم كانوا يزعجون الروس، الروس أرسلوا أنور باشا إلى هؤلاء الثوّار ليسكّنهم حتّى يكُفُّوا عن ثورتهم، فإذا به يصل إلى هناك ليقود الثورة ضدّ الروس!!.

وكوّن أنور باشا قوّةً من خمسة آلاف تقريبًا، استطاع أنور بهذه القوة أن يستولي على بخاري وخيوه، وأخذ ينشُر البيانات، ولقّب نفسَه في هذه البيانات بالآتي: «أمير بخاري وصهر الخليفة»!، ولم يستمرّ هذا النجاح طويلًا، إذْ أرسل إليه الروس جيشًا قوامُه ثمانون ألفًا، وكنتُ في موسكو عندما كان أنور في طريقه إلى جبل فرغانة.

ذاتَ يوم قال لي قراخان إنّ أنور قد قُتل، لماذا لم تنشروا هذا في الصحف؟، قلتُ: «فلْنتحقّق أولًا من الخبر، أرسلتُ مَن يحقّق الخبر، فقالوا إنّ أنور أُصيب بثلاث رصاصات مِن مترليوز، وأقام له الباصماجيون قبرًا هناك، وهذا القبر أصبح مزارًا الآن!!.

والحقيقة أنّ أنور حدّثني بصراحة عن خطّته هذه التي ذهب ضحيّتها، وقلت له: «مِن الصّعب مقاومة الروس، إنّك ستهلك، كما أنك ستتسبّب في هلاك الأتراك هناك».

زارَنا بعد ذلك وفدٌ مِن بُخارى، وكان رئيسُهم رجُلًا عاقلًا، تحدّث معي، وعندما سألتُه عن أنور قال لي: «إنّ أنور ألْحَق بنا أضرارًا كثيرة جدًّا، إنّ ما

فعله كان جُنونًا، احتلَّ مع الباصماجيّين كُلًّا من بخارى وخيوه، ولم يكُن عندنا كوادر كافية، إذا وجدنا تُركيًا يعرف القراءةَ والكتابة أسرعْنا بتعيينه مديرًا لمركز أو غيره من الوظائف!، وفتحْنا المدارس، وأخذْنا نعلّم أولادنا بالطرق الحديثة، وكنّا ننجح في هذا الأمر، فظهر للرّوس أنّنا شيوعيون، ماذا نعمل وما هي حيلتنا؟.

ثمّ جاء أنور والثوّار الباصماجيّون، وهؤلاء جهلة متعصّبون، واستغلَّ أنور هذا التعصّب الديني، وحتّى في بياناته كانت مليئة بالتعصّب، يا لَه مِن رجُل!، نتيجة ذلك أنّ هؤلاء الباصمجيّين كانوا في الأماكن التي يدخُلونها يقتلون المثقّفين الأتراك، ثمّ جاء الروس وتخلّصوا من الباصماجيّين، لقد أخّرَنا أنور أربعين عامًا إلى الوراء!، إنّ ما فعله أنور هناك فعله معنا في تركيا، وهو الذي زجَّ بتركيا في الحرب، وكان يتلقّى الهدايا، وقد أُهدِي إليه «بانيو» من الفضّة مع لوازمه عندما وُلد ابنُه».

لماذا سقط الاتحاديون؟، لماذا تشتّتوا وانتهوا؟، لأنّ رجالهم حمقى، حمقى وجهلة، كما أنّهم كانوا لُعبة في يد الدّونمة واليهود، فمثلًا طلعت؛ إنّ رئيس مستشاري طلعت وأمين سرّه كان (متر سالم) اليهودي، وأعزّ أصدقاء طلعت كان (قراصو) اليهودي، كان يستشيرهما في كلّ ما يفعل، وهذان اليهوديّان كانا يتعاملان مع الفرنسيين والإيطاليّين، وأثرى كِلاهما ثراءً فاحشًا.

مع جمال باشا في موسكو:

التقيتُ بجمال باشا في موسكو، كنتُ في سفارتنا في موسكو، وكنتُ أستعدُّ للاستحمام، قالوا لي: «جمال باشا جاء يريدُ مقابلتك»، قلت لهم:

«ها أنتم تروني أستعدُّ للحمَّام وأخلع ملابسي، لو انتظر قليلًا!، أستحمُّ وأقابله»، ذهبوا وعادوا يقولون: «إن جمال باشا يقول لا يمكن أنْ أنتظِر، استقبِله الآن»!!، هذا الرّجل لا ينتظر، وكذلك يغضب ويمشي، كما أنّه يريد مقابلتي الآن.

هذا الرجل غريب!، جنرال!، المرض الشّائع الموجود في كلّ الجنرالات موجود فيه أيضًا، الخُيلاء والكِبر، لا سيّما وأنّ هذا المرض يظهر على هذا الرجُل بشكل أكبر ممّا يظهر في غيره، ملك!، إمبراطور!، نمرود!، فرعون!، إله؟!.

كان هذا الرجل في يوم من الأيام يحميني في مواجهة الدكتور ناظم، لكن هذا الرجل عندما كان ناظرًا للبحرية جاء إلى باريس، فأرسلتُ إليه خطابًا أطلبُ منه ميعادًا لمقابلته، فلم يهتمّ، والآن جاء إليّ، فلأنتقمْ منه، لنْ أوافق على مقابلته، ومع ذلك ارتديتُ ملابسي دون أن أستحمّ، وذهبتُ لمقابلته، نزلتُ إلى الغرفة التي هو بها، وإذا به ليس بمفرده، وإنّما بياورانه وحرسه أيضًا، والرّوس ينفقون عليه وعلى مَن معه مِن مرافقين أتراك.

أخذتُه هو ودخلْنا بمفردنا إلى غرفة مجاوِرة، عاملتُه معاملة حسنة، سألني عن أنقرة، وأخيرًا قال لي إنّه يريد أنْ يذهب إلى أنقرة، وإنّه كتب إلى الغازي (مصطفى كمال)، وإنّه في تخابُر معه، وقال لي إنّه سيذهب إلى تفليس لينتظر منه ردًا، كنتُ أعرف أنّه يتراسل مع الغازي (مصطفى كمال)، كان قد أرسل للغازي مجموعة خطابات لم يردَّ عليها مصطفى كمال، حتى أنّه أرانا خطابًا منها.

وفي هذا الخطاب يقول جمال باشا لمصطفى كمال: «يا هذا!، اكتب لي ردًّا ولو في سطرٍ صغير، حتّى أفخر بهذا»، وكالمعتاد تطق لسان مصطفى كمال بأقذع السبابِ أمامنا في جمال باشا، قال لنا هذا، لكنّه ردَّ عليه بخطاب، وظلا يتراسلان لفترات، وقال لنا مصطفى كمال ذات يوم فيما بعدُ إنّه يتراسل مع جمال باشا، ونسي مصطفى كمال كلامَه الأوّل عنه.

نصحتُ جمال باشا قائلًا: «إنّ ما تفعله عبث، مصطفى كمال لن يدخِلَك تركيا، إنّه مشغول الآن بالقضاء على منافِسِيه، أيّمكن لمصطفى كمال أن يسمح لجمال باشا بدخول تركيا ليكون بلاءً على رأسه؟!». جمال باشا حركي، إذا وجد فرصة استغلّها وأطاحَ بمصطفى كمال، لم يرغب جمال باشا في سماع كلامي، وقال إنّه على علاقةٍ طيبة بالغازي، وإنّ الإذن بدخوله تركيا لا بدّ وأن يصله.

قلتُ في نفسي فلأعرِّضْ بهذا الرجل، فقلتُ له في الوقت المناسب بلُغة مناسبة: «يا باشا، انظر، قلتَ لي إنّ قلمك كان يقطرُ في وجهي بالسمّ والدم، ونفيتُموني خارج البلاد، طردتُموني من وطني أثناءَ تحكُّم جمعية الاتحاد والترقّي في البلاد، ورغم أنكم هاجمتُموني كثيرًا إلّا أنّني الآن نافع للبلاد، وقلمي لا يسيل سمًّا، بل هو دواء، مات الوطن، وأنا واحدٌ من الذين يعملون لإحيائه، والآن نعمل لوطننا هذا تنفُّسًا صناعيًّا.

يبدو أنّني غير محقّ في عدائي لجمال باشا،

وسرعان ما أجابني بهذا الكلام: «أخطأ ما فعلتُه؟، بالعكس إنّ هذا واحد من الأعمال الطيّبة التي عملتُها أنا، كنتُ أعرف قيمتك جيدًا، كنتُ أقول إنّ يومًا سيأتي وتؤدي أنتَ فيه خدمات جليلة للوطن، جمعيتُنا (الاتّحاد والترقي) كانت تُعاديك، كانوا سيقتلونك يومًا في الطريق، وكان لا بدّ أن

أنقذَ حياتك، ولهذا أرسلتُك إلى أوروبا، ولم يخبْ ظنّي هذا، وها أنت الآن تؤدّي للوطن خدمات جليلة».

رجلٌ ذكي، وإجاباته هذه من علامات ذكائه، لكنّه رغم هذا عندما خرجتُ من السجن عاملني جيدًا، وبعد إرسالي لأوروبا منحني مرتَّب طالب، ولم يقطعْه عني رغم ممانَعة الدّكتور ناظم، يبدو أني لستُ مُحِقًّا في عدائي له واتّخاذي هذا الموقف تجاهه.

قتل الأرمن ستة أو سبعة رجال من الأتراك الأذريين، وقتلوا القادة الخمسة المشهورين في ذلك العهد من أتراك تركيا، وهُم: طلعت وبهاء الدين شاكر... إلى آخره، ثمّ سمعتُ أنّهم قتلوا جمال باشا في تفليس، إنّ جمال باشا لم يسئ معاملة الأرمن أثناء الحرب العالمية (الأولى)؛ بل بالعكس، فقد أخذ كثيرًا من الأرمن إلى سوريا وأنقذهم من الموت، أنقذ حياةَ ما لا يقلّ عن خمسين ألف أرمني[1]، فلماذا يقتله الأرمن؟!، إنّ هذا لُغز!.

ذهبتُ إلى قراخان في موسكو، وطلبتُ منه معلوماتٍ في هذا الشأن، فقال: «نحن آسفون جدًّا؛ لأنّ القاتل لم يظهر بعدُ»، ثمّ حصلتُ على معلومات خاصّة تقول إنّ القتلة أرمن، قام بقتله مجموعةٌ من الأرمن، حوالي خمسة أو ستة، واحد منهم خبّاز، والذي حرّض على قتله الحكومةُ الروسية!!.

---

(1) تمّت عملية تهجير الأرمن من المدن والولايات الحدودية العثمانية مع روسيا أثناء الحرب، ونقلوا إلى الولايات الداخلية لا سيّما سوريا، ورغم ظروف الحرب وردّ فعل القرويين تجاه الأرمن، فقد نجحت عمليةُ التهجير من خلال ضوابط وقوانين ومتابعة من طلعت باشا بشكلٍ كبير. وكان ضحايا الأرمن لا يتجاوز 53 ألف ضحية، رغم أنهم يدعون أنّ عددَ الضحايا يتجاوز ثلاثة ملايين، أي أكثر من عدد كلّ الأرمن في الدولة العثمانية الذي يبلغ 2،6 مليون أرمني وفق تعداد البطريركية نفسها.

انظر، أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: أكذوبة إبادة الأرمن في الدولة العثمانية والروسية.. وحقائق التهجير والتوطين والعودة، مركز التاريخ العربي للنشر، القاهرة/ استانبول، 2019م.

أتاتورك وراءَ اغتيال جمال باشا[1]

العلاقةُ بينَ مصطفى كمال والحكومةِ الروسية في اغتيال جمال باشا:

لا بدّ أن يكُون هذا صحيحًا؛ لأنّ كلّ شيء بيد الحكومة الروسية، والسبب أن حلّ هذا الأمر صعب، واحتمال أنّ الرّوس فقدوا الثقة في هؤلاء الاتحاديين بعد حادثة أنور، ولا شكّ أنّ جمالًا كان لديه خبرٌ عن ثورة أنور، واحتمال أن يكون الروس عرفوا بذلك، فأبادوا جمالًا، إذْ أنّ مصطفى كمال اضطرب بسبب طلب جمال العودة إلى تركيا بأيّ شكل من الأشكال.

لذلك خاف مصطفى كمال ووسّط الحكومة الروسية في القضاء على جمال، وإنّي أظنّ أنّ بين الروس وبين مصطفى كمال جنايات مشتركة، فقد اغتِيل روسيٌّ عندنا في تركيا، وظلّ القاتل مجهولاً، وقام الروس بتسليم رحمي والي أزمير السابق!.

كان من المُمكن أنْ تغزو أفغانستان الهند:

والغريب أنّ جمال باشا كان يؤسّس جيشًا في أفغانستان، وكان أمان الله خان سيستولي بالجيش على الهند، وهذا العملُ في صالح الروس، في الحقيقة أنّه لو كان هناك في أفغانستان جيشٌ مجهّز بكلّ شيء من التدريب والتنظيم

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 570، 18 رجب 1402هـ الموافق 11 مايو 1982م.

ومكوّن من مائتي ألفِ شخص؛ لَكان يمكنُه الاستيلاء على الهند، إلّا أنّ تعاظُم جمال باشا ومحاولته الهيمنة وتحكُّمه جعلا المَلِك يطرُده من أفغانستان، ولّما ضاق بجمال الحال أحبَّ أن يعُود إلى تركيا.

وبعد رحلتي إلى روسيا عدتُ من موسكو، ثمّ إلى أنقرة في خمسة أيام، وهذا رقم قياسيّ، وكنتُ قد سمعتُ وأنا في سيواستبول بنبأ انتصارنا على الجيش اليوناني، وفي تركيا حدّثني أحدهم عن هذا بقوله إنّ هجومنا على القوات اليونانية بدأ في يوم 26 أغسطس عام 1338 في الصباح الباكر بطلقات المدفعية من تل قوجه تبه، فحدث تردُّد واضطراب في الجيش اليوناني.

وكان القائدُ العام يريد إدارة المعركة من أزمير، وأخيرًا تولى القيادة تريكو يوليوس، وهو من القادة الموجودين في الجبهة، وفي خلال خمسة أيام وقع تريكو يوليوس وجزء من الجيش اليوناني أسرى، وجزء مهم انتهى، والذين قاموا بعملية الأسْر هُم فِرقتنا من الفرسان، وانحصر الجيش اليوناني في وادٍ مُحاط بجبال، فاستولى جنودنا على هذه الجبال، ولم ينجُ من اليونانيين إلّا فرقة واحدة، ثمّ تحرّك جيشُنا بسرعة إلى أزمير، وتعقّب القوات اليونانية المتراجعة من بورصة، وبالتالي دخل أزمير، وكان هذا النصر عظيمًا، وأنقذ الأناضول وأزمير من اليونانيين واحتلالهم.

حملةٌ من جبروت الطاغية:

الأوروبّيون يدْعوننا إلى مؤتمر الصلح، واقترحوا علينا إقامة مباحثات بيننا وبين الطّرف الأوروبي في مودانيا أو أزمير، واتّفقنا على موادنا، وكان منّا عصمت باشا، ومنهم مِن الإنكليز الجنرال هارينجتون قائد قوات الاحتلال الإنكليزية، وجنرال

إيطالي وجنرال فرنسي، وعُقدت هناك هدنة مودانيا[1]، وانسحب اليونانيون من تركيا الشرقية، وأرسلْنا نحن قوة جاندارما مكوَّنة من ثمانية آلاف شخص.

أعقب ذلك حملةٌ من تجبُّر وتسلُّط وتحكُّم مصطفى كمال، فهو في أزمير يقوم بالأعمال الدبلوماسيّة، ويتّخذ القرارات ويأمر بتنفيذها، ما هذا الاستبداد؟!، وكأنه لا وجودَ لمجلس الوزراء ولا لمجلس الأمّة، وكان لا بدّ أن يغضب مجلس الوزراء، قام مجلسُ الوزراء (المنتخب من مجلس الأمّة) بإبلاغ مصطفى كمال بأنّ مهمّته العسكرية قد انتهت، وأنّ وظيفته السياسيّة قد آلت إلى الحكومة، وأنّه يجب حضوره إلى أنقرة.

لكنّه يُدير تُركيا كأنّها مزرعته الخاصّة!، خاصةً بعد معاهدة لوزان، فقد تمادى في هذا، ووضع الوزراءَ ونوّاب الأمّة والموظفين والشّعب أيضًا، وضعهم في مقام الحيوانات المستأنسة!.

عقب انتصارنا في أزمير، ودخول رأفت استانبول، قام السّلطان والائتلافيون بالتفكير في منع جنود الأناضول من دخول استانبول، وكان (شيخ الإسلام) مصطفى صبري سيصبح رئيسًا للوزراء.

مصطفى كمال يزيح القائد قرابكير من أمامه:

وفي هذه الأثناء، ومع دخول قوات الأناضول إلى استانبول، هؤلاء الناس الذين كانوا يعارضون الحركة الوطنية في الأناضول، هربوا- خوفًا على حياتهم- إلى كلّ من سلانيك ومصر.

---

(1) هدنة مودانية/ مودانيه متاركه سي: اتّفاق لوقف إطلاق النار بين دول الائتلاف وحكومة مجلس الأمّة الكبير في أنقرة، وقد بدأ التفاوض عليه في مودانيه في 3 أكتوبر 1922م، وتمّ الاتفاق في 11 أكتوبر على أربعة بنود، وتعدّ وثيقة نصر سياسي ودبلوماسي بعد نصر عسكري أحرزه الأتراك بعد استعادة أدرنة وتراقيا الشرقية، وترك العاصمة استانبول والمضايق للإدارة التركية. انظر، صالح سعداوي: مصطلحات التاريخ العثماني، جـ 3، ص 1317.

ولكي يوطّد مصطفى كمال استبداده عيّن قرابكير نائبًا في مجلس الأمّة، وحوّله من قائد مشهور إلى مجرّد نائب يأخذ دوره في المجلس حتّى لا يظهر له أي صوت!، ولم يسندْ إلى قرابكير وظيفةً أخرى، ومعنى ذلك أنّه قضى على هذا القائد، وحوّل القادة المشهورين الذين أبلَوا بلاءً حسنًا وحارَبوا أخطر معارك حرب الاستقلال التّركية مثل قرابكير وعلي فؤاد إلى أصفار، ولم يسند إليهم أدوارًا مهمّة، وكان لا بدّ أنْ يضع كلّ واحد منهم في قطاع مهمّ في الدولة، وفي هذا كان يخاف منهم، فهُم منافسوه، إنّ الرجل لا يفكّر في الأمّة، ولكنّه يفكّر في منصبه فقط.

مؤتمرُ لوزان:

دُعينا لمؤتمر لوزان، كان رؤوف مرشَّحًا لتولّي رئاسة وفد تركيا في مؤتمر لوزان، ورؤوف جاهل، وذكاؤه محدود، تنقُصه الشّهامة، كما أنّه عديم الإدراك.

كان في معاهَدة موندورس، وكنتُ قد سألتُه ذاتَ مرّة قائلًا: «يا رؤوف بك، كيف وقعتَ البندَ السّابع من معاهدة موندورس؟»

قال لي: «إنّ الإنكليز السفلة خدعوني في المباحثات، أعطوني كلمة شرف، ولم يفُوا بها»، وأخذ يسبُّ ويشتم في الأميرال كالتروف متهمًا إيّاه بالكذب وعدم الشرف، رؤوف من الأباظيين[1].

(1) آباظة/ آبازة: اسمُ الأبخازيين في اللغة التركية، وقد لقب به عدّة أشخاص في التّاريخ العثماني، انحدروا من أبخازيا. أمّا أبخازيا فتمتد من سلسلة جبال القوقاز إلى شاطئ البحر بين جاجري في الشمال، ومصبّ نهر الأجور في الجنوب. وأبخاز هي قبيلة قوقازية تسكنُ في الأصل على شواطئ البحر الأسود، وأشهر مَن تلقّب بهذا الاسم: آبازه باشا (ت 1634م)، آبازه محمد باشا (ت 1771م)، آبازه حسن (ت 1658م).

انظر، حسان حلاق: المعجم الجامع في المصطلحات، ص 9.

فقلت لمصطفى كمال: «يا باشا، ألم تجِد تُركيا غيره ليقوم بمهمّة رؤوف في لوزان؟»

قال لي مصطفى كمال: «إنّ الحقّ معك، ترى مَن تعمله رئيسًا للوفد؟!، إنّ عصمت مناسبٌ أكثر مِن غيره، إنّه تركي».

ذهب وقال ليوسف كمال: «استقِلْ أنتَ من وزارة الخارجية لنعيّن عصمت باشا وزيرًا لها»

فاستقالَ يوسف كمال، ولم تكن المجموعة الثانية التي ستنتخب وزير الخارجية موافقةً على عصمت باشا، اقترحتْ مجموعة «قارا واصف» ترشيحي أن أكون وزيرًا للخارجية.

نصحتُهم قائلًا: «لا تفعلوا هذا، ليس هذا بأمرٍ طيب، أنا لا أرغب أن أكُون وزيرًا للخارجية، ولا رئيسًا للوفد، المهمّ عقد معاهدة جيدة».

عصمت باشا كُرديّ يدعو إلى القوميّة التركية!!!

وأخيرًا تقرّر الآتي للاشتراك في مؤتمر لوزان: عصمت رئيسًا، وأنا (رضا نور) مرخصًا، وحسن بك للشئون المالية، فقال الجميع: «موافقون»، سعدتُ جدًّا لأنّ رئيس الوفد التركي بدلًا من الأباظي رؤوف، مسائل الأتراك لا يحلُّها إلّا تُركي، لكنّي بعد ذلك عرفتُ أنّني وقعتُ في خطأ فادح إذ أنّ عصمت ليس تُركيًا، وإنّما هو كُردي من «بتليس»!، ولم أعرف هذا إلّا في لوزان، وكان لهذا وقع الصّاعقة في نفسي.

ذاتَ يوم ونحن في لوزان، قال لي عصمت إنّه كردي من بتليس، وسألني: «هل في بتليس أتراك؟»، تجمّدتُ من هول هذا الكلام، إذْ أنّ

عصمت في كلّ أفعاله وأقواله يبدو تركيًا يدعو إلى القوميّة التركية!، بل إنّه عضو في المنتدى التركي!!.

إلغائي للسلطنة العثمانية كان عمليةَ انتقامٍ قومي منها:

أخطرتْنا دولُ الحلفاء بأنّ المؤتمر سيُعقد في لوزان في 28 تشرين الأول/ أكتوبر عام 1338، ولم نجد أيّةَ ملفات أو إحصائيات أو وثائق تُعِيننا على عملنا، كلّ ما هنالك عشرُ موادّ كتبها عصمت بقلمِ رصاص في ورقة صغيرة، عبارة عن تعليمات مجلس الوزراء بشأن المعاهدة.

دعا الأوروبّيون أيضًا حكومة استانبول إلى المؤتمر، ومعنى ذلك وجود تُركيائين لا تركيا واحدة، الأوروبيّون يحملون هذا خصيصًا حتّى يفرّقوا بيننا، احتار مصطفى كمال، واحتار الجميع، المسألة جادّة، وجود حكومة استانبول وحكومة أنقرة معًا سيجعلنا نترك الأوروبيّين وننشغل بصراعاتنا.

فكرتُ في هذا، لا بدّ من حلّ المسألة حلًّا جذريًّا، ووجدتُ لها حلًّا، أليس مجلس الأمّة في أنقرة؟!، نُلْغِي السّلطنة، وبهذه الصّورة ينتهي السّلطان، وتنتهي حكومة استانبول، حلٌّ مختصَر وسهل، منذ سنوات كثيرة خَلَتْ ويراودُني أمل مقدَّس، هو فصل الدّين عن الدولة، وفي رأيي أنّ من أهمّ أسباب نكبة تركيا أنّها ليست علمانية، إنّ الطريق الذي سلكتْه كلّ دولة في أوروبّا سعيًا إلى الرقي والتقدم هو فصل الدين عن الدّولة، وهذا الطّريق ضروريٌّ لنا، ليكُنِ الدّين مقدَّسًا، ولكن لا يتدخّل في عمل الحكومة.

ومع تفكيري في إلغاء السّلطنة لم يخطُرْ لي على بال مسألة إلغاء الخلافة، بالعكس لستُ أرى أنّ إلغاء الخلافة مُضِرٌّ؛ إلاّ أنّي مقتنع بأن نجعل الخلافة قوةً

مستقلّةً عن الحكومة، وأنّه لا بدّ من تقوية الخلافة، وبهذا السّبب فكرتُ في إلغاء الخلافة بشكل دينيّ ومستقلّ؛ وبذلك نضرب عصفورين بحجر واحد.

والآن أنا أزيل السّلطنة والأسرة العثمانية، وبذلك أقوم بعمليّة انتقام قوميٍّ منها، أجعل الدّولة علمانية، صرتُ أحملُ بذورَ الحقد في نفسي تجاه العثمانيّين حتّى أصبح شعورًا عدائيًا فظيعًا لهذه العائلة العثمانية منذ دَعَونا عبد المجيد وليّ العهد إلى الأناضول ولم يحضر.

وها أنا ذا أعاقبه، كما أنّي أمنع بذلك حكومة استانبول من تمثيلها في المؤتمر، وجمعتُ توقيعات من مجلس الأمّة بذلك حوالي ثمانين توقيعًا، ثمّ قابلتُ مصطفى كمال صدقة في ممرّات المجلس، وأريتُه ما نريد عمله والتّوقيعات، فكّر طويلًا ثمّ قال: «وأنا أيضًا أوقّع معكم»، وفي المجلس قرأتُ تقريري هذا الذي جمعتُ عليه توقيعات الأعضاء بإلغاء السّلطنة، قبِلَ المجلسُ هذا التقرير باتفاق الأصوات وبالتّصفيق الحادّ، وكان هذا انقلابًا مدهشًا.

كيفَ خسرْنا الموصل وكسبها الإنكليز[1]

مصطفى كمال يهدّد النوّابَ المعارضين لإلغاء السلطنة بالموت:

بذلك انتهتْ مشكلة وجود وفد استانبول في مؤتمر لوزان، وكان الأميرآلاي الفرنسي (موجين) حاضرًا في القسم الخاصّ بالمستمعين في المجلس، وهو ممثل الفرنسيين في أنقرة منذ فترةٍ طويلة، وبعد انتهاء هذه الجلسة قام وجاء إليّ قائلًا ما مضمونه: «كان المجلس بصورته اليوم مدهِشًا، كان الجوّ مكهربًا أكثر من المعتاد، كنتُ أترقّب باهتمام كيف ستُحلّ هذه المشكلة. إنّ هذه الجلسة أهمُّ جلسة في تاريخ تركيا، لك تهنئتي، مصطفى كمال دخل أزمير، وحقّق انتصارًا عظيمًا، لكنّك بما فعلتَه هذا حققتَ انتصارًا عظيمًا، وأعظمُ بكثيرٍ ممّا حقّقه مصطفى كمال. إنّ هذه الأمّة تستطيع نسيان مصطفى كمال، لكنّها لا تستطيع نسيانك».

إنّ هذا الحماس الذي قُوبل به تقريري بتوقيع ثمانين عضوًا- وهذا يقارب الأغلبية- جعل المجموعةَ البرلمانية الثانية تقُوم بعمل دعاية مضادّة لتقريري، فقام مصطفى كمال وهدّد أعضاء هذه المجموعة بالموت، فسكتوا عن الاعتراض!.

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 571، 26 رجب 1402هـ الموافق 19 مايو 1982م.

تمّ إبلاغ استانبول بهذا القرار، فانتهت حكومة استانبول، بعد ذلك قام المجلس بانتخاب عبد المجيد أفندي خليفة، وفي رأيي أنّ الخليفة يجب أن يكُون أكثر أهل البلاد علمًا وشرفًا.

إلغاء الخلافة جنون:

وفي خطابه الرّسمي يحاول مصطفى كمال نِسبة هذا الشّرف لنفسه!، ولم يذكُرني فيه بحرف واحد!، وفي مسألة الخلافة يقول مصطفى كمال: «أنا الذي أقمتُ الحكومة العلمانيّة وفصلتُ الدّين عن الدولة»!!، مع أنّي أنا الذي عملتُ على هذا، فقد كتبتُ أنا التّقرير الذي ينصُّ على هذا، ولم يكُن لدى مصطفى كمال أيّ خبر عنه!، لم يكنْ يعرف أصلًا معنى كلمة علمانيّة!!، حتّى معناها لم يكُن يعرفه!!.

يقول أيضًا: «لقد تركتُ الخلافة لمدّة أخرى- بعد إلغاء السّلطنة- دون احتوائها على حقوق صريحة»، أمّا أنا فأبقيتُ عليها بحقوق صريحة، ولو كنتُ أريد إلغاءها لألغيتُها وسط الحماس الذي صاحب تقريري، وأنا من أعداء الخلافة جدًّا، ومازلتُ هكذا إلى الآن، إنّ إلغاء الخلافة جناية.

إنّ إلغاء الخلافةِ عملٌ من أعمال مصطفى كمال، فلْينظُرْ إلى موسوليني الذي أعطى للفاتيكان في روما القوّة والدعم، فلْيعتبرْ مصطفى كمال بهذا، لماذا تلغي الخلافة؟، فلْيكُنْ للمسيحيّين بابويتهم وللمسلمين خلافتهم، إلغاء الخلافة جُنون، بإلغائها أصبح المسلمون بلا قوّة، ولا مركز، ولا أمل، أصبحوا غرباء، مَن يجسر على قطع الغصن الذي يقف عليه؟!، لا يستطيع هذا إلّا مجنون، لأنه أطاح بما في يده من قوّة مادية ومعنوية.

يدّعي مصطفى كمال أنّ الخلافة لم تعُد قوّة!؛ لكن هذا الادّعاء خطأ، بفضل الخلافة قدّم لنا الهنود الدّعم المادي والمعنوي الكثير، كيف ينكر مصطفى كمال هذا؟!، ليست الخلافة مؤسّسة دينية فقط، إنّها قوّة مادية ومعنوية للدولة والوطن، عرب فلسطين يستفيدون من الخلافة، ويجمعون من الهند أموالًا طائلة.

وصلنا إلى لوزان، عُقِد أوّلُ اجتماع في 21 تشرين الثاني/ نوفمبر 1338 (1922م)، إنّ ما نحن مقدِمون عليه عظيم، أمامنا مسألة تصفية الامتيازات الأجنبية، كان عقدُ أولِ اجتماع في مباحَثات لوزان بحضور اللورد كيرزون وزير الخارجية الإنكليزية، ورئيس الوزراء الفرنسي بوفانكره، وموسوليني رئيس وزراء إيطاليا، وكانت المباحثات تُعقد في قصر تاريخي حوّلوه الآن إلى فندق، اسمه قلعة (شاتو أوشي).

مصطفى كمال يريد توقيعَ معاهَدة لوزان بأيّ ثمن:

ليس معنا نحن الوفد التركي أيُّ استعدادٍ من الملفّات وغيرها، اللورد كيرزون هنا، ومعه مجموعة من الدبلوماسيّين الرّسميين، كما أنّ هذا الوفد يصحب معه ملفّات هائلة، ماذا سنعمل؟!، وليس معنا نحن إلّا عددٌ من التعليمات مكتوبة في قطعة ورق وبالقلم الرّصاص!. انتحى مصطفى كمال بي وبعصمت جانبًا وقال: «مهمتكم العُظمى الصُّلح، لو رجعوا في كلامهم، ولو رفضوا إعطاءنا إقليم تراقيا فلا تتعِبوا أنفسكم، دعُوكما من هذا واعقِدا الصّلح، وحتّى لو استدعى الموقف أنْ تتركا استانبول فاتركوها».

وهذه هي أوامرُ مصطفى كمال الشّفاهية، دهشتُ!، كيف يفكر هذا

الرجل هكذا في تركيا واستانبول؟!، غالبًا إنّه يريد الصلح بأيّ ثمن، وفي لوزان كان عصمت يقول لي كثيرًا عن الموصل: «يا عزيزي دَعْكَ من هذا، ولْنعقدْ الصلح».

وكنتُ أقول له: «لا يمكن، لا بدّ أن تبذل كلّ مقاومتنا أولًا»

وكان يقول لي: «هيّا نُعطِهم الموصلَ حتّى لا نضيع الفرصة»، ماذا يعملُ عصمت؟!، فأوامر سيّده تقضي بهذا، ومن المحتمل أنّ الإنكليز لو كانوا عملوا بالنّسبة لاستانبول وتركيا مثلما عملوا في الموصل لَكان عصمت تنازل عنها.

الحمدُ لله، فإنّ الإنكليز لم يعترضوا على استانبول وتركيا، لكن مشكلة الحدود حول أدرنه كانت صعبة، مسألة هذه الحدود تولّاها عصمت فقط، ليست الحدود هنا في صالحنا، لا أدري هل كان من المُمكن عملُ شيء أفضل من هذا؟!، كان توفيق الكلداني بجانب عصمت- وقد أصبح أمينًا لرئاسة الجمهورية بعد ذلك- ولم أكن أنا موجودًا في اللّجنة التي وضعت أساس هذه المباحثات ولجانها المتخصّصة.

كنتُ أرى نفسي حقيرًا أمام المفاوض الأوروبّي:

بدأتِ الجلسةُ وكنتُ خائفًا، كنتُ أظنّ أنّ هؤلاء الناس عظماء القدْر جدًّا، إني متردّد جدًّا في لقائهم والتّباحُث معهم، أمضيتُ خمسة أيام تقريبًا في المراقبة والاستطلاع، درستُ كلّ واحد منهم، تشجّعتُ، والحقيقة أنّي كنت خائفًا جدًّا في البداية من هؤلاء الإفرنج، وكنتُ أرى نفسي حقيرًا بالنسبة لهم.

الواقع أنّي ألفتُ المباحثات وأنا في روسيا، لكنّ الأمر هنا يختلِفُ لأنّ الذين أقابلهم الآن نخبةٌ من دبلوماسيّي أوروبّا، ولا بدّ من تنظيم وقت العمل، وأردْنا نحن بدَورنا التدخُّل في هذا، لم يسمحوا لنا، دول الحُلفاء عملتْ كلّ شيء، عيّنوا الرؤساء منهم وأبلغونا، أمامنا ثماني دول: إنكلترا، فرنسا، إيطاليا، اليابان، رومانيا، الصرب (الصرب- كروات- سلوفين)، واليونان، كان لورد كيرزون يقوم بعمل كلّ شيء تقريبًا، ويجعل الآخَرين يوافقونه، يعني أنّه المسيطِر على المؤتمر هو إنكلترا.

رأسَ لورد كيرزون الجلسةَ الأولى، وكانت اللّغات الرسمية هي: الفرنسية والإنكليزية والإيطالية، أمّا غير ذلك من اللغات فممنوع، كانوا يرسلون لنا جدول عمل الجلسة قبلَ يوم واحد منها، ونقُوم نحن بإعداد الإجاباتِ لهذا الجدول، تريد دعوة حكومات روسيا وأوكرانيا وكورجستان.

الرّئاسة في المؤتمر كما يتصوّرها الحلفاء: للإنكليز والفرنسين والإيطاليين، طلبْنا نحن أنْ يكُون الرئيس منّا أحيانًا، لم يُعِرْ أحدٌ هذا الكلام اهتمامًا، ولا يريد الأمريكيّون إلّا دور المراقب في المؤتمر، أمّا عن الدورات فكان مؤتمر لوزان عبارة عن دورتَين، ثمّ تكوّنت لجنتان للنظر في:

1 – المسائل الخاصّة بالأراضي (الحدود) والشّئون العسكرية.

2 – ومسألة الأجانب والأقليات الموجودة في تركيا.

3 – والشّئون المالية والعسكرية، المرافئ (السكك الحديدية، الشركات وغيرها)، والشّئون الصّحية.

وكان على رأس هاتين اللّجنتين رؤساء البعثات الإنكليزية والفرنسية والإيطالية، وكان لكلّ لجنةٍ حقُّ تكوين لجان فنية.

مصطفى كمال يريدُ تركَ الموصل للإنكليز:

حدودُ العراق متعلّقة بمسألة الموصل، وحاولنا حلَّ هذه المشكلة بشكل خاصّ منذ الأيّام الأولى للمؤتمر، أحضر الإنكليز عربيًّا من بغداد، ولم نوافق نحن على اشتراكه، ولم يشترك. وكان عصمت يقول لي كثيرًا: «هيّا لنتنازَلْ عن الموصل ونتخلّص منها».

وكنتُ أعترض عليه، وأقول: «الموصل أهمُّ أراضينا، لو عرضَ هجوم علينا فسيحدُث مِن هناك، لنحاوِلْ، وهناك احتمال في حصولنا عليها»، أمّا هو فقد كان يقول: «لا تحاوِلْ، وإلّا فستتحوّل المعاهَدة إلى صُلح»، وكنتُ لا أقتنع بهذا، يقول لنا الإنكليز: «معنى إعطاء الموصل لكم يساوي نزولكم إلى بغداد». أيْ أنّهم يخافون من هذا.

عندما عجز عصمت عن إقناعي بترك مسألة الموصل؛ كتب إلى أنقرة فسألتِ الحكومةُ هيئةَ أركان الحرب، فقال فوزي باشا: «فلْنأخذ الموصل»، وهذا ما أعطاني القوّة، ولا شكّ أنّ عصمت يريد تنفيذَ ما قاله لنا مصطفى كمال عند توجيهنا إلى لوزان من ترك الموصل، وليست المسألة مسألةَ مزرعة أبيه حتّى تنفّذ أمرَ سيده!.

المستشارُ العسكري للوفد التّركي كلداني جعلنا نتركُ السّليمانية للإنكليز:

حدثَ تقدُّم كبير في المباحثات الخاصّة مع الإنكليز، جاءنا الإنكليز ذات يوم، ومعهم اقتراحٌ جديد، وفي أيديهم خرائط رسموا عليها الحدود، وقالوا لنا: «ها هي ذي، يسيرُ هذا الرّسم من شمال الموصل قريبًا من حدودها»، ويتركون لنا سجن السليمانية كلّه لنا.

إنّ هذا الأمرَ عظيم، معنى هذا أنّ الأمل يزداد في أخذ الموصل، قال لنا مستشارنا العسكريّ في المؤتمر وتوفيق: «ماذا سنستفيدُ من السليمانية؟، إنّها منطقة جبلية، إذْ لم تكُن الموصلُ معنا، فلا يمكنُ حتّى مجرّد الذهاب إلى هناك، وستُصبح عبئًا علينا»، ولأنّي غيرُ عسكري لا أفهم في هذا، وأرى أنّ عصمت يسأل توفيقًا عن هذه المسائل، توفيق موصلي أساسًا، وفي الحقيقة إنّ وجهَه آشوريّ كلدانيّ تمامًا، وقد سمّيتُه أنا توفيق الكلداني.

كيف خسرْنا الموصلَ وكسبَها الإنكليز:

خدعني توفيق هذا عندما قال: «إنّ السّليمانية لا تهمُّنا»، لو كنّا أخذنا الموصل كلّها، وظّفوا فتحي لهذا العمل، وصلت المسألة إلى عصبة الأمم المتحدة، أكثر الآراء كانت معنا!، إلّا أنّ جمال حسني سفيرَنا في بون اقترح على أحد الأعضاء رشوة، فغضبَ هذا العضو وصوّت ضدَّنا، وكسب الإنكليز بفارق ضئيل جدًّا في الأصوات، وخسرْنا الموصل، ولا بدّ أن تكُون النتيجة هكذا، إذا كان أمثال جمال حُسني السكير الجاهل يُعيّنون سفراء.

حظ الأمّة التركية سيّئ[1]

اللورد كيرزون أثار إعجابي:

تباحثتُ تباحثًا خاصًّا مع اللورد كيرزون مِن أجل الموصل، علمتُ نقطة ضعف كيرزون، حسّاس تجاه المَديح، والحقُّ أنه رجل عظيم، وجديرٌ بكلّ مدح عظيم، أمدحُه لذاته، أمدحُه بهذا الشّكل، وأنا مقتنعٌ بما أفعل، رُويدًا رُويدًا بدأ هذا الرجلُ يحبّني، وبدأ يدعوني، ورقّت طباعُ كيرزون معي، وهو المعروف عند كلّ شخص بخشونتِه، وفي كلّ لقاء معه أقول له: «اتركوا لنا الموصل».

وجاءتْ أوقات كادَ يجيبُني إلى ما طلبتُ، وذات يوم وبينما أنا أصرُّ على مسألة الموصل تكلّم هو عن السّياسة العامّة، وقال: «ولكنّكم مع الروس، فكيف يحدث ما تريد؟! إنّ هذا الضوء حسن».

قلت له: «نحن دائمًا نحمل فكرةَ الصّداقة مع الإنكليز، والأمة التركية تحبُّكم وتكره الرّوس، والروسي عدوٌّ طبيعي للتركي، وهذا من القديم، ولم يتغيّر اليوم أيضًا، ولم تغيّر الحربُ العالمية هذا، إنّنا الآن أصدقاء مخلصون للروس، لكنّ هذا حدث نتيجة تقصيركم، وجّهتُم إلينا لطمةً، فدفعتُم بنا إلى أحضان الرّوس، افتحوا الآن أذرعكم بالصّداقة، وسنجري إليكم».

نهضَ من مكانه وجلس بجانبي، معنى هذا أنّي ضربتُ على أكثر الأوتار

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 572، 2 شعبان 1402هـ الموافق 25 مايو 1982م.

حساسية، قال لي: «إذا تصادقنا هل تتركون الرّوس؟»، قلتُ له: «فورًا». سُرّ كيرزون من هذا، فقلت له: «إن عدوّنا هو روسيا، ونحن سئمْنا من الاستيلاء على الأراضي، وسئمْنا من الحروب، أراضينا واسعة، ولا نريد إلّا الأمن، كلّ همِّنا ينحصر في تعمير بلادنا الخربة، وتربية أمّتنا في إطار من السّلام؛ لذلك فحاجتنا إليكم كبيرة، ولكن فينا حاجة أنْ نكُون درعًا دفاعيًّا لكم ضدّ روسيا، وبدلًا من المصاريف التي ستصرفونها في العراق، وإذا ثارت عليكم نمدُّكم نحنُ بالجيش، إنّ فكرة الخلافة وفكرة الطورانية[1] كِلتاهما بعيدة عنّا كلّ البعد».

---

(1) الطورانية: اصطلاحًا تنسب الطورانية إلى هضبة طوران الواقعة في آسيا الوسطى، حيث كانت تعيش الأقوام التركية قبل نزوحها غربًا إلى خراسان وما وراء النهر.

وقد قام (ضيا كوك آلب)، الأب الروحي للقوميّين الأتراك بنشر منظومته الشهيرة (طوران) سنة 1911م، وفيها طرح فكرةَ الوحدة الطورانية. ومؤدّاها: «أنّ وطن الترك ليس الدولة العثمانية أو الأناضول؛ وإنّما هو (طوران) ثمّ دعى إلى الاهتمام برقي العنصر التركي أولًا؛ إذْ إنّ وحدة العنصر هي الباقية: فالدين لم يقض على الفوارق العنصرية.

وبعد هزيمة الدولة العثمانية في حرب طرابلس سنة 1911م وحرب البلقان سنة 1912م. راجت مثل هذه الدّعاوى العنصرية وتبنّاها السياسيون، فأصبح (ضيا كوك آلب) عضوًا بارزًا في الاتّحاد والترقي، ويبدو أنّ تبنّي جماعة الاتحاد والترقي لهذه النزعة جاء كردّ فعل لظهور الدعوة إلى القومية العربية آنذاك في الشام. حيث ظهرت مؤلّفات تدعو إلى القومية منها ما نشره نجيب عازوري سنة1324هـ بعنوان (يقظة الأمّة)، وما نشره عبد الرحمن الكواكبي بعنوان (أم القرى).

وقد تبنّى بعض الأتراك فكرةَ اللامركزية التي اتخذها حزب (الحرية والائتلاف) المعارض شعارًا له. وقد أدّت هذه الدعوة (الطورانية) إلى هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى وأدركوا أن مغالاتهم وتطرفهم أدّى بدوره إلى وقوعهم في كثير من الأخطاء السياسية. فراجعوا حساباتهم. وتخلّوا عن مواقفهم.

انظر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، مادة (الطورانية)

أيها الإنكليز نحن فقط القوّةُ التي تستطيعون الاعتمادَ عليها في الشرق:

«لا بدّ لكم من قوّة صديقة في الشّرق، وأردتم أنتم أن تكُون اليونان هذه القوة، ولم يحدُث ما أردتم. إنّ الأحداث لتُظهر لكم أنّ هذه القابلية وهذا الاستعداد منعدمٌ في الأمّة اليونانية، نحن فقط الذين يمكن أن يكُونوا هذه القوّة».

طالَ الحديث وعمُق، فقال لي: «حسنًا جدًّا!، كلّ هذا جميل جدًّا مضبوط، لكن لا بدّ من ضمانٍ لهذه الصّداقة، كيف يمكن أنْ يكون هذا الضّمان؟، ذلك لأنّ الحكومة يمكنُ أن تغيّر في يوم، وهذه السّياسة تتغيّر، وليس لديكم حكومة مستقرّة، بل ولا فكر وسياسة حكوميّة مستقرّة».

واضحٌ أنّنا نتحدّث بإخلاص وصراحة، لا يجدون أمانًا عندنا، لم أجدْ جوابًا على كلامِه هذا، وإنّما قلتُ فقط: «ليس من الممكن إيجاد إجابة والنّطق بها فورًا، إذا أحببتم فيُمكن الدّخولُ في مناقشة هذا فيما بعد»، فهمتُ أنّ الإنكليز يهتمُّون بأن نكُون بعيدًا عن روسيا، ويودُّون هذا جدًّا.

فإذا أصبحْنا بصدقٍ أصدقاء للإنكليز فهُم محتاجون إلى قوّتنا؛ ليستندوا إليها، ومِن الطّبيعي أنّ مَكسَبنا مِن هذا سيكُون عظيمًا، مكاسب اقتصادية وإعمارية وتدريبية وتربويّة، وأمن حدودنا، ولكن لا بدّ مِن قدرتنا على إعطائهم هذا الإخلاص والشعور بالاستقرار.

صداقتُنا مع الرّوس شيء مؤقّت، أمّا الإنكليز فهُم الأصل:

استدعاني كيرزون ذاتَ يوم، نتحدّث كما نتحدّث كلّ مرّة، كلّ مشكلتي تنحصر في اكتساب صداقةِ الإنجليز، وأنّي مقتنع جدًّا بأنّ حياة تُركيا وسعادتها لن تكُون إلّا بهذا، صداقتُنا مع الروس شيء مؤقّت، كان لدينا احتياجات،

وحصلْنا عليها، وانتهتِ المسألة، وإلى هذا الحدّ فقط تصادقْنا، كما أنّي وجدتُ عند الروس أن فكرة الاستيلاء على تركيا لا تزال تراودُهم، ولم تنفعْ صداقتنا لهم، هذه الفكرة في أذهانهم، ثمّ أن الرّوس ما هُم؟!، ما قيمتهم؟!.

لو كان عند الأقرع مرهمٌ لَدَهَنَ به رأسَه!!، إنّ سياستهم هي التوافق مع الإنكليز، وكثيرًا ما صرَّحوا لي واعترفوا بأنّهم محتاجون للإنكليز، وبغير الصداقة الروسية الإنكليزية لم يستطعِ الرّوس العيشَ في سلام، إلّا أنّ مصطفى كمال له ارتباطات خاصّةً بالرّوس، وهذه مشكلة.

حظّ الأمّة التركية سيئ:

لو كانت الحكومةُ التّركية أرسلتْني بعد لوزان إلى لندن لأقمتُ هذه الصداقة التركية الإنكليزية، ولأنقذتُ الموصل لنا، ومن جانب آخَر كان اللورد كيرزون قد سأل عني كثيرًا بعد لوزان، وسمعتُ هذا مِن كثيرٍ من الناس، ومع الأسف مات لورد كيرزون، وكنّا قد تفاهمْنا وانسجمْنا معًا كثيرًا، إنّ حظّ الأمّةِ التركية سيّئ.

يا حكومةَ أنقرة، لماذا لا تحتلّون سوريا؟!:

ذاتَ مرّة، كنتُ أتحدّث مع لورد كيرزون، وكنتُ أُكثِرُ من ترداد كلمة الموصل، وكان هو في غرفته، فأخذ يسيرُ جيئةً وذهابًا، مستندًا على عصاه، وأخيرًا وقف واقترب منّي، وقال بصوتٍ منخفض: «الموصل!، الموصل!، ماذا ستفعلون بها؟، سوريا تحتَ أنفكم تمامًا، خذوها!، ضربة واحدة تكفي».

أبهجَني هذا الكلام، معنى هذا أنّه أصبح يطمئنّ لي تمامًا، حتى يقول هذا الكلام فهو يقترح أنْ نأخذ سوريا من الفرنسيّين، لم أندهشْ لهذا، كنتُ

أعرف هذا في بداية الهُدنة عندما كنتُ في مصر، قام الإنكليز بتشكيل جمعيات من العرب، وأنشأوا منظّمات مسلّحة.

جميعُ تمرُّدات الدّروز صنعَها الإنكليز:

فقدْ كانوا يريدون طردَ الفرنسيّين من سوريا، وجميع التمردات الدُّرزية الأخيرة مِن صُنع الإنكليز، ذلك لأنّ هذه المسألة هي مسألة الهند، والتاريخ فصيح في هذا الباب، فالتّنافس الإنكليزي الفرنسي في البحر المتوسط والمستمر منذ قرن ونصف قرن مازال موجودًا، تنافس مستعمرات.

وعلى هذا فقد كان دخولُ نابليون مصر وسوريا موجبًا لقيام الإنكليز بالحرب متعاونيْنَ معنا ضدّ الفرنسيّين، وتمّ بهذا طردُ الفرنسيين من مصر، كان نابليون يريد الذّهاب إلى الهند، من بعد استيلائه على سوريا، ووجود الفرنسيّين في سوريا لا بدّ أنْ يأتي اليوم الذي يطردونهم فيه منها.

سرّ إنكليزي أذيعه لأوّلِ مرّة:

كان اقتراحُ كيرزون جدّيًّا، إنّ هذا الرجُل دبلوماسي قدير، وفي غاية الذكاء، وربما يكُون مقصدُه معرفة وجهة تفكيرنا في احتلال الأراضي، فقلتُ له: «ليست لدينا أدنى رغبةٍ في سفك الدّماء، وبذل المصاريف في سبيل أخذ أراضي، وإثباتًا ماديًّا لصداقتنا في صداقتكم؛ نستولي نحن على سوريا من الفرنسيّين، ونعطيها لكم».

ضحكَ لورد كيرزون كثيرًا من السّرور، وقد خبأتُ أنا سرّه هذا حتّى اليوم، وأودعه للضّرورة في مذكّراتي هذه، بعد فترة استأذنتُه، وغادرتُ المكان على أمل اللقاء به.

تمسك الإنكليز بالموصل لم يكن من أجل البترول!!:

كنّا نعتقد- قبل ذلك- أنّ الإنكليز يتمسّكون بالموصل من أجل البترول، وكنّا نظنّ أنّنا سنأخذ الموصل ونُعطيهم امتياز البترول، تقدَّمْنا بهذا الاقتراح، لم يوافقْ كيرزون إطلاقًا على هذا، ونحن نصرُّ على موقفنا هذا، فقال اللورد كيرزون إنّه ليس لمسألة الموصل أدنى علاقةٍ بمسألة البترول.

وقد كرّر الإنكليز هذا كثيرًا، وكيرزون يصرُّ على قوله إصرارًا عظيمًا، والشيء المثير للدّهشة أنّ هذا ليس اقتناعنا نحن فقط، وإنّما الجميع يتصوّرون أن ارتباط الإنكليز بالموصل أصلُه البترول، والإنكليز يقولون العكس، ويصرُّون على قولهم، ولم أفهمْ هذا أبدًا، غالبًا إنّ السّبب في هذا هو موقع الموصل الاستراتيجي، مَن يستولي على الموصل يصبح مالكًا لبغداد، فليس بينهما مكانُ دفاع ولا جبل يمكن أنْ يسمّى بجبل.

خلاصةُ الأمر أنّ مسألة الموصل لم يكُن حلُّها عن طريق المباحثات الخاصّة، وحاولنا إثباتَ دَعْوانا بذِكر خواصّ ولاية الموصل وغيرها، كذلك حاول الإنكليز- مِن وجهة نظرهم- قالوا بأنّ الأكراد هنا أكثر، وإنّ التركمان هناك ليسوا بأتراك.

كيرزون هدّدنا لكي نقبلَ إحالة قضيةِ الموصل إلى عصبة الأمم:

اقترحَ كيرزون تقديمَ مسألة الموصل إلى عُصبة الأمم، وهدَّدنا لكي نقبل هذا الاقتراح، وبذلك أوصل الأمرَ إلى درجة الإجبار، وسرعان ما ظهر تأثير هذا التهديد على عصمت، فوافق على الاقتراح، جاءني «فوربر آدم» خصيصًا

ليقول لي: «فلْنعقِدِ الصّلحَ، ويجب ألّا تكُون مسألة الموصل مانعًا لعقده، فهذه المسألة يمكن حلُّها فيما بعد» .

وهذا ما نريده، فلا بدّ من عقد الصّلح، ومسألة الموصل تُحَلُّ فيما بعد، وما دامت الأمور وصلتْ إلى هذا الحدّ، فمعنى هذا أنّ الصّلح قد تمّ، ذلك لأنّ المسيطر على المؤتمر- وعلى العالَم كله- هُم الإنكليز، وعلى هذا فقد فصّلوا الموصل عن مسألة الصّلح.

إقامةُ وطنٍ قوميّ أرمني في تركيا[1]

اللّجنة الثانية:

اقتراحُ كيرزون في الجلسة العامّة المعقودة في أوّل كانون الأول عام 1922 حلّ مسألة الحرب بين الأتراك واليونانيّين بأسْراها، وتبادل الأهالي اقتراحها كمسألة عاجلة ومهمّة.

قامَ نانسن- مندوب عُصبة الأمم- بالسّفر إلى تركيا، والقيام بدراسات قال في نهايتها إنّ مسألة الحرب مسألةٌ اقتصادية وخيمة، ويجب عملُ التّبادل السكّاني بين الأتراك واليونانيّين مبادلة متكاملة وعاجلة. والحمدُ لله أنّ نانسن اقترح هذا، وكان لا بدّ أن نقترحَه نحن، ولا بدّ أنّ الإنكليز هم الذين دفعوا هذا المندوب إلى تقديم اقتراحه هذا.

صرّح فنزيلوس بأنّه يقبل اقتراحَ نانسن؛ أي تبادل الأهالي، وهذا أيضًا شيء محيِّر، معنى هذا أنّ اليونان قد تخلّت عن أطماعها العُدوانية في تركيا، كما قال أعضاء وفودِ المؤتمرين: التّبادل السكاني سيكُون عملًا إنسانيًا.

قلنا في المؤتمر: سنُطبّق قوانين أوروبّا بدلًا من الشريعة، وسنفصل الدّين عن الدّولة.

يعرِّف الإفرنج الأقليّاتِ عندنا على أنّها أنواعٌ ثلاثة: أقليات عِرقية، وأقليات لُغوية، وأقليات دينية. وهذا التقسيم خطِر بالنّسبة لنا، فالتقسيم

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 573، 9 شعبان 1402هـ الموافق 1 يوليو 1982م.

العرقي سيشمل الشركس والأباظة والبشناق والأكــراد إلى آخِره، وسيضعونهم بجوار الأروام والأرمن، والتقسيم اللّغوي سيجعل المسلمين الذين يتحدّثون لغة أخرى أقلّيات، معنى هذا أنهم سيحوّلوننا إلى قطن الحلاج، يفرّقوننا ويُلقون بنا.

فزعتُ عندما سمعتُ هذا التّقسيم، قدّموا لنا اقتراحًا، وقمتُ أنا بتقديم اقتراح مضاد، وفي اقتراحي هذا استخدمتُ تعبير «العلمانية» لأوّل مرّة سواء عندنا في تركيا أو في المؤتمر، كرّرتُه كثيرًا بعد ذلك، وقلتُ فيه إنّنا سنشرّع القانون المدني في تركيا، وسنأخذه من أوروبا، وإنّنا سنفصل الدّين عن الدولة.

والسّبب الذي قلتُ هذا من أجْله أنّ الفرنج قالوا إنّ القانونَ السّائد لَدَيكم هو الدين، ولا نستطيعُ أنْ نحتكم إلى قانونِ المسلمين فيما يتعلّق بالمسيحيين، وهُم يريدون استثناءَ المسيحيّين عندنا من الخدمة العسكرية، ويريدون الإبقاءَ على الامتيازات التي منحَها السّلطان محمد الفاتح للأروام[1]، هذا غيرُ الحرية الدينية وغيرها الموجودة في المعاهدات التي

(1) فرمان السلطان محمد الفاتح: فرمان (مرسوم) للسلطان محمد الفاتح، وهو أمرٌ وعهد عاهدَ به أهل غلاطية (غلطه)، وضمن فيه حقوق الذميين:

«هذا عهد ذمي غلاطية، عاهدهم لما فتح أبو الفتح السّلطان محمد خان استانبول كتب بالرّومية وختمه السلطان بالطّغرة». أنا السّلطان الكبير والشاه العظيم السلطان محمد خان ابن السلطان مراد، أقسمُ بالله خالق السّموات والأرض، وبحقّ روح جدي، وبحقّ روح أبي، وبحقّ حياتي، وبحقّ حياة أولادي، وبحقّ السيف الذي أتمنطقه؛ إذ يرسل أهل «غلاطية» وناسها مفتاح القلعة المذكورة طلبًا للسلم إلى عتبتي العليا مع «بابلان براويزين» و«ماركيز ده فرانكو»، وترجمانهم «تيكوروز بابرهو»، مُعلنين الطاعة والانقياد لي، فإني:

1. قبلت أنْ يقيمون عباداتهم وأركانهم على الوجه الجاري حسب الأسلوب القديم القائم في عاداتهم وأركانهم، وأنْ لا أهاجمهم لهدم وتخريب قلعتهم.

2. وأمرت أنْ يُقر في أيديهم أموالهم وأرزاقهم وأملاكهم، ومخازنهم، وبساتينهم، وطواحينهم، وسفنهم، وقواربهم، وعموم أمتعتهم ونسائهم، وأولادهم، وعبيدهم، وإمائهم، ولا أتعرض

طُبقت على الدولة الأوروبيّة.

إنّ أكبر قضية لهؤلاء منذ القديم، وكذلك أهمّ قضية لأوروبا وللمسيحيين هي: «إنّ قوانينكم هي الدّين، دينكم الإسلام، إنّكم لا تستطيعون حُكم المسيحيين بالإسلام»، كلّ ما أدّاه أنّهم يلفّون ويدُورون حول هذه النّقطة، ولكي أغلق عليهم أفواههم كنتُ أقول لهم من البداية إنّ تركيا تفصل الدّين عن الدولة، وتَدين بالعلمانية، وستشرْع القانون المدني، وستُقيم هذا الأساس قويًا جدًّا، وستأخُذه من أوروبا كما هو.

إلى شيء، ولا أكرههم على شيء في ذلك.

3. وعليهم أنْ يعملوا ولهم أنْ يسافروا برًّا وبحرًا مثلما في سائر ممالكي، فلا يمنعهم، أو يزاحمهم إنسان، وأن يُؤَمّنوا ويَتَسَلّموا.

4. وأنْ أضع عليهم الخراج يؤدّونه عامًا بعد عام كغيرهم، وأنْ أرعاهم بنظري الشريف، فأحميهم مثل ممالكي الأخرى.

5. وأنْ تكون كنائسهم ملكَ أيديهم، ويقرأوا حسب طقوسهم، ولكن لا يدقّوا جرسًا أو ناقوسًا، وأنْ لا أستولي على كنيسة لهم لأجعلها مسجدًا، وهُم لا يبنون كنيسة جديدة.

6. وأنْ يذهب ويجيء تجار «جنوة» بحرًا وبرًّا، ويدفعوا جركهم على العادة الجارية، ولا يعتدي عليهم إنسان.

7. وأمرت أنْ لا يؤخذ ولد للجيش الجديد، وأنْ لا يجبروا كافرًا على الدخول إلى الإسلام بغير رضاه، وأنْ ينصبوا من بينهم مَن يختارون صاحبًا (راعيًا) لمصالحهم.

8. وأمرت ألّا يشغل دورهم صقّار، أو تابع (موظف)، وأن يَتَسلّم ويُعفى أهل القلعة المذكورة وتجارها من عمل السخرة.

ليعملوا على هذا الوجه، ويعتمدوا علامتي الشّريفة. تحريرًا في أواخر جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة (875هـ/ 1453م).

انظر، أحمد آق كوندز: الدولة العثمانية المجهولة، ص 665-666.

تأثير الكنيسة الإنكليزية في موقف الإنكليز السياسي:

والواقع أنّي ضمنتُ هذا في تقريري الذي قدمتُ عند إلغاء السلطنة، فصلتُ الدين والخلافة عن الدولة، يمدُّني الفرنسيون بالقوة، عندما كنتُ أذكر القانون المدني وفصل الدين عن الدولة كانوا يصمتون، بل حتّى أنّهم كانوا يظهِرون تقديرَهم ويشترِكون مؤيِّدين لنا. كان الإنكليز يُبدون أحيانًا يونانيِّين أكثر من اليونانيين، وإني أظنّ أنّ شدَّتهم لم تكُن من الحكومة الإنكليزية، بل كانت سياسة شخصية لرمبولد، أو أنّ ذلك كان بتأثير الكنيسة الإنكليزية.

كان اليونانيّون وغيرهم يُثيرون الزّوابع بشأنٍ ما للمسيحيين من زواج وشئون الميراث وغيره، وكنتُ أردُّ عليهم بأنّنا سنطبّق في هذا القانون المدني الأوروبي كما هو، وكان هذا الردُّ مُفحِمًا، يؤثّر أكثر ما يؤثّر في الفرنسيّين، وكان لاروش المندوب الفرنسي يقول إنّهم سيطبّقون القانون المدني الأوروبي.

وفي هذه الحال، فليس من الصّواب طلب الامتيازات منهم في هذا الخصوص، وعلى المسيحيّين- أيضًا- أنْ يتّبعوا هذا القانون، كان لاروس يقول هذا ويسكِت الآخرين، وفي هذا ساعدَنا المندوب الفرنسي كثيرًا، لكنّ المندوبين اليونانيين صرفوا جهودًا بارزة في سبيل المحافظة على الامتيازات التي كان السّلطان محمد الفاتح قد ضمّها للأروام.

وكنتُ أنا قد عزمتُ على أنْ أزيل هذه الامتيازات كاملة، واستقدم عصمت في هذه الأثناءِ بهاء بك، وكان يشغل منصبَ مدير المذاهب بوزارة العدلية في حكومتَي استانبول، وخدم زمنًا طويلًا، وأخبرني عصمت بمجيء بهاء بك بعد وصول هذا الأخير، اعترض هذا المديرُ بشدّة على

القانون المدني، قال: «إذا أخذنا بالقانون المدني الأوروبي؛ ستتزوّج الفتيات التّركيات بالمسيحيّين، ويا لَهذا من أمر فظيع!، انتهى الدّين!».

فقلتُ أنا له كلامًا أسكتَه، قلتُ: «إنّ هذا ما أريده، ولو كان الرجال الأتراك تزوّجوا منذ عدّة قرون بالفتيات التّركيات، ولو كان الرّجال الأتراك تزوّجوا بفتيات مسيحيات لَما ظهر في تركيا اليوم مسيحيّ واحد»، لكنّ هذا الرجل متعصّب، وكلام من قبيل هذا لا يعجبه.

والتزم التزامًا كليًا بالامتيازات التي مُنحت للبطريركية، إنّ عقل هذا الرجل عقل بالغ القِدم، بعيدٌ عن تطوُّر العالم، قال لي إنّه منذ وصل (لوزان) وهو لا يأكل شيئًا فيه لحمُ خنزير، لا الطّعام ولا حتّى الخبز، أشفقتُ عليه، سيموت جوعًا، لا سيّما وأنّه نحيفٌ ضعيف، قصصتُ على عصمت قصته، وقلت له أنْ يعيد هذا الرجل، ولم يهتمّ عصمت بكلامي، على كلّ حال عاد هذا الرجل من حيث أتى.

◄◄ ما دام الأمريكيّون مشفِقين على الأرمن ؛فلماذا لا يعطونهم وطنًا في أمريكا؟!:

في اجتماع 20 كانون الأول/ ديسمبر طلب المندوب الأمريكي إقامة وطن أرمني للأرمن، قلت: «إذا كان الأمريكيّون بدافع من الإنسانية يسْعَون لراحة الأرمن، وإذا كان هؤلاء الأمريكيون مهتمّون بخدمة الإنسانية؛ إذًا فعليهم إعطاءُ وطن للأرمن في أمريكا».

قالوا لي: «لماذا؟»

قلت: «ذلك لأنّه لا يوجد في تركيا مكانٌ مُريح به التجهيزات الكافية

في تكييف الهواء!، لكنّ هذا الأمر متوافرٌ في أمريكا!، لا سيّما وأنّ أمريكا بلد غني تكتنفه الرّاحة والسّعادة، والأرمن سيجدون راحتهم هناك».

ضحكَ الجميع من هذا الكلام، مندوب أمريكا أيضًا ضحك، لم يسجّلوا هذا في مضبطةِ الاجتماع.

قال مونتانيا: «غدًا عيدُ رأس السنة»، قدّم هذا (الوطن) هدية عيد رأس السنة.

فقلت: «ليس لدينا عادةُ تقديم هدية في عيدِ رأس السنة، كما أنّ هذا رأس السنة المسيحية، وبما أنّ هذه العادة موجودة لديكم أنتم فقط إذًا فقدّموا أنتم الهدية».

ضحكوا لهذا أيضًا، وضحِكْنا نحن أيضًا، وأُغلِقتْ الجلسة، ولم يسجّلوا هذا أيضًا في المضبطة.

إقامةُ وطنٍ قوميّ أرمني في تركيا:

انتقل مونتانيا في أواخر جلسات 6 كانون الثاني/ يناير 1923 إلى مسألة إقامة وطنٍ قومي أرمني.

قلت: «اتّخذتْ دولُ الحلفاء الأرمن آلة سياسية لأغراضها، فأعطتْهم السلاح، وجعلتْهم يثُورون على دولتهم التي يعيشون في كنفِها، وكانت نتيجة هذا تأديبهم، وتحطّموا بالتّأديب وبالأمراض السّارية والجوع والهجرة، ومسئولية كلّ هذا لا تقع على عاتقنا نحن، وإنّما على عاتق دول الحُلفاء، إذا كان ولا بدَّ تقديمُ مكافأة للأرمن فأعطُوها أنتم هذه المكافأة!، فلا يمكن كسب العدو بمال الغير.

يقال إنّ الأرمن مظلومون، ولا بدّ من إعطائهم الاستقلال ووطن قومي أرمني، ونحن مقتنعون بهذا، ولكنّ المظلوم في العالَم ليس أمّة واحدة فقط،

فمصرُ كمْ من مرّة- وإلى الأمس القريب- قد بذلتْ الدّماءَ في سبيل حُرّيتها، الهند وتونس والجزائر والمغرب تريد حريّتها ووطنها، حتّى الإيرلنديون كم من الدّماء بذلوا- ومنذ كم قرن- في سبيل وطنهم واستقلالهم. أعطُوهم أنتُم استقلالهم ووطنهم، ونحنُ نعطي للأرمن فورًا، وإنّي أنسحب من الجلسة».

ووقعَ هذا الكلام وقعَ الصاعقة على المؤتمرين، وخاصّة رمبولد، وأخيرًا وقّعْنا معاهَدَتين مع اليونان حول تبادُل الأسرى والأهالي، وتمّ كلّ شيء لصالحنا، وكلّ شيء لم يسِرْ حسبَ رغبتي تمامًا، فمثلًا لم نستطع أنْ نأخذ أتراك شمال سوريا، ولم يكُنْ باستطاعتنا شيء، فائتلاف أنقرة الذي عمله مصطفى كمال ويوسف كمال بالذّات قد أنهى هذه المسألة منّا، وأصبح ذلك أمرًا واقعًا.

اللّجنة الثالثة:

لم يبقَ غير المسائل الاقتصادية (الديون العمومية، الجمارك، الشركات الأجنبية، إلخ)، والعدليّة، والحجر، وما شابه ذلك، وتشتمل هذه الأمورُ على مسألة مهمّة، وهي الامتيازات.

يوجد في لوزان وفدٌ من المصريّين، يرسلون للمؤتمر- ولنا، وللوفود الأخرى- البيانات، يطلبون تخليص مصر من الإنكليز، ويريدون الاستقلال، هؤلاء هم حزب الوفدِ برئاسة سعد زغلول، والإفرنج قبلوا المسيحيّين الأرمن والكلدانيين والآشوريين وغيرَهم في المؤتمر، واستمعوا إليهم، ولم يقبلوا المصريّين المساكين، آه لو كانوا قابلونا وراجعونا أثناءَ تناوُل المسألة الأرمنية لَكنتُ اقترحتُ رسميًا قبولهم في الجلسة، وما الحيلة وقدْ ظهروا بعدَ فوات الأوان، أصرُّوا فقط على قولهم: «اتركوا مصر للأمّة المصريّة، وليس للإنكليز»، وقد تركْناهم، إذًا ماذا نفيد من مصر؟!.

دورُ الحاخام نعوم في مباحثات «لوزان» (1)

◄◄ الوفدُ برئاسة سعد زغلول مُعادٍ للأتراك، وكان يُمكننا مساعدته في لوزان:

وفدُ سعد زغلول مُعادٍ للأتراك؛ لأنهم قدَّموا للإنكليز مليون إنسان في الحرب العالمية الأولى، لم يأخذِ الإنكليز هؤلاء بالجبر، وإنَّما بالأجر والمرتَّب، يقول المصريون في مطبوعاتهم كلَّما حانت الفرصة لهم: «إننا أعطينا الإنكليز مليون إنسان، ونقود في الحرب العالمية الأولى، ساعدناهم ولم يعطُونا استقلالنا».

استخدم الإنكليز أكثرَ هؤلاء المصريين في معركة جناق قلعة (غاليبولي) ضدَّنا نحن الأتراك، قدَّم لنا الإنكليز مشروعًا للمسألة العدلية، وهو شيء فظيع، وقدَّمتْ دول الحلفاء مشروعًا، فقلت إنَّه لا ينفع، ذهبتُ إلى مونتانيا، وقلت له: «أنت دبلوماسي قدير، تعال لنحلَّ معًا هذا المشكِل»، سُرَّ جدًّا من هذا وقال: «حسنًا»، قدَّمتُ له مشروعنا نحن لحلِّ المسألة العدلية، قال: «أعني لا ينفع»، ثمَّ مناقشات ومحاولات إقناع، وأخيرًا اقتنع، لكنَّه أراد إضافة سطر واحد ينصُّ على ضرورة وجود قاضي أوروبي في محاكمنا، يصرُّ على هذا.

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 574، 16 شعبان 1402هـ الموافق 8 يونيو 1982م.

قلت له: «ممكن، ولكن يتواجد كمستشار وموظف لدينا، يستطيع دخول المحكمة، ولكنْ لا يتدخَّل في الحُكم، كما أنّ هذا لا يستمرّ أكثر من 5 سنوات»، وأخيرًا قبل هذا، ثمّ قام مونتانيا بإقناع الإنكليز والفرنسيّين بهذا الكلام.

الإفرنج لهم حقوقٌ في المسألة العدلية، وإني أصدّق على هذا، أنّهم يخافون من محاكمنا، وحقيقةً أنّ محاكمنا خاضعة للحكومة، وكثيرًا ما تصدِر أحكامًا على هواها، وعلى هذا يستخدمُ مصطفى كمال ومحمود أسعد[1] هذه المحاكم اليوم في اتّجاهٍ مُغاير للأمّة.

وفي 21 كانون الثاني/ يناير عام 1923 عُقدت لجنة عامّة، يرأسها كيرزون، ألقى خطبةً طويلة، وخطّطوا لمشروع معاهدة، وخطبة كرزون هذه مهمّة، وأذكُر أنّ كيرزون قال: «لقد استخدمنا نفوذَنا من أجْل إسكات اليونانيّين وإجبارهم على أنْ يسلُكوا السبيلَ المُربح في مسألة التبادل السكاني».

وتحدّث كاروني بعد كيرزون فقال: «إنّهم سحبوا مطاليبهم في الامتيازات العدلية والإدارية».

ثمّ تكلّم مونتانيا فقال: «إنّ الديون العمومية عام 1914 كانت 140 مليون ليرة تركية ذهبية، وبهذه المعاهدة تصبح 87 مليون»، طلب أيضًا منا 30

---

(1) محمود أسعد بوزكورت (1892-1943م): تخرّج من كلية الحقوق في استانبول، وتابع دراسته في لوزان وفرايبورج، وعندما احتلّ اليونانيون مسقط رأسه إزمير عام 1919 عادَ إلى تركيا وانضمّ إلى المقاومة، ومنذ عام 1920 وحتّى وفاته 1943 عمل كنائب عن إزمير في المجلس الوطني الكبير، وعملَ مفوّضًا للشئون الاقتصادية 1922-1923، ووزيرًا للعدل 1924-1930، وأدخل القانون العائلي الجديد (السويسري) عام 1926، وتقلد منصبَ بروفيسور في القانون الدستوري والدولي إلى جانب منصبه السياسي.
إريك زوركر: تاريخ تركيا الحديث، ص 513.

مليون ليرة ذهبية مصاريف احتلال تركيا، كما طلب حلفاء تركيا منا 60 مليون ونصف المليون، وقال إنّه سيتراجع عن هذا، ولم ينس أيضًا أن يطلب 15 مليون ذهبًا قيمة الأضرار التي لحقتْ برعايا دول الحلفاء في زمن الحرب.

وأخيرًا قال: «إنّ كلّ هذا يبلغ 122 مليونًا» مع أن الديون الخارجية للإنكليز وفرنسا وإيطاليا تبلغ المليارات، معنى هذا أنّ ديون تركيا قليلة، وعلى هذا فيجب أن تحفظ تركيا الجميل، يعني أنّنا على قوله أسعد أمّة في العالم ولا ندري.

هذا هو الدّبلوماسي!!

كان السفير الفرنسي في استانبول هو أوّلَ مَن وضع تقسيم تُركيا، مع أن بومبار ليفل دبلوماسي على الإطلاق؛ لأنّه كان سيخدعنا وكان يدفعنا للتوقيع، وقال في آخِر كلماته: «غفلة عصمت باشا الدبلوماسية، يا عصمت باشا!، اعقِد السلام في هذه اللّحظة الحاسمة والشديدة الإحراج!، إننا نجتمع اليوم من أجْل هذا، أتحدّث إليك أنت شخصيًّا، فكم من مرّة قلتَ لي إنّ لك الصلاحية الكاملة، وإنّ الصلح مسألة في يدك».

ثمّ رشاه بالكلام بقوله: «إنّك دافعت عن وطنك بشجاعة، فاعقِد الصلح أيضًا بشجاعة»، ثمّ رشا مصطفى كمال بالكلام أيضًا، فحديثه يفيض دبلوماسية في هذا، وأخيرًا قال: «أفكّر في أنّ مستقبل تركيا وطالعها في يدك الآن»، مديح ممتزج بالتّهديد، والحقُّ أن هذه هي الدبلوماسية بحقّ، برافو يا بومبار.

علمتُ الآن شيئًا من بومبار، وهو أنّ عصمت قال: «الصلح في يدي، ولديَّ الصّلاحية الكاملة»، كم كان هذا غفلة!، أتكُون الدبلوماسية بهذا الشكل؟!.

الإشاعاتُ المختلفة تنتشر، إذا لم يوافقْ الأتراك فالحربُ ستقُوم، وكانت هذه الإشاعة تُخيفُ عصمت وتدفعه لتوقيع المعاهَدة بأيِّ شكلٍ مِن الأشكال، كم هو جبان!، وإني لأعجَبُ كيف يكُون عسكريًا!!، ووصلَ الأمر إلى حدِّ توقّف المباحَثات، وعندما وصلَ كيرزون إلى لندن قدَّم للحكومة الإنكليزية تقريرًا رسميًا عن الوضع في لوزان، لم أرَ هذا التقرير، ولكن قيل لي إنّه كُتِب.

كان هذا يعني الصّلح، لقد وعدَني عصمت وعدًا قاطعًا بأنّه سيوقّع على مشروع السّلام، ولم تستطعْ روحٌ خبيثةٌ التدخُّلَ في هذا الأمر حتّى الدّقائق الأخيرة، وهذه الرّوح الخبيثة بالطبع أنا!!.

دورُ الحاخام نعوم أثناءَ المباحثات:

وفي هذه الأثناء، ظهر على مسرح الأحداث الحاخام نعوم[1]، رأيْنا تصريحًا له في إحدى صحفِ باريس يقول ما خُلاصته: «لا داعي للقلق،

(1) حاييم ناحوم/ ناعوم: كبيرُ الحاخامين في الدولة العثمانية، وكان قبل ذلك كبير الحاخامين في ولاية سلانيك، عمل في المخابرات البريطانية أثناء الحرب العالمية الأولى، تمكّن من إنشاء 320 محفلًا ماسونيًا، وكان مستشارًا لعصمت إينونو في مؤتمر لوزان، وكان ثمة تنسيق بين حاييم ناعوم وبين اللورد كيرزون وزير الخارجية ورئيس الوفد البريطاني، وكانا يؤكدان على أنّ إلغاء الخلافة يساعد في تحقيق الصلح، وفي ذلك يقول رؤوف أورباي: «وافق عصمت باشا وبنصيحة من حاييم ناعوم الذي قام بدور الوسيط بين بريطانيا والوفد التركي على إلغاء الخلافة». وبعد إبرام معاهدة لوزان لم يعدْ ناعوم إلى تركيا، بل ذهب إلى مصر وأصبح كبير الحاخامين هناك، وبمساعدة المندوب السامي البريطاني في مصر استطاع أن يعين اليهودي يوسف قطاوي وزيرًا للمالية وتعيين زوجة قطاوي كبيرة للوصيفات في قصر الملك فاروق، وصار هو شخصيًا صديقًا ومستشارًا للملك فاروق، وفي سنة 1946 تمكن من جمع مبلغ ثلاثة ملايين جنيه مصري تبرّع للحركة الصهيونية، وكان يقيم في بيته بالقاهرة ناديًا للقمار يرصد ريعه للحركة الصهيونيّة في فلسطين، وصار عضوًا رسميًا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة حتّى وفاته في 1960م.
انظر، أحمد نوري النعيمي: تركيا بين الموروث الإسلامي والاتجاه العلماني، ص 85 ؛ أحمد نوري النعيمي: يهود الدونمة، ص 185-186.

فعِصْمت صديقي، ولا يخالف لي كلمة، سأذهب وأصلحُ الأمر».

وبينما الأمر على ذلك، وصلتْ برقية من الحاخام من باريس، يقول فيها: «أنا قادم إليكم، سأصلح الأمر، لديَّ خبر مهمّ لك، حاذِرْ، لا تقطعِ المباحثات قبل أنْ أحضر».

الغريبُ أنّ هذا اليهودي كان في لوزان فطردْناه، لا يستحي فيكتب برقية بهذا الشّكل!. وهذا طبيعي؛ إنّه يهودي!!، لا حياء لَدَيه. ضحكتُ، يلعب على الحبلين، بالنّسبة لكلامه في الجريدة الباريسية نفهمُ أنّه يعمل لمصلحة الإفرِنج، ونفهَم من برقيّته أنّه يعمل لصالحنا، إنّه مثالٌ واضح لليهود.

وبينما نجلس في غُرفة عصمت إذا بواحدٍ يأتي ليقول: «نعوم أفندي جاء، ويريد لقاءكم».

صِحتُ في عصمت قائلًا: «لا تفتحْ فمَك أمامه، اتركْ لي هذا العمل، يجب أنْ أعرّف هذا اليهودي الخنزير بقيمتِه»!

بالطّبع سمعِ هذا اليهوديّ الذي يقف بالباب كلامي هذا!، قلتُ للشخص الذي يبلّغنا: «هاته».

جاء، قلنا له: «اجلس». وجلس، قلت له: «ما الخبر؟».

إنّه يهودي ماهر، سمع صياحي بعصمت، فقال: «لا شيء، إنّني قادم لزيارتكم»!!، لوْلا أنّني غضبان لَقهقهتُ بصوتٍ مرتفع، لكنّني قدَّرتُ هذا التّافه مهارتَه التي أنهتْ حِدَّتي، اليهود هكذا مثل البلاستيك!، يتمدّدون على أيّ جانب، ينحنُون حسبَ الرّياح مثل عود القصب والنّخيل، ولكنْ ما قاله في البرقية فلا بأس، إن لم تستحِ!، لكنّ عدمَ الحياء هو أكبرُ فنون الخبث

اليهودي وأعظمُ أسلحتهم.

قلت له: «حسنًا، لقد كتبتَ في برقيتك أنّك تحمل خبرًا مهمًّا».

لم يجد لهذا إجابة، تلعثمَ، معنى هذا أنّه ليس يهوديًّا تمامًا، لو كان يهوديًّا تمامًا ما تلعثمَ، كان يجد لهذا إجابةً فورًا!، لو كان هذا التّافه قام بعمليات نفاق لَزجرتُه زجرًا عنيفًا. ولمّا لم يفعل هذا فقد خفّت حدّتي تجاهه، وهدأتُ، أعطيتُه الجريدة التي بها تصريحُه، ظلّ ناعمًا!، فعاملتُه معاملةً باردة، وأزحتُه عنا بسرعة، فذهب.

سادَ المؤتمر فترة انقطاع، وتركْنا (مصطفى شرف) في لوزان ممثلًا عنّا، وعُدنا.

فترةُ الانقطاع:

نحنُ الآن نعيش في أنقرة فترةَ انقطاع المؤتمر، يقُوم مصطفى كمال في هذه الأثناء بتحويل مبنى مجلس الأمّة إلى مقرٍّ حِزبي، يقوم بالعمل في هذا كلّ من أسرى اليونان وجنودنا.

وأخذَ موادّ البناء من المصاريف العسكرية، أخذ لنفْسه في هذه العملية عشرة آلاف ليرة، حتّى أنّه طرد المهندس المعماري «وداد» من العمل، ولم يعطِه حقَّه، ثمّ إنّ مصطفى كمال باعَ هذا المبنى بعد عملية تعديله للحكومة بمائتين وخمسين ألف ليرة على ما أتذكّر، مكسبٌ جيّد. وفي هذه الأثناء قام ببناء مبنى جان قايا، وعلى نفس الحال فالعمّال من الأسرى اليونانيّين ومن جنود جيشنا وموادّه ومصاريفه من الجيش!!.

يجبُ القول هنا إنّه يوجد في مكتبي أشياءُ كثيرة عن لوزان، المسودات، المشروعات المختلفة، ومسوّدات تحول تطوّرات المشروعات.

موقفُ نائبٍ برلماني مسلم في معارضة مصطفى كمال:

ذاتَ يوم كنتُ أتحدَّث مع علي شُكري، لم يكُن أحدٌ معنا، لم يكُن علي شُكري يحبُّني على اعتبار أنّي ملحِد!، إلّا أنّ علي شكري رجل شريف، لا يعرف الخُبث، بل كان يقول لي أسراره، حكى عليّ المصائبَ التي حلَّت به أثناء وجوده في لوزان.

ونصّ ما قاله هو الآتي: «دخل مصطفى كمال وصحبُه ذات يوم إلى حديقة قليج علي في كجي اورن، شربوا حتّى سكروا جدًّا، قام مصطفى كمال باستدعاه ثلاثة رجالٍ من الحرس الموجودين معه من رجال طوبال عثمان، وأصدر لهم الأمرَ التّالي: «اذهبوا فورًا، وابحثوا عن علي شكري، ولا بدّ أن تجدوه، اقتلوه وتعالوا».

توسَّل إليه قليج علي وأعوانه، وقالوا له: «ليس هذا وقته، دَعْه الآن، ونحن نقوم باللّازم فيما بعد، لا يصحّ أن تكُون الأمور بهذا الشّكل الصريح، اترُك هذه المسألة الآن، ونحن نتكفّل بها في الخفاء»، وبعد أخذٍ وردٍّ وافق مصطفى كمال على هذا، وكان أحدُ الرجال الثلاثة الذين كانوا سينفّذون الأمر من أقارب علي شكري بك، فتوجَّه إليه في المساء، وأسرّ إليه الأمر، وقال له: «تصرَّف بحذر».

معنى هذا أنّ علي شكري لم يخَفْ من هذه المسألة؛ لأنّه استمرّ في معارضته بشدّة لمصطفى كمال. قلتُ له: «يا عزيزي، كنْ محتاطًا في تصرفاتك، ودَعْك قليلًا من شدّتك هذه».

مصطفى كمال
مجرمٌ يجبُ القبضُ عليه[1]

◀◀ علي شُكري يقول: «مصطفى كمال لصٌّ، ديّوث، سافل، عديم الشرف»:

قال: «لا يستطيع عملَ شيء، إنّي سأنتقم منه، هذا اللّص الدّيوث السّافل عديمُ الشّرف، إنّي سأنقِذ الأمّة منه، سأقتله»، كان يقول هذا وهو في شدّة الثورة والحماس، كان رجلًا عصبيَّ المزاج، شديدًا، وقلت له: «احذر، إخفِ هذا الكلام، ولا تقُلْه لأحد، ودَعْكَ من هذا التفكير، لم نعقِدْ بعدُ معاهدة السلام مع أوروبا، فلا تدَعْ للشر مكانًا».

النّائبُ المتدين يرتّب لاغتيال مصطفى كمال:

ومضتِ الأيّامُ والأسابيع، ودخلتُ المجلس ذاتَ يوم، وكلّ النواب موجودون، مصطفى كمال على المنصّة، سمعتُ مَن يقول: «آه، أيّها الديوث!، متى سأقتلك!»، نظرتُ بحذر، فإذا القائل علي شكري، كان وجهُه محمرًّا شديدَ الاحمرار، علي شكري رجلٌ قويّ العضلات، قلت لنفسي: إنّ المسألة تقترب، لا بدّ وأنه سيقتل مصطفى كمال، لكنّ الدّافع لعلي شكري في هذه الجريمة هو مصطفى كمال نفسه، ومحافظة علي شكري على نفسه أمرٌ مشروع.

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 576، 1 رمضان 1402هـ الموافق 22 يونيو 1982م.

ومضتْ مدَّة على هذا، وكان عثمان آغا في أنقرة، قال لي ونحن نمرُّ مِن أمام المجلس: «المجلس يضمُّ عدَّة نوَّاب خائنين، وهؤلاء يبيعون الوطن، لماذا لا تخبرني بهم، إنّي سأهاجم المجلس وأقبض عليهم، فلا وسيلة لنا غير هذا، فكم بذلنا من جهود ودماء وحرَّرنا البلاد، وإذا بهؤلاء يظهرون فجأة».

نظرتُ إليه، فإذا به يقولُ هذا بكلّ الصّفاء والسكون والجدِّية، أمّا أنا فكنتُ هلُوعًا، إنّ ما يقوله جناية فظيعة، وكم هو أمرٌ قبيح أمام العالَم وأمام أوروبّا، ما يقوله هذا الرّجل يفعله!، إنّه سفَّاك للدماء، سفَّاح، يفعل هذا بمنتهى البساطة، قلت له: «مَن حدَّثك عن هؤلاء الخونة؟»، قال: «لا تسلْ عن هذا»، قلت له: «ستقول»، وضغطتُ عليه، قال: «الغازي مصطفى كمال».

المعارضُ النّظيف لا يكون خائنًا،

وَضَحَ الأمر، إنّ مصطفى كمال يريد التخلُّص من معارضيه، ويدفع طوبال عثمان هذا إلى قتلِهم، مصطفى كمال لا يعرف شيئًا اسمُه الرّحمة، لا يعرف شيئًا اسمه الضّمير، وعثمان وطنيّ لكنّه جاهل، يخدعه مصطفى كمال باسم الوطنية والمحافظة على الوطن.

قلتُ له: «يا آغا، أنت تعرف أنّي أحبّك حبًّا كثيرًا، هل تثق بي؟، هل تحبني؟».

قال: «نعم، أنا أحبّك كثيرًا، أنت وطنيٌّ عظيم».

قلتُ له: «حسنًا، هذا الكلامُ سرٌّ بيننا، ولكنْ أقسِم»، فأقسَم، فأكملتُ حديثي: «ليس في المجلس خَوَنة، إنّهم ضدّ السّرقات التي تقُوم بها الحكومة، إنهم مندفِعون، ولكن المسألة هي هكذا، احذَرْ أنْ يلعنك الناس في دعائهم، خسارة!، إنّك خدمتَ الأمة كلّ هذه الخدمات، فلا تضيّعْها، احذرْ أن تقوم

بما أنتَ مقدِم عليه، إن الهجوم على مجلس الأمّة شيء فظيع، ثمّ إنّك ستدفع دمك ثمنًا لهذا».

قال لي: «ما هذا الذي تقوله؟»

قلت: «هو هذا، عِدْني، أقسِم لي بأنّك لن تفعلَه».

قال: «لن أفعلَه».

طيّب أنّك قلتَه لي، ثمّ أقسم، كان هذا الرّجُل جاهلًا، سفّاكا للدماء، لكنه كان رجُلًا طيبًا، ووطنيًا غيورًا، يفهم إذا فهّمتَه، وسررتُ أنا جدًّا لأنّي منعتُ فاجعة فظيعة.

مصطفى كمال يسرعُ بترتيب اغتيال النّائب علي شكري:

وذاتَ يوم قالوا إنّ علي شكري اختفى، أبلغ أخوه الحكومةَ باختفائه، جاء رجُل من رجال عثمان طوبال إلى علي شكري وقال له: «إنّ عثمان يريدك»، كلاهما يعرف الآخر لأنهما من نفس البلد، نهض وذهبا معًا ودخلا بيت عثمان، هكذا عرفْنا المسألة، إذًا فعِندما لم يوافق عثمان على الهجوم على مجلس الأمّة وقتل النواب المعارضين، أقنعه مصطفى كمال بقتل علي شكري، ذهبتُ أبحثُ عن عثمان لأساله عن حقيقة الأمر، بحثتُ عنه كثيرًا، ولم أجده، لقد اختفى.

تركَ رؤوف (رئيس الوزراء) كلّ شيء، وحصر همَّه في القبض على الجُناة، المفهوم أنّه يريد بذلك أنْ يدمِّر مصطفى كمال ويأخُذ مكانه، وهذه فُرصة له!، لأنّه وإن كان قد عرف أنّ مصطفى كمال هو المحرِّض على القتل وأنّ عثمان هو القاتل؛ إلّا أنه يريد أنْ يثبت ذلك رسميًا، وهذه الفرصةُ سانحة

لرؤوف، فهل يُعقل أن يتركها تمرُّ هكذا دون اقتناصها؟!.

سيعملُ على القبض على القاتل، وسيعترف القاتل بمحرّضه؛ أيْ بمصطفى كمال، وهذا شيءٌ معلوم، كان علي شُكري يعمل ضدَّه بقوة، وليس هناك أي مجال آخر لاغتيال عثمان لعلي شكري إلّا هذا، وسيعمَد رؤوف لإلقاء مصطفى كمال في السّجن كمجرم عادي، كم هو غبيٌّ رؤوف.

أثبتَ التّحقيق الرسمي أنّ عثمان طوبال كان عند مصطفى كمال، تحرَّوا منزل عثمان في أنقرة، وجدوا الاضطرابَ وعدم الانتظام يسُود البيت، الكراسي مكسورة، سألوا الجيران، فقالوا إنّه منذ يومين حدثتْ في هذا المنزل معركة حامية وصيحات، معنى هذا أنّ قاتل علي شكري هو عثمان طوبال، ولم تكُن عملية القتل سهلة، فقد كانت معركة.

كما أثبتتْ هذه التحقيقات أنّهم وجدوا فيما بعد في يد جثة علي شكري قطعة من حصير أحد الكراسي الموجودة في بيت عثمان طوبال، كان علي شكري رجلًا قويًّا، أمّا عثمان فقد كان نحيفًا وأعرجَ، (طوبال في التركية تعني الأعرج)، معنى هذا أيضًا أنّ عملية القتل لم تكُن سهلة.

علِمْنا بعد ذلك أنّ عثمان قتل علي شكري، وكان يساعده في عملية القتل هذه ثمانية أو عشرة رجال مجتمعِين، خنقوه بحبل ثمّ وضعوه داخل الخيمة، ووضعوه في عربة، ثمّ حملوه إلى (جان قايا)، حيث كان يقيم مصطفى كمال.

رؤوف يريدُ القبضَ على مصطفى كمال، واعتباره مجرمًا:

والآن، ولكَي تتمّ المسألة؛ فإنّهم يبحثون عن جثة علي شكري، ويُجرون هذه التّحريات بجوار منزل مصطفى كمال في جان قايا، ضابط جاندارما

نشيط، يتحوّل بمفرزة من جنود الجاندارما. في آخِر أيّام الموسم، لاحظ الضابط أنّ البعوض يجتمع بشكلٍ مكثّف جدًّا في أحد الأماكن داخل حقل محروث في (جان قايا)، حطّ البعوض على مكان ويطيرُ فيه، يشدّ هذا المنظر انتباهه، ذهب إلى المكان، شمّ الأرض، فوجد أنّ الرائحة رائحةُ جيفة، تبيّن فنبشَ الأرض قليلًا، فاصطدمتْ يده بأصبع آدمي، نبشَ أكثر، فإذا بساقٍ آدميّة، حضر المكان فإذا بجثّة علي شكري، ومعنى هذا أنّهم مِن تعجّلهم لم يحْفروا عميقًا.

وضحتِ المسألةُ بكلّ أبعادِها، أصدر المدّعي العمومي أمره بالقبض على عثمان، وأصدر رؤوف أمرَه بمداهَمة القصر المجاور لقصر مصطفى كمال في جان قايا بمفرزة من الجاندارما، والقبض على طوبال عثمان، ما أغفله!!، إنه أخبر مصطفى كمال بأنّ ناقوس الحركة قد دقّ، أرسل مصطفى كمال إلى رؤوف يستدعيه وقال له: «حولَ هذا الرجل (عثمان) حشرات كثيرة، أيْ رجاله، وهذا الأمر لا يتمّ بعساكر الجاندارما، أعمله أنا بجنود الجيش، ولكنْ يلزمنا بعض الوقت لاتخاذ الترتيبات اللّازمة، ويجب ألّا نثير شكوكَ هذا الرجل، يجب عدم إرسال الجاندارما»، ولم يحرّك رؤوف ساكنًا.

الذي حكى لي مسألة الجاندارما هذه هو مصطفى كمال نفسه، وفي الواقع أنّ عثمان كان مُحاطًا برجالٍ كثيرين يبلُغون عدّة مئات، وكلُّ واحدٍ منهم قاطعُ طريق، إنّ عثمان جمعهم مِن جبال كيراسون، واشترك هؤلاء في الحروب أثناء الحرب الوطنية، كما أنّ عثمان أعطى مصطفى كمال ما يقرُب من مائتي رجل، وهؤلاء يحرسون مصطفى كمال منذ عدّة سنوات.

خافَ عثمان طوبال جدًّا في هذه الأيام، وكان اضطرابه عظيمًا؛ إلّا أنّ

مصطفى كمال كان يطمئنُه عنه، كان يقضي لياليه بجانب مصطفى كمال، معنى هذا أنّ عثمان بمجرّد قيامه بالجريمة أخذَ الجثّة ودفنها بجوار قصر مصطفى كمال؛ حيث أكثرُ الأماكن أمنًا!، أمّا عثمان نفسه فقد لجأ إلى هناك، أيْ إلى مصطفى كمال نفسه.

في ذلك الوقت، قال عصمت: «إنّ الغازي مصطفى كمال مهموم هذه الأيام، سأسرّي عنه، انتظِرْني أنت»!، ونظرًا لأنّنا سنذهب بسيّارته- وليسَ عندي سيارة- فقد ذهب، وانتظرتُ، ومرّت السّاعات، ولم يأتِ عصمت، شككتُ في الأمر، تُرى هل وجد عثمان أنّ الحالة سيئة فقام ورجالُه بعمل شيء ما؟!، ترى هل هاجم عثمان برجاله قصر جان قايا وهو يقول: «إنّ هذا الرجل- مصطفى كمال- قد ساقني إلى البلاء، ويريدُ الآن أن يسلِّمني؟! لَأقتلنّه؟!، السّلام مع أوروبّا لم تعقِدْه بعدُ، وسينتهي كلّ شيء!».

وأثناءَ هذا التفكير إذا بتليفون يستدعونني إلى جان قايا أرسلوا لي سيارة، والحقُّ أنّي خفتُ من الذّهاب، لكنّي ذهبتُ، المنظر كالتالي: مصطفى كمال يجلس في الصالون الكبير على أريكة، يميل إلى الأمام بالدّرجة التي أتصوَّر فيها أنه يركع، وجهه- دونَ مبالَغة- كالتّراب الأصفر، لم يتحرّكْ ولا يتكلمْ، أمسكَني من يدي، وأجلَسَني أمامه.

فنظرتُ، فإذا بِعصْمت أيضًا جالس أمامَه، طيارجي فؤاد ورجب- الذي أصبح فيما بعدُ وزيرًا للداخلية- يقفان مُمتقعي الوجه، وكأنّ الطير قد حطَّ على رأسيهما، كأنّهما تمثالان من الشّمع في متحف، وأعيُن الجميع- خاصّةً هذين التمثالين- تبدو منهما نظرةُ الأمل في النّجدة، رجب هذا وفؤاد شريكان في الجريمة.

ظللْنا مدَّة كالأصنام!، وقطع هذا الصمت صوتُ مصطفى كمال وهو يقول لي: «ما العمل؟»

قلت: «لا أعرف يا باشا».

قال: «لا بدّ من إزالة هذه المسألة».

قلت: «أرجو ألّا يأتي هذا الرّجل إلى هنا مهاجمًا ويفعل بك شيئًا، أوّلًا لا بدّ أن تفكّر في هذا، ثمّ لا تمكُثْ هنا، انزِل إلى أنقرة».

قال: «عثمان ساكت، أسكتُّه، ووعدتُه بأنّني لن أسلّمه، وهو واثق من هذا، كان هذا منذ نصفِ ساعة فقط، لن يفعل شيئًا».

قلت له: «إنّ الحيلة لازمة».

فقال لي: «عثمان ليس مشكلة، إنّ المشكلة هي ماذا سنفعل في المجلس».

مصطفى كمال
يحمي المسئولينَ المُختلسين[1]

فيما بعد، سألتُ مصطفى كمال، وأجابني بقوله: «وضعتُ الخطَّة، وأعطيتُها لإسماعيل حقّي، وهو بكباشي قائد قوة بلوك[2] الحرس، وحتّى الصباح اتّخذوا مواقعَهم بموجب الخطَّة، وأنا كنتُ قد قسمتُ من قبل رجال عثمان من الحرس الذين معي إلى قسمين، وبحُجّة وجود هجوم على أنقرة أسرعتُ بإرسال قِسم منهما إلى جانقرة، والآخَر إلى فريق جو بوق، وجئتُ أنا إلى أنقرة، قابل عثمان نداء إسماعيل له بالتّسليم، قابله بالسّلاح، ووقع القتال، وتم قتلُه»، وهذه هي رواية مصطفى كمال.

أمّا الرواية الأخرى فكانت نتيجة تحقيقاتي في الموضوع عن أحدِ الموجودين هناك، تقولُ هذه الرّواية بعدمِ وجود صِدام مسلّح، وابلٌ من الرصاص أُطلِق شكليًّا فقط حتى يظنَّ النّاس بأنّ قتالًا مسلّحًا قد حدثَ، وسلَّم عثمانُ نفسَه من الوهلة الأولى، قام إسماعيل حقي بالقبض على عثمان، والأشخاص الثمانية الذين ساعدوه في واقعة علي شُكري، ثمّ قتل التسعة رميًا بالرصاص.

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 577، 8 رمضان 1402هـ، الموافق 29 يونيو 1982م.

(2) بُلوك: فوج، زمرة، فرقة. وفي الاصطلاح أطلق على مجموعة من الجند تؤلف وحدة صغرى، فكلّ اثنى عشر بلوكًا يشكّلون فرقة، وهي التي يعبّر عنها في اللغة التركية بلفظ «أورطه»، وتجمع على بلوكات، وقد تردُ بلفظ بُلُك، وتجمع «بُلُكات».
انظر، حسان حلاق: المعجم الجامع في المصطلحات، ص43

وفي رواية حكتْها لي لطيفة هانم- زوجة مصطفى كمال- أنّ عثمان أطلق الرّصاص على بيت مصطفى كمال، ووصل الأمر إلى أنّ ملابس السيدة في الدّولاب قد اخترقها الرّصاص. لم يستطعْ مصطفى كمال تسليم عثمان للعدلية حيًّا، وهو الآن يسلّمه للمدّعي العام ميتًا، ثمّ يستخرج لنفسه شرفًا من هذا ويقول: «إنكم لم تستطيعوا القيام بهذه المهمّة، وقمتُ بها أنا!»!!.

مع أنّه رئيس مجلس الأمّة، وليس قائدًا لقوات الجاندارما، كما أنّ على مصطفى كمال مسئوليته في هذه النقطة، عليه أن يتعقّب القاتل، لا أن يأمر بمعركة، ويقتل إنسانًا!، فأين الحكومة الحقيقية؟!.

بعد ذلك قام أحدُ نوّاب المجلس، ويُدعى حيدر الأرناؤوطي، وهو من الولاة السابقين، بتقديم تقريرٍ اقترح فيه إعدامَ عثمان، وصدّق المجلس على هذا الاقتراح!!، فأخرجوا جثّة عثمان من قبره وشنقوه!!، وكان هذا شيئًا قبيحًا.

مصطفى كمال يحمي المسئولين المختلسين:

مضى عام على هذا، وسقطتُ من الوزارة في حينه، قام صفوت بأخذ مائة ألف ذهبٍ روسي من النقود التي أخذها من الروس في موسكو، وسافر إلى ألمانيا، وفي أوروبا عاش هو ونوري (نائب كوتاهيه) حياة الهوى كاملًا، في هذا الوقت العصيب الذي تمرّ به الدّولة، وهي في أمسّ الحاجة إلى الذخيرة، لم يرسل للدولة ولو طلقة واحدة.

فقرّر ديوان الحرب في وزارة الدفاع الوطني محاكمة صفوت، لكن نوري من سلانيك وهو صديق مصطفى كمال من هناك، وهو أخلص الرجال لمصطفى كمال، وكان مصطفى كمال قد عيّنه واليًا على أنقرة. وبعد أنْ حققتُ

هذا الأمر اتضح لي أنّ مصطفى كمال قد أخذ أوراقَ محاكمتهما، وأصدر أمره إلى كاظم بحفظ المسألة. وأخيرًا أصبح صفوت أكثرَ مَن يثق بهم مصطفى كمال وأخلصَ عبيده، كان هناك رجال يريدون تقوية الخليفة، لم يكُن هذا عملًا خاطئًا، لكنّ هذا يثير اضطراب مصطفى كمال.

ياور الخليفة يخُونه بإفشاءِ أسراره لمصطفى كمال:

نشرَ النّائب شُكري خوجة رسالةً عن الخلافة، فجنَّ جنون مصطفى كمال!!، رأفت يقوم في استانبول بإسداء جميلٍ للخليفة، وبذلك يركب الموج، فيقوم الخليفة بإرسال ياور أديب إلى أنقرة- أديب الآن نائبٌ برلماني، ومن أصدق رجال مصطفى كمال- وأرسلَ الخليفة مع ياور عُقدًا من البرلانت هدية إلى لطيفة هانم (زوجة مصطفى كمال)، قبِلَا الهدية.

يلعبُ أديب على الحبلين، أفشى ياور الخليفة أديب بكلّ أفكار الخليفة واتصالاته وأسراره إلى مصطفى كمال، أفشاها لي أنا أيضًا، وبهذه الصّورة أصبح لأديب مكانته لدى مصطفى كمال، فعيَّنه نائبًا في المجلس، وعندما أصبح نائبًا حصل على عدّة امتيازات خاصّةً بالمعادن، وعلى سبيل المثال حصل أديب وغالب معًا على (امتياز) معادن جبل بلغار ضاغي، ودخلوا الشركات.

حصلَ مصطفى كمال على كلّ رسائل رأفت الشّفرية في هذا الصدد، وأدرجها في خطابِه الرّسمي، نفَّذ مصطفى كمال مطالبات عن الخليفة والخلافة!!، وكلامه ترّهات، كان قد أخذ من تاريخ ويلز[1] فقرات، وأراد بهذه الصورة أن يظهِر أنه صاحبُ مطالعات وحكمة لا يعرفها التّاريخ!!، جاهل مسكين!!.

---

(1) يعني كتاب (موجز تاريخ العالم) للكاتب والروائي البريطاني هـ.ج. ويلز (هربرت جورج ويلز).

تاريخ ويلز فيه الكفايةُ عن كلّ المصادر، ثمّ إنّه لا علاقة لهذه الجمل التي أخذها من ويلز بالمسألة، يعني هذا أنّه أُعجِب بهذه الجمل، فأراد أنْ يظهر اطّلاعه، ووجد أنْ لا محلّ لها في خطابه، فحشرها حشرًا!.

اشتهرَ جدًّا تاريخ ويلز، كان أوّل مَن قرأه في بلادنا هو عثمان نوري، حدّثني عنه فاشتريتُه، مؤكّد أنّه حدّث مصطفى كمال به، ولسعة اطّلاع عثمان نوري كان مصطفى كمال يسأله في أمور كثيرة، وكان يسأله خفية، ثمّ بعد ذلك يتكلم مصطفى كمال وكأنّ المعلومات التي حصل عليها من عثمان نوري معلوماته هو!!، وكان يكلّف عثمان- نظرًا لعلمه بالحقوق والدّساتير- أن يعمل له مشروع قانون التشكيلات الأساسية (الدستور)، والذي يشمل مبدأ العلمانية.

عندما عدْنا نحن (وفد المفاوضات في لوزان) إلى أنقرة في فترة الانقطاع وجدْنا مجلسَ الأمّة يعادِينا، وظلّ النوّاب ينقُدوننا في الجلسات السريّة مدّةَ أسبوع.

بعدَ جناية مقتل علي شكري تمّ فسخ مجلس الأمّة، انحلَّ، وصدرتِ الأوامر بانتخاباتٍ جديدة، كوّن مصطفى كمال لجنةَ الانتخابات، وعيّنني فيها، فحضرتُ اجتماعًا أو اثنين، ثمّ وجدتُ أنّه شيء تافه، فلم أذهبْ إليه مرّة أخرى.

الأدبُ موضوع المناقشة في مباحثاتِ لوزان السياسية:

عاودنا المباحَثاتِ الرسمية، مستمرّون فيها، الأدب هو موضوع المناقشة، دعَونا للتوقيع على معاهدة برن العالمية، قلت: «إنّنا لن ندخُل فيها»، وأصررتُ على ذلك لأنّها نكبةٌ كبيرة لنا، ليس لَدينا العالم ولا الأديب، ودائمًا نحتاج إلى الترجمة عن اللّغات الأوروبّية، وبدُونها لن يحدُث تقدُّم فِكري في وطننا.

إذا وقّعنا على هذه المعاهَدة لا بدّ من الحصول على تصريح من المؤلف بالترجمة، ولا بدّ أن نُعطيَ أجرًا للمؤلّف نظير هذا التّصريح، ونحن أمّة فقيرة، مَن يستطيع أنْ يدفع المالَ للمؤلف ويحصُل على إذنه بالترجمة؟، عالَم النشر عندنا ليس إلّا الفقر.

استطعْنا الحصولَ على موافقة المؤتمَر على كلّ الشروط التي أردْناها، وتخلية استانبول فورًا من القوات الأجنبية.

معاهدة لوزان= دولة تركيّة أوروبية حديثة:

ها هي تلك المعاهدةُ جاهزة، وقّعْنا المعاهدةَ باحتفال عظيم في جامعة لوزان، وبذلك قدّمنا السّلام لأمّتنا، ووقّعْنا- أيضًا- معاهَدة في أمريكا، وللأسف الشديد لم يصدّقْ مجلس الأمّة الأمريكي حتّى الآن عليها، صُحف أوروبّا تتحدّث طويلًا عن معاهدة لوزان، الحُلفاء يمتدحون الوفدَ التّركي في المعاهدة، وكتبتْ هذه الصحف أنّ تركيا قد كسبتْ نجاحًا دبلوماسيًّا.

وأهميّة هذه المعاهدة أنّها قامت بتصفية السلطنة في تركيا، التي امتدّت مِن قبلُ عبر ستّة أو سبْعة قرون، وأقامت دولةً مستقلّة تمامًا، محرَّرة من كلّ القيود، دولة أوروبّية حديثة، لكنْ لهذه المعاهَدة نقطةُ ضعف، وهي أنّنا تركْنا المضايق حرة، ولم نستطع إعطاءَ تركيا الغربية الحُكم الذاتي، ولم نحصل من اليونان على بدل تعمير، وإرجاء حلّ مسألة الموصل إلى ما بعد، ولكن لم يكُن ممكنًا عمل هذا.

ها هي الحربُ قد انتهتْ بعد لوزان، وحلّ السّلام، وانتهتْ بالتالي

مهمتي، وأرى بوضوح أنني لن أستطيع التعايشَ مع هؤلاء الرجال، يزدادون تكبُّرًا، لم تعُدْ أبوابهم تسَعُهم، كما أني على معرفةٍ بروح هذين الشّخصين (مصطفى كمال وعصمت)، ولديَّ القناعة بأنهما سيفعلان أمورًا سيئة جدًّا، لو بقيتُ معهم سيتلوّث اسمي، إنّ هذا وقتُ الانزواء، وكتابة كتابي (التّاريخ التركي)، وأنا محتاج لوقت فراغ.

المرحلةُ الجديدة.. عهدُ الجمهورية[1]

يجبُ ألا تكُون استانبول هي العاصمةَ في الدّولة الجديدة:

في هذه الأثناء، يكتب حُسين جاهد مقالاتٍ عن استانبول كعاصمة، ويُشغل هذه المسألة، في رأيي أنّ بقاء استانبول عاصمة لتركيا أمسى فيه خطر، عصمت ومصطفى كمال يريدان أنقرة، سألني عصمت اليوم قائلًا: «كيف نحلُّ المسألة؟»، أوصيتُه بإصدار مادّة قانونية تقول بأنّ أنقرة مقرّ الحكومة، وإدخال هذه المادة في الدّستور.

فنفّذوا هذا فورًا، وقلتُ لهم إنّ السّلطة قد أُلغِيتْ، وظلّ هذا المكان شاغرًا، وهذا خطر، لا بدّ من سدّ هذا المكان الشاغر، فأسرعوا بإعلان الجمهورية، فنفّذوا هذا أيضًا سريعًا.

صارَ مصطفى كمال منذ أن تزوّج يبدو عاقلًا، لا يغتصبُ النّساء، لطيفة زوجته شديدةٌ في هذا الخصوص، فقط يشربُ الخمر، وفي هذا تقوم لطيفة بالخدمة، تأخذ الكأسَ والزّجاجة من أمامه، فإذا لم تنجحْ في أخذهما ترجو أحدَنا في ذلك، فنقوم بأخذهما من أمامه.

لكنْ من الواضح أنّ مصطفى كمال يعتبر هذا استبدادًا من لطيفة ويغضب جدًّا!، حسنًا جدًّا، إنّي مسرور بهذا، ذلك لأنّ مصطفى كمال لم يعُد يقوم بأعمال تتنافى

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 578، 15 رمضان 1402هـ الموافق 6 يوليو 1982م.

مع مركز رجُلٍ على رأس الحُكم، ولا بدّ من الضغط على رجل مثل هذا الرجل.

لطيفة امرأةٌ ذكية، مثقّفة، شديدةٌ كالرجل، تشكُو لنا من مصطفى فيما يتعلق بالنساء والخمر، ولأنّ لطيفة صديقة زوجتي فقد شكتْ إليها أنّ مصطفى كمال لا يستطيع أنْ يؤدّي حقوقَ الزّوجية، نفْس الشكوى سمعتُها من فتحي بعد أن باحت لطيفة لزوجته بها.

شيء غريب، مرِضتْ لطيفةُ، أصابها الزهري، ولطيفة امرأة شريفة، معنى هذا أنّ هذا المرض انتقلَ إليها عن طريق زوْجها، جاء الدّكتور كنعان توفيق وداواهما معًا، وكنعان صِهر خالد ضيا عمّ لطيفة، والواقع أنّ علي فؤاد قد حدّثني في موسكو عن انعدام رجولة مصطفى كمال!!، إنّه يعرفه منذ عهد الدّراسة في المدرسة الحربية، وهو كذلك منذ تلك الفترة.

كنّا في جان قايا (عند مصطفى كمال) ذاتَ ليلة على المائدة نشرب الخمر، ثمّ نهضْنا، عصمتْ وفتحي يتشاجران، قُمت أنا ولطيفة هانم بفضّ الاشتباك بينهما، وزارة الخارجية لم تعُدِ الآن مناسبةً لعصمت، كبُر عليها، يريد أنْ يصبح رئيسًا للوزراء، طمعُه عظيم وبلا حدود، يطلب أكثر كلّما وجد، لا يمانع حتى في رئاسة الجمهورية، لا يستطيع تحمُّل وجود فتحي في منصب رئيس الوزراء، وهو يرى أنّه وحدَه الجدير بهذا المنصب.

فانقضّ على فتحي وهجمَ عليه، وكرّر هذا الموقف مرّة أخرى. في هذا الشجار لا يكلّف مصطفى كمال نفسَه بالنّهوض ليفرّق بينهما!، يتجاهل هذا!، الصحفي حسين جاهد[1] يهاجم الحكومة، ويهاجمني في جريدة

---

(1) حسين جاهد (1874-1957م): رجل أدب وسياسة. عضو جمعية «الاتحاد والترقّي». أصدر جريدة «طنين» النّاطقة باسم هذه الجمعية أثناء سيطرتها على الحكم. عمل نائبًا لرئيس مجلس

(طنين)، ويظنّ أنّ الحكومة جدار، وسيهدم إذا سقطَ حجر، ويتصوّر أنّ هذا الحجر هو أنا!، هذا الرجل يهتمّ بالتفرعات في كلّ أعماله، مادمتَ تريدُ هدم الحكومة فاعملْ على انتزاع الحجر الأساس فيها!!، يترك الأساس، فماذا سيفيدُ منّي أنا؟!.

اصبرْ قليلًا، إنّهم بالتأكيد سينتزعونني ويُلقوا بي!، وإذا انهدمتِ الحكومة سيصبح عصمت رئيسًا للوزراء، وجاهد لا يحبّ عصمت، إنّه بهجومه هذا يخدمه وهو لا يدري.

كنتُ مرّةً عند مصطفى كمال، قال لي: «هل قرأت طنين؟»

قلت: «لا، خيرًا؟، هل فيها شيء؟»

قال: «جاهد، مرّة أخرى، يستأسد». ثمّ توقّف قليلًا وقال: «إنّي أفهم الآن كيف يكون الإنسان مستبدًّا؟».

هذا الكلامُ فظيع، اقشعرَّ منه بدني، معنى هذا أنّ الرجل يريد أن يكون مستبدًّا!!، ولا يتصوّر أنّ استبداده قبل هذا يُعتبر استبدادًا!!، معنى هذا أنّه يريد أن يكون أكثر استبدادًا وشدّة!، يحدُث كثيرًا جدًّا أنْ تحدُث أشياء تجعل دائمًا الذي يرأس النظام في كلّ فترة مستبدًّا، فإذا كانوا جديرين بالمنصب بحقّ لا يتحوّلون إلى مستبدّين.

رغمَ كلّ هذا؛ فالحقيقة أنّ كلّ المطبوعات في ذلك الوقت كانت تنتقد

«المبعوثان»، وكان عضوًا فيه. بعد هزيمة الدّولة العثمانية بقيادة «الاتحاد والترقّي» في الحرب العالمية الأولى، نُفي حسين جاهد إلى جزيرة مالطة. عند عودته أعاد إصدار جريدة «طنين». كان عضوًا في حزب الشعب الذي أسّسه ورأسه أتاتورك.

انظر، محمد حرب: مذكرات السلطان عبد الحميد، ص 274.

الحكومة: إقدام (أحمد جودت)[1]، وطن (أحمد أمين)[2]، تصوير أفكار (وليد)،

---

(1) أحمد جودت باشا (1822 - 1895م): كان على رأس أصحاب الاتجاه الإسلامي في الإصلاح، بأن تستلهم الدولة العثمانية وسيلة إصلاحها من تراثها الإسلامي ونظمها العثمانية الشرقية إبان عصر قوتها وازدهارها، وهو مفكّر عثماني الذي نشأ نشأة شرقية، وتشرب الثقافة العثمانية إلى جانب اطّلاعه على الثقافة والفكر الغربي. تدرج أحمد جودت باشا في المناصب الإدارية والسياسية، ففي عام 1850م عين مديرًا لمدرسة المعلمين، وفي عام 1855م أصبح مؤرخًا رسميًا للدّولة العثمانية، ثمّ أرسلته الدولة في مهمّة تفتيشية إلى البوسنة والهرسك وأشقودره بهدف تنظيم الأمور الدّاخلية فيها، ونجح في مهمّته، وفي عام 1868م أصبح رئيسًا لديوان الأحكام العدليّة، ثمّ تولى رئاسة لجنة مجلة الأحكام العدلية لتقنين الشريعة الإسلامية على المذهب الحنفي، عمل بالوزارة في عهد السّلطانيْن عبد العزيز وعبد الحميد الثاني.
فهمَ جودت باشا الإسلامَ على أنّه نظام حيوي شامل ينظم حياة الأفراد والجماعات والدول، وأنّ الحاكم المسلم- أي الخليفة- يجمع بين السّلطتين الدينية والزمنية، ورأى جودت أنّ الدين الإسلامي هو سرّ وحدة المسلمين ومصدرُ قوّتهم، وما تسرب الضّعف إلى جسم الأمّة الإسلامية إلّا حين أخذت تستبدل الوطنية والقومية بالفكرة الإسلامية.
وقد اهتمّ جودت باشا كثيرًا بأحوال الدولة العثمانية ودرس أوضاعها وشخص أمراضها، وعمل جاهدًا في ظلّ حكم السّلطان عبد الحميد الثاني لإصلاح أحوال الدولة، وإيجاد حلول لمشاكلها.
وقد اتّخذ جودت باشا من التنظيمات العثمانية ورجالاتها موقفًا معاديًا، واتهمهم أنهم في سياستهم التي اتّبعوها كانوا منقادين لرغبات الدولة الغربية خاضعين لنفوذ سفاراتها.
انظر، أحمد فهد بركات الشوابكة: حركة الجامعة الإسلامية، ص 42-44.

(2) أحمد أمين يالمان (1888- 1972): صحافي ومحرّر ليبرالي بارز. ولد في سلانيك، وبدأ العمل صحافيًا في اسطنبول قبل الذّهاب للدراسة في نيويورك. وعند عودته شارك في إنشاء جريدة «وقت» في سنة 1917. نفته سلطاتُ الاحتلال البريطانية بعد الهدنة إلى مالطا لدفاعه عن المصالح الوطنية التركية. وفي سنة 1923 أنشأ جريدة «وطن» التي أغلقت عند قمع كلّ الأنشطة المعارضة في سنة 1925. واشترى بعد ذلك مع مجموعة من الأصدقاء جريدة «طان» (الفجر) ثمّ تركها لإعادة إطلاق «وطن» في سنة 1940. نجا من محاولة لاغتياله في سنة 1952، وسجنته في سنة 1959 حكومة الحزب الديمقراطي التي ساعد في وصولها إلى السّلطة قبل عقدٍ من الزمن. أطلق سراحه بعد انقلاب سنة 1960، وفقد ملكية «وطن» واضطر إلى الاقتناع بالعمل كاتبًا حرًّا. وظلّ طوال حياته مدافعًا عن الديمقراطية والسوق الحرة.
انظر، أندرو مانجو: أتاتورك.. السيرة الذاتية، ص 563-564.

طنين (حسين جاهد)، أقسام (نجم الدين صادق)، إلى آخره. قِسم من النقد صحيح، وقِسم منه بلا وجْه حقّ، وحسب تجربتي الشّخصية إنّ الإنسان يغضب كثيرًا من النّقد غير الصّحيح، ولكنْ لا بدّ من عدم ترك الاعتدال، فالمزيّة هنا.

ذاتَ يوم، قال لي عصمت: «يا دكتور، إنّ منصب رئيس الدول شاغر، والدولة جمهوريّة، إيه!، حسنًا، ولكنْ مَن تنصبه رئيسًا للجمهورية؟»

لم أُجِبْه، قال: «هيّا ننصّب فوزي باشا، إنّه مناسب».

قلت: «هذا المنصبُ لمصطفى كمال، هو الأوّل في الصف»، قلت له هذا وأنا أقول في نفسي: «أيترك مصطفى كمال هذا المنصب لغيره؟!».

صمتَ عصمت مدّة طويلة، وعيناه تتّقدان دمًا وهو يفكّر، في الغالب يريد أن يكون هو رئيسَ الجمهورية، ويفكّر أن يدخل معي في مؤامرة، وعندما أجبتُه بهذا سكت، لأنّه يخاف من مصطفى كمال خوفَه من الله، لو عرف مصطفى كمال هذا لَمضغَ لحمَ عصمت مضغًا.

في هذه الأثناء كان حوالي 15 : 20 نائب برلماني يشربون الخمر مع مصطفى كمال في منزل توفيق رشدي، وتحدّث الجميعُ عن مسألة رئاسة الجمهورية، وبالطبع قالوا جميعًا لمصطفى كمال: «يجب أن تكُون رئيسًا للجمهورية».

فأقسَم مصطفى كمال بقوله: «لا أريد، لو وافقتُ على هذا أكُون أحقرَ إنسان في هذا العالَم»!!. عندما سمعتُ منه هذا عجبتُ منه ومن كلام عصمت، لا أدري ماذا يحدُث بينهما، ولكنْ بعد مُضيِّ خمسة أيام أو عشرة أصبح مصطفى كمال رئيسًا للجمهورية، وبالطّبع أصبح حقيرًا!!، وهو كذلك من قبل، ولم يخسرْ شيئًا!.

سيظهرُ فدائيٌ من هذه الأمّة ويقتلُنا:

وقال لي بعضُ مَن أعرف: «هل تعلم ماذا يقولون؟».

قلتُ: «لا».

قال: «يقولون منذُ توقيع معاهَدة لوزان أنّ مصطفى كمال وعصمت ورضا نور قد أدّوا خدماتٍ كبيرة، واكتسبوا شهرةً عظيمة، والآن لا بدّ مِن قتلِهم، سيظهر فدائيٌّ من هذه الأمّة».

قلت: «إنّ الذين قالوا هذا عقلاء».

دهشتُ عندما سمعتُ هذا الكلام، هذا شيء مدهِش، لكنّه صحيح، إنّ المناصب الكبيرة تجعل هذا المخلوق الذي يُسمّى الإنسان وحشًا مفترسًا، هذا هو التاريخ، أمّا أنْ يترك هؤلاء وظائفهم بعد أن يؤدُّوا واجبهم مباشرة، فإذا لم يتركوها وينسحبوا فلا بدّ من التخلّص منهم، وإنّي لَمعجَب بدراية هؤلاء الذين قالوا هذا، وأنا نفسي سأنسحب.

والواقع أنّ الجوّ في تلك الأثناء كان ملبّدًا بغيوم التمرّد. وذات يوم تلقيتُ من فتحي البرقيّة التالية: «استقلنا». فأجبتُه ببرقية باستقالتي من وزارة الصّحة، وطلبتُ أجازة من مجلس الأمّة للاستراحة شهرين؛ أذهبُ فيهما إلى «سينوب» لأنّني متعَب، ولم أنتظرْ وصولَ الأجازة، وإنّما أبحرتُ إلى بلدي سينوب مع عائلتي.

عهدُ الجمهورية:

ليس لي دخلٌ على الإطلاق بما حدث للأمّة من حسنات ومن مساوئ في عهد الجمهورية، إنّني في هذا العهد مجرّد نائب في مجلس الأمّة، وحتّى هذا

فلَم أستمرّ فيه طويلًا، وكلُّ ما حصلتُ عليه وسجّلتُه عن هذا العهد من أخبار هو بفضل عُضويتي في المجلس، في الأيام الأولى كنتُ أسمع أحيانًا من عصمت، وأحيانًا من مصطفى كمال، وبعد سنتين كنتُ بعيدًا تمامًا.

عندما وصلتِ السّفينة إلى اينه بولو، قالوا لي: «إنّ الجمهورية قد أُعلنتْ، وإنّ عصمت أصبح رئيسًا للوزراء»، جاءتْني برقية من عصمت، يُثني عليّ ويفتقدني، وينتظرُ انتهاء أجازتي لحاجتِه إلى خدماتي، أثارت هذه البرقية بما احتوتْه من مدح كبيرٍ لدوري؛ أثارتْ شكوكي فورًا، فهو يظهِر خِلافَ ما يبطن، وحدث أنّه أسقطني من التّشكيل الوزاري الجديد.

بمجرّد وصول لطيفة- زوجة مصطفى كمال- إلى استانبول بعد طلاقِها منه استدعتْ زوجتي فورًا، فأخبرتْها بأمور، ومِن ضِمْنها: «انتخاب الوزراء لوزارة عصمت الجديدة، ووضع الغازي مصطفى كمال اسمَ الدكتور رضا نور في قائمة الوزارة، فقال له عصمت: لا، ورغم إصرارنا- الغازي وأنا- على الدّكتور رضا نور وتمسُّكنا به؛ لكنّ عصمت أصرَّ على رأيه، وقال: لنْ أعمل معه، قال له الغازي: إنّ رضا نور صديقك وخدماته كثيرة، ثمّ كيف نستطيع مواجهته بعد ذلك؟ فقال له عصمت: هذا لا ينفع، اتركْ لي المسألة، وأنا أحلُّها».

ولكنّ المسألة لا تقتصر على هذا فقط، إنّ لها خفايا، لا يستطيع عصمت عمل شيء أبدًا مخالفٍ لرأي مصطفى كمال، إنّهما جلسا معًا من قبلُ، وكتبا قائمة بأسماء الوزراء، فقال مصطفى كمال لعصمت: «أنا سأضعُ اسم رضا نور، وأنت ترفضه»، كلاهما لا يريدُني.

ما قالته لطيفة جاءَ من باب التّمويه فقط، لم ينسَ في هذه التعديلات تقوية نفْسِه!، فوضع جُملة «رئيس جمهورية تُركيا هو رئيس الدّولة»، وبهذه

الصفة فإنه يرأس مجلس الأمّة ومجلس الوزراء، هذا هو فعلُ الظّالمين، إني أسمّي هذا الرجل (التنّين ذو الرؤوس السّبعة)، وبالأساطير حيوان هكذا يسمّيه الإفرنج «هيدر»، وأظنّ أني بذلك وجدتُ اسماً جيدًا له!.

أنا الآن في استانبول، والحكومة تقبض على الصّحافيين، كتبتُ خطابًا إلى عصمت، خلاصته: «أفرِجْ عن الصّحافيين، كان لا بدّ من تخويف الصّحافة في استانبول، وقد حدثَ هذا، فأطلِقْ سراح الصّحافيين»، وأفرج فعلًا عن بعضِهم.

نظرتُ ذاتَ يوم إلى الجرائد في استانبول، فإذا بهم قد ألغَوا الخلافة، ضايقني ذلك كثيرًا، ففي رأيي أنّ الخلافة مؤسّسة لا بدّ من تقويتها وجعْلِها عصرية، على عكس رأيهم في أنقرة، ثمّ جمعوا كلّ أفراد العائلة العثمانية من رجال ونساء، وطردوهم من البلاد جميعًا، وبصورة فورية.

وكان هذا شيئًا مفجعًا، يوضّح مصطفى كمال في خطابه الرسمي ابتداءًا من صفحة 511 مسألتَي الخلافة وإلغاءها، شدَّ انتباهي هذه الجُمل من برقيته لعصمت: «القصور الكثيرة وما فيها من أشياء عديدة قد بُنيتْ مِن قُوت الشعب».

مقيمٌ في هذه القصور من ثلاثِ سنوات أو أربع، ومشغول بنهب الأمة إرضاءًا لنزواته!، في كلّ مكان له مزارع ومبانٍ سطا عليها، إنّ مزرعته الضخمة في أنقرة لم يمتلكها إلّا بالاغتصاب وبمال الأمّة!، في سبيلها أخذ من وزارة الزراعة مبلغ خمسين ألف ليرة، وكذلك العمّال والموظفين!.

وكلّف الوزارة مصاريفَ نقل عشرين ألف ليرة، وسخّر كلّ جرّارات وزارة الزراعة، وكانت تعمل من أجْل الشّعب في سهل قونية، وكذلك العمّال والموظفين والبنزين من وزارة الزراعة. حدّثني بكلّ هذا الشّيخ

مصطفى كاظم نائب قونية في المجلس، كما نقلَ طلبة ومعلِّمي مدرسة الزراعة إلى مزرعته، وشغلهم هناك عمّالًا!!، أراد نوّاب قونية الجزّارات، ولكن ما الفائدة؟!.

مزرعته في أنقرة مأخوذة جبرًا من أرضٍ بأيادي الشعب!، حدَّثني بهذا شخصيًا أسرتان محلّيتان من أولاد علي شان زاده، جاء بوزوق صالح- مرافق مصطفى كمال- إليهم، وطلب منهم أنْ يبيعوا مزرعتهم للغازي، قائلًا: «مزرعتكم قيمتها ألفي ليرة، ها هو ذا المبلغ وسلِّموني المزرعة»، فلم يوافقوا، فقال لهم: «حذار!، ستضيعون!»!، وعندما قال هذا خافوا، ووقَّعوا.

رأي مصطفى كمال في الخلافةِ سفسطة! [1]

فلاّح يقول لمصطفى كمال: «لا تستولي على لقمة عيشي»

كان أحدُ الأهالي المحلّين في دره بويو يقُوم بالبناء في أرضه، جاءه مصطفى كمال وقال للرّجل: «هذه الأرض ملكي، فكيف تبني فيها؟»!، غضب الرجل المسكين غضبًا شديدًا، واستدار نحو مصطفى كمال، وقال له: «يا باشا!، أنا هنا في وسط الوادي، وقد استوليتَ على كلّ هذه الأراضي وهي مِلكُ الغير، استوليتَ عليها بلا مقابل، ثمّ أتيتَ الآن لتأخُذ منّي هذه؟!، إنّي أتقوّتُ منها، فلا أقلّ من أنْ تبتعد عن قُوْتي!».

تراجع مصطفى كمال، وعاد دون أن يتفوّه بكلمة، وأمر بصرف النقود للرّجل- نظير أرضِه- من ميزانية وزارة البحرية، وتسجيلها في بند التّصليحات البحرية.

أقامَ مصطفى كمال في هذه المزرعة حوضًا طوله 280 مترًا، وسمّاه (حوض مرمره)، وعمله بشكل (بحر مرمره)، تسبح الزّوارق على سطحها، وأحضر لها المياه من بحيرةٍ بعيدة، كانت مصاريف هذه البحيرة كثيرة، ثمّ أقام في نفس المزرعة حوضًا أكثرَ ضخامة على شكل البحر الأسود.

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 579، 22 رمضان 1402هـ الموافق 13 يوليو 1982م.

وعندما سمعتُ بهذا قلتُ: «ماذا يحدُث لو فكَّر هذا الرجل ذاتَ يوم أن يبني حوضًا على شكل المحيط؟، مصيبة، إنّه بذلك يُغرق تركيا»، فضحك الرجل الذي كان جالسًا بجانبي ضحِكًا شديدًا عندما قلتُ هذا.

يقول هذه الأرض ملكي، وهي ملكٌ للدّولة:

أقامتْ وزارة الدفاع الوطني أثناء الحركة الوطنية مصانع ذخيرة بجوار المحطة، وكان مصطفى كمال يُعتبر أنّ هذه أراضيه الخاصّة!، قال للوزارة: «إنّ الأرض ملكي، فإمّا أنْ تشتروها، وإمّا أن تزيلوا المصانع»، اضطربتِ الوزارة.

وأخيرًا عُيِّن رجب وزيرًا للدّفاع الوطني، فاشترى رجب هذه الأراضي للحكومة من مصطفى كمال بمبلغ مائتي ألف ليرة، نهب!، لم يرَ أحد من قبل مثل هذا في وضوحه وصراحتِه!، فأوّلًا ليست الأرض أرضه، وثانيًا لم تكُن هذه الأرض بأيّة حال من الأحوال لتصل إلى أربعة آلاف ليرة.

ألغَوا مع الخلافة وزارةَ الشّرعية، كنتُ قد اقترحتُ إلغاء الوزارة الشرعية من قبل، إلّا أنّ خالدة أديب وجلال عارف اعترضا، ووافق مصطفى كمال، الفِكرة فِكرتي أنا، وهذا الأمرُ طبيعي، إذا انفصل الدّين عن الدولة فإنّهم سيوحّدون الدراسات، وهذا أيضًا ما حاولتُ عمله عندما كنتُ وزيرًا للمعارف، وهذه الأشياء التي يفعلها مصطفى كمال إنّما هي من بنات أفكاري.

تلميذُ الأفغاني أداةُ مصطفى كمال في إلغاء الخلافة:

كان أكثرُ مَن استخدمهم مصطفى كمال في عملية إلغاء الخلافة هو سيد بك[1]، ثمّ غيّر مصطفى كمال الوزارة، ولم يجدْ سيد بك نفسه فيها، ذلك لأنّه كان يشكُّ فيه، بدَعْوى أن سيِّد بك من خادمي الاتّحاديين، مع أن سيد بك شيخ تقليدي، بالإضافة إلى أنّه منافِق للسُّلطة!، حائزٌ على سجايا كلّ المشايخ التقليديّين، لا يهمُّه يخدم مَن!!.

قلتُ لسيِّد عندما جاء إلى أنقرة: «يا مسكين!، لقد بذلتَ كلّ هذا الجهد، واستخدمك طيلةَ هذه الفترة لإعلان الخلافة، ثمّ يكافئك بلفظك من الوزارة!»، فكّر سيد بك وقال: «إنّك لعلى حقّ تمامًا، لم أكُن أعلم».

حزنَ سيد بك، واستقالَ من عُضوية مجلس الأمّة، وأصبح أستاذًا في الجامعة، ولم يمضِ عليه كثيرٌ حتى مات، كانت هذه الضربةُ قاسيةً على هذا المسكين؛ لكنّه جزاؤه، فرغم أنّه ينتمي إلى طائفة المشايخ، فقدْ كان ضدَّ الخلافة، وقال بعدم ضرورتها، وتحذلق حتّى يثبت عدم ضرورة الخلافة شرعًا، ها هو ذا رجل الاتحاديين الكبير، كان منافقًا تافهًا، استخدم الشّريعة

---

(1) سيد بك عبد الله تقي الدين: ولد في إزمير 1873م، وتخرج في دار الفنون شعبة الحقوق، وعمل مدرسًا بها في تخصص أصول الفقه، واختير نائبًا عن إزمير في مجلس المبعوثان لدورتين، ثمّ عضوًا في مجلس الأعيان، وصار نائبًا في مجلس الشعب بعد إعلان الجمهورية في تركيا، وصار وزيرًا للعدل في حكومات فتحي أوقيار وعصمت إينونو، ولم يمكث كثيرًا في العمل الوزاري حيث تمّ عزله وتفرغ للتدريس بجامعة استانبول، وتوفي في مارس 1925م، وله عدّة مؤلّفات، منها: دروس في أصول الفقه، مدخل إلى أصول الفقه، الخلافة وسلطة الأمة (1923م)، مشروعية الخلافة (1924م).

انظر، عبد الرازق بركات: وثيقة إلغاء الخلافة، ص 16.

آلةً لكلّ شيء حسب اللزوم، كان يبدو مسلمًا جيدًا، لكن ها هو ذا مدى إسلامه، كم كان هؤلاء الاتحاديون مهرّجين.

باسم الإسلام تُجمع التّبرعات من مسلمي الهند ثمّ تُلغى الخلافة:

أصدروا قانونًا بمنع إقامةِ عائلة السّلطان في تركيا، كان الشيخ راسم نائب أنطاليا في مجلس الأمّة في الهند مع وفدٍ تركي لجمع تبرعات للهلال الأحمر التركي، وكان هذا في وقت إلغاء الخلافة، عاد الشيخ راسم بعد عشرة أيام أو خمسة عشر يومًا من إلغاء الخلافة، جلسنا نتحدّث، أخذ يحدّثني عن همومه.

قال: «كنّا نحظى باحترام كبيرٍ من مسلمي الهند، جمعوا لنا مبلغًا عظيمًا، وبينما نحن على ذلك إذا ببرقيّةٍ إلغاء الخلافة تصِلُنا، اضطرب الهنود، تكدّروا كثيرًا واحتقَرونا، ولم يكُن لدينا حيلة إلّا أنْ نهرب ونرجع».

إلغاءُ الخلافة وإلغاءُ السلطنة:

أحْدَثَ هذا العمل – إلغاء الخلافة – تأثيرًا عميقًا في جميع العالم الإسلامي، ترك المسلمين يائسين بلا أمل، مع أنّ إلغاء السّلطنة لم يحرّك شيئًا في العالَم الإسلامي، كم كان إلغاءُ الخلافة خطأً جسيمًا، وسيُرينا الزمنُ عواقبَها.

الهنودُ مع الخلافة، ورأي مصطفى كمال في الخلافة سفسطة:

يرى مصطفى كمال أنّ الخلافة لا فائدةَ منها، ودليله الذي ساقه في خطابه الرسمي هو أنّ مسلمي الهند حاربوا ضدّنا في الحرب العالَمية الأولى!

إنّ دليله هذا عبارة عن سفسطة؛ فهؤلاء الهنود أسرى، وماذا بيدِهم أن يفعلوا؟، كما أنّهم مخدوعون، ومع ذلك فكَم أدّوا لنا من مساعَدات، وقد

عملوا كثيرًا لاستمالة إنكلترا لتكون في صالحنا، وقد كان لهم تأثيرٌ أكيد في توقيعنا على صُلح جيد، وأرسلوا لنا نقودًا كثيرة، وعندما كنّا نطرد الإنكليز من اسكيشهر كان المسلمون الهنود يفرّغون رصاصهم في الهواء، ولم يصوّبوه أبدًا إلى صدور جنودنا، ماذا يريد مصطفى كمال أكثرَ من هذا؟، يفعلون هذا وهُم أسرى، فما بالك لو كانوا أحرارًا؟.

والمصريون أيضًا مع الخلافة:

عند هجومنا على السّويس أخذتْ المدفعيةُ المصرية تضرب قواتنا ضربًا شديدًا، فإذا بضابطٍ مصري يدرك حقيقةَ الموقف، تولّى المسألة بنفسه، وجعل طلقات المدفعية الحامية تصبُّ جامَ غليانها بعيدًا عن قواتنا بحيث تتفاداها.

بفضل الخلافة كان كلّ المسلمين في العالم يحبّوننا حبًّا جمًّا، هذا التأثير المعنوي كان عظيمًا، وتولّد عن هذا بالتّالي تأثير مادي، ولو كنّا أمّة تجارية لَفتحتْ لنا البلاد الإسلاميّة أبواب أسواقها، وفي مصر الرّغبةُ عظيمةٌ في البضائع التركية، والأروام والأرمن في مصر يرضَون هذا، لذلك يكتبون على دكاكينهم كلمة «استانبولي».

إنّ هذه النقطة مهمّة بالنّسبة للمستقبل، يجب أن نُفيد منها، ثم بأيّ حقّ وبأيّ ضمير تَذبحُ رأسًا تخصُّ كلّ المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي؟!، مسكين هذا العالَم الإسلامي!، لقد أصبح بلا قائد، فمع تقدُّم أوروبّا كلّ هذا التقدُّم وما أحدثته من تجدُّد، فإنّها لم تلغِ البابوية، بالعكس، فإنّ موسوليني أخذ في تقوية البابوية.

يسفسطُ مصطفى كمال مرّةً أخرى فيقول: «إنّ بقاء الخلافة لعبة يستخدمها أعداء تركيا»، كمْ هو مغالط في منطقه هذا!، إنّ كلّ دول أوروبّا

تشاركه في مقالته هذه، وخاصّة إنكلترا، مع أنّي أرى أنّ كلًّا من إنكلترا والبابا يدفعان الملايين في سبيل تحطيم العصا التي يستندُ عليها المسلمون، في سبيل إلغاء الخلافة الإسلامية؛ فقام مصطفى كمال بفِعل هذا مجّانًا.

إنّ هذه غفلة، بل ليست غفلة، وإنّما هي حرصٌ على منصبه الشخصي فقط، كلّ أعماله شخصيّة مَحْضة لخدمة نفسه وحده، لا يفكّر في منفعة الدولة.

قال لي المولى نجم الدين عندما كنتُ في تركيا: «ألم يكُن الإنكليز يدفعون مليوني جنيه إنكليزي لإلغاء هذه الخلافة؟»، لم يكُن يقول هذا بناءً على فِكرة وطنية، غالبًا كان يقولها بإيماءٍ خاص، وكنتُ قد علمتُ السبب في هذا من عامٍ مضى.

مليونان من الجنيهات الإنكليزية ثمنًا لإلغاء الخلافة:

وصلَ رشيد بك إلى باريس، وكان يعمل رئيسًا للبلاط في عهد السلطان رشاد، وهو الآن يُقيم في نيس، كان على اتّصال وثيق فترة من الوقت بعبد المجيد الثاني «آخر خليفة» في نيس.

ذاتَ يوم قال الخليفة السابق لرشيد: «لقد علمتُ من مصدر موثوق أنّ الإنكليز دفعوا مليونيْن من الجنيهات الإنكليزية الذّهبية في لوزان لكلٍّ مِن عصمت ورضا نور لكي يعملا على إلغاء الخلافة»! فسأله هذا عن المصدر، فقال له: «دبلوماسي روسي»، هذا خيال، لم يحدُث، فلم أكُنْ موجودًا في أنقره عند إلغاء الخلافة، ولفظوني من الحكومة.

إنّ هذا الرجل مخبول، واضح أنّ الدّبلوماسي الروسي أراد أنْ يدفعَه إلى موقف ضدّ الإنكليز، فاخترعَ هذه المسألة، فليأتِ ليراني كيف أعيش في باريس منذ ثلاث سنوات، كم مِن ضِيق أعانيه، أمّا هو منذُ خصّص له

هندي خمس مائة ليرة إنكليزية في الشهر مرتّبًا له، ولو كان الإنكليز ضدّه فهل يمكن للمهراجا الهندي أن يعطي الخليفة مرتبًا شهريًا؟!.

مصطفى كمال ينفيني إلى برلين بدرجة سفير

تأخذ العلاقاتُ بيني وبين كلّ مِن عصمت ومصطفى كمال في البرود، لكن لم يحدُث شيء بعدُ، ولم ينفجرِ الموقفُ بعدُ، تمكّن مصطفى كمال من أن يكُون انتخابُ المجلس الجديد حسب رغبته شخصيًّا، ومع ذلك فقد ظهر أنّ بينهم رجالًا شرفاء كثيرين.

لم يستطعْ إدراكَ هذا، بدأتِ الأمور في الدولة تسير نحو الأسوأ، حيث تظهر حركة فظيعةٌ في اتّجاه الاستبداد، لو لم يسيطرِ الخوف على المجلس لَقام ثلاثة أرباع أعضائه ببدْء المعارضة فورًا، وقلبوا كلًّا من مصطفى كمال وعصمت، لكن جبال الخوف تنتظر، مصطفى كمال وعصمت يقولان وبوضوح بضرورة تطويع المجلس النّيابي لإرادتها وجعْلِه آلة في أيديها.

أخذتِ الصّحف تكتب عن تعْييني سفيرًا في برلين، وأحيانًا أخرى في روما، وأخيرًا فهمتُ الأمر، وقلت لمصطفى كمال: «يا باشا، إنّك تعلم أنني لستُ عاشقًا للمنصب، ولا أريد شيئًا إطلاقًا»، وأخذتُ أنتظرُ لأرى لماذا لا يعيِّنني في باريس، فمنصب السّفير هناك شاغر.

ثمّ قلتُ له: «لو كنتَ أعطيتَني باريس»، فقال: «سنرسل غيرَك إلى باريس، فإنك تعاركتَ كثيرًا مع الفرنسيّين في لوزان»، والواقع أنّه ترك سفارة باريس شاغرة لكي يعيِّن فيها فتحي، منفى فتحي باريس، لكنّ منفاي أنا برلين.

إنّ نيّتي تتّجه لعدم العمل مع هذيْن الشّخصين بشكل حاسم، وعدم قبول أيّة مهمة تُسنَد إليَّ، وسأستقيلُ أيضًا من مجلس الأمّة، لكنّهما يستطيعان بذلك أن يقضيا عليَّ بسهولة، ومنصبي في المجلس- ولوْ إلى حدّ ما- فيه ضمان وقوّة.

رفضتُ أنْ أكون سفيرًا في برلين، لذلك زادت الفجوة بيني وبين عصمت، ولم أعُد أزورُه، ولم أعُد أذهب إلى مصطفى كمال.

حملةُ التّغريب بدأتْ بقانون القبعة[1]

حقيقةُ حادثة انتحارِ عشيقةِ مصطفى كمال:

انتحرتْ فِكرية، سببُ الانتحار أنّها ذهبتْ إلى جانقايا، فلم يسمحْ لها بمقابلتِه!، فانتحرتْ من شدّة حسرتِها، عندما تزوّج الغازي- مصطفى كمال- أعطى لعشيقته هذه النّقود اللازمة، وأرسلها إلى أوروبّا، سافرتِ المرأة، أخذتْ جولتَها، ثمّ عادت، ولم ترْضَ لطيفة- زوجة مصطفى كمال- بهذه المرأة قَطُّ، وهذا طبيعي.

كان لنا جارة في لبليبجي الذي تسكُن فيه، وهي من الأهالي المحلّيين، وكانت صديقة لزوجتي، وكان لها حدائق جانقايا، حكت هذه السيدة الحكاية التالية: «سمِعنا صوت طلقة طبنجة (مسدس)، جرَينا مسرِعين نحو النافذة، سمِعنا صوت امرأة تصيح قائلة: النجدة، قتلوني!، أين الإسعاف؟، ثمّ انقطع صوتها بعد ذلك».

معنى هذا أنّ فكرية لم تنتحر، وأنّهم قتلوها، المحرّض على قتْلِها إمّا أنه مصطفى كمال أو زوجتُه لطيفة، هذا هو المنطق، ولكنْ لا أظنّ أنّ لطيفة تتجاسر لدرجة الإقدام على جريمةٍ كهذه، بأيّة صورة من الصور، لقد دخلتْ فكرية عشيقة مصطفى كمال في قائمة جرائمه.

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 580، 7 شوال 1402هـ الموافق 27 يوليو 1982م.

الغريبُ في هذا الأمر أنّه لا أحد ولا محكمة بحث عن هذه المسألة!، وموّت ولم تبحثِ العدليّة عن السائق الذي أتى بفكرية إلى هناك، كما لم يُجْرِ أحد تحقيقًا مع الجيران.

مصطفى كمال يلفظ رفاقه القدماء:

لم يعُدْ ضِمنَ رجالِ مصطفى كمال الجُدد أحدٌ من الذين خدموا البلاد أثناء الحركة الوطنيّة، وجمع حوله المنافق والديّوث والجاسوس والقاتل والجاهل!، وأخذ يعدُّ هؤلاء من جديدٍ ويربّيهم، مثال على هذا أنّه ألبس أحد الحمّالين الزيَّ الرسمي لرُتبة المشير وأعطاه الرتبة.

ومثالٌ آخر أنّ رجب صار وزيرًا للدّاخلية، وكان هذا «يوزباشي[1]»، كان هذا الرّجل قبل ذلك يدخُل علينا وهو يجيّي بطريقةٍ عسكرية وينتظر بطريقة عسكرية، وكان يخرُج أيضًا بعد أنْ يؤدّي التحية العسكرية، لم يكُن حتى يجلس، وعلى هذا تكون درايته.

عندما لم أقبلْ منصبَ السّفير في برلين عيّن كمال الدين سامي[2] بدلًا مني،

---

(1) رجب باكر (1888-1950م): تدرب كضابط عسكري، حارب على عدّة جبهات في الحرب العالمية الأولى، ثمّ عاد لإكمال تعليمه العسكري في الأكاديمية، انضمّ إلى الوطنيّين عام 1920 وأصبح أمينًا عامًّا للمجلس الوطني، وفي عام 1923 صار عضوًا في مجلس النواب وأمينًا عامًّا لحزب الشّعب، وفي العام التالي 1924 عين وزيرًا للمالية، ثمّ وزيرًا للداخلية في نهاية العام نفسه، واستقال احتجاجًا على سياسات فتحي المعتدلة، وفي عام 1925 عيّن وزيرًا للدّفاع، ثمّ صار رئيسًا للمجلس النيابي ووزيرًا للمواصلات في 1928، من المؤيدين الأقوياء لنظام الحزب الواحد الاستبدادي، صار رئيسًا للوزراء عام 1946 ثمّ استقال.

انظر، إريك زوركر: تاريخ تركيا الحديث، ص 524

(2) كمال الدين سامي (1884-1934): أكثر القادة العسكريين الأتراك اندفاعًا في حرب

وكمال الدين سامي واحدًا من المرْتشين في الجيش، وعندما كان مركز الجيش في اسكيشهر جعلَ من أخيه متعهِّدًا عسكريًّا للجيش، وجمع من هذا مالًا كثيرًا، وأمام مجلسِ الحرب ملفّات خاصّة بمجموعة من حوادث إرتشائه.

مجلسُ الأمّة لُعبة في يدِ الغازي:

تحوّل مجلس الأمّة إلى لعبةٍ من لعب الأطفال، لم تَعُدْ له أيّة قوة، وهذه أول ضربة كبيرةٍ للحريّة في حكومة الأناضول، لهذا السبب تُعدُّ حادثة تحويل المجلس إلى إدارة لعبة مهمّة جدًّا في الحياة التشريعية والجمهورية في هذه الدولة، إنّها نقطة تحوُّل، لقد أصبحتِ الحاكمية للأمّة، والجمهورية صارت دخانًا وطار.

خلافٌ حول ثورة الشّيخ سعيد الكردي:

جبهةُ الجزيرة ليستْ على ما يرام، هناك حركة بين الأكراد، وهناك خلاف بين رجب وزير الدّاخلية وبين ذهني، وكان ذهني قد ذهب من متصرفيّة سينوب إلى تبليس– حيث الأكراد–، ذهني رجلٌ شريف وذو دراية.

وقد كتب منذ مدّة يقول: «رؤساء العشائر الكردية يجتمعون ويتدارسون أمورًا ضدّ الحكومة (الكمالية)، أريد القبض عليهم، وإلّا ستحدث فتنة».

الاستقلال. أصيبَ في الدفاع عن يانيا في سنة 1912 وفي غاليبولي، وفي نهاية الحرب الكبرى أصبح رئيسًا لأركان جيش القوقاز الشمالي العثماني. في أعقاب الهدنة قاد الفرقة العاشرة القوقازية في اسطنبول. اجتاح البريطانيون مقرّ قيادته عندما احتلوا المدنية في مارس 1920، لكنّه تمكّن من الهرب والتحق بالجيش القومي في الأناضول. وتميّز على رأس المجموعة الرابعة (أصبحت فيلقًا لاحقًا) في معركتي سقاريا وأفيون قره حصار. أمضى السنوات العشر الأخير من حياته سفيرًا في برلين.

انظر، أندرو مانجو: أتاتورك.. السيرة الذاتية، ص 582.

ولم يكُن وزيرُ الداخلية يهتمُّ بأقواله، قال له الوزير: «إنّي آمرك، لا تقبضْ إلّا على قطّاع الطّرق واللصوص»، ولذلك استقالَ ذهني، ثمّ حدثتْ ثورة الشيخ سعيد، معنى هذا أنّ ذهني كان على حقّ، ومعنى هذا أيضًا أنّ رجب مقصّر تقصيرًا شديدًا في هذا الأمر، لو حدث هذا الأمر في بلد آخر لَشنقوا الوزير قبل أن يشنُقوا الشيخ سعيد، لكن يكفي رجب أنّه صادق في ولائه لمصطفى كمال!، هذا يكفي لتغطية كلّ عيوبه والتّستُّر عليها!.

يفرض القبّعة، ويُلزم الشّيوخ بارتدائها، فيستجيبون فورًا:

بعدَ إعلانَ حالة الطوارئ وجدَ مصطفى كمال طريقًا حرًّا لمزاولة هوسه ورغباته، ذات يومٍ وضع مصطفى كمال على رأسِه قبّعة، وذهب في جولة في البلاد، وعندما وصَل إلى قسطموني هبَّ على مزاجه ريحُ إصدار قانون يقضي بتحريم الطربوش، وفرض القبّعة!. التزم المشايخُ الصّمت، ومن الغريب أنّ أوّل مَن لبِس القبّعة حتى قبل إصدارِ قانونها كان شيخًا مُفتيًا!، وكان هذا المفتي هو صاحبُنا الشيخ حسن فهمي الكرجي ذا اللّحية الحمراء.

عندما قامَ مصطفى كمال بجولتِه في الأناضول اقترحَ وهو في محطّة أنقرة أوّلَ ما اقترح في لبس القبعة على هذا الشيخ، أعطاه القبعة فلبِسها، كنتُ قد كتبتُ عن هذه المسألة في كتابي (التّاريخ التركي)، لكنّي لم أقلْ بتطبيقه بالقوة.

اليهودُ استفادوا من قانون القبعة:

في عهد الاتّحاد والترقّي بدأ النّاس يستخدمون القبّعة، وفي الحرب العالمية (الأولى) كان (بعض) النّساء التركيات يخرجْنَ إلى الشّوارع مثل المرأة الأوروبية، وكان سيتمّ انتشار القبعة رُويدًا رُويدًا، إلّا أنّ مصطفى

كمال ليثبت عبقريته، فرض القبّعة على الشّعب بقوّة القانون، فأصبح لهذا الأمر أضراره.

أوّلًا: أنّ هذا تحكّم في حرّية الناس، واستبداد وأمرٌ قبيح، فليلبسْ الإنسان ما يحب أن يلبسه.

ثانيًا: أحدثَ هذا القانون انكسارًا معنويًا لَدى الشّعب، فقد ظنّ الناس أنّنا أصبحْنا كفّارًا[1]!، وأخذوا يسنُّون أسنانَهم لمواجهة الحكومة!.

ثالثًا: إنّ هذا القانون سبّب ضررًا اقتصاديًا بالغًا، وكان اليهود هم المستفيد الوحيد من ذلك، فقد جلبوا إلى البلاد ملايينَ القبّعات الجديدة والقديمة من إيطاليا وفرنسا، يشترون القبعةَ الواحدة بليرتين أو ثلاثة، ويبيعونها بعشرة ليرات على الأقل، ولمّا كانتْ وسيلة تنظيف هذه القبعات تتمّ بورق الصنفرة، وهذا يُجلَب من الخارج، فمعنى ذلك أنّ أموالًا كثيرة ذهبتْ إلى الخارج، مع أنّ مصطفى كمال وعصمت يشتكيان سوءَ الحالة الاقتصادية، لقد أفاقا على عُمق المشكلة، ولكن بعد خمس سنوات، ولكن هل صارت هذه الأمّة سبّورة للتجارب؟!.

أمّتنا والقبعة:

إنّ أمّتنا فقيرة، ولذلك فإنّ تطبيق فرض القبعة بالقوة خطأ، كان كلّ واحد من قبل يتناولُ طربوشه في يده، يرتديه في كلّ المناسبات، أمّا الآن فالقبّعات أشكال وألوان، ولكلّ مناسبة قبعة معيّنة، مِن أين يأتي النّاس بنقود لكلّ هذا؟،

---

(1) أطلق الشّعب في استانبول على السلطان محمود الثاني لقب (السّلطان الكافر) لأنّه تخلّى عن الزّي التقليدي للعثمانيّين وارتدى الزيّ الأوروبّي العسكري.

ونحن أمّة لا نستطيع أنْ ندفع المال إلّا لحوائجنا الضّرورية وللخبز!!.

ولمسألة القبّعة جانبٌ آخَر مضحِك، ارتدى الشّعب القبعة خوفًا من الحكومة، كارهًا لارتدائها، أخذ أغلبُ الشّعب يلبس كاسكيتا (نوع من القبعات) رخيصًا، ويلْوُون الجزء المانع للشّمس منها إلى أعلى أو إلى الجانب أو إلى الخلف، ويشكّلون بذلك منظرًا مُضحكًا، لو صوّرناهم بآلة تصوير ستكون الصورة وثيقة تاريخية مسلّية!!.

كما أنّ المتصوّفين ظلُّوا لسنواتٍ عديدة يسيرون ورؤوسهم مكشوفة!؛ حتى لا يضطرُّوا- بحُكم القانون الذي يحتّم في حالة ارتداء غطاء للرأس لا بدّ أن يكون هذا الغطاء قبعة- أن يرتدوا قبّعة.

كما أنّ بعض الناس باعوا ما يملكون، وهاجروا إلى سوريا حتى لا يرتدوا القبعة!، أمّا الفلاحون والقرويّون فلم يرتدُوا القبعة حتّى الآن، فإذا اضطر القروي إلى الذهاب إلى المدينة فإنّهم كانوا يصنعون من القماش العادي قبّعة لا يلبسونها إلّا عندما يصلون إلى المدينة!، وإذا ما عادوا فإنّهم سرعان ما يعلقونها في حجرة المسافرين، ويلبسون بدلًا منها الطربوش والعمامة.

لماذا لم يثُر المشايخ ضدّ قانون القبعة؟!:

أجبروا الموظّفين على ارتداء القبّعة والأزياء الخاصّة بالمراسم، ليس معهم نقود، فلَم يستطيعوا شراءَ ما تطالبُهم به الحكومة من أزياء، فقدَّمتْ لهم الحكومة قروضًا.

كنّا قد التقينا بالشّيخ رائف في المجلس ذاتَ يوم، بعد القبعة، قلت له: «أين أنتم أيها المشايخ؟!، إنّكم سريعًا ما تكفّرون كلّ شيء!، وتقيمون الدنيا

وتقعِدونها!، أمّا بالنسبة لأمرِ القبّعة فكان من الواجب أن تكُونوا أولَ مَن يثور عليه، لكنّكم ارتديتموها جيدًا!، إنّكم معشرَ المشايخ أكثر فئة في الأمّة التركية تعفّنًا!!»، فقال لي: «الحقُّ معك».

الشّعب يثُور على قانون القبعة:

قامتْ ضدّ قانون فرض القبّعة على الشعب التركي عدّة ثورات في سيواس وأرضروم وأماكن أخرى، وسرعان ما أمر مصطفى كمال بأنْ تقُوم محكمة الاستقلال فورًا تحت رئاسة (علي الأقرع)[1] بالانتقال إلى مكان الأحداث، لقد أعدموا رجالًا كثيرين لا تُعرف أعدادُهم.

عالِمٌ ينشر رسالةً ضدّ القبعة قبل صدور قانونها فيعدمونه:

تألمتُ كثيرًا من أجْل شيخ أعدموه، لا أستطيع تذكُّرَ اسمه، نشرَ المسكين رسالة علميّة ضدّ القبعة، وكان هذا قبل صدور قانون فرض القبعة، كما كان هذا النشر بإذنٍ وتصريح من وزارة المعارف التّركية، أخذوا الرجُل المسكين إلى محكمة الاستقلال.

---

(1) علي (تشتينكايا) (1878 – 1949): اشتهر باسم علي الأقرع. درس في الكلية الحربية وانضمّ إلى جمعيّة الاتحاد والترقي في سنة 1907، وشارك قدائيًا في الحرب مع إيطاليا ثمّ في الحرب الكبرى بصفته عضوًا في منظمة أنور الخاصّة (التشكيلة المخصوصة). وفي 29 مايو 1919 أمر فرجه بمقاومة القوات اليونانية على ساحل بحر إيجه. وعندما انضم إلى مصطفى كمال في أنقرة، أصبح نائب زعيم المجموعة البرلمانية لجمعية الدفاع عن الحقوق المالية. وكان رئيس محكمة الاستقلال التي حكمت بالإعدام على المتآمرين المزعومين على مصطفى كمال في سنة 1926. ثمّ عيّن وزيرًا للأشغال العامّة، ثم وزيرًا للاتصالات بين سنتي 1934 و 1940.
انظر، أندرو مانجو: أتاتورك.. السيرة الذاتية، ص 576.

قال للمحكمة: «لقد نشرتُ هذه الرّسالة قبل عام من صدور القانون، وأعطتني وزارة المعارف إذنًا رسميًا بهذا»، لم يستمعْ إليه أحد، وشنقوه!! [1]

أيُّها الناس، ما دمتُم قد شنقتُم هذا، فلماذا إذًا لم تشنُقوا وزير المعارف الذي أعطاه الإذن؟!، ثمّ إنّ قانون القبعة لا يشمل ما قبله.

---

(1) هو الشّيخ عاطف الإسكليبي: اسمُه محمد عاطف، ويطلقون عليه عاطف أفندي، أو عاطف خوجه، وكلاهما يعني عالِمَ الدّين. ولد الشيخ عاطف الإسكليبي عام 1876م في قرية طوبخانة التابعة لأسكيليب في الأناضول من أسرة عريقة في العلم والنسب، وفي عام 1905م تخرّج في كلية الإلهيّات باستانبول، وعيّن معلمًا بدرجة (درس عام) في جامع الفاتح، كما كانت يكتب المقالات الدينية والشرعية في مجلتي (بيان الحق)، و(صراط مستقيم) أشهر المجلّات الإسلامية في الدولة العثمانية. وعندما أجبرت جمعية الاتحاد والترقي عام 1908م السّلطان عبد الحميد الثاني على إعلان المشروطية على أسس النظم الغربية، بدأ عهد الاتحاد والتّرقي، وبدأت معه آلامُ الشّيخ عاطف أفندي، فأبعدته الجمعية عن استانبول، ثمّ أطلق سراحه بعد نفي أربع سنوات. وعندما حدثتِ الانتخابات في عهد الاتحاد والترقي اختاره أهل جوروم نائبًا عنهم، فانتهز الفرصةَ لينتقد حكم الاتّحاد والترقي. كان الشيخ عاطف أفندي مقصد المسلمين الذين كانوا يفدون من كلّ جهات العالم إلى استانبول باعتبارها مركز الخلافة الإسلامية، من اليابان، من العراق، ومن القرم، وغيرها، يستفتون الشيخ عاطف أفندي في أمور دينهم، ولم يكن يردّ قاصدًا إلّا بعد أنْ يكرمه، فزاد هذا العلم الغزير والكرم، احترام الشيخ في قلوب المسلمين. وعندما احتلّ اليونانيون أزمير في الحرب العالمية الثانية، كانت جمعية تعالي إسلام- أي رفعة الإسلام- التي أسّسها الشيخ عاطف أفندي، أوّل مَن احتجّ لدفع المعتدي. أمّا في عام 1925م فقد صدر قانونُ الملابس في تركيا، والذي أبدل الطربوش بالقبعة. وقبل صدور هذا القانون بعام وأربعة أشهر كان الشّيخ عاطف أفندي قد أصدر رسالة في (تقليد الفرنجة والقبعة).
في اليوم التالي صدرت الصحف التركية بالعنوان التالي:
«وتنفيذ حكم الإعدام في الشّيخ عاطف الإسكليبي، مؤلف الكتب الرجعية».

مصطفى كمال يؤجّر قاتلًا للقضاء على رفيقِ سلاحه:

خبر في الصّحف: قتلوا عبد الرحمن الأفغاني ذات ليلة في حي نشان طاش، ماتَ الرّجل وقتلتُه مجهولون، هذا الرّجل هو رجلٌ رؤوف، حيث كان يتواجد دائمًا في منزل رؤوف، كان عبد الرحمن الأفغاني خارجًا في تلك الليلة من منزل رؤوف، فأطلقوا عليه الرّصاص، معنى هذا أنّ القتلة ظنّوا أنّه رؤوف، كانَ المحرّض على هذه الجريمة هو مصطفى كمال، إنّي أعرف هذا الأفغاني جيدًا، وإلّا فمَن يُطلِق عليه الرصاص؟!.

إنصافُ ثورةِ الشّيخ سعيد الكردي[1]

حزبٌ مُعارِض لمصطفى كمال يلقى قبولَ الناس:

ذاتَ مساء زارني في بيتي كلٌّ مِن فريدون فكري وخالص طرغور، اقترحا عليَّ الآتي: أنْ نقُوم بتشكيل حزب. قلت لهما: «أنا لا أدخُل هذا الحزب، لكني أنصحُكما وأنصحُ إخوانكم، لا تشكّلوا الحزبَ لأنّ مصطفى كمال لا يمكِنُ مصارعتُه بحزب، إنّ النّضال معه لا يكُون إلّا بالسّلاح، وإلّا فإنّه سيقضي عليكم جميعًا، إذا كان ولا بدّ من قيام الحزب عليكما على الأقلّ ألّا تشتركا فيه».

تحدّثنا في هذا كثيرًا، أصرّا على رأيهما، سألاني عن رأيي في البرنامج، أوصيتُهما بأنْ يضعا بندًا خاصًّا باحترام الدين، قلت لهما: «كما لا بدّ أن تضعا كلمة جمهورية في اسْم الحزب، فبدون هذه الكلمة سيهاجمُكم الغازي – مصطفى كمال – ويدّعي أنكم حزبٌ مُناصِر للسّلطان، وهو يتّهم رؤوف بهذا».

تكوّن الحزب، وعملوا بما أوصيتُهم به، اقترح عليَّ عدنان أيضًا أنْ أدخُل هذا الحزب، فرفضتُ أيضًا، صفقتِ الصّحافة لهذا الحزب، كتبتِ الصّحف بأني ويوسف كمال داخلين في إطار هذا الحزب، كنتُ أرى نتيجةَ هذا الحزب بوضوح، اضطربتُ واضطرب يوسف كمال أكثر منّي، بعثْنا ببرقية مشتركة إلى جريدة (تصوير أفكار)، كذّبنا فيه خبرَ انضمامنا للحزب الجديد.

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 581، 14 شوال 1402هـ الموافق 3 أغسطس 1982م.

سرعان ما تحرّك الحزبيّون الجُدد في تكوين كوادر الحزب، كان الشعب يتدفّق تدفُّقًا للدّخول في هذا الحزب، وتولّى رئاسة كوادر هذا الحزب في استانبول (قرا آصف)، أدّى نجاحُ هذا الحزب إلى اضطرابِ كلّ مِن مصطفى كمال وعصمت، وكان أشدَّ ما وتَّر أعصابَهما وضوح كلمتي الدين والجمهورية في لائحة الحزب، وكان في هذا ضربة لمصطفى، سريعًا ما وضَّح مصطفى كمال كلمة الجمهورية في حزبه، إلّا أن نهاية هذا الحزب الجديد وتصفيته لم تستغرق طويلًا.

قال لي نجاتي مندوبٌ في مجلس الأمّة: «تحرّك مصطفى كمال سريعًا، لو كان أعطانا بعضَ الوقت لكانت منظمات الحزب اكتملت ولانتهى الأمر»، لكن نجاتي مخطئ في هذا، حتّى ولو دخل الشعب في هذا الحزب، فإنّ ذلك لم يكُن يعني أدنى شيء.

إتصاف ثورة الشيخ سعيد الكردي:

إنّ مصطفى كمال كان يعيش بإظهار الرُّعب، وفي نشر الرعب فرصةٌ له لإثبات موقعه، وسرعانَ ما جاءته الفرصة، فقد برزتْ ثورة الأكراد بقيادة الشيخ سعيد، كم كانتْ هذه الثورة فرصة عظيمة لمصطفى كمال.

كان الشّيخ سعيد رجلًا عظيم التديُّن، لقد أثار إلغاء- مصطفى كمال- للمدارس الدّينية والزّوايا، وكذلك مسألة فرض القبّعة، كلّ هذا أثار ثائرة الشيخ، فقام بعِصيانه، فهِمَ مصطفى كمال هذه الحركة على أنّها تمرُّد قومي كُردي، وفي نفس الوقت حركة رجعيّة، مع أنّ التّحقيقات الرسمية أثبتت أنّه لا يوجد على الإطلاق عصيان كُردي قومي.

وكنتُ قد سألتُ صائب وهو عضوُ محكمة الاستقلال، وهو الذي رأسها، فقال لي: «لا توجد نزعة كُرديّة في هذا الأمر، لم تكُن هذه الحركة إلّا بدافع الدين».

استولى الشّيخ سعيد ورجاله على ديار بكر وعدّة أماكن مثلها، وتقدّموا حتى خربوط، وعندما وصل الأمر إلى هذا الحدّ اقترح مصطفى كمال على فتحي عمل قانون طوارئ يسمّى «قانون تقرير السكون[1]»، وحلّ المسألة بعد ذلك، وأراد عدم حصر هذا القانون على منطقة التمرُّد فقط، بل يشمل كلّ البلاد حتّى استانبول؛ لأنّ مصطفى كمال يرى أنّ صحافة استانبول هي سبب هذا العصيان، وأنّ هذه الصحافة مع الشّيخ سعيد، وأراد أنْ يزجَّ بالحزب الجديد في هذه المسألة لأنّ الحزب وضع كلمةَ الدّين في لائحته.

(1) قانون إقرار الأمن والسكون: بعد الإجراءات المتّخذة عقب إلغاء السلطنة والخلافة، والتي استهدفت الشئون الدّينية والاجتماعية، مثل وزارة الأوقاف وإلغاء المدارس الدينية وتوحيد الدراسات، وإلغاء الطرق الصّوفية، وتحديد الزي العلمي والديني، وقانون القبعة وتعميم الزي الغربي، وإلغاء ألقاب العائلة والرتب والنّياشين، وغير ذلك من إجراءات؛ كانت ردود الفعل كبيرة على المستوى الشّعبي، «وتشكل حزب معارضة يحمل اسمَ (حزب الترقي الجمهوري) والتف الناس حوله تدفعهم مشاعرهم الدّينية ومخاوفهم من إلغاء الأسس والأحكام الدينية وقلب الدولة إلى بلاد لا دينية، وهدم كيان الإسلام والمسلمين، ثمّ نشبتْ ثورة الأكراد بقيادة الشيخ سعيد انتصارًا للدين وحماية له من الملاحدة، فكان ذلك وسيلة للزعيم- أتاتورك- ورفاقه إلى توطيد نظام الحكم الذي أنشئوه، فأعلنَ نفيرًا موضعيًا، وسيّرت قوات تنكيلية احتاجتْ نحو تسعة أشهر لقمع ثورة الأكراد والتنكيل برؤسائها، وأصدر بتاريخ 4 مارس 1925 م قانون إقرار الأمن والسكون، خولت الحكومة بموجبه منعَ أيّ منشورات من شأنها أن تؤدي إلى الارتداد أو العصيان، أو تحتوي تحريضات وتحركات على إخلال أمن الدولة ونظامها الاجتماعي والسياسي...».

انظر، محمد عزة دروزة: تركيا الحديثة، ص 74-75، وانظر كذلك صفحات 68-159.

والمثير في المسألة أنّ كاتب هذه الكلمات شخص كرّس كتابه لتمجيد مصطفى كمال، ووصف أعماله العظيمة في بناء تركيا الحديثة.

وشمَّر مصطفى كمال عن ساعده للقضاء على هذا العصيان، وانتهزها فرصة للقضاء على كلّ معارضيه، وكل مَن يخاف منْه، وكلّ مَن يشكّ فيه، وهكذا تمّ القضاءُ على حركة الشيخ سعيد. وعلى هذا الأساس طلب مصطفى كمال من فتحي أنْ يستقيل، قال مصطفى كمال لزوجة فتحي: «أعطيتكما سفارة باريس، فاذهَبا»!.

وفي ثورة الشّيخ سعيد أرسل مصطفى كمال جيشًا إلى كُردستان، لم يترُكْ هذا الجيش مكانًا هناك إلّا وأطلقَ عليه الرصاص!، أحرق القرى وقتل الناس!، وأعقب هذا الجيش محكمة الاستقلال، شنقتِ المحكمة الشّيخَ سعيد وكثيرًا مِن قادته، وأبادت كلّ المنتسبين إلى الحزب الجديد، وأطلقوا على هذه الحركة اسم «الثورة الكُردية»، وتمّ إلغاءُ الحزب الجديد رسميًّا، وصُودرت كلّ دفاتره.

عاداتٌ تهدفُ إلى إرضاء مصطفى كمال:

بعدَ هذا قلتُ لنفْسي: إنّ البقاء في أنقرة ضربٌ من ضروب العبث، فلأذهبْ إلى استانبول وأمكُث هناك، ولأنتهيَ مِن طبع كتاب (التاريخ التركي)، ثمّ أبتعد عن تركيا، هذه الفكرة تسيطر عليّ.

ظهرتْ في تلك الأثناء عادةٌ من العادات البلدية والدّوائر الخاصّة، في كلّ مكان تَهَبُ لمصطفى كمال البيوت والمباني والمزارع، وبالطّبع يقوم بهذا الأمر الولاة المنافقون من رجاله، أمّا الشّعب فهو في وادٍ آخر!، وبهذه الصورة أصبح مصطفى كمال يملك ثروةً عظيمة!.

انتهتْ هذه العادة، فظهرتْ أخرى، إقامةُ تماثيل لمصطفى كمال في كلّ مكان!!، تقوم البلديّات كلّ منها على حدةٍ بإقامة نصبٍ وتمثال له!، في سبيل

هذا العمل تمّ جمع إعانات ضخمة، وذهبت إلى أوروبا الملايين!، ذلك لأنّ التماثيل تُصنع في أوروبّا.

هؤلاء الرّجال الذين ينادون بصُنع اقتصاد وطني أين كانوا في تلك الأوقات؟!، كم أسرفوا بلا أيّ داعٍ، وكانت النّتيجة من هذا حدوث أزمة اقتصادية، يتخذون الآن تدابيرَ لعلاج الوضع، ولكن بعد خراب البصرة!!، فما الحيلة والأمّة هي التي تُعاني؟!، كما أنّ الدّولة تُعاني أيضًا، وفي ميدان (تقسيم) باستانبول يحدُث شيء مُضحك، إنّهم يضعون أكاليل الزهور على تمثال مصطفى كمال المقام في هذا الميدان!، وكأنّه الجنديّ المجهول!، يضعون هذه الزّهور بمراسيم رسمية، وتُقبّل اليد والجبهة!.

تطبيقُ القانون المدنيّ السويسري:

بقانون فرضوا القبّعة، وبقانونٍ آخَر ألغَوا المدارس والزّوايا، أمروا بترجمة القانون المدنيّ السّويسري ثمّ طبّقوه، والآن ظهرتْ موضة الثّورات، كلّ يوم يعملون ثورة، وأصبحتْ هذه الموضةُ مرضًا شائعًا، في يومٍ يقوم نجاتي ليقول: «ثورة عدلية ثمّ ثورة تعليمية»، وهكذا.

أمرَ محمود أسعد بترجمةِ القانون المدني السويسري، وكان شُكري فابا في هذه اللّجنة التي قامتْ بهذه التّرجمة، لم تفعلْ هذه اللّجنة غير ترجمة القانون إلى التركية، حسنًا.. ولكنْ لكي يسهُل فهمُ هذا العمل في لغته الفرنسية، ظهرتْ له شروح عديدة في سويسرا، وجاءت التّرجمة في كثير من المواطن حرفية غير مفهومة!.

إنّ أعظم ما يجهله شُكري هو لغتُه الأصليّة التركية!، لو كتب سطرين

لا بدّ أن يظهرَ فيها ثلاثة أو خمسة أخطاء إملائية!، وثلاثة أو خمسة أخطاء نحوية!، ثمّ إنّ هذه اللّجنة التي وضعتِ القانون السويسري ارتكبتْ خطأً فادحًا، وهو أنهم قلّما يتخلّصون من المصطلحات العربيّة الأصل التي اضطرّوا إليها عندما ترجموا القانون المدنيّ السويسري إلى التركية.

شكونا من العُرف العربيّ المسلم، ففُرض علينا العُرفُ المسيحي السويسري!:

تمّت الموافقةُ على هذا القانون في مجلس الأمّة بلا مناقشة، مع أنّ هذا القانون المدنيّ يضمّ التّراث المسيحي، أمّا نحن الأتراك فقد أسلمْنا منذ عشرة قرون، القانون يعني العُرف، مسكينٌ أنتَ أيها التركي!، كنّا نشكو أنّنا أخذْنا أعراف العرب!، والآن نأخذُ العُرف المسيحي!، مع أنّ العرب مسلمون مثلنا.

ثمّ إنّ أساس التّشريع السويسري هو التشريع الروماني، لذا كان لا بدّ من إحداث تعديلات. إنّ الأخذ به هكذا خطأ كبير، لقد أصبح الأتراك بموجبه يحقُّ لهم التزوج بإخوة الرّضاع، مع أنّ الكنائس في فرنسا تمنع هذا الزواج، والقانون المدني السّويسري ينصُّ على عدم زواج إخوة الرّضاع، لكنّها الإضافات والأخطاء.

اضطرابُ المحاكم التّركية عند تطبيق القانون المدني السويسري:

عندما بدأ تطبيقُ هذا القانون اضطربتِ المحاكم اضطرابًا كاملًا، لم يكُن هناك قاضٍ واحدٌ يفهم هذا القانون!، وصدرتْ أحكامٌ في منتهى الخطأ، لا سيّما وأنّ القانون الجديد يسمح باجتهاد القضاة، وهذا مُضِرٌّ جدًّا.

◄◄ صحافيٌّ مُنافق يقول عن مصطفى كمال: أنت أعظمُ من النّبي!، أنت الخالق الأعظم!:

قال أحدُ الصّحافيين في مقالٍ له خاطب فيه مصطفى كمال: «أنت نبيّ، لا.. أنت أعظمُ من النّبي»!!!، وكلّ الصّحافيين تقريبًا كانوا يخاطبونه بلُغة: «إنّك أنت الخالق الأعظم»!!، معنى ذلك أنّ هؤلاء الصّحافيين جعلوا منه إلهًا!!، لم يرفُضْ مصطفى كمال كلّ هذا!!، ولم يؤدّبهم، وجرتْ هذه الألقاب مجرى العادة!!، ومن هذه التعبيرات «الغازي الأعظم»، «صاحب القدرة».

لطيفة تقول: أتاتورك حاولَ اغتصابَ أختي:

تقول لطيفة- أيضًا- أنه جاءت في تلك الأوقات أختُها الصّغيرة ضيفة عليها، فتسلَّط مصطفى كمال على الفتاة وحاولَ اغتصابها!!، فنجحتْ الفتاة من الهرب من بين يديْه، وجرتْ إلى غُرفة أختِها الكبيرة، هاج مصطفى كمال، وأخرج مسدَّسه وجرى وراءَ الفتاة حتى غُرفة لطيفة، احتضنتِ الأخت الكبيرة لطيفة أختها الصغيرة لتحميها، فأطلقَ مصطفى كمال الرّصاص، إلّا أنّ بكير خادم مصطفى كمال والذي يعرف كلّ أعماله ويكُون بجانبه منذُ وقت طويل، أمسك يدَ مصطفى كمال، فبعدتْ الطلقات الثّلاث التي أطلقها الغازي بعيدًا عن هدفها.

جاءَ كلّ من السّكرتير العام توفيق ومعه محمود السعردي ليبلّغوا لطيفة هانم أوامر الغازي يقول: «لا تخبري أحدًا بشيء، وإذا سمعتُ شيئًا مِن هذا فسأدمّركِ»، فخافت لطيفة وسكتتْ.

وزيرُ خارجية أتاتورك يؤسّس دارَ بغاء[1]

وزيرُ خارجية أتاتورك يؤسّس دار بغاء!!:

استأجرَ صالح ورجب زُهدي منزلًا في استانبول خلفَ طوقاتليان، وحوّلا المنزل إلى دار بغاء خاصّة!!، يقضيان فيها سهرات حمراء، ويختاران من النساء البغايا أجملهنّ، ليرسلوا بهنّ إلى مصطفى كمال!!، هذا العمل تأسّس قبل قليل من طلاق لطيفة من الغازي. في ذلك الوقت كانت النّسوة البغايا يذهبن إلى دار توفيق رشدي في أنقرة. وكان الغازي يأتي إلى هناك ليقضي سهراته حتّى الصباح، وقد أصبح وزيرُ الخارجية مديرًا لدار البغاء هذه!!، وبفضل هذا أصبح وزيرًا للخارجية!!، وقد تبدّل الحالُ الآن، فالنّساء من هذا النوع يذهبنَ مباشرة إلى دار الرئاسة!.

سافرَ مصطفى كمال إلى قونية، وزارَ مدرستها، وأُعجب بإحدى المعلّمات، فأخذها!، وبعد أنْ تسلّى بها مدّة أرسلها في بعثة دراسيّة إلى أوروبا، يعني عطاء للبغايا من مال الأمّة!. سافر الغازي إلى أزمير فأُعجب بفتاة تُسمّى آنت، وهي طالبة والبنت الصّغرى لموظّف الغابة هناك، فأخذها وذهب!، وقضى منها ما قضى من فواحش!، ثمّ أرسلها في بعثة دراسيّة أيضًا إلى أوروبا!، ومن قبْل هاتين أرسل عشيقته فكرية إلى الخارج أيضًا، وهذه هي طريقته.

---

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 582، 21 شوال 1402هـ الموافق 11 أغسطس 1982م.

عادتْ آنت، وأصبحتْ عشيقته ومعلّمة ومشتغلة بالتّاريخ!، لم تكن المسألة مقتصرة على ذلك، فقدْ كان هناك مِن كلّ مكان مَن يقدّم إلى الغازي النساء!، كان هناك محامٍ اسمه لطفي، زوجتُه بلغارية، جميلة جدًّا، ونال زوجها بسببها الكثير منَ الامتيازات!!، وأخذتِ النساء تنهالُ على الغازي كالمطر، تنهالُ على قصر الرئاسة في جان قايا.

التّاريخ يبدأ بمصطفى كمال:

تمّ افتتاح مصرف ايسن بنكاسي، وهو ملك مصطفى كمال، وضع فيه وكيلًا من ماله، لكن كلّ مال الحكومة رأسمال له!، فالأموال التي تجمعها الحكومة من الشعب تذهب إلى هذا البنك، بدلًا من ذهابها إلى المالية، وحتى أعضاء مجلس الأمّة يحصلون على رواتبهم من هذا المصرف، فرأسمال البنك إذًا من الحكومة والأرباح لمصطفى كمال!.

أثرى الغازي من هذا كثيرًا، وعيّن مصطفى كمال في مجلس إدارة هذا البنك مجرمِين مثل قيليج علي وصالح، وهذه أولُ مرّة نعلم فيها أنّ اللصوص والمجرمين يصبحون صيارفةً وأعضاء في مجالس إدارات المصارف!!.

بتعليماتٍ منه امتلأتْ الكتب الدراسية كلّها بالآتي: «إنّنا نحبُّ الغازي، إنه منقذ الأمّة، إنّه أنقذنا من الحروف العربية، إنّه بطل الأمّة التركية»!!، وهكذا كلّ الكتب!، وعلى كلّ المستويات مملوءة بهذا، التاريخ يبدءونه بمصطفى كمال، لم يرَ أحدٌ من قبل رذائل وقلّة حياء بهذا القدر!. ألغى مصطفى كمال تدريس الدين من المدارس، فأصبحَ الأطفال بلا جذور، وسوف نرى كيف يصبحون بعد ذلك، أقول من الآن وبشكلٍ قاطع إنّ نهاية هذا الأمر كارثة اجتماعية وسياسية.

اتّبع سياسة سيطرة الحكومة واحتكارها لكلّ شيء، وملأ مجالس الإدارة من أحبابه، وخصّص لكلّ واحد منهم سيارة خاصّة، لقد كان لهذا الاحتكار مساوئ عديدة، ولقد كُشفتْ هذه المساوئ واتّخذتْ القرارات لإصلاحها، ولم يتمكّنوا من التنفيذ، ولقد فات الأوان.

عصمت باشا يتنكّر لي:

ويزدادُ الموظّفون بلا داعٍ ولا ضرورة، مع أنّ عدد الموظفين في عهد عبد الحميد لم يكُنْ إلّا ثمانينَ ألفًا، والدّولة وقتها كانت تمتدّ من أشقودرة في البلقان إلى البصرة في العراق، ومن طرابزون حتّى اليمن، إنّ هؤلاء (الكماليين) يريدون أن يجعلوا الجيش ضعفَ عدده خلال سنتين أو ثلاثة، لكنّ الدّولة اليوم ليست كالدولة بالأمس، إنها اليومَ صغيرة، تبدأ من أدرنه، ولا تصل حتّى الموصل، وكلّ ما يفعله الكماليون إسرافٌ في إسراف.

ذاتَ مرّة كنتُ في أنقرة، وقابلتُ عصمت، وقلت له: «أريد أن أقابل الغازي»، وكان مقصدي من هذا أنْ أؤمّن نفسي من مؤامرات مصطفى كمال إلى حين خروجي من تركيا، لم أستطع مقابلة الغازي، كما أنّي ذهبتُ إلى بيت عصمت مرتين، فتجاهَلَني، ثمّ لمّا لقِيَني في الطريق تجهّم وجهُه ولم يسلّم عليّ. لن أستطيع العيش في تركيا، وعليّ التوجّه فورًا إلى بلدي سينوب، ومن ثمّ أنهي أعمالي لأسافر إلى أوروبا.

مؤامرةٌ أخرى لاغتيال مصطفى كمال:

ذاتَ يوم قرأتُ في الصّحف الخبر الآتي: «مؤامرة ضدّ مصطفى كمال، القبض على الجُناة، وهُم ضيا خورشيد نائب مجلس الأمّة سابقًا، ومعه واحد

لازي وآخر كرجي، وكان من ضمن المتآمرين شكري وصاري آفة... إلخ، وصاري آفة ضابط اسمه الأصلي أديب، وهو ملازمٌ بالجيش، والذي أفشل المؤامرة أن المتآمرين وثقوا في كاظم رئيس مجلس الأمّة الذي تظاهر بالاشتراك معهم، وأغلب الظنّ أنه أبلغ مصطفى كمال بذلك، استغلّ مصطفى الحادث ليُثير الرعب في البلاد ويوطّد سلطانَه، واتّخذها وسيلة أيضًا للقضاء على كلّ أعدائه القدامى.

إشارةٌ إلى أستاذ جامعي غير أمين:

كنتُ قد عملتُ تصنيفًا للتّاريخ التركي ونشرتُه، وإذا بي أقرأ في الصحف أنّ فؤاد كوبريلي[1] يُلقي محاضرةً في الجامعة ويقول إنّي أصنّف التاريخ هكذا!، إن هذا الرّجُل لا يخجل من أنْ ينسب لنفسه عمل الآخَرين!.

وفي عام 1928 جاء البروفيسور فؤاد كوبريلي إلى باريس وزارني في بيتي، ومعه زكي وليدي، كنّا نتكلم، وفي هذه الأثناء قلتُ له إنّ بابور شاه[2]

---

(1) فؤاد كوبرولو/ محمد فؤاد بك كوبرولو (1890–1966م): ينحدرُ من أسرة الصدور العظام الشّهيرة التي حكمت الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن السابع عشر، درس القانون لكنّه ترك الجامعة قبل التخرج، ودرس بمفرده الأدب والتاريخ والفلسفة، وعيّن محاضرًا للأدب التركي سنة 1913، وكافح من أجل تطبيق القواعد الأكاديمية الأوروبيّة في تدريس الأدب والتاريخ، أحدُ مؤسّسي التركولوجي في تركيا وجمعية التركولوجي سنة 1924، وعلى الرغم من تركيزه على الاستمرارية بين ثقافات آسيا الوسطى والثقافة العثمانية التركية، إلّا أنّه عارض الفرضيّات التاريخية القومية المتطرفة، دخل المعترك السياسي سنة 1934 عندما انتخب عضوًا في البرلمان، وهو أحدُ مؤسّسي الحزب الديمقراطي سنة 1946، عيّن وزيرًا للخارجية في أول حكومة لمندريس بعد سنة 1950.

انظر، إريك زوركر: تاريخ تركيا الحديث، ص 521.

(2) بابر شاه (1483–1530م): محمد ظهر الدين بابر، حاكم هندي مسلم. يرجع نسبه من أبيه

ألَّفَ كتابًا في العروض، وهذا الكتابُ مفقود، لكنّي عثرتُ عليه في المكتبة الأهلية بباريس، تحت اسم (عروض تُركي)، ولا يعرف أحد هناك أنّ هذا الكتاب هو الكتاب المفقود لبابور شاه، إلّا أنّي تداركتُ الموقف وقطعتُ حديثي خوفًا من أنْ يسرق فؤاد كوبريلو هذه المعلومات.

لكنّي بعد سنة، وعندما وصلتْنا من باريس مجلة (التركيات) وجدتُ أنّ هذا الرجل يتحدّث في مقالة في المجلة عن أنّه هو الذي عثرَ على الكتاب!، وحكى لي زكي وليدي عن مسألة حدثتْ له مع فؤاد كوبريلو، سلّم زكي وليدي كتابًا ألّفه إلى فؤاد كوبريلو، ليتوسّط له لدى وزارة المعارف لطبعه، لم يسلّم فؤاد كوبريلو الكتاب إلى وزارة المعارف.

وذاتَ يوم صدر لفؤاد كوبريلو كتابٌ جديد، نظر زكي وليدي في الكتاب الجديد، فوجدَه كتابه الذي سلّمه لفؤاد ليوصله إلى وزارة المعارف!!، وكلّ ما فعله فؤاد أنّه شطبَ اسم زكي وليدي من الكتاب، ووضع عليه اسمَه، ودفع به إلى المطبعة!!، يعني أنّ فؤاد كوبريلو في ميدان العلم يتساوى مع مصطفى كمال في ميادين السياسة!.

لا بدّ من خروجي من تركيا لأنّ أعوان مصطفى كمال يريدون قتلي، لم يبقَ لي إلّا سنة في عضوية مجلس الأمّة، لكنْ لا بدّ من تَركي تُركيا، كتبتُ وكالة بكلّ أعمالي لأخي شكري.

إلى تيمورلنك ومن أمّه إلى جنكيز خان، كان شاعرًا وأديبًا، ملك الهند، وأسس دولة إسلامية في أكراء دامت مائتي سنة. وكان والده قد ترك له إمارةً صغيرة في فرغانة وسمرقند عام 1494م.

أخرُج من تركيا لأستنشقَ هواءَ الحرية:

أخرجُ الآن من البلاد بسفينة، أنظرُ إلى أرض بلادي بشوق، عبرْنا من مضيق الدّردنيل، هاأنذا أستنشقُ هواءَ الحرية، ووصلْنا إلى فرنسا.

وإلى هنا تنتهي فترةُ الأحداث التي رأيتُها وسمعتُها بصفتي عُضوًا في مجلس الأمّة، وفي هذه المرحلة، يعني منذ قيام الجمهورية وحتّى الآن ليس لي مسئولية لا عن حسناتِ تركيا ولا مساوئها، ليس لي دخل بهذا.

إنّني الآن في الغربة، ونحنُ الآن في باريس، ألتقي بفتحي سفير تُركيا بباريس، منذ اللّحظة الأولى قلتُ له بأنّي لن أعود إلى تركيا، فاستصوَبَ رأيي، قدّم لي فتحي الصّحف الفرنسية في ثلاثةِ مقالات لمحرِّر زارَ تركيا، ومكثَ هناك ما يقرُب من عشرةِ أيّام، عاد بعدها ليكتب ويقول: «إنّ هذه ليست حكومة، إنّ الحاكمين هناك عصابةُ مجرمين!، لا يمكن أنْ تكُون هذه جمهورية!، إنّهم لا يخجلون هناك من السّرقة والتّزييف، إنّهم في تُركيا يشنُقون الأبرياء والمظلومين، ينهبون الشعب، إرهاب مدهِش، إنّ أنقرة ملجأ اللصوص، تلجأ إليها العصابات برؤسائها وأعوانها.... إلخ».

إنّ هذه المقالات الثلاث وصمةُ عار بالنسبة لتركيا دولة وشعبًا، ولكن ماذا نقول؟!، إنّ كلّ ما فيها صحيح.

أصبحتْ زوجتي مصدرَ إزعاج لي في هذه الغربة، كانت مريضة، ودخلت مستشفى ليون، لكنّها أدمنتْ المورفين، وعندما لم تجِدْه طلبتِ العودة إلى استانبول، أرادت أنْ أعودَ معها، قلت لها: «لا أستطيع الحياة معك بالمورفين، ولا أستطيع العودة معك إلى تركيا»، رضيتْ بالطّلاق والانفصال عني، إلّا أنّها لم تنفّذ هذا، سافرتْ إلى استانبول، وجاءت بالمورفين.

من أخبار أخي:

جاءت الأخبارُ بأنَّ أخي شكري يهمل في المزرعة، يظهر لي مصاريف وهمية، لو كانَ لديه ضمير لفكّر وقالَ لنفسه: «إنّ أخي الكبير في الغربة، وهو أخي الكبير ووالدي ووليّ نعمتي في نفس الوقت، ولا بدّ أن أظهر همّة كبيرة، وأرسل له نقودًا في غربته»، كان موظفًا وفصلوه، لكنّي توسّطتُ له حتّى أصبح المدير العام للغابات في سينوب.

مصطفى كمال مقتنعٌ بأنّ كلّ شيء يمكن أنْ يحدث بضربة قانون، نعم يا مصطفى كمال، تستطيع بقانونٍ تصدِره أن تقذفَ بالطربوش من رؤوس الشعب، لكنك لا تستطيعُ فرض الحروف الجديدة، أنا مشتغلٌ باللغة الفرنسية منذ صغري، لكني مع ذلك لا أستطيع حتّى الآن قراءة اللغة التركية بالحروف اللاتينية قراءة صحيحة وسريعة؛ لأنّ الخطّ مسألة رسم.

مصطفى كمال يعيّن يهوديًا في المجمع اللغوي التركي:

وفي المجْمع اللّغوي التركي أدام مصطفى كمال في فرضه الشكل الجديد للغة التّركية، أصدر مصطفى كمال أوامرَه بتعيين إبراهيم نجمي عضوًا في هذا المجْمع، وإبراهيم نجمي هذا يهوديّ من الدونمة، وينطق اللغة التركية نطقًا سيئًا، وإن مصطفى كمال نفسَه ينطق اللّغة التركية بلهجة يهودية، مثله في ذلك مثل إبراهيم نجمي.

اتّخذ مصطفى كمال في استانبول قصر طوله باغجه[1] مكانًا له، وفي هذا

(1) سراي طوله باغجه: كائنة على شاطئ البوسفور في ساحل روم ايلي، وهي مؤلفة من عدّة قصور كلّها مبنيّة من الرّخام الأبيض الناصع، ومحاطة من جهة البرّ بأسوار سامكة البنيان بحيث لا

القصرِ فعلَ ما لم يفعله السّلاطين العثمانيون، وأصبح القصر مركزًا للفسق والفجور.

يقلُّ الحجاب في تركيا، بدأ نزع الحجاب في زمن الاتحاديين، ويقولون إنّ نزع الحجاب إنّما هو أحد الانقلابات التي أحدثها الغازي في تركيا، لكن الحجاب وسيلة مهمّة لصيانة المرأة من الفواحش، وبهذه الصورة يكُون الحجاب خادمًا لسلامة العائلة.

يمكن أنْ يرى داخلها إلّا من جهة البحر. في هذا السّراي أقام السلطان عبد المجيد والسّلطان عبد العزيز في زمان حكمهما، وفيها خلع السلطان عبد العزيز ثمّ نقل منها هو وحرمه في زورق إلى سراي «تشراغان» ومن ذلك الوقت لم يعدْ يقيم فيها أحد، غير أنّ السّلطان السابق عبد الحميد كان يأتي إليها في العيدين؛ عيد رمضان، وعيد الأضحى، فتجري فيها رسوم المعايدة الرسميّة. وكان يستقبل فيها الملوكَ والأمراء الكبار عند زيارتهم للأستانة رسميًا، وأمّا الآن فقد عاد إلى هذا السراي مجدها وبهاؤها؛ إذْ حلّ فيها جلالة مولانا السلطان محمد الخامس، أطال الله عمره، وأيّد عرشه، وأعزّ ملكه، وجعل عصره السعيد عصر فلاح ونجاح للأمة النّبيلة العثمانية. أمّا من حيث البناء فسراي «طوله باغجه» فخيمة عظيمة وهي مبنيّة على الطراز الغربي بهندسة بالغة الجَمال، وقد قدر ما أنفق على بنائها بمبلغ ثمانية ملايين من الليرات العثمانية. وتوجد فيها مرايا كبيرة سعة كلّ منها 30 مترًا مربعًا، وفيها ثريّا ذات 250 شمعة. ولا يمكن للزائرين أن يدخلوا منها سوى قاعة الاستقبال، وقاعة البالو الكبيرة، وقاعة الجلوس، وقاعة العرش السّلطاني الأسمى، وفي طرف السراي الغربي توجد دار الخزينة الخاصّة، وفي طرفها الشرقي المطبخ والصيدلية.

انظر، م. شكري: دليل الأستانة، ص62

إعدامُ الشّيخ أسعد[1]

كثُرتِ الأعياد في تُركيا في عهد الجمهورية، وكلّ يوم عيدٌ جديد، إنّ مصطفى كمال يصوّر نفسه تصويرًا دقيقًا وجيدًا، فقدْ وصف نفسَه لمراسل صحفي فرنسي قائلًا: «أنا لا أعرف المُزاح، فربّما أُرسِل أصدق أصدقائي وهو يأكل معي من المائدة إلى المشْنقة»!!، ونشر الفرنسيّ هذا الكلام، وهو كلام صحيح، ومصطفى كمال لا يتورّع عن هذا.

عُملتنا يعتورها التّدهورُ، وحكّامنا- وعلى رأسهم الغازي- كم يسرفون إسرافًا لم تشهدْه البلادُ من قبل. صُحف باريس تكتبُ قائلة إنّ مصطفى كمال سيصبح رئيسًا للجمهورية ورئيسًا للوزراء، كذّبتْ حكومتُنا بسرعة هذا الكلام، مع أنّ مصطفى كمال في الواقع رئيسٌ كلّ شيء في البلاد الجمهورية والوزراء والجيش والحكومة........ إلخ.

الحياة في باريس أرخصُ منها في استانبول وأجْمل، والفُحش في فرنسا زائد، إلّا أنّ هناك أناسًا طيّبين، فإنّي أعرف سيدة لا ترسل ابنتيها للرّقص ولا للباليه، والفتاتان تتوسّلان إليها، ولكن دون جدوى.

أرادَ مصطفى كمال وعصمت أن يبيعا مجوهرات العائلة المالكة السابقة، أيّ مجوهرات العثمانيّين الموجودة في متحف طوبقبو، أرادا بيعها للتجار اليهود، وعلى رأسِهم تاجر المجوهرات اليهوديّ مناشا، وهو يهودي بولندي

(1) مجلة المجتمع الكويتية، العدد 583، الحلقة الأخيرة، 28 شوال 1402هـ الموافق 17 أغسطس 1982م.

عاش في استانبول خمسَ عشْرة سنة، كان يديرُ خلالها دارًا للبغاء في حيّ الرّصيف العالي، تظاهر مصطفى كمال وعصمت أنّهما وراءَ بيع المجوهرات العثمانية، لكي يؤسّسا مصرفًا للدّولة، لكنّ عبد المجيد احتجّ من أوروبّا، وقال: «إنّ هذه المجوهرات ملك لعائلتنا»، وقال: «إنّ هؤلاء اليهود لو جاءوا بهذه المجوهرات فسنقبض عليهم»، لذلك تراجع كمال وعصمت عن هذه المسألة.

مصطفى كمال يأمرُ رؤوف بإنشاء حزب مُعارِض:

رؤوف يؤسّس حزبًا مُعارضًا، يعِدُّ برنامجه ويقدّمه لمصطفى كمال، وقد اختار مصطفى كمال له اسمًا جديدًا هو «حزب الجمهورية الحر[1]»، لم يكن فتحي هو الذي عمل الحزب، وإنّما مصطفى كمال نفسه، والقصد منه أن يحدّ من نفوذ عصمت.

---

(1) الحزب الجمهوري الحر: اجتمع مصطفى كمال مع فتحي أوقيار وناقش معه اختلاف وجهات النّظر مع رئيس الوزراء عصمت إينونو، وسمح له بتكوين حزب للمعارضة قائلًا: شكل حزب، وتولَّ رئاسته، ودافعْ عن أفكاره في المجلس، وبهذا تكون قد حقّقت الهدف المرجو من الأحزاب.

تشكّل الحزب في 12 أغسطس 1930م، وكانت مبادئه هي: الجمهورية- القومية- العلمانية؛ فاتّسق مع حزب الشّعب الجمهوري، ومن ثمّ أخذت تُبثّ له الدعاية وصار يتوسع ويقوى، وأثناء جولة فتحي أوقيار رئيس الحزب التفتِ الجماهير حوله وأخذتْ تهتف ضدّ بقية أهداف حزب الشّعب الجمهوري وضدّ إلغاء الحروف العربية ولبس القبعة، بل وألقيت خطب تهاجم مصطفى كمال نفسه، لم يتوانَ أتاتورك عن التحرّك ضدّ هذه الحركة المضادة، ورأى أنّ المعارضة التي من المفترض أنها مستأنسة على وشك أنْ تقضي على النظام وعليه بشكل كلي، وبعد اجتماع في 17 نوفمبر 1930 أعلن رئيس الحزب إغلاقه، وعاد الحزب الجمهوري إلى ممارسة سياسة الحزب الواحد.

انظر، الصفصافي أحمد المرسي: أوراق تركية..، ص 23-24

يسقطُ مصطفى كمال:

الأكرادُ يثُورون ثورةً عارمة، لم تكُنْ ثورتهم هذه المرة أيضًا لقيام دولة كُردية، فهُم لا يفكِّرون في هذا، وإنّما ثورتهم نتيجةٌ للتّنكيل الشديد الذي فعلتْه فيما قبل قوات مصطفى كمال ضدّ الشّيخ سعيد الكُردي، انضم للثوّار عددٌ من ضبّاطنا، فيهم مَن يحمل رُتبة (الباشا) العسكرية، جاء واحدٌ من استانبول وأخبرني بالآتي: تظاهر الشّعب في الشّوارع صائحين: «يسقط مصطفى كمال»، ممّا أفقده صوابَه.

وصلتْني في باريس نسختان من جريدة (مليت)، فيها خبر يقول إنّ فيتزيلوس قد زار البطريركية الرّومية، كان اليونانيّون يتخابرون فيما قبل في سرّية وخفية من هذه البطريركيّة ضدّنا، والآن التّخابُر جهارًا نهارًا، يأتي المسئولون اليونانيون يزورون البطريركية، ويقبّلون يد البطريرك.

إعدامُ الشيخ أسعد:

جاءت الأنباءُ بأنّ محاكمة الشيخ أسعد المتّهم بالثورة ضدّ مصطفى كمال قد انتهتْ بإعدام الشّيخ أسعد، لكنّ هذا الشّيخ الذي يبلغ التّسعين من عمره مات قبل تنفيذ الإعدام فيه، كما أعدمتِ الحكومة أيضًا ثمانيةً وعشرين من مريدي هذا الشيخ.

المحكمةُ العسكرية أعضاؤها ظالمون، وينبغي محاكمتُهم هُم أنفسهم، ذات يوم قابلتُ كلًّا من الأخوين الهنديّين علي وشوكت، وهُما عضوان في المؤتمر الهندي بلندن، قابلتُهما أثناءَ مرورهما بباريس، كانا حزينَين أشدَّ الحُزن لإلغاء الخلافة، قالا لي أثناء حديثهما: «إنّ مصطفى كمال قد وضع في جيبه

النقود التي أرسلْناها له وللأمّة التّركية في يوم عصيبٍ من أيامها، ليصرف هذه النقود على شئون الأمة التركية، في تلك السَّنة داهم الهند قحطٌ شديد، وكادَ النّاس يموتون جوعًا، وفي هذا الظرف العسير تبرّع النّاس، وإذا بهذا الكافر يستولي على هذه النقود».

مسكينٌ محمد علي، فقد ماتَ في لندن، وكان مُصابًا بالسكر والقلب، وقد توسَّط مفتي القدس لكي ينقل جثمانه ويُدفن في القدس، وتمّ هذا، ودُفن هناك، هذا ما سمعتُه اليوم، لقد كان عالمًا ومسلمًا غيورًا، وموتُه خسارة للعالم الإسلامي.

تلقّيتُ خطابًا من زوجتي تقول إنّها انتقلتْ من استانبول إلى أنقرة بخصوص مسألة الميراث عن أبيها.

توجّهتُ إلى منزل عصمت باشا حيث قابلتُ زوجته، ووعدها عصمت بحلّ المسألة، واستضافاها في منزلهما مدّة عشرة أيّام، وعن عودة زوجتي إلى استانبول كتبتْ تقول لي أنْ أعود من باريس إلى استانبول بسرعة، وهي تصرّ على هذا وتقول لي: «لن تحلّ المسألة إلّا إذا جئتَ».

إصرارُها يعني أنّ عصمت هو الذي أقنعها بهذا، أنا في باريس منذُ سبع سنوات، وعصمت يرسل لي واحدًا في كلّ عام ليقنعَني بالعودة، لكنّي أخاف على نفسي، أكاد أجنُّ من تصرُّفات زوجتي، تذهب إلى أنقرة دونَ إذنٍ منّي، بل إنّها لا ترى داعيًا لهذا.

أين العهدُ العثماني؟ إنّنا نفتقده!:

قابلتُ اليوم أحدَ المسئولين العراقيّين، قال لي: «فيصل[1] مسرور بزيارته لتركيا، لقد أحسنَ مصطفى كمال استقباله، ثمّ أرسله الإنكليز إلى إيران، إلّا أنّ الشاه رضا بهلوي أساء معاملة فيصل».

الإنكليز لا يعمّرون العراق، إنّما يأخذون أموال أهل العراق، الإنكليز وضعوا في الدّستور مادة تنصُّ على تعْيين موظّفين أكراد في المناطق الكُردية، كما تكُون اللغة في هذه المناطق هي الكرديّة، يقوم الإنكليز بعد ذلك بدفع

(1) فيصل الأوّل (1300-1352هـ/ 1883-1933م): فيصل بن الحسين بن علي الحسني الهاشمي، أبو غازي: ملك العراق. من أشهر ساسة العرب في العصر الحديث. ولد بالطائف، وترعرع في خيام بني عتيبة في بادية الحجاز. ورحل مع أبيه حين أبعد إلى الأستانة (1891م) وعاد معه (1909م) واختير نائبًا عن مدينة «جدة» في مجلس النواب العثماني، سنة 1913م، فأخذ يتنقل بين الحجاز والأستانة. وزار دمشق سنة 1916م، فأقسم يمينَ الإخلاص لجمعية «العربية الفتاة» السّرية. وثار والده على الترك (سنة 1916م) فتولى فيصلُ قيادة الجيش الشمالي. ثمّ سمّي «قائدًا عامًّا للجيش العربي» المحارب في فلسطين إلى جانب القوّات البريطانية ودخل سورية سنة 1918م، بعد جلاء الترك عنها، فاستقبله أهلها استقبالَ المنقذ. وسافر إلى باريس نائبًا عن والده في مؤتمر الصلح. وعاد إلى دمشق في أوائل سنة 1920م، فنودي به «ملكًا دستوريًّا» على البلاد السورية (8/ 3/ 1920م) فاحتل الجيش الفرنسي سورية. ورحلَ الملك فيصل إلى أوروبا، فأقام في إيطاليا مدّة ثمّ غادرها إلى إنجلترة. وكانت الثّورة على الإنجليز لا تزال مشتعلة في العراق، فدعته الحكومة البريطانية لحضور مؤتمر عقدتْه في القاهرة (1921م) برياسة «ونستون تشرشل» وتقرّر ترشيحه لعرش العراق، فانتقل إلى بغداد، فنودي به «ملكًا للعراق» سنة (1921م) فانصرف إلى الإصلاح الدّاخلي، بوضع دستور للبلاد، وإنشاء مجلس للأمة. وأقام العلاقات بين العراق وبريطانيا على أسس معاهدات (1922—1926 1927 و1930) وأصلح ما بين العراق وجيرانه: البلاد العربية السعودية، وتركيا، وإيران.

وزار العاصمة التركية والعاصمة البريطانية. ثمّ قصد سويسرة للاستجمام فتوفي بالسكتة القلبية في عاصمتها «برن»، ونقل جثمانه إلى بغداد فدفن فيها.

انظر، الزركلي: الأعلام، 5/ 166

الأكراد خفية إلى الثورة ضدّ تركيا وضد إيران.

يخطّط الفرنسيّون لتقسيم سوريا، والأرمن كثيرون في بيروت، يقال إنهم سيعملون جامعة أرمنيّة في بيروت، أقام الأرمن أحياءً خاصّةً بهم في كلّ من بيروت وحلب، الفرنسيّون يقومون بحماية الأتراك في الإسكندرونة، وبهذه الصّورة يفتّت الفرنسيون سوريا.

يقول المسئول العراقي: «أين العهدُ العثماني؟! إنّا نفتقِدُه»، ترى هل هذا العراقي مخلِصٌ في قوله هذا، أم أنّه يقوله لي نفاقًا؟.

زوجتي تخونني، لن أكتب شيئا بعد الآن:

باريس في 16 تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٣٢م. انتهيتُ من أبحاثي، وأريد أن أطبعها، سأعملُ مطبعة في مصر، قريبًا سأبيع حاجاتي وأغادرُ باريس، أخاف أن أموت قبل طبْع كتبي، لذلك كتبتُ من كلّ منها نسخة، وأودعتُ جزءًا منها في المكتبة الأهلية بباريس، وقسمًا سأرسلها إلى مكتبة بروسيا في برلين، تعبتُ، وأحتاج إلى استراحة طويلة.

تلقيتُ هذا الخطاب من زوجتي:

«إنّي في هذه السّنوات الأخيرة ضايقتُكَ كثيرًا، وكلّ يوم يضايق كلّ منا الآخر، إني وجدتُ رفيقًا لي في حياتي، وهو وإنْ لم يكُن عاليًا في مستواك إلّا أنّ أخلاق كلّ مِنّا تناسبُ الآخر، كنْ سعيدًا هناك، وإذا لم أسعدْ أنا هنا فلا يكنْ مَن يقعُ، كلّ العيب فيَّ أنا، إنّي أعرف أنّك رجلٌ شريف إلى آخِر درجة، لكنّي لا أريد أن أدَعَ فرصة لآخر أن يُسمِعَك ما يُغضِبُك. زوجتُك عفَت».

سريعًا ما أخرجتُ من أصبعي خاتمَ اللّعنة الذي حملتُه طوال تسعة عشر

عامًا!، وكتبتُ إلى فاروقي المحامي وإلى رشيد صفوت خطابًا، وأقمتُ محاميًا لإجراء عملية الطّلاق فورًا، امرأةٌ غير شريفة، وبلا ضمير، سأطلّقها فورًا لأنقذَ شرفي، ولو كانت هنا لتسبَّبت يداي في حادث، إنّي ألعن الآن القانونَ المدني، لو كانت الأحوال الشّرعية في القائمة لانتهى الأمرُ في خمس دقائق.

سأكتبُ من مذكّراتي عدّة نُسخ أخفيها، بعد ذلك بِعتُ كلّ شيء، وركبتُ السفينة من مرسيليا في ٢٧ كانون الثاني/ يناير إلى الإسكندرية، بعد ذلك لن أكتب شيئًا، لا الأبحاث العلمية، ولا المذكرات.

رضا نور

مصادرُ ومراجعُ التّحقيق

أحمد آق كوندز، سعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة.. 303 سؤال وجواب توضّح حقائق غائبة عن الدّولة العثمانية، ترجمة: أورخان محمد علي وعوني لطفي أوغلي، وقف البحوث العثمانية، استانبول، 2008م.

أحمد النّعيمي: تركيا بين الموروث الإسلامي والاتّجاه العلماني، دار الجنان- دار زهران، عمان، 2011م.

أحمد صدقي شقيرات: مؤسّسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني 1425-1922م، إربد- الأردن، 2002م.

أحمد عبد الله نجم: التّعليم في الدولة العثمانية.. دراسة لدور المدرسة من ظهور الدّولة حتّى وفاة السلطان سليمان القانوني في ضوء المصادر التّركية، دار الهداية، القاهرة، 2009م.

أحمد عبد الوهاب الشّرقاوي: أكذوبة إبادة الأرمن في الدّولة العثمانية والروسية.. وحقائق التهجير والتوطين والعودة، مركز التاريخ العربي للنشر، القاهرة/ استانبول، 2019م.

أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: مذابح الأرمن ضدّ الأتراك في الوثائق العثمانية والرّوسية والأمريكية، دار البشير، القاهرة، 2016م.

أحمد عبد الوهاب الشّرقاوي، محمد عبد العاطي، ياسر أحمد: جغرافية الممالك العثمانية، دار البشير، القاهرة، 2018م.

أحمد فهد بركات الشوابكة: حركة الجامعة الإسلامية، مكتبة المنار، الأردن، 1984م.

أحمد نوري النعيمي: يهود الدونمة، دار زهران، عمان، 2011م.

إريك زوركر: تاريخ تركيا الحديث، ترجمة: عبد اللطيف الحارس، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2013م.

أكمل الدين إحسان أوغلي (إشراف وتقديم): الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول (إرسيكا)، الطبعة الأولى لمكتبة الشّروق الدولية، القاهرة، 2010م.

أندرو مانجو: أتاتورك.. السّيرة الذاتية لمؤسس تركيا الحديثة، ترجمة: عمر سعيد الأيوبي، دائرة الثقافة والسياحة، مشروع كلمة، أبو ظبي، 2018م.

ثريا شاهين: دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية، ترجمة: محمد حرب، دار المنارة، جدة، 1997م، ص 91.

حسان حلاق، عباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية.. المصطلحات الإدارية والعسكرية والسّياسية والاقتصادية والاجتماعية والعائلية، دار العلم للملايين، بيروت، 1999م.

حسين مجيب المصري: تاريخ الأدب التركي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2000م.

الزّركلي: الأعلام، جـ 3، ص 260.

زكي محمد مجاهد: الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، 3 مجلدات.

زينب سعد زغلول أبو سنة: الأدب النسائي التركي الحديث والمعاصر، دار الهداية، القاهرة، 2011م.

زينب سعد زغلول أبو سنة: الشعر التركي العثماني والحديث، دار الهداية، القاهرة، 2011م.

سليمان الخراشي: كيف سقطت الدولة العثمانية، دار القاسم، الرياض،1420هـ.

سونيا محمد سعيد البنا: فرقة الانكشارية.. نشأتها ودورها في الدولة العثمانية من خلال المصادر التركية، إيتراك، القاهرة، 2006م.

شاوارش طوريكيان: القضية الأرمنية والقانون الدولي، ترجمة: خالد الجبيلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2000م.

صالح سعداوي: مصطلحات التاريخ العثماني، 3 أجزاء، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 2016م.

الصفصافي أحمد المرسي: التطور الديمقراطي في تركيا الحديثة والمعاصرة، الجزء الأول: حرب الاستقلال والجمهورية الأولى، 1918-1960م، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد 29 ، 2004م.

الصفصافي أحمد المرسي: أوراق تركية.. حول الثقافة والحضارة، الكتاب الأول: التاريخ والسياسة، القاهرة، 2002م.

فاروق صالح العمر (دراسة وتوثيق): ثورة أكتوبر البلشفية وتأثيراتها في أوروبا- تركيا- العراق.. في ضوء الوثائق البريطانية، دار ومكتبة البصائر، بيروت، 2013م.

فدوى أحمد نصيرات: المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر 1840-1918م، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، بيروت، 2009م.

قادر سليم شمو: موقف الكورد من حرب الاستقلال التركية، دهوك، كردستان العراق، دار سبيريز، 2008.

لطفي المعوش: موسوعة المصطلحات التاريخية العثمانية.. عثماني- تركي- عربي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2012م.

م. شكري: دليل الأستانة، مطبعة جورجي غرزوزي، الإسكندرية، 1909م.

ماجدة مخلوف (تقديم وترجمة وتعليق): الخلافة في خطاب أتاتورك، مركز بحوث آسيا، الزقازيق (محافظة الشرقية- مصر)، 2001م.

ماجدة مخلوف: تحولات الفكر والسياسة في التاريخ العثماني.. رؤية أحمد جودت باشا في تقريره إلى السلطان عبد الحميد الثاني، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2009م.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، القاهرة، 2001م.

محمد حرب: البوسنة والهرسك من الفتح إلى الكارثة، المركز المصري للدراسات العثمانية، القاهرة، ط 2، 1994م.

محمد حرب: السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار.

محمد حرب: الصراع بين الفكر الإسلامي والمادية في تركيا المعاصرة، د. ن، القاهرة، 1990م.

محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية، وبحوث العالم التركي، القاهرة، 1994م.

محمد حرب: مذكرات السلطان عبد الحميد، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، 2012م.

محمد عزة دروزة: تركيا الحديثة، مطبعة الكشاف، بيروت، 1946م.

محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثامنة، 1998م.

مصطفى أرمغان: التاريخ السري للإمبراطورية العثمانية، ص37-38.

مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية.. دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات 1517-1924م، دار غريب، القاهرة، 2000م.

الموسوعة العربية العالمية، المملكة العربية السعودية، النسخة الإلكترونية، 1412هـ/ 1992م.

فهرس المحتويات

المركز الثقافي الآسيوي

- مؤسّسة بحثيّة مستقلّة، تتبع جمعيّة خرّيجي معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، تخضعُ لقانون الجمعيّات الأهلية المصري، مشهَرة في وزارة التضامن الاجتماعي برقم 1328 لسنة 2002م.

- يتكوّن المركز الثقافي الآسيوي من الوحدات التّالية:

1) وحدة دراسات الخليج وشبه الجزيرة العربية.

2) وحدة الدراسات الإيرانية.

3) وحدة الدراسات التركية والعثمانية.

4) وحدة الدراسات الأرمنية والقوقازية.

5) وحدة الدراسات اليهودية والإسرائيلية.

6) وحدة دراسات الشرق الأقصى.

7) وحدة دراسات الفنون والتراث.

8) وحدة دراسات تركستان الشّرقية- شينجيانج.

- يهدفُ المركز الثقافي الآسيوي إلى عمل البحوث والدّراسات المتعلقة بقارة آسيا في النّواحي التّاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكافّة النواحي الحضارية.

- يعمل المركزُ الثقافي الآسيوي على طباعة ونشر الدراسات التي تنتجها وحداته المختلفة، كذلك الدراسات التي يتقدّم بها الباحثون المتخصصون في مجال اهتمامات وحدات المركز.

- كما يقوم المركز الثقافي الآسيوي بترجمة الإصدارات العالمية الخاصة بقارة آسيا وإصدارها في نشرات خاصّة.

- يسعى المركزُ الثقافي الآسيوي إلى إصدار عدّة سلاسل من الكتب والدوريات المتخصّصة، والتي تخدم الدّراسات الآسيوية خاصّة، والثقافة الإنسانية بشكل عام.

- يمدّ المركز الثقافي الآسيوي يدَ التعاون للباحثين والمراكز البحثية والهيئات العلميّة الأخرى، للقيام بالأنشطة العلميّة والندوات والمؤتمرات وعمل الأبحاث ونشرها.

harpgeneration@yahoo.com
(002) 01229365348